

سَيِّدُ الْحُسَيْنِ

الحرّ الأبيّ والشّهم الفيور والسياسيّ المحنّ والبطل الخالد والحكيم المفكّر والقائد المظفر

سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام

كلمات ومباحث تزيد القارئ بصيرةً في عظمة النهضة الحسينية
لأنّها تردّ كل شبهة تحوّم حولها وتتعرض للجواب عن كلّ اعتراض قد يوجه إليها

أعدّها ذخيرة لعقبائه

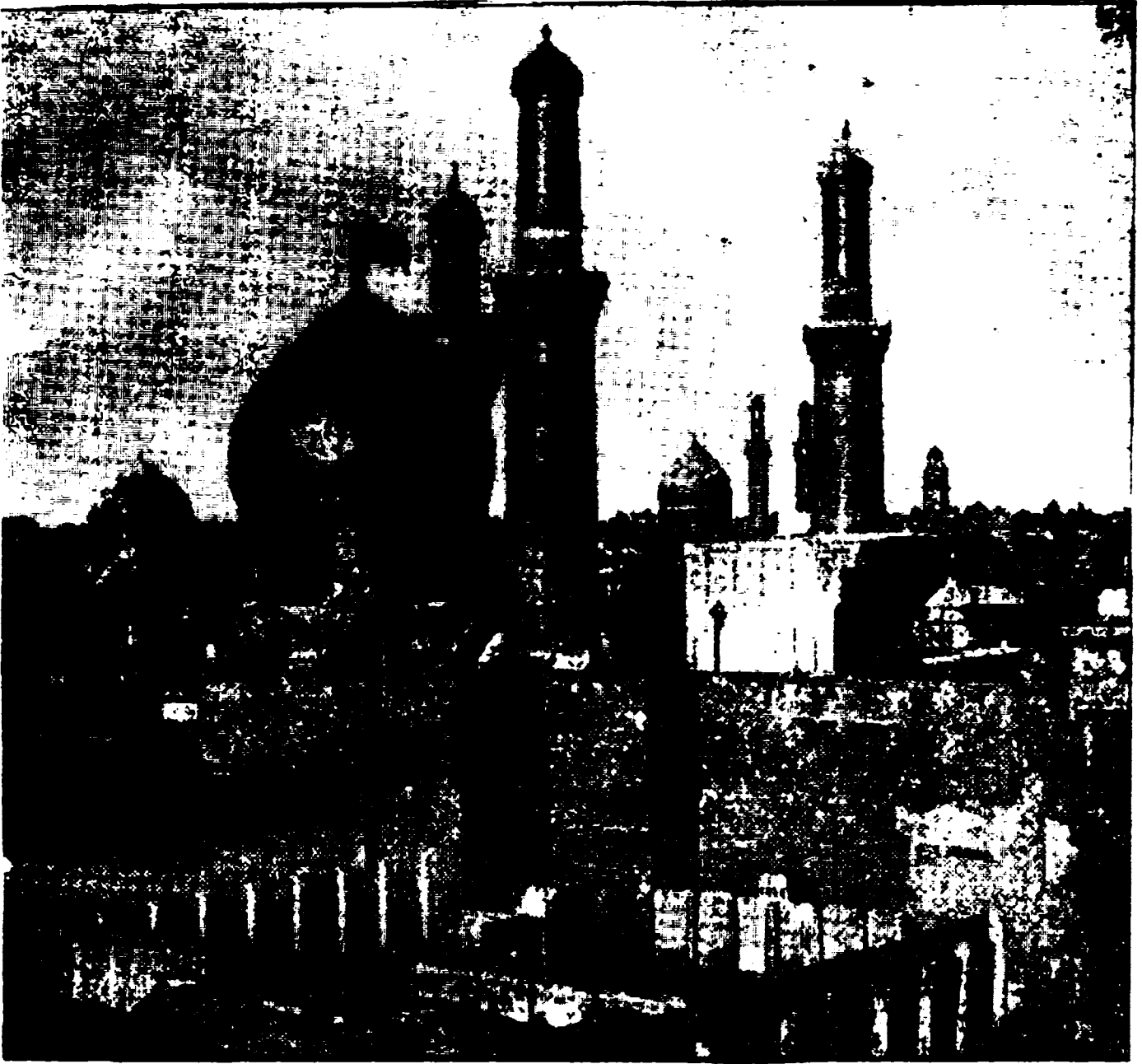
المنزّل الأول للجانب وللمعظّم لفيض به السجاني

الحاج الشيخ عبد العظيم الشبلي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف وفقه الله تعالى لمراضيه

النجز الأول ١٣٧٨ هـ والنجز الثاني

طبع في مطبعته رشديّة بالأفسيّة



سَيَّاسَةُ الْحُسَيْنِ: بَقْلُ السَّعْيِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يحق الحق بكلماته . ويُبطل الباطل فاذا هوزا حق بين يدي
انصاره وُجَّهاته ، وافضل صلواته واكمل تحياته ، على صفوته من جميع
بريته ومخلوقاته ، محمد مصباح الرشد والهدى المصطفى في مشكاته
وآله الذين اودوا في جنبه فصبروا على ما اصابهم في ذاته ،

الأهداء

سلامٌ عليك شهيد الأبا
فداؤك نفسي أأهديك
(حسين) وخامس أهل القبا
(كتاباً) بمعنالك قد أعجبا
سيدي أبا عبد الله

روحي فداك ، تُوق نفسي ويهتف بي ضميري ان اهدي لهذا المجهود
الضئيل لعنتك العالية القدسية ، ليُشرف بنفحة من
فضائل الألوهية ، ولكن الشيء اذا وضع في غير محله نبأ عنه
فان محلك أرفع واسمى ، (و في مدح الله لك غنى عن مدح
المادحين وتقريظ الواصفين) فتفضل يا سيدي ومولاي
بنظرة منك اليه ، وتكرم بلحمة عطف منك عليه ،
فما سليمان بن داود بأكرم منك في قبول الهدية الحقة من النملة
عبد العظيم الرئسي

ملحوظة :
كتب هذه الأسطر بقلم المؤلف
لتكون ذكرى له ونموذجاً لغيره ،

صَاحِبُ سِيَاسَةِ الْحُسَيْنِ



الْحَاجُّ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الرَّبَّاعِي

شُكْرٌ وَقَدِيرٌ * (١) *

* لا يشكر الله من لم يشكر الناس *

يفرض عليّ وجداني - وأنا أقدم كتابي إلى المطبعة ، ليكتبه
 حلة الطبع ويشرق في الارض يغرب - أن أقدم شكرى
 الجزيل وثنائى الجميل لجميع الذوات الذين آذروني وشجعوني على
 طبعه وسعوا جهدهم في نشره من أهالي القصة والمنهج وآباد
 وضواحيها والفاو والكويت والبحرين والقطيف وأخص بالذكر
 منهم أولاء المساعدة ودعاة التعاون على لبر والتقوى ،
 كابن العم الحاج الشيخ منصور الشيخ محمد ، وابن العم
 الحاج الشيخ عبد المجيد الشيخ علي آل العلامة الشيخ جعفر
 والأخوال الساريين الموسويين الحاج السيد سلمان
 والحاج السيد صالح وأخيه السيد ياسر والحاج
 عبد الحافظ الموسوي ، والحاج السيد ومحب الموسوي ،
 والحاج الملا عطية البحرى الشاعر الشهير ، وتلميذه الملا
 محمد علي الناصري ، والحاج الملا عبد الرحيم ابن الملا عبد الحفيظ
 وأضرابهم ، والمروكش بباخوانه عزيزاً بضاده وأعوانه ،
 فشكر الله سعيهم وأحسن جزاءهم عن المؤلف الدّج

لعظم شمع
 عبد الرحيم

المؤلف الرنعي

* والسبب الذي دعاؤنا ليعف الكتاب *

قال الله تعالى : « قُلْ لَا آسَأُ لَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى »
 فلم يُردّ تعالى أجراً لرسالة نبيه من أُمته إِلَّا مودة قُرباه ، لكنّ الأُمَّة
 - وبالإسْف - عملوا بالعكس حتى لو سأل خذلانهم وبُغضهم لم يجدوا
 مزيداً على ما فعلوا بهم ، ناهيك ما صنعوا بسبط الحسين الذي كان
 حُبّه حُبّاً شديداً من خذلانه وقتله بعد إعطائه من انفسهم العهد
 الوثيقة ، ثم قتلوه ترلفاً ليزيد وابن زياد « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا
 عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ؟ »

ثم جاء طواغيت بني لعباس - فندموا ان لا يكونوا اشركوا في
 قتله فتتبعوا رمة الشريت مع عليهم بأنه « فِي بَيُوتِ آذِنَ اللَّهُ أَنْ
 تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » فأرادوا هدمه وأعفاء أثره بحرقه واجراء الماء عليه
 وذريعه ، وأنّ لهم بذلك وقد آذن الله ان يُرفع ، ومن يضع من دفعه الله
 ثم جاء جيل من المهوسين من الكتاب وحملوا أقلام السؤا الذين
 لا يزالون يَبْثُونَ بذوا لفتنة ويدسون التّعاليم السيئة في الخلق ،
 فجعلوا يعترضون على الحسين في تلك المنهضة حتى حكى عن ابن العربي

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

كَلِمَةُ الْحَبِيثَةِ الَّتِي اجْتَرَأَ بِهَا عَلَى قُدْسِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ وَهِيَ قَوْلُهُ
 دَانَ الْحُسَيْنَ لَمَّا خَرَجَ عَنْ حَذِي قَتْلِ بَيْفِ جَدِّهِ « وَمَا ذَا لَتْ مِثْلُ هَذِهِ
 الشُّبُهَةِ تَرَبُّو فِي مَنَابِتِ الْأَذْهَانِ الضَّعِيفَةِ حَيْثُ تُسْقَى بِمَاءِ التَّعَصُّبِ
 وَالْعِنَادِ فَأَذْرَتْ ^(١) فُرُوعَهَا حَتَّى عَمَّتِ الْبَلَوْنِ وَبَلَغَتْ الشُّبُهَةُ أَذْهَانَ
 الضَّعَفَاءِ مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَمَا أَكْثَرُ أَوْلَئِكَ الْهَجَجِ الرَّعَاعِ أَتْبَاعَ كُلِّ نَاعِقٍ
 فَمَا زِلْتُ تَمَعُّ لَمْ لَمْ يُصَالِحِ الْحُسَيْنُ يَزِيدَ ، وَكَيْفَ نَهَضَ لِقِتَالِهِ مَعَ قَلَّةٍ
 الْعَدَدِ فَأَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَلِمَاذَا ، وَكَيْفَ ، مِنْ أَمْثَالِ هَذَا
 وَقَدْ نَهَضَ الْعُلَمَاءُ وَحَلَّتْ أَقْلَامُ الْأَصْلَاحِ مِنَ الْمُعَارَضَةِ لَهُمْ ، فَأَوْضَحُوا الْأُمُورَ
 بَعْدَ التَّبَاوَرُكُوا شُبُهَةِ الْقَوْمِ كَسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ ؛

وَأَذَايْتُ أَنَّ فِي الْحَوَالَةِ نَوْعَ اخْتِلَالٍ فِي الْأَسْتِفَادَةِ كَتَبْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ
 وَإِنْ لَمْ أَعُدَّ مِنْ فُرْسَانِ هَذِهِ الْحَلَكَةِ ، وَلَا مِنْ ذَوِي الْأَنْصِبَاءِ فِي
 هَذِهِ الْقِسْمَةِ ، وَاللَّهُ الْهَادِي الْمَوْفِقَ لِلصَّوَابِ ، فَإِنْ أَصَبْتُ فَقَدْ ثَلَمْتَنِي
 نَفْعَةٌ قُدْسِيَّةٌ مِنْ رُوحَانِيَّةِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ ، وَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ ، وَإِنْ
 أَخْطَأْتُ فَا الْمُعَاتَبُ غَيْرِي وَلَا الْمَلُومُ سِوَايَ . وَلَكِنِّي أَرْجُو مِنَ الْقَارِئِ السَّامِعِ
 وَمِنْ اللَّهِ الْغُفْرَانَ وَالتَّشْدِيدَ ؟

لِلْمُؤَلِّفِ

عبد الله بن محمد
 بن عبد الله بن محمد

(٤) ° مَجْمَعُ سَيَاسَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

* كَيْفِيَّةُ الْأَعْتِرَاضِ بِوَجْهَيْنِ فَمَا شَاءَ الْمُعْتَرِضُ

يَجْرِي الْكَلَامُ مَعَ الْمُعْتَرِضِ عَلَى وَجْهَيْنِ [الْأَوَّلُ] فَرَضًا - وَهُوَ الْحَقُّ - إِمَامًا مَعْصُومًا قَائِمًا بِمَقَامِ جَدِّهِ ، لَا يَنْطِقُ بِسِيقِ رَبِّهِ بِالْقَوْلِ ، وَهُوَ اعْتِقَادُ الشَّيْعَةِ كَافَّةً فِي الْأَنْبِيَاءِ وَأَوَّلِ هَذَا الْفَرَضِ نَقْطَةُ الْأَعْتِرَاضَاتِ كُلُّهَا دَفْعَةٌ وَاحِدَةٌ ، حَيْثُ مُسَدَّدًا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ حَرَكَةٌ وَلَا سَكُونٌ إِلَّا بِأَمْرِ مِنْهُ أَمَّا بِطَرِيقِ الْوَصِيَّةِ لَهُ مِنْ جَدِّهِ ؛ أَوْ رُؤْيَا فِي الطِّيفِ ، أَوْ فَنَاءِ بِهِ ، أَوْ الْجَمْعِ وَالْجَامِعَةِ ، أَوْ غَيْرِهَا مِنْ طُرُقِ عِلْمِ الْأُمَامِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، أَجَلٌ فَإِنَّ كُلَّ عَتَرِاضٍ عَلَى الْمَأْمُورِ يَرْجِعُ بِبِدَاهَةِ الْمُسَدَّدِ ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ فِعْلِ الْعَبَثِ عُلُوًّا كَبِيرًا . وَتَكْفِينَا هَذَا الْأَمْرَ لِلْحُسَيْنِ دَلِيلٌ وَاحِدٌ هُوَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَمُنُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَتَكْفِينَا مِنْهُ آيَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ قَوْلُهُ

اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا
الْمُفَسِّرُونَ عَلَى نُزُولِهَا فِي أَهْلِ الْعَبَائِ وَأَذَاكَانَ الْحُسَيْنُ يَدْعِي لَكَ
كَاذِبًا لَزِمَ كَذِبُ الْقُرْآنِ فِي تَطْهِيرِهِ مِنَ الرِّجْسِ فَإِنْ ادَّعَى الشَّخْصُ مَا
كَذِبٌ عَظِيمٌ (وَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) فَإِنَّ التَّطْهِيرَ الْمَذْكُورَ

الْحُسَيْنِ مِنْ بَنِي إِفْرَادِ الْأُمَّةِ ، مُجَرَّدًا - وَمَا شَاءَ مَقَامَهُ الرَّفِيعَ - مِنْ وَصْفِ الْأُمَامَةِ وَالْجَعْلِ
مَعَ الْمُعْتَرِضِ عَلَى صَافَةِ سِيرَةِ الْحُسَيْنِ ، لِنَقْتِ مَعَهُ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُ مُنْذَرًا لِمَنْ جَاءَ الشَّيْءُ مِنَ الْأُمَمِ
* فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَأَفْتَةٍ مِنَ الْفَهْمِ الْقَوِيمِ *

لَمَّا ذَا امْتَنَعَ عَنْ بَيْعَةِ يَزِيدَ *

عَلِمَ يَزِيدُ مِنْ جَارِهِ سِيرَةَ الْحُسَيْنِ ، وَمِنْ وَصِيَّتِ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ ، وَمِنْ
أُمُورِ كَثِيرَةٍ ، أَنَّ بَيْعَةَ الْحُسَيْنِ لَهُ إِحْدَى الْمُسْتَحْيَاتِ ، فَتَوَضَّلَ
بِلَفْظِ طَلَبِ الْبَيْعَةِ مِنْهُ لِتَجْيِيلِ الْأَنْتِقَامِ لَهُ وَلِأَشْيَاخِهِ الْمَقْتُولِينَ بِسَيْفِ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي لَعِبَتْ - بِزَعِيمِهِ - بِالْمَلِكِ فَلَا خَيْرَ جَاءُ
وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ ، فَكَانَتْ سَلَامَةُ الْحُسَيْنِ لَدَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ مُعَلَّقَةً عَلَى أَمْرٍ
وَلَوْ قَدَرْنَا أَنْ أَخْلَفَهُ يَقِينُهُ فَبَايَعَهُ الْحُسَيْنُ وَتَرَكَهُ يَسْتَبْدُ بِالْخِلَافَةِ .
فَإِنَّ سَلَفَهُ مُعَاوِيَةَ قَدْ عَبَّدَ لَهُ الطَّرِيقَ فِي غِيْلَةِ الْمُسَالِمِ بِاللَّبَنِ الْمَمُومِ ،
وَمَلَأَ مَسَامِعَهُ بِكَلِمَتِهِ الْجَادِيَةِ مَجْرَمِ الْمَثَلِ «إِنَّ لِلَّهِ جُنُوداً مِنْ عَسَلٍ»
فَافْتَحَ الثَّرْبَ كِتَابَهُ لِلْوَلِيدِ ، مُقْتَرِحاً عَلَيْهِ بَعْثَ رَأْسِ الْحُسَيْنِ مَعَ الْجَوَابِ .
إِذَا امْتَنَعَ عَنْ بَيْعَتِهِ ، وَامْتَنَاعُ الْحُسَيْنِ عَنْ بَيْعَتِهِ مَفْرُوعٌ مِنْهُ فِي عَقِيدَتِهِ
وَلَنَنْظُرَ مَا ذَا صَنَعَ سَفِيرُ يَزِيدَ الَّذِي أَسْدَلِيهِ هَذَا الْأَمْرَ الْخَطِيرُ ،
لَعَرَمِي لَقَدْ صَدَقَ صَاحِبُ الْمَثَلِ إِذِ يَقُولُ : «أَلرَّسُولُ عَقْلُ الْمُرْسَلِ» فَإِنَّ
الْوَلِيدَ زَادَ فِي الطُّبُورِ نِعْمَةً ، حَيْثُ لَمْ يَكْتَفِ بِعَرْضِ كِتَابِ يَزِيدَ عَلَى الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَفَى بِهِ مُنْفِراً لِكُلِّ أَحَدٍ لِإِشْتِمَالِهِ عَلَى التَّهْدِيدِ وَالتَّوَعِيدِ
بِالْقَتْلِ ، بَلْ أضافَ إِلَيْهِ إِحْضَارَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يَكْتَشِرُهُ وَيَسْتَعِينُ بِهِ
فِي الْأَمْرِ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مِنْ سِيرَتِهِ تَحَرُّعَهُ فِي الْقَاجِ الْفِتْنَةِ ، وَإِضْرَامِ نَارِهَا
بَيْنَ النَّاسِ ، أَمْ لَمْ يَدْرِ أَنَّ عُثْمَانَ إِنَّمَا قَتَلَهُ حَصَائِدُ لِسَانِ مَرِوانَ ،

الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وكم نزع الـ عوائل بني هاشم ، وأراد التثني منهم لأبيه الـ وزع طريد
رسول الله ، مثل رميه بجنازة الحسن عليه السلام بالسهام حيث توثم
ان سيدفن بجوار جدّه رسول الله ، ومن أراد نجاح مقصده واحتاج الـ
الواسطة اختار كما ملا سهل الأعتذار يؤلف بين الماء والنار ، محبوباً لك
الطرفين ليكون مقبول الكلام عندهما ، غير متهم بشئ مما تنفر الطباع منه
ولكن اختيار المرء دليل عقله ، فاختر الـ الوليد لنجاح مهمته مروان ، و
الطيور على شباها تقع ،

هَذَا وَلَكِنَّ الْحَسِينَ لَمْ يُرَبِّهِ عَرْضُ كِتَابِ يَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَلَا تَوْسِيطُ
مَرْوَانَ ، وَلَا إِحْضَاؤُهُ لَدَيْهَا لِيَلَّا يَلْجَأَ - مُطْمَئِنِّ الْجَاشِرُ - بِأَنَّ الْمَرْءَ
لِعَظَمِهِ وَخَطَرِهِ يَجِبُ فِيهِ التَّثَبُّتُ ، وَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ حَمِيَّهُ بِمَاءٍ مِنَ النَّاسِ
وَفِيهِمْ أَهْلُ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ ، وَالْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَ
خَيْرُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ،

وَمَازَاوَلُ مَا يُنْكِرُهُ الْمُعْتَرِضُ عَلَى الْحُسَيْنِ ، وَلَيْتَ شِعْرِي مَتَى كَانَ
الْمُجْهَرُ بِبَيْعَةِ الْخِلَافَةِ ، وَبَيَانِ الْحَقِيقَةِ الرَّاهِنَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ
الْمُهِّمِّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُنْكَرَةِ ، فِي الشَّرْعِ أَمْ الْعُرْفِ ، أَلَيْسَتْ الْخِلَافَةُ عَقْدٌ
نَظَامِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، أَلَيْسَتْ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ نَصٍّ وَاخْتِيَارٍ ، فَإِنْ النَّصُّ
عَلَى يَزِيدٍ ، وَإِذَا كَانَتْ عَنْ اخْتِيَارٍ فَمَنْ حَضَرَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ لِيُخْتَارَ يَزِيدٌ ،
أَمْ تَقُولُونَ هُوَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكِيمِ وَالْوَلِيدُ ،
ثُمَّ هَلْ يَكُونُ بَدْعًا إِذَا ظَنَّ الْحُسَيْنُ أَنَّهُ أَوْلَى مِنْ يَزِيدَ بِالْخِلَافَةِ ،

لَمَّا زَا امْتَنَعَ عَنْ بَيْعَةِ يَزِيدَ

فاستهمل الوليد كي يصدع بحجة أمام أُمّةٍ جدّه لتكشف الحقيقة ولا يكون أمراً للخلق نعمةً ، فإنه وكلّ أحدٍ يعتقد أنه أولى بالخلافة من كلّ أحدٍ فضلاً عن يزيد ، لقربه من رسول الله ، واستجماعه لصفات الكمال ، ولتقديم أصحاب النبي له ، ولكبَرِ سِنِّه - على الأقل - وهو أكبرُ حجةٍ للسلفِ يزيداً لطالجه على سلفه الصالح ، ولعدم استحقاق معاوية لها حتى يجعلها في يزيد ، ولو فرض أنه مُستحقٌّ لها فقد كان من شروط الصلح بينه وبين الحسن أن لا يعقدها إلا للحسن ثم للحسين بعده ، ثم الخيار للأُمّة في اختيار الخليفة بعدهما ، وأن لا يعقدها لأحدٍ من ذُرِّيَّته ،

وبعد فلو جعل المعترض متناعه من البيعة لهذه الأمور موبقةً قد ارتكبها الحسين فإنه قد تاب منها سريعاً واستغفر ، حيث وعد الرجلين - وهو صادق الوعد - بقوله : « إِنْ مِثْلِي لَا يَبِيعُ سِرّاً ، وَلَا أَظُنُّكُمْ

تَرْضَوْنَ بِهَذَا ، وَلَكِنْ إِذَا خَرَجْتَ غَدًا وَدَعَوْتَ النَّاسَ فَأَدْعُنَا مَعَهُمْ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ مُبَايِعٍ » فكان الحزم للرجلين أن لا يجرعا عطفه بشيء حتى يحضر بملاً من الناس ، فاذا هرع الناس لبيعة يزيد كما يظن الوليد ويعتقد مروان ساعدوهما على الحسين حتى يدخل فيما دخل فيه الناس ،

لكن هذا لا يروق في نظر مروان ، دون أن يخفى لسجيته في أمر الوليد بقتل الحسين ، ولا أداه يجهل أن مع الحسين رداً من فتيانه يمنعونه من القتل وربما كانت الدائرة عليه وعلى صاحبه ، غير أن الرجل تراعى إلى إضرار الناس بالفتنة ، وإن أحرقتهم ومن يحب ، شروء ما عمل يوم الدار ، حيث قتل

بفتنته عثمان . وضرب هو على عنقه قصاراً صوّراً ماثل العنق
وأما الحسين فقد تذكّر سوابق مروان مستشار بني أمية مع أهل
بيته فنصر من الوليد وأخذ بالتدابير اللازمة لما فيه صلاح نفسه
وإصلاح أمة جدّه ، فإنه من وصول غائلتهما إليه امتنع من عقاب الجوّ
بفتيان الصّيد لبواسل وأذا بايع يزيد الكافر الفاجر - وهو على ما هو
عليه من المنعة - فقد باع ضميره ووجدانه وباع أمة جدّه التي ضحى بمحبته
لبنائها على يزيد لينتقم منها ويثأر بها من نبيّها ،

وقد قرأ عامة الناس عن سيرة الوليد هذه الكلمة هكذا « وكان
الوليد رجلاً يحبّ العافية » وظنّ أنّ هذا اشتباه من قراءة القلم الكوفي
وصوابه يخشى العاقبة ، فإنه لم يعص مروان في عدم معاملة الحسين
بالقتل إلا لعلمه أنّ الحسين قد أخذ منه الحذر بخلافه ، فلوا طاع مروان
وتعرض للحسين بسوء لقضت عليهما سيوف بني هاشم في الحال ، فكانا
لهم ثمةً نفعاً ولكنّه توارى بالتقوى وأظهر للنك ، يُخادع به نفسه ووجهه
وقمّا يبرهن على ذلك أنّه لما اجتمع شياطينه حوله ، وثاب إليه
أبائته طلب قتل الحسين أشدّاً لطلب ثلاث ليالٍ سويّاً ولم تخطله
التقوى بيال ، لكن منع منه الأجل ، وقد أعجز بالحقيقة ، حيث قال :
« الحمد لله الذي أخرج - أي الحسين - ولم يكتلني بدميه » وكان الحسين
إذاً يكذب خدّه الشريف على ضريح جدّه رسول الله ويشكوله ما لا في
من أمته قائلاً (ضمّني عندك يا جدّه ، في هذا الضريح)

* لَمَّا ذَا يَتَعَرَّضُ لِقَا فِتْنَةٍ بِحَيْرِ بْنِ يُسَافَ *

لَمَّا هَاجَرَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ ٣ عَنْ مَكَّةَ وَطَنِهِ الْغَرْجِي ، لِشِدَّةِ أَذَى قُرَيْشٍ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اعْتَقُوا دِينَ اللَّهِ مَعَهُ ، وَقَدْ ظَاهَرَ قُرَيْشًا عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ بَدَتْ الْعَدَاوَةُ بَيْنَ الْحَزْبَيْنِ كَانَتِ الْغَادَاتُ بَيْنَهُمَا - كَالْحُرُوبِ - سِجَالًا ، فَرَبَّمَا ظَفَرَ الرَّسُولُ أَوْ بَعْضُ سَرَايَاهُ بِقَافِلَةٍ أَوْ سَرَجٍ لِمَكَّةَ أَوْ مِنْ ظَاهِرِهَا مِنَ الْعَرَبِ ، وَدُبَّهَا نَافِلٌ هَوْلًا ، عَلَى سَرَجِ الْمَدِينَةِ فَقَتَلُوا مِنْ أَصَابُوا مِنَ الرُّعَاةِ وَاسْتَأْفُوا النَّعَمَ ، وَقَدْ ذَكَرَتِ الرَّوَايَةُ أَنَّ بَعْضَ سَرَايَاهُ - وَهِيَ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَحْشٍ - تَعَرَّضَتْ بِدُونِ أَمْرِ الرَّسُولِ لِقَافِلَةٍ مِنْ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ صَادِرَةٍ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَتَلَتْ عَمْرَو بْنَ الْحَضَرَمِيِّ ، وَظَفِرَتْ بِالْعَيْرِ وَأَسْرَتْ أَسِيرِينَ ، وَاعْتَصَمَ الْبَاقُونَ بِالْفِرَارِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَلَجِ رَجَبِ الْحَرَامِ ، فَقَالَ ٣ « مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ » وَأَوْقَفَ الْعَيْرَ وَالْأَسِيرِينَ ، وَاعْتَمَمَ الْمُشْرِكُونَ الْفُرْصَةَ فِي تَعْيِيرِ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَلُّوا الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَسَقَطَ فِي أَيْدِي السَّرِيَّةِ ، وَأَكَلَ لَهُمْ قُلُوبَ أَصْحَابِهَا ، حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذْ فَصَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ - وَهُوَ خَيْرٌ لِفَاصِلِينَ - بِقَوْلِهِ تَعَالَى « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدَّقْنِ سَبِيلَ اللَّهِ ، وَكُفِّرُوبِهِ ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَآخِرَاجِ

حَتَّى يَرُدَّوَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا »

فَعَلَّتْهُمْ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ وَجَهَ الْحُجَّةَ عَلَى خُصُومِهِمْ وَالْغَلْبَةَ وَ
الْأُسْطُظْهَارَ عَلَيْهِمْ ، بِتَسْلِيمِ أَنَّ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فِي حَدِّ
ذَاتِهِ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُ - وَلَكِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - لَنِيتُمْ مَا انْتَهَكْتُمْ
مِنَ الْحُرْمَاتِ ، مِنْ كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ وَبِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَصَدَّيْكُمْ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَتَمَرُّكُمْ عَلَيْنَا ، فَعَذَّبْتُمُونَا أَشَدَّ الْعَذَابِ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى
الْخُرُوجِ عَنْ حَرَمِ اللَّهِ وَمَسْقِطِ رُؤُسِنَا ، وَحَتَّى فَتَنْتُمْ عَابِدَ الْأَيْمَانِ
الْمُسْتَوْدِعَ عَنْ دِينِهِ ، فَكُفْرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ إِذْ جَرَفَتْ ثِيَابُ تَعَذُّبِكُمْ
ثُمَّ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ دَابُّونَ فِي قِتَالِنَا طَلَبًا لِنُغَايَةِ دَقِّنَا لِلْكَفْرِ إِنْ سَطَعْتُمْ
أَفْعَلُونَ هَذِهِ الْجَرَائِمَ كُلَّهَا ابْتِدَاءً ثُمَّ تُعَيِّرُونَنَا أَنْ جَازَيْنَاكُمْ بِوَأْدٍ
مِنْهَا « وَالْبَادِي بِالشَّرِّ أَظْلَمُ ، وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، وَهَلْ نُبَارِكُ
إِلَّا الْكَفُورَ ،

فَهَلْ يَجُوزُ فِي الْمَنْطِقِ الصَّحِيحِ - بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ - لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ
عَلَى الْحُسَيْنِ حَقِيدَ الرَّسُولِ بِتَعَرُّضِهِ لِقَافِلَةِ بَحِيرِ بْنِ رِيَّانَ عَامِلِ
يَزِيدَ عَلَى الْيَمَنِ فِي الشَّعْغِيمِ خَارِجَ الْحَرَمِ ، وَفِيهَا الْوَرُسُ وَالْحُلُلُ ، قَدْ
بَعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ ، كَلَّا فَإِنَّ الْحُسَيْنَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَكَّةَ إِلَّا وَقَدْ بَدَتْ
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَزْبِ يَزِيدَ ، أَنْ بَايَعَتْهُ الْكُوفَةُ عَلَى
الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَاحِبَاءِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَمْ يُلَقِ رِضَامَ الْأُمَّةِ

لَمَّا ذَا يُتَعَرَّضُ لِقَا فَلِزِمَ حَرَمُ بَيْتِ كَسَانِ (١١)

بَيْدِ يَزِيدٍ يَفْعَلُ بِهَا مَا شَاءَ وَشَاءَ تَرْقُهُ وَخَرْقُهُ ، فَهُوَ لِعَسْرِي أَكْبَرُ
الْمُجْرِمِينَ فِي نَظَرِ يَزِيدٍ وَأَتْبَاعِ يَزِيدٍ وَكَانَ خُرُوجُهُ مِنَ الْحَرَمِ - وَهُوَ ابْنُهُ -
كَرْهًا وَقَهْرًا لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ تُهْتِكَ حُرْمَةُ الْحَرَمِ بِالْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ
فِيهِ أَوِ الْفَتْكِ بِهِ . وَلَوْ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ أَوْ بَيْنَ الرُّكْنِ وَ
الْمَقَامِ ، كَمَا أَوْعَزَ يَزِيدٌ بِذَلِكَ إِلَى شَيَاطِينِهِ الثَّلَاثِينَ الَّذِينَ دَسَّاهُمْ
فِي الْحَاجِّ ، كَمَا أَنَّ سَرِيَّةَ مَحْبِي بْنِ سَعِيدٍ أَخِي مِيرِ الْحَاجِّ عَمْرٍو الْأَشَدِّقِ
أَدَاتِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَى الْقَتْلِ أَوِ الْكُفْرِ بِأَتْبَاعِ يَزِيدٍ وَالرُّضُوحِ لِمُنْكَرَاتِهِ ،
فَامْتَنَعَ الْحَسِينُ أَشَدَّ الْأَمْتِنَاعِ حَتَّى تَضَارِبَ الْفَرِيقَانِ بِالسِّبَاطِ . وَ
كَأَدُوا يَمْتَشِقُونَ الْحُسَامَ وَيُشْرَعُونَ الرِّمَاحَ ، وَهَذَا أَكْلُهُ فِي الشَّرِّ الْحَرَامِ
وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ ، فَيَكُونُ جَوَابًا عَنِ الْحَسِينِ حَفِيدِ الْمُصْطَفَى عَيْنِ الْجَوَابِ
عَنْ جَدِّهِ الْمُصْطَفَى ، مَا أَشَبَّ النَّورَ بِالنُّورِ وَالضُّوءَ بِالضُّوءِ .

مَعَ أَنَّ الْجَوَابَ الْحَقِيقِيَّ أَنَّ لَهُ مَقَامَ جَدِّهِ الْمُصْطَفَى وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ أَوْ
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَضْلًا عَنْ مَوَاطِنِهِمْ ، وَهُوَ الْأَمَامُ الْحَقُّ وَلَهُ بَيْتُ
الْمَالِ دُونَ يَزِيدَ شَارِبِ الْخُورِ وَرَاكِبِ الْفُجُورِ ، وَخَرَجَ الْحَسِينُ - بِأَبِيهِ
أُمِّي - مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ ابْنُهَا وَأَعَادَ تَارِيخَ جَدِّهِ الْأَعْظَمِ فِي هِجْرَتِهِ وَ
مَأْسَاةِ الْحَزِينَةِ غَيْرَ أَنَّ جَدَّهُ لَمْ تَرَوْعْ لَهُ فِي خُرُوجِهِ حُرْمَ وَلَا أَطْفَالٍ ، وَحَفِيدُهُ
يَرَى حُرْمَتَهُ وَأَطْفَالَهُ تَكَادُ تَخْرُجُ أَرْوَاحُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْحَرَمِ فِي يَوْمٍ ، وَالنَّاسُ يُفْدِلُونَ
وَعَادَتِ الْكَعْبَةُ حَتَّى لِلْقَا تَرْفُلُ فِي حِدَادِهَا مِطْرًا
إِذَا تَرَكَ الْحَجَّ لَهَا عَامِلًا بِمَنْسَلٍ مِنْ حِجَّتِهَا أَشْرَفًا

* لَمْ يَأْخُذْ بِالْحِذْرِ مِنْ لَعْدُو *
*

قَالُوا إِنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ رَجُلٌ لَمْ تُحْتَنِكْهُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِنَصِيبِ
وَافِرٍ مِنْ سِيَاسَةِ الْأُمُورِ الْعَامَةِ ، فَكَيْفَ أَرْسَلَهُ الْحُسَيْنُ لِلْكُوفَةِ
نَائِبًا عَنْهُ وَقَائِمًا بِمَقَامِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَارِعًا فِي إِدَارَةِ الشُّؤْنِ الْمُمْتَةِ
لَأُخْرِجَ النَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَامِلَ يَزِيدَ عَلَى الْكُوفَةِ مِنْ قِصْرِ الْأُمَارَةِ ، لِأَنَّهُ
عُشُّ الظُّلَمِ الَّذِي أَوْى لِيهِ ابْنُ زِيَادٍ عِنْدَ دُخُولِهِ الْكُوفَةَ فَأَنْتَ مُسْلِمًا
قَطَعَ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتَرَكَ دَأْسَهَا ، وَلَوْ كَانَ خَازِمًا لَطَوَّقَ الْكُوفَةَ ،
بِالْمَسَاحِجِ وَنَظَّمَ الْعَسَاكِرَ الْجَوَالَةَ فِي أَفْوَاهِ الطُّرُقِ الْمُفْضِيَةِ إِلَيْهَا حَتَّى
يُوصَدَّهَا فِي وَجْهِ كُلِّ دَاخِلٍ فِيهَا وَخَوْفٍ عَلَيْهَا ، وَلَيْسَتْ بِرِثْوَالِهِ الْبَرَحَتِ
يُسَلِّمُ الْكُوفَةَ لِمَوْلَاهُ الْحُسَيْنِ بِسَلَامٍ ، وَقَدْ كَتَبَ لَهُ تَعَجُّيلَ الْقُدُومِ ،
فَلَا يَتَسَرَّبُ مِنْ جَرَاءِ هَذَا الْأَهْمَالِ دُخُولُ ابْنِ زِيَادٍ إِلَيْهَا فَيَأْوِي إِلَى قِصْرِ
الْأُمَارَةِ وَيُنَظِّمُ الْمَسَاحِجَ وَيَطَوِّقُ الْكُوفَةَ بِالطَّلَاحِ وَالْعَسَاكِرِ وَيَنْتَهِي إِلَى
بِقْتَلِ مُسْلِمٍ عَلَى يَدَيْهِ ، ثُمَّ يُلَاحِقُ بِهِ سَيِّدَ الْحُسَيْنِ ،
هَذَا وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ عَنْ الْأَعْتِرَاضِ الْأَوَّلِ بِأَنَّ مُسْلِمًا لَيْسَ رَجُلًا
سِيَاسِيًّا مُخْتَبَرًا بَلْ هُوَ دِينِيٌّ قَبْلَ كَوْنِهِ سِيَاسِيًّا ، وَقَدْ قَالَ عَمُّهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (قَدِيرِي الْحَوْلُ لِقُلُوبِ وَجْهِ الْحِيلَةِ وَدُونِهَا حَاجِزٌ مِنْ
تَقْوَى اللَّهِ ، فَيَدْعُهَا رَأْيِي لِعَيْنٍ وَيَنْتَهَرُ فُرْصَتَهَا مِنْ لَاهِرِيَّةٍ لَهُ فِي الدِّينِ
أَجَلَانِ الْكُوفَتَيْنِ هُمُ الَّذِينَ قَصَرُوا إِذَا خَلَفُوا الْحُسَيْنَ مَا وَعَدُوهُ)

فِي كِتَابِهِمُ الْإِسْلَامَ ، فَقَدْ كَتَبُوا إِلَيْهِ فِيمَا كَتَبُوا (۱) إِنَّ النُّعْمَانَ عِنْدَنَا ضَعِيفٌ
لَا يَخْضَرُ مَعَهُ جُمُعَةٌ وَلَا جَمَاعَةٌ ، وَلَوْ أَتَيْنَا الْأَخْرَجَانَهُ مِنْ بِلَادِنَا وَالْحَقْنَاهُ
بِالشَّامِ فَكَانَ عَلَيْهِمْ - وَقَدْ أَجَابَهُمُ الْحَسَنِ - فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ نَائِبًا عَنْهُ
أَنْ يُخْرِجُوا لَهُ مَا وَعَدُوا ، فَيَخْرِجُوا عَامِلَ بَنِي مُتَةَ صَاغِرًا ذَلِيلًا ، وَيَنْفُوا كُلَّ
مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فِي مُنَاصَرَةِ بَنِي مُتَةَ ، وَيَجْعَلُوا كُلَّ مَنْ حَدَا حَدْوَهُ ، لِيَصْفُو
الْجَوْفُ بِهَا لِعَامِلِ الْحَسَنِ ، وَإِذَا خَلَا الْفَصْرُ أَحْكَمُوا أَمْرَهُ ، وَخَصَّنُوهُ مِنْ
دُخُولِ ابْنِ زِيَادٍ ، وَإِنْ لَمْ يُنْزِلُوا قَبْلَهُ مُسَلِّمًا لِأَنَّهُ دُبَيْبُ سَجْدِ النَّبِيِّ ، وَقَدْ
رَأَى عَمَّهُ الْوَصِيَّ لَمْ يَأْتِنِ لَهُ قَصْرًا مَادِيَةً ، بَلْ كَانَ مَوْلَدُ الْكَعْبَةِ وَسَطَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ، وَسُكْنَاهُ مَسْجِدُ الرَّسُولِ ، وَدُكَّةُ قُضَائِهِ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، وَ
مَقْتَلُهُ فِي مُحَرَّابِهِ ، وَلَكِنْ إِذَا جَاءَ الْفُتُوحُ عَمِّيَ لَبَصَرٌ .

أَمَّا سَلَمُ نَفْسُهُ فَإِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْهُ الْحَسَنِ لِيُشْعِلَ نَارَ الْقِتَّةِ قَبْلَ وَاثِنِهَا ،
فَيَبْذُلُ الْعَدُوَّ بِالْقِتَالِ ، وَيُسَارِعُ لِنُثُوبِ الْحَرْبِ ، وَإِنَّمَا أَرْسَلَهُ الْحَسَنِ
لِيَسْبِرَ لَهُ رَأْيَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَإِنْ وَجَدَهُمْ صَادِقِينَ فِيمَا كَتَبُوا إِلَيْهِ أَخْبَرَهُ
بِذَلِكَ وَقَدْ قَامَ فِي مُهَمَّتِهِ تِلْكَ أَحْسَنُ قِيَامٍ ، فَصَحَّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِخَلِيفَتِهِ
زَمَانُهُ وَأَشَادَ عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْرِعَ إِلَيْهِمْ بِالْقُدُومِ ، لَسَلَا يَطُولَ الْعَهْدُ وَتَلْعَبَ
الْأُيُودُ الْأَثِيمَةُ فِي بَغْيِهِ دَوْرَهَا ، فَيَقْلِبُوا لَهُ ظَهْرَ الْيَمِينِ لِمَا بَعْدَهُ
فِيهِمْ مِنْ سُورَةٍ عُنْدِهِمْ وَنَكْتِهِمُ الْبَيْعَةَ ، وَقَدْ فَعَلَوْهَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْجُحُ
لَمَّا يَنْدِمِلُ .

وَنَقُولُ فِي الْجَوَابِ عَنِ الْأَعْتَرِاضِ الثَّانِي وَهُوَ عَدَمُ إِيصَادِ الطَّرِيقِ

(۱) (اليمين، الترس وهو مثل لتبدل الصداقة بالعداوة

مسئل بن عقیل ق

فی وجه العدو یا سبحان الله هكذا تحفى الأمور الواضحة ، وتكر
الأحوال الجلیة ، فأنه لا يمكن أن يغفل عن هذا الأمر من كان أقل تدبيراً
من مسلم بمراتب كالمعترض ، فكيف يغفل مسلم عنه ، ولو غفل
مسلم بالعبادة في المسجد ، أو بأحكام بيعة الحسين كما يظن أو تنظم
الجيش الذي سيقابل جيش الشام ، أو يعدد للحسين يسلمه اليه عند
قدومه فإن الكوفيين لا يغفلون عن ذلك ، بل لا بد أن يكونوا قد
استعدوا للأمر عذته ، وطبقوا مدينتهم بالمسالح والطلايع ، من
أول ما قرروا رفض بيعة يزيد ، وحصروا الثعالب في قصره ، شأن
كل حكومة مؤقتة ، لا سيما إذا كانت ترى الدولة القائمة ترتب بها
الدوائر ، لتجارتها مغتة تمردها في دأبها دون سائر المملكة المترامية
الأطراف ،

ولعل المعترض يقول ما بال التاريخ لم يذكر من ذلك شيئاً ولم
يسم رؤساء الطلايع كما سمى الحسين بن نمير رئيس طلايع ابن زياد في
القططانية ، وقبله الحر بن يزيد الرياحي في طريق المدينة في
الثعلبية ، قرب ذي جشم ،

ولكننا نقول إن للتاريخ شغلاً بالأموال المهمة عن ذكر الأمور العادية
لأن نصف نفسه ، وقد ذكر لنا الطلايع والمسالح لو فطن له وأمعن به
النظر ، بل لو تأملناه أدنى تأمل ، أليس يقول ، كان دخول ابن زياد
إلى الكوفة مما يلي البصرة أي من الطريق الذي يقدم منه الوارد من المدينة

لَمْ يَأْخُذْ الْحَدُّ مِنَ الْعَدَةِ

هـ (١٥) هـ

وعليه ثياب بيض وعمامة سوداء ملثماً كلثام الحسين ، وهو راكب بغلة شهباء ، وبيده قضيب من خيزران ، وأصحابه من خلفه ، فلولم توجدا لطلايع وتوصد في وجهه الطرُق فلماذا يُغَيَّر وجهته في المسير فيدخل الكوفة من طريق المدينة دون البصرة وهو قادم منها ولولم تكن الكوفة مطوقة بالمسالج فلماذا يضطر لتغيير ذيقه فيمويه على الناس أنه الحسين فيسلمون عليه ويؤمنونه ابن رسول الله ويرحبون به لأنهم بانتظار قدومه صباح مساء ، قائلين له قدمت يا ابن رسول الله خير مقدم .

حتى إذا بلغ عداً والله مأمناً وقارب قصر الأمانة حصر عن لثامه وقال لهم وزيروه مسلم بن عمرو الباهلي (تأخروا يا ويلكم عن وجه الأمير ، فليس هو ظنكم ولا طلبتكم) فهبت الذين اتبعوه إلى القصر وسقط في أيديهم وعلتهم الحيرة والوجوم ، شتم وجعوا الخيزلني ، وكانوا طبعاً من أذناب الناس وحالهم ومن الهسج الرعاع أتباع كل ناعق ، لأن قدومه كان يوم الجمعة ، وقد انصرف الناس عن الصلاة ، وظنوا أن الخبيث اختار لدخول البلد هذا الوقت ، لأن أشراف الناس وأوساطهم في ذلك الوقت قد انصرفوا إلى رحالهم ، واستقروا في بيوتهم ، كما يقتضيه نظام البشر ، ولو حضروا لفطنوا به وأخذوه قبل وصول مأمنه ، فأشرف عليه النعمان من أعلى القصر ، وهو يظن أنه الحسين قد سبق إلى الكوفة ،

فكشفت ابنُ زيادٍ عن لِثَامِهِ وَقَالَ يَا ثَعْمَانُ حَصَنْتَ قَصْرَكَ
وَتَرَكْتَ مِصْرَكَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْقَصْرَ وَفَكَرَ وَقَدَّ ، فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّ
ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّ ،

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْمَلُومَ عَلَى أَهْلِ قَصْرِ الْأُمَادَةِ وَتَرْكِهِ تَحْتَ
سَيْطَرَةِ الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ إِنَّمَا هُمْ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَأَمَّا الْكُوفَةُ
نَفْسُهَا فَلَمْ يَفْعَلْ عَنْهَا مَسْلَمٌ وَلَا أَهْلُ الْكُوفَةِ وَلَا التَّارِيخُ وَقَدْ لَوَّحَ
بِأَخْذِهِمْ الْحِذْرَ ، وَلَمْ يَدْخُلْهَا ابْنُ زِيَادٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَهْمَالِ بَلْ
تَحَيَّرَ إِلَى الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ لِمَا عَلِمَ أَنَّ أَبْوَابَ الْبَلَدِ مُوصَدَّةٌ فِي وَجْهِ
كُلِّ دَاخِلٍ إِلَّا الْحَسِينَ ، فَأَنَّه عَلِمَ أَنَّ الْكُوفَةَ قَدْ فَتَحَتْ لَهُ أَبُو بَهْزَا
فَتَشَبَّهَ بِهِ وَمَوَّهَ عَلَى أَشَابِ النَّاسِ أَنَّهُ الْحَسِينُ سَبَقَ إِلَى الْكُوفَةِ
فِيَا خِيَةَ أَمَالِ الْمَحْبِينَ ، وَيَا لَأَخْفَاقِ رِجَالِ الشَّيْعَةِ الْمَخْلُصِينَ
إِذَا نَصَّبَ عَلَيْهِمُ الثَّرَمَ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَيْرِ الَّذِي كَانُوا يَشْرَأُونَ إِلَيْهِ
وَيَعْقِدُونَ أَمَانَتَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَهَكَذَا أَخَذَتْ جَذْوَةُ الْحَزَنِ
وَالشَّجَى تَتَقَدُّ فِي الصَّدُورِ ، وَقُبُصَتُهَا تَذُكُّ فِي الْأَفْئِدَةِ ، وَلَكِنَّهَا بَلَغَتْ
أَشَدَّهَا وَانْفَجَرَتْ بِرَاكِبَيْهَا يَوْمَ دَخَلَ الْكُوفَةَ عَلَيْهِمْ رَأْسُ الْحَسَنِ نَهَا دَاجِمًا
مَحْمُولًا عَلَى رُحَى طَوِيلٍ بَدَلًا عَنْ دُخُولِهِ نَفْسِهِ لَوَاءً لِمُوكِبَةِ الْكَرِيمِ الَّذِي كَانُوا
يَأْمَلُونَهُ ، هَذَا وَرَأْسُهُ يُرْتَلُّ آيَاتُ الْكِتَابِ تَرْتِيلًا أَمْحَبَّتْ أَنَّ صَحَابَةَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا
مُرْتَلِّينَ آيَاتِ أَهْلِ الْكَهْفِ هُوَ ^{مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا *} بِحُلَّةٍ فَوْقَ رَأْسِ الرَّحَى تَأْوِيلُ

دَعَا بِهِ فَوْقَ لِسَانِ كِتَابًا

بَتَلُوا الْكِتَابَ عَلَى لِسَانِ إِنَّمَا

* لِمَاذَا صَفَحَ عَنْ ابْنِ يَاسٍ *

مَا أَجَلَ قَوْلَ لِقَائِي : « كُلُّ أَحَدٍ يَرَى النَّاسَ بِعَيْنِ طَبِيعَتِهِ » مِنْ هُنَا
تَرَى الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ يُطْرُونَ سَفِيرَ الْحُسَيْنِ ، وَثِقَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ
مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ بِوَابِلِ الْمَلَامِ ، وَيُسَدِّدُونَ لَهُ سِهَامَ النَّقْدِ وَالْعُتْبِ
الْلَّاذِعِ ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُ عُذْرًا أَنْ لَمْ يَفْتِكْ بِابْنِ مَرْجَانَةَ ، وَقَدْ
سَمَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ عَلَى قَتْلِهِ إِذْ جَاءَ لِعِيَادَةِ شَرِيكَ بْنِ الْأَعْوَدِ الْحَادِثِ
فِي رِوَايَةِ إِيَّاهَا فِي بَنِي عُرْوَةَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ لَوْ
فَرَضَ نَفْسَهُ مَكَانَ مُسْلِمٍ لَمْ يُضَيِّعِ الْفُرْصَةَ الثَّمِينَةَ بِزَعْمِهِ بَلْ كَانَ يَقْتُلُ
ابْنَ مَرْجَانَةَ ، فَيَقْطَعُ رَأْسَ الْفُسَادِ ، وَيَقْتُلِعُ دَوْحَةَ الْبَغْيِ مِنْ
جُذُودِهَا فَيَسْتَبْدُّ بِالْكَوْفَةِ ، حَتَّى يُسَلِّمَهَا لِلْمَوْلَاهِ الْحُسَيْنِ ، مِنْ دُونِ
قَتْلِ وَلَا قِتَالٍ .

هَذَا مَبْلَغُ عِلْمِ النَّفُوسِ الضَّعِيفَةِ ، وَمُنْتَهَى الْأُرَادَةِ الَّتِي لَمْ
يُسَيطِرْ عَلَيْهَا سُلْطَانُ الْعَقْلِ ، أَوْ يَكْبَحُ بِجَاحِهَا بَعْنَانُ الشَّرْعِ وَالْوُجْدَانِ .
أَمَّا مَسْئَلَةُ الْحُسَيْنِ وَمَصْطَفَاهِ مِنْ حَامَتِهِ الْكَرِيمَةِ فَخَاشَاهُ
أَنْ يُجَدِّثَ ضَمِيرَهُ أَوْ يُطَالِبَهُ وَجْدَانُهُ بِارْتِكَابِ هَذِهِ السَّجِيَةِ ، وَنَفْسُهُ
الْبِصَامِيَّةُ تَرْبَأُ بِهِ أَنْ يُلَوِّثَ قُدْسَهَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْوِطَاطَةِ .
فَإِذَا كَانَ الْمَرِيضُ الَّذِي أَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ لِعِيَادَتِهِ هَذَا فِي بَنِي عُرْوَةَ
- عَلَى ثَرَوَاتِهِ غَيْرِ الصَّحِيحَةِ - وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمْرَ مُسْلِمًا بِقَتْلِ عَدِيِّ اللَّهِ

فلم يفعل فنقول أنه - أي مسلماً - قد اعتذر بالحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله « الْإِيمَانُ قِدَامُ الْفَتْلِ فَلَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ » وهي لسيرة المأثورة عن أساتذة مسلم فحماد وأهل بيته قولاً وفعلًا ، فمابالذ لا يتلقى دؤوسهم ويطبّق عليها أعماله ، وهو تلميذ مدد رستههم وخيرتج جامعهم .

فإن أراد اتباع المرشد الأعظم ص فقد سمعت استناد مسلم لقوله ، وإن أراد الاقتداء بوصيه والدخول من باب مديته عليه ، فقد ملأت مسامعه كلمته الذهبية « كُلُّ غَدْرَةٍ فِجْرَةٌ » وما جاء مسلم إلا لقلع جراثيم الفجور ودون غرس نواته ، وقوله عليه السلام أيضًا « قَدْ بَرَى الْحَوْلُ لِقَلْبٍ وَجَهَ الْحِمْلَةَ وَدُونَهَا حَاجِزٌ مَنْ تَقَوَّى اللَّهَ فَيَدْعُهَا رَأَى الْعَيْنِ وَيَتَهَرَّزُ فُرْصَتَهَا مِنْ لَاحِظَةٍ لَهُ فِي الدِّينِ » وأما أفعاله فلا تزال نصب عيني ابن أخيه ،

الذي هو الذي لم يجهز على طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين يوم أحد إذ انكشفت سؤته بغير اختياره ، وهو الذي كف عن قتل ابن العاص وابن أوطاة ، إذ انكشفت سؤتها بسوء اختيارهما على ألقاهما رأس البغي والفساد ، والشريعة لم تحظر عليه قتلها ، وهو الذي أباح الماء لمعاوية وجيشه في يوم صفين ، ولم يأخذ من أيدي أهل الشام إلا بعد ملامحة شديدة طارت فيها الأيدي والرؤوس ، فأشار عليه الكثير من عسكره أن يمنعهم وروده

لَمَّا ذَا صَاحَ عَنْ بَنِي يَاسٍ * ٥ (١٩) ٥

جَزَاءً لِفَعْلِهِمْ ، وَالْبَادِي بِالشَّرِّ أَظْلَمُ ، فَتَكَرَّمَ أَبُو الْحَسَنِ بِعَثِّهِ إِلَى
 مُعَاوِيَةَ « إِنَّا لَا نَكَافِيكَ بِصُنْعِكَ ، هَلَمْ إِلَى الْمَاءِ ، فَخَنُّ وَأَنْتُمْ فِيهِ
 سَوَاءٌ » فَأَخَذَ كُلُّ مَنِهَا بِالشَّرِيعَةِ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ لِابْنِ
 مُلْجَمٍ : « أَنْتَ وَاللَّهِ قَاتِلِي لَا مُحَالَةَ » فَإِذَا قِيلَ لَهُ لَا تَقْتُلْهُ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ
 قَالَ : مَنْ يَقْتُلُنِي ذَا قَتَلْتُهُ ثُمَّ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِكْرَامًا وَعَطْفًا وَهُوَ يُنْشَدُ :
 أُرِيدُ حَيَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذْرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِي (١)
 وَإِنْ أَرَادَ الْأَقْتَدَاءَ بِحِجَّةِ عَصْرِهِ وَمُرْسِلِهِ الْحُسَيْنِ إِذَا النَّاسُ عَلَى بَنٍ
 مُلُوكِهِمْ وَالرَّسُولُ عَقْلُ الْمُرْسِلِ ، فَأَنَا لَا نَشْكُ أَنَّ الْحُسَيْنَ لَوْ حَلَّ مَحَلَّهُ
 لَمْ يَلُوثْ قُدْسَهُ بِالْفَتَكِ بَعْدَ وَائِلِهِ غَدْرًا ، وَمَا بَالُنَا نَشْكُ فِي ذَلِكَ
 وَنَحْنُ نَرَاهُ يَتَكَرَّمُ عَلَى الْحُرِّ وَعَسَاكَرِهِ ، فَيُرَدُّ عَلَيْهِمُ الْحَيَاةُ بِقُبُورِهِمْ
 فِي ذَلِكَ الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ ، وَقَدْ أَشْفَوْا عَلَى الْهَلَاكِ مِنْ شِدَّةِ الْقَبْرِ
 وَاحْتِدَامِ نَارِ الْعَطَشِ ، وَلَوْ غَالَجَهُمْ مِنْ مَعَهُ بِالسَّيْفِ - وَهُمْ
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ - لَكَانُوا لَهُمْ لُقْمَةً سَائِغَةً ، ثُمَّ كَانَ
 الْحُسَيْنُ حُرًّا فِي رَأْيِهِ يَتَوَجَّهُ حَيْثُ أَرَادَ ، فَمَا بَالُهُ يَسْتَقِيمُ
 وَيُسْكُ عَلَيْهِمْ حَيَاتُهُمْ ، ثُمَّ يَكُونُونَ مِفْنَحًا لِلشَّرِّ ،
 فَيَأْخُذُونَ بِكَظْمِهِ ، حَتَّى يُنْزِلُوهُ كَرِبْلَاءَ ، فَيُلْحَقُ بِهِمُ الْمَدُّ
 الْكَثِيفُ كَالْوَابِلِ الَّذِي كَانُوا طَلَّهُ ، وَالنَّارُ الَّتِي كَانُوا قُبْسَتَهَا
 وَلَكِنْ صَوْتُ الضَّمِيرِ وَقُوَّةُ الْأُرَادَةِ وَكَرَمُ الْعَاطِفَةِ تَهْبُّ
 بِالصَّفْوَةِ مِنَ الصَّفْوَةِ ، وَالْخِيَارُ مِنَ الْخِيَارِ

(١) الْحَيَاءُ : الْعَطَاءُ وَعَذْرَكَ مِنْصُوبٌ بِفَعْلٍ مَضْمُومٍ هَاتِ مِنْ بَعْدِ رَكَ

أَنَّ يَرْتَفِعُوا بِنَفْسِهِم الْقُدْسِيَّةَ عَنْ ارْتِكَابِ الدُّنْيَةِ مِمَّا كَلَفَهُم
 الْأَمْرُ وَإِنْ عَانَقُوا الْمَنِيَّةَ - فَاَلَمُوتُ أَوَّلَى مِنْ دُكُوبِ الْعَا -
 وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ بَلْ قُتِلَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَا
 وَأَمَّا عَلَى الرَّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ أَنَّ الْمَرِيضَ كَانَ شَرِيكَ بَنِ الْأَعُودِ
 الْحَارِثِيِّ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمْرًا مُسْلِمًا بِالْفَتْكِ بَعْدَ إِثْقَالِهِ فِي دَارِ صَدِيقِهِ
 هَانِي وَقَدْ جَاءَ فِي صُحْبَةِ ابْنِ زِبَادٍ مِنَ الْبَصْرَةِ وَخَرَضٍ فِي الطَّرِيقِ ،
 فَإِنَّ الْأَمْرَ يَكُونُ أَوْضَحَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ ، لِأَنَّ مُسْلِمًا لَوْ قُتِلَ بِابْنِ
 مَرْجَانَةَ فِي دَارِ هَانِي - بِدُونِ خَبَرِهِ - يَكُونُ قَدْ أَخْفَرَ حَوَارَهُ ،
 وَلَمْ يَرَّعْ ذِمَّتَهُ ، وَالْعَرَبُ تَعْدُ وَصَلَ الْحَبْلَ بِجَبَلِهِمْ حَوَارًا - فَضْلًا
 عَنْ دُخُولِ دَارِهِمْ - وَلَكِنْ طَبِيعِيًّا أَنْ تُؤَوِّدَهَا فِي نَحْوَةِ الْعَرَبِ ، وَ
 كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ لِأَنَّهُ قُتِلَ جَارُهُ ، وَبَكَتْ أُمُّ رَأْتُهُ فِي وَجْهِ مُسْلِمٍ وَقَاتِ
 لَهُ لَا تَقْتُلْهُ فِي دَارِنَا ، بَلْ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ إِنَّ صَاحِبَ الْبَيْتِ هَانِيًّا
 هُوَ الَّذِي مَنَعَهُ إِذْ قَالَ لَهُ : « جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْ فِي دَارِي نِسْوَةٌ وَ
 صَبِيَّةٌ وَإِنِّي لَا أَمْنُ الْيَحْدَثَانِ » فَيُخْسَرُ مُسْلِمٌ حِينَئِذٍ صَدِيقَهُ
 الْحَبِيبَ وَجَارَهُ الْكَرِيمَ وَعَشِيرَتَهُ الْوَافِرَةَ الْعَدَدَ ، وَمَنْ يُؤْمِنُهُ مِنْ
 انْقِلَابِهِمْ عَلَيْهِ قِتَالِهِمْ لَهُ ، فَإِنَّ الْإِشْمَ الْعَرَبِيَّةَ وَإِنْ فَارَقَتْ الْعَرَبَ
 فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، لَكِنَّهُمْ يَرْضَخُونَ لِحُكْمِهَا فِي غَالِبِ الْأَرْمَانِ ، فَهَذَا
 أَبُو سَفْيَانَ يَقُولُ لِلْحَلِيسِ : « إِنْ هَذَا زَلُّهُ فَارْتَمَاهَا عَلَيَّ » حَيْثُ رَأَاهُ يَطْعُنُ
 شِدْقَ الْحِزَّةِ بَعْدَ قَتْلِهِ يَوْمَ أَحُدٍ وَيُشِمَّتُ بِهِ قَاتِلًا لَهُ « ذُقْ عَقُوقُ »

وَأَنْظَرَ سِيَّاسَةً ابْنَ حُرَيْثٍ إِذْ سَكَنَ فُودَةَ غَضِبَ ابْنُ زِيَادٍ ،
وَأَمْسَكَ بِقَضِيْبِهِ ، وَلَمْ يَدَعْهُ يَضْرِبُ زَيْنَبَ لَمَّا ذَكَرَتْ أُمُّهُ مَرْجَانَةَ
فِي مَجْلِسِهِ الْحَاشِدِ الْمُنْعَدِ لِفَخْرِهِ وَزَهْوِهِ وَتَكَبُّرِهِ وَخِيْلَانِهِ ، وَمَا ذَلِكَ
إِلَّا لِأَنَّ ابْنَ حُرَيْثٍ رَأَى وُجُوهَ الْعَرَبِ قَدْ تَنَكَّرَتْ عَلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ إِذْ
رَأَوْهُ يَرْفَعُ سَوْطَهُ وَيَهْتُمُّ بِضَرْبِ عَقِيلَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَخَفِيزَةِ أَمِيرِهِمُ بِالْأَسْرِ
عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .

وَقَدْ صَحَّحَ فِي الرِّوَايَةِ أَنَّ شَرِيكَاً هَذَا مَاتَ بَعْدَ ثَلَاثِ فِصَلٍ عَلَيْهِ
ابْنُ زِيَادٍ وَدُفِنَ فِي الثُّوْبَةِ مَقْبَرَةِ الْكُوفَةِ ، وَقَدْ دُفِنَ فِيهَا زِيَادُ بْنُ
أَبِيهِ ، ثُمَّ اطَّلَعَ ابْنُ زِيَادٍ عَلَى جَلِيَّتِهِ الْحَالِ ، فَمَخَلَفَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَى
عِرَاقِيٍّ مَاتَ أَبَداً ، وَقَالَ لَوْلَا أَنَّ زِيَاداً فِيهِمْ لَنَبَشْتُ شَرِيكَاً .

فَإِذَا كَانَ ابْنُ زِيَادٍ يُحْتَرَمُ شَرِيكَاً لَدَفْنِهِ فِي مَقْبَرَةٍ دُفِنَ فِيهَا أَبُوهُ
زِيَادٌ ، فَمَا بِالْمُسْلِمِ لَا يَتْرَكَ الْفَتَكَ بِابْنِ زِيَادٍ إِحْتِرَاماً لَصَدِيقِهِ وَجَأْ
هَاشِمِيٍّ ، وَقَدْ دَخَلَ بَيْتَهُ ، وَلَعَلَّهُ يَحْتَرِمُ أَيْضاً فِي طَعَامِهِ ، وَمَا بِالْهَاشِمِيِّ
يَمْنَحِي غَضَبَهُ هَاشِمِيٍّ ، صَاحِبِ الْعَشِيرَةِ الْوَافِرَةِ الْعَدَدِ ، .

وَأَمَّا اخْتِفَاءُ مُسْلِمٍ فِي الْمَخْدَعِ فَلِأَنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى صَدِيقِهِ
هَاشِمِيٍّ أَوْ شَرِيكٍَ سَبِيلاً لِابْنِ مَرْجَانَةَ ، وَلِيُبْرِهِنَ لِلْعَالَمِ أَنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ
سَنَحَتْ لَهُ ، عَلَى قَتْلِ عَدُوِّهِ ، فَخَالَفَ مَا لَقِظْتَنِيهِ طَبِيعَتُهُمْ مِنَ الْفَتكِ
بِهِ إِلَى مَا هُوَ أَجَلُّ وَأَعْلَى وَأَرْفَعُ وَأَسْمَى ، إِذَا الْعَفْوَ بَعْدَ الْمَقْدُورَةِ ، وَ

الْمَشْخُوعُ بَعْدَ تَمَامِ التَّمَكُّنِ ، وَكَانَتْ لَهُ بِذَلِكَ الْبِدَاءُ لِيُضَاءَ عَلَى جَارِهِ
مَا فِيهِ إِذْ لَمْ يُخْفِرْ جَوَارَهُ ، وَكَانَ نَتِيجَةً لِمَرِّهِ أَنَّ جَزَاءَهُ مَا فِي أَحْسَنِ الْجَزَاءِ ،
مِثْلُ امْتِنَاعِهِ عَنْ تَسْلِيمِهِ لِابْنِ زِيَادٍ . حَتَّى لَقَدْ بَقِيَ تَحْتَ نِيرَانِهِ ،
وَصَبَرَ عَلَى ذَلَّةِ تَقْرِيعِهِ وَتَهْدِيدِهِ وَكَأَبَدِ خُرْبِهِ وَسِجْنِهِ ، بَلْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى
الْقِتَالِ وَالْتَّمِشِ بِجُثَمَانِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ .

فَلْيَعِشْ ابْنُ عَقِيلٍ مِثْلَ الْأَلْعَفِ وَالْوَفَاءِ لِجَارِهِ مَا فِي ، وَلْيَبْقَ اسْمُهُ فِي
صِغْفَةِ الْخُلُودِ وَمَوْزَا لِلْفَضِيلَةِ وَالشَّمِّ ، وَعِوَانًا لِمَكَادِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَنِ
الشِّيمِ ، وَلَهُمْ تَوَابِعُظُهُمْ مَنْ أَرَادُوا أَنْ يُزَاجِمَ الْبَرَّاضَ فِي غَدْرِهِ وَفَتْكِهِ
لِيَكُونَ مَضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الْغَدْرِ وَدُونِهِ ، فَكُلُّ يَعْلٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، وَكُلُّ مَيْسِرٍ لِمَا
خُلِقَ لَهُ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ .

مَذَا وَقَدْ قَالَ هَلْ لِعِلْمٍ وَالْأَدْرَاكِ : « النَّقْضُ لَا يَرْفَعُ الْأَشْكَالَ أَبْلَ
يَزِيدُ » ، وَخُنْ إِذْ نَقَضْنَا عَلَى الْمُعْتَرِضِ بِأَفْعَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَلِيلِهِ
الْحُسَيْنِ ، وَذَكَرْنَا أَنَّ مُسْلِمًا اقْتَدَى بِهِمَا نَهْنَاهُ لِلْأَعْتِرَاضِ عَلَيْهِمَا كَمَا عَثَرَ
عَلَى مُسْلِمٍ .

وَإِنَّمَا نَقُولُ فِي جَوَابِهِ أَمَّا تَرْكُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِلْأُجْهَانِ عَلَى كِبَرِ كِتَابَةِ
الْمُشْرِكِينَ ، فَقَدْ عَتَذَرْنَا لِمَا قِيلَ لَهُ : « هَلَا ذَفَعْتُ عَلَيْهِ » بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُ
لَمَّا حُرِّعَ اسْتَقْبَلَنِي بِعُورَتِهِ فَعَطَفْتَنِي عَلَيْهِ الرَّحِمُ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ
سَيَقْتُلُهُ مَوْكِبُ الْكِتَابَةِ » يُشِيرُ إِلَى تَأْوِيلِ رُؤْيَا الرَّسُولِ

وَأَمَّا انْصِرَافُهُ عَنْ ابْنِ الْعَاصِ وَابْنِ أَرْطَاةَ ، إِذَا اسْتَقْبَلَاهُ بِوُفْقَاهَا
فَإِنَّهُ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمَا مِنْ قَتْلِهِمَا لِأَنَّهَا اكْتَسَبَا الْعَارَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى صَارَا
مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ ، كَمَا قَالَ أَبُو فَرَّاسٍ الْخَدَّائِيُّ :

وَالْأَخِيرُ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمِثْلِهِ كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسُوءِ عَمَلِهِ
وَصَارَا أَضْيُوكَةً فِي النَّوَادِي وَالْمَجَالِسِ لِمَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ يُلْغُهُ غَيْرُهُمَا
(وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ) وَلِيَزْدَادَ الْإِثْمَ وَنَارًا فِي الْآخِرَةِ « وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْتُمْ يُنْفِكُونَ هُمْ خَيْرُ لَكُمْ إِنَّمَا تَمْلِكُنَّ لِغُلَامِكُمُ الْقُرْآنَ أَنْ يَتَذَكَّرَ
إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ » .

وَأَمَّا إِبَاحَةُ الْمَاءِ لِمَعَاوِيَةَ فَاسْتَمِعَ لِمَا يَقُولُهُ عَنْهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ :
لَعَلَّكَ تَجِدُ فِيهِ بَلًّا لَصَدِيقٍ قَالَ : « لَمَّا مَلَكَ عَسْكَرُ مَعَاوِيَةَ عَلَيْهِ الْمَاءُ
وَأَحَاطُوا بِشَرِيعَةِ الْفُرَاتِ ، وَقَالَتْ رُؤَسَاءُ الشَّامِ لَهُ اقْتُلْهُمْ بِالْعَطَشِ
كَمَا قَتَلُوا عُثْمَانَ عَطَشًا سَأَلَهُمْ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ أَنْ يُسَوِّغُوا لَهُمْ شَرْبَ الْمَاءِ
فَقَالُوا لَا وَاللَّهِ وَلَا قَطْرَةً ، حَتَّى تَمُوتَ ظُلْمًا كَمَا مَاتَ ابْنُ عَفَّانَ ،
فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَوْتَ لَا مَحَالَةَ تَقَدَّمَ بِأَصْحَابِهِ وَحَمَلَ عَلَى عَسَاكِرِ مَعَاوِيَةَ
حِمْلَاتٍ كَثِيفَةً ، حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنْ مَرَاكِزِهِمْ ، بَعْدَ قِتْلِ ذَوَيْعٍ سَقَطَتْ
مِنْهُ الرُّؤُوسُ وَالْأَيْدِي ، وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمُ الْمَاءَ ، وَصَارَ أَصْحَابُ مَعَاوِيَةَ
فِي الْفَلَاةِ لَا مَاءَ لَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَشِيعَتُهُ امْنَعْهُمْ الْمَاءَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا مَنَعُوكَ ، وَلَا تَسْقِهِمْ مِنْهُ قَطْرَةً وَاقْتُلْهُمْ بِسُيُوفِ
الْعَطَشِ ، وَخُذْهُمْ قَبْضًا بِالْأَيْدِي ، فَلَا حَاجَةَ لَكَ إِلَى الْحَرْبِ ،

فَقَالَ «لَا وَاللَّهِ لَا أَكَا فِيهِمْ بِمَثَلِ فَعْلِهِمْ ، اِصْنَعُوا لَهُمْ عَنْ بَعْضِ الشَّرِيعَةِ
فَفِي السَّيْفِ مَا يُعْنِي عَنْ ذَلِكَ » عَلَى أَنَّ عَاطِفَةَ ابْنَ الْعَاصِ لَمْ تَرْضَ
بِمَنْعِ مَعَاوِيَةَ الْمَاءَ خَوْفًا مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، وَجَاءَ صَدِيقُهُ الْمُعَرِّيُّ بْنُ
الْأَقْبَلِ الْهَدَّادِيُّ فَقَالَ لِمَعَاوِيَةَ : « يَا مَعَاوِيَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْ سَبَقْتُمْ
الْقَوْمَ إِلَى الْفِرَاتِ فَغَلَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ تَمْنَعُوهُمْ عَنْهُ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ سَبَقْتُمْ
إِلَيْهِ لَسَقَوَكُمْ مِنْهُ ، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِيهِمُ الْعَبْدَ وَالْأُمَّةَ وَالْأَجِيرَ وَالضَّعِيفَ
وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، هَذَا وَاللَّهِ أَوَّلُ الْجُورِ ، لَقَدْ شَجَعْتَ الْجَبَانَ وَبَصَرْتَ
الْمُرْتَابَ وَحَمَلْتَ مَنْ لَا يَرِيدُ قِتَالَكَ عَلَى كَتْفَيْكَ » ثُمَّ كَانَ
عَاقِبَةُ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ التَّحَقَّقَ بِعَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ لَمْ يُصْغِ مَعَاوِيَةُ لِصَاحِبِهِ
تَبَعًا لِلرَّأْيِ الْعَامِّ عِنْدَ رُؤَسَاءِ عَسْكَرِهِ .

فَهَلْ يَرِيدُ الْمُعْتَرِضُ أَنْ تَكُونَ عَاطِفَةُ ابْنَ الْعَاصِ جَلًّا وَاسْمِي مِنْ
عَاطِفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَنِي آدَمَ الْمَكْرَمِينَ ، أَمْ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا
الْهَدَّادِيُّ أَتَقَى مِنْ سَيِّدِ الْمُتَّقِينَ إِذْ مَنَعَهُ نُسْكُهُ وَتَقَوَاهُ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ
الْمَاءَ وَفِيهِمُ الْأُمَّةُ وَالْأَجِيرُ وَالضَّعِيفُ وَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ وَمَنْ
لَا ذَنْبَ لَهُ ، وَلَمَّا أَنْكَرَ الْمَنْكَرَ فَلَمْ يُصْغِ لَهُ مَعَاوِيَةُ تَبَصَّرَ طَرِيقَ رُشْدِهِ
وَعَلِمَ أَنَّ مَانِعَ الْمَاءِ لَيْسَ مَعَهُ الْحَقُّ بَلْ مَنَعُهُ جُورٌ عَظِيمٌ وَظُلْمٌ كَبِيرٌ
عَلَى أَنْ أَدْنَى تَأَمُّلٍ فِي كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤَكَّدِ بِالْقِسْمِ إِذْ يَقُولُ
لَا وَاللَّهِ لَا أَكَا فِيهِمْ بِمَثَلِ فَعْلِهِمْ ، وَيَقُولُ (فَفِي حَدِّ السَّيْفِ مَا يُعْنِي عَنْ
ذَلِكَ يُرْشِدُنَا إِلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْأِسْلَامِيَّةَ تَحْظُرُ قِتَالَ الْعَدُوِّ بَسَلًا

لَمَّا ذَا صَحَّ عَنْ ابْنِ زِيَادٍ . (٢٥) .

الْعَطِشُ ، بَلْ يَنْبَغِي قِتَالُهُ بِالطَّرِيقَةِ الْمَأْلُوفَةِ دُونَ الْغَدْرِ وَالْعَطِشِ
وَمَا اشْبَهَهُمَا ، وَمَنْ يَظْهَرُ الْوَجْهَ فِي الْجَوَابِ عَنْ فِعْلِ مُسْلِمٍ إِذْ لَمْ يَغْدُرْ
بِابْنِ زِيَادٍ فِي دَارِهَا بِنِ ، وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ : « الْمَكْرُ وَالْخَدْيَعَةُ فِي النَّارِ » وَعَنْ الْحُسَيْنِ إِذْ لَمْ يَقْتُلْ
الْمُخَرَّوعَ عَسْكَرَهُ بِسُيُوفِ الْعَطِشِ ، أَوْ لَمْ يُعَالَجْهُمْ بِالسِّيفِ وَهُمْ فِي
أَشَدِّ الْعَطِشِ ، إِذْ لَيْسَتْ هَذِهِ طَرِيقَةُ سَلَفِ الْحُسَيْنِ فِي قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ
بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَدِئَهُمْ عَدُوُّهُمْ فِي الْقِتَالِ ، وَدَبَّحَ أَصَابَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ
كِيَوْمَ بَدْرٍ وَكِيَوْمَ الْجَلِ وَكِيَوْمَ صِفِّينَ ، وَإِذَا جَاءَتْ إِلَيْهِمْ تَتْرُكُ مِنْ
عَسْكَرِ ابْنِ سَعْدٍ حَتَّى أَصَابَتْ مَضَارِبَ الْحُسَيْنِ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ إِلَّا أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِهِمْ ، فَعِنْدَهَا أَوَّلُ الْأَصْحَابِ
بِالْقِتَالِ قَاتِلًا : « قَوْمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ ، فَإِنَّ
هَذِهِ إِلَيْهِمْ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ » .

فَإِذَا ادَّعَى الْمُعْتَرِضُ أَنَّهُ أَعْلَمُ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فَإِنَّ اللَّهَ بِرَبِّئِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَدَسُوسُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ
وَأَمَّا تَرْكُهُ لِقَتْلِ ابْنِ مَلْجَمٍ مَعَ عَلَيْهِ بَأَنَّهُ قَاتَلَهُ فَقَدْ عَتَذَرَ عَنْ ذَلِكَ
طَوْرًا بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْقِصَاصُ قَبْلَ الْجَنَائِزِ ، وَطَوْرًا بِقَوْلِهِ : « إِذَا قَتَلْتُهُ
فَمَنْ يَقْتُلْنِي » قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ ، وَقَدْ قَتَلَهُ بِهِ
مُسْلِمٌ فِي تَرْكِ قَتْلِ ابْنِ زِيَادٍ حَيْثُ وَطَّنَ نَفْسَهُ لِقَتْلِهَا عَلَى يَدِ هَذَا
الْخَائِنِ الَّذِي عَفَا عَنْ قَتْلِهِ ، كَمَا وَطَّنَ عَمَّةُ نَفْسَهُ لِقَتْلِهَا قُرْبَانًا لِلَّهِ

بِسَيْفِ ذَلِكَ الْمَرَادِيِّ الَّذِي أَكْرَمَهُ وَرَبَّاهُ وَأَوَاهُ مَعِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ قَاتِلُهُ
لَا مُحَالَةَ (أَقُولُ) هَذَا صَحِيحٌ وَلَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ عَمِيقٍ كَمَا عَبَّرَ هُوَ
عَنْهُ بِأَنَّهُ سَرْدٌ قِيَّتٌ فِي الْأَصْلِ فَضْلًا عَنِ الْفَرْعِ ، وَفِي مَا ذَكَرْنَا كَفَايَةً
لِمَنْ اسْتَبَصَرَ . .

هَذَا وَلِلْمَعْتَرِضِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْنَا بِلِمْحَنٍ نَعْتَرِضُ قَبْلَهُ عَلَى نَفْسِنَا
فَنَقُولُ لَعَلَّ الْمُتَّبِعَ وَالْمُلِمَّ بِالتَّارِيخِ الْمَامَّاتَا مَا يَجْدُ فِي مَطَاوِيهِ الْكَثِيرَ
مَا يَصْلَحُ لِأَنَّهُ يَنْقُضُ بِهِ عَلَيْنَا ، حَيْثُ حَقَّقْنَا كَلْبَنَا أَنَّ الْغَدَرَ وَالْخِدَاعَ
لَا يَصْدُرُ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الظَّاهِرِ وَمِنْ حَذَا حَدَوْنَهُمْ ، وَالسَّلْبُ
الْكُلِّيُّ يَنْتَقِضُ بِالْأَيِّجَابِ الْجُزْئِيَّةِ ، وَلَوْ تَحَقَّقَ فِي فَرْدٍ وَاحِدٍ فَضْلًا
عَنِ الْآفَرَادِ الْكَثِيرَةِ ، وَلَكِنَّ مَوْضُوعَ كِتَابِنَا لَا يَتَحَمَّلُ الْأُسْتِقْصَاءَ فِي
النَّقْضِ وَالْأَبْرَامِ ، غَيْرَ أَنَّا نَسْتَطِرِدُّ فِي ذِكْرِ فَرْدٍ مِنْ هَاتِيكَ الْآفَرَادِ ،
وَاعْتَرِضَ مِنْ تِلْكَ الْأَعْتِرَاضَاتِ اتَّفَقَ فِي حَدِيثِ الْمُبَادُزَةِ الَّتِي دَاوَدُ
بَيْنَ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ الْقُرْشِيِّ وَبَيْنَ مُنَاجِرِهِ بَطْلِ الْإِسْلَامِ
بِلِ بَطْلِ الْعَالِمِ وَمُفَخَّرَةِ بَنِي آدَمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَ
لَعَلَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ لَا يَعْسُرُ عَلَيْهِ الْجَوَابُ عَنْ إِخْوَانِهِ وَ
مُشَابِهَاتِهِ .

نَقُولُ الرِّوَايَةَ لَمَّا بَرَزَ عَلِيُّ لِعَمْرٍو بْنِ عَبْدِ وَدِّ وَتَوَاقَفَ الْقِرْنَانِ
رَفَعَ عَمْرٍو سَيْفَهُ فَضَرَبَ بِهِ رَأْسَ عَلِيٍّ ، فَرَاغَ عَنْهُ عَلِيُّ وَاتَّقَى السَّيْفَ
بِحُفَّتِهِ فَقَطَعَهَا ، وَوَقَعَ السَّيْفُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَجَرَحَهُ جُرْحًا خَفِيفًا

ثم قال له يا عمرو وأما كفاك أنك فادس العرب أوفادس يليل
وقد بارذت حتى استعنت علي بظهير ، فالتفت عمرو إلى وده
- وكأنه آنف من ذلك - فانهز علي للفرصة وعاجله بالضرية فقطع
ساقه وساقه معاً ، ثم أجهز عليه فقطع رأسه وجأ به إلى النبي
صلى الله عليه وآله فقال له خدعتني يا علي فقال نعم الحرب
خدعتني يا رسول الله (

هكذا روي ، وقد سمعت الجواب وأن ليس هذا من الغدر والخي
تبرأ منه ساعة أرباب لعصمة ، بل الخدعة في الحرب بعد أن يبرذالهن
إلى قرينه ويأخذ جزء القتال تعد من أسلحة القتال وأدوات الحرب ،
فلا غصاصة^(١) فيها على القاتل الظافر بها ، كطول القناة وحدة رجمها و
مضاء حد السيف وقوة الساعد وشدة بطش المحارب ، فإنك كثيراً
ما تسمع تمدح الأبطال بطول وما جهم ومضاء سيوفهم وشدة
عدو خيلهم ، وربما قيل أنه عليه السلام ودثي بظهير لأنه كان لهم
سيف عمرو ، أوعن الشيطان لأنه جاد وظهير لدعاة الشرك والألح
(وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا قَسَاءَ قَرِينًا) ، ولا أرى هذين
الجوابين يعجذان شيئاً عن الجواب الأول المثبت في متن الرواية ،
بل هما مُحققان للخدعة .

وأنا أقول ذكر ابن أبي الحديد وغيره أن عمرو بن عبدود خا
وحد من مبارزة علي بن أبي طالب له ، واستحيا أن يرجع منهزماً

كما افترم بعد قتله اصحابه الذين عبروا معه الخندق فكأنه ،
 - تبّت يده - لم يؤمن بكلمة اذ باب الشجاعة (الفرار عاوا لا من سيف
 علي بن ابي طالب) فتواري بالنصح له والاشفاق عليه حيث يقول له
 : « اِنِّي لَا أُحِبُّ اَنْ اَقْتُلَكَ لِاَنَّ اَبَاكَ كَانَ نَدِيمًا لِي » وَاَوْضَحُ مِنْ
 هَذَا قَوْلُهُ : « اَمَّا رَأْيُ بَنِي عَمِّكَ مِنْ يَبْعَثُ لِي غَيْرَكَ اَمَّا يَخَافُ اَنْ
 اَخْطُفَكَ بِرُحْيٍ فَاَدَعَلَكَ شَائِلًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ » فَإِنَّ كُلَّ قَرْنٍ
 يَسْرُهُ اَنْ يَقْتُلَ مُنَاجِرَهُ وَيَسْتَطِيلَ بِقَتْلِهِ وَلَا يَنْصَحُهُ وَيَحْذَرُهُ مِنَ الْقَتْلِ ،
 وَهَلْ سَمِعَ عَمْرُو بَانَ وَاحِدًا مِنَ الشُّجْعَانِ نَاجِرَ الْآخِرِ وَهُوَ وَاقِعٌ بِسَلَامَتِهِ
 وَاسْتَظْهَارِهِ عَلَى قَرْنِهِ ، وَلَقَدْ صَاحَبَ ابْنُ ابِي الْحَدِيدِ وَاجِدًا فَإِنَّ
 شَجَاعَةً عَلَى الْكَامِنَةِ فِيهِ كُنُوزُ النَّارِ فِي الزُّنْدِ قَدْ ظَهَرَتْ فِي مَسْمُوحٍ عَمْرٍو
 وَمَشْهُدٍ لَمَّا كَانَ طِفْلًا فِي مَكَّةَ ، وَظَهَرَ بِطَشُهُ وَفَتْكُهُ فِي هِجْرَتِهِ مِنْ
 مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، إِذْ خَرَجَ بِالْظُّنِّ نَهَارًا جَهَادًا ، وَجَدَّ لِلْأَبْطَالِ
 وَنَكَصَتْ مِنْ هَيْبَتِهِ الرِّجَالُ عَلَى عَقَابِهَا .
 وَمِمَّا يَنْسُ عَمْرُو مِنْ فَلَاحِ قَرْنِهِ الَّذِي تَمَنَّى اَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ مَكَانَهُ
 فَلَا يَنْسِي قَعْدَةَ بَدْرٍ الَّتِي جُرِحَ فِيهَا جُرْحًا أَثْبَتَتْهُ سِنَتَيْنِ ، وَمَا صَنَعَ فِيهَا
 هَذَا الْبَطْلُ الْمُنَاجِرُ لَهُ الْآنَ مِنْ قَتْلِهِ صِنَادُ بَدْرٍ الْعَرَبِ فَتُكْرِمُهُ بِالْأَبْطَالِ قُرَيْشٍ
 أَمْثَالِ سَعْدِ بْنِ الْعَاصِ وَحَنْظَلَةَ بْنِ ابِي سَفْيَانَ وَعُثْبَةَ وَابْنَةَ الْوَلِيدِ
 وَآخِيهِ شَيْبَةَ ، حَتَّى لَقَدْ صَحَّ فِي الرِّوَايَةِ اَنْهُ قَتَلَ خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ بَطْلًا وَاحِدًا
 وَقَتَلَ الْمَلَائِكَةَ وَسَائِرَ الْأَصْحَابِ مِثْلَهُمْ وَهُوَ شَرِيكُهُمْ فِيهِمْ ،

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَمِعَ عَمْرُو - كَمَا سَمِعَ ابْنُ جَرِيرٍ فُحِّدْنَا - بِأَنْ
عَلَيْنَا قَتْلُ أَصْحَابِ الْأَلْوِيَةِ يَوْمَ أُحُدٍ كُلِّهِمْ ، وَهُمْ الْأَبْطَالُ الْأَشْدَّاءُ
مَنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانُوا سِتَّةَ عَاشِرٍ مِنْهُمْ عَبْدُهُمْ صُؤَابُ ، حَتَّى
أَهْزَمَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِمْ وَسَقُوطِ اللَّوَاءِ - وَهَلْ الْجَيْشُ إِلَّا بِاللَّوَاءِ -
ثُمَّ لَمَّا وَقَعَتِ الدَّبْرَةُ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ وَبَذَلَ الْمُشْرِكُونَ جُهْدَهُمْ فِي
إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَخَذَ أَبُو الْحَسَنِ بِصَرْعِ كِبَاشِ الْكُتَّابِ
وَيَجْدِ عَرَانِيذِهَا بِصَارِمِهِ فِيهِزْمِ الْجَمْعِ وَيُوتُونَ الدَّبْرَ .

وَلَا نُرِيدُ أَنْ نَطِيلَ عَلَى لِقَائِي بِتَفْصِيلِ مَبِيتِ هَذَا الْبَطْلِ عَلَى
فَرَاشِ الرَّسُولِ ، وَقَدْ طَوَّقَ الدَّارَ عَلَيْهِ الْأَشْدَّاءُ الْمُنْتَخَبُونَ مِنْ جَمِيعِ
قَبَائِلِ قُرَيْشٍ ، وَإِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُثْبِلًا لَعَشِيرَتِهِ ، وَكَانَتْ مَكَّةُ
عَاصِمَةَ الشِّرْكِ الْمُطَبَّقِ لِبَحْرَةِ الْعَرَبِ فَيَكُونُ بَطْلُنًا قَدْ قَابَلَ الْعَرَبَ
كُلَّهَا ، فَلَمْ يَأْبَهُ بِهَا ، وَنَامَ سُخْرِيَّةً بِجَهْرٍ هَا وَعَدَمَ اكْتِرَافٍ بِتَظَاهِرِهَا
عَلَيْهِ ، فَصَدَّقَ بِفَعْلِهِ هَذَا قَوْلُهُ : « لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قَتْلِي
لَمَا وُكِّتَ عَنْهَا الدَّبْرُ » .

فَحَقَّ لِعَمْرٍو أَنْ يَفْرَقَ مِنْهُ وَيَخَافَ شِدَّةَ بَاسِهِ وَقُوَّةَ مِرَاسِهِ ،
إِذَا لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ إِلَّا أَهْلُهُ وَالشَّجَاعَةَ إِلَّا أَرْبَابُهَا ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ
أَبُو الْحَسَنِ أَحْسَنَ بِخَوْفِ عَمْرٍو مِنْهُ ، وَلِذَا اقْتَرَحَ عَلَيْهِ التَّزَوُّلَ مِنْ نَفْسِهِ
وَخَافَ أَنْ يَطِيرَ عَنْهُ بِجَنَاحِي الرُّعْبِ وَالْهَلَجِ ، وَلَا يُثْقِلُهُ الْحَيَاءُ وَخَوْفُ
الْعَارِ ، كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَدَّمُوا وَكَلَّمُوا ذَهَوًا وَخَيْلًا ، وَانْصَرَفُوا مِنْهُ

قتلاً وكلهم جزعٌ وهلعٌ وخوفٌ وفرقٌ .
 فبِاللهِ عليك لو كنتَ انت المناجرَ لعمرٍو ، واحُسَّتْ بخوفِهِ مِنْكَ
 بعدَ انْ ظهرتْ فيكَ الشَّجَاعَةُ مرَّةً واحدةً ، هل كنتَ تحتاجُ بعدها
 لِيُخْدَاعِيهِ وَمُحَاكَرَتِهِ ثُمَّ تَعْتَذِرُ بِأَنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ ،
 كَلَّا وَرَبِّكَ ، إِنَّهُ لَمْ يَحْتِجْ أَبُو الْحَسَنِ لِارْتِكَابِ الْخُدَيْعَةِ ، وَلَوْ دَعَتْ
 الْحَاجَةُ إِلَيْهَا لَمْ يَفْعَلْهَا ، وَإِنْ أُنْجِرَ الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِهِ ، فَاَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ
 رُكُوبِ الْعَارِ ، وَتَبِعَهُ ابْنُ أَخِيهِ مُسْلِمٌ فَلَمْ يَغْدُرْ بِابْنِ ذِيادٍ ، وَإِنْ كَانَ
 عَاقِبَةُ صَفْحِهِ عَنْهُ أَنْ شَتَّمَهُ وَأَمْرَبَانَ يَصْعَدُوا بِهِ أَعْلَى الْقَصْرِ فَيَذْنِبُوهُ
 وَيُلْقُوا جُشَّتَهُ مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ ، فَأَلْقَوْهُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عِظَامُهُ ؛
 - وَاسْتَيْدَاهُ -

أَيُّهَا الْقَصْرُ مِلٌّ وَتَعَطَفٌ أَوْ تَرَفٌّ لِلْقَصْرِ يَا غَبْرَاءُ

* كَيْفَ رَكْنَ إِلَى الْكُوفَةِ *

عَلَّمَ الْحُسَيْنُ أَنَّهُ إِذَا بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ قَتْلُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ لَا مُحَالَةً ، فَكَانَ
أَوَّلَ انْتِهَائِهِ لِحَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَتْلِ ذُرِّيَةِ رَسُولِ اللَّهِ
فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ مُغَادَرَةِ الْمَدِينَةِ ، وَإِذَا خَرَجَ فَإِلَى أَيِّ بِلَادٍ يَتَوَجَّهُ بِأَيِّ
أَلِيْمَنَ - وَلَا مَنَعَةَ فِيهِ - أَمْ إِلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ يَهْدُهَا بِالْخِيَانَةِ ، وَ
لَمْ تَتَبَدَّلْ حَالُهَا فِي نَظَرِهِ ، بَلْ كَانَ الْحَزْمُ لَهُ أَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَى مَكَّةَ ، لِأَنَّهُ
لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ انْتِهَاكَ حُرْمَتِهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامَ ، وَبَعْدُ فَإِنَّهُ
سَوْفَ يَجْتَمِعُ هُنَاكَ وَفُودُ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِيهِمْ أَهْلُ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ ، فَيَتِمُّ
أَنْ يَصْدَعَ بِحُجَّيْهِ ، وَيَدْعُمَ بِرَأْسِهِ أَمَامَ الرَّأْيِ الْعَامِّ ، وَهُنَاكَ يَصِفُو
جَوَّاءَ الْخِلَافَةِ وَتُسَكَّنُ زَوَابِعُهُ .

لَكِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ أَخْلَفُوا ظَنَّهُ وَخَالَفُوا شَرَائِعَ الْأَسْلَامِ وَالْقَوَاعِدَ
الْعَرَبِيَّةَ ، فَاجْتَهَدَ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ أَمِيرُ الْحَاجِّ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَأَمَدَّهُ
يَزِيدُ فَدَسَّ فِي الْحَاجِّ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ شِيَا طِينَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأَمَرَهُمْ
بِالْفَتْكِ بِالْحُسَيْنِ ، وَلَوْ وَجَدُوهُ مُتَعَلِّقًا بِأُسْتَارِ الْكَعْبَةِ بَيْنَ الرُّكْنِ
وَالْمَقَامِ ، الْأَمْرَ الَّذِي اضْطَرَّ الْحُسَيْنُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ قَبْلَ اكْمَالِ
حُجَّتِهِ ، لِثَلَاثَتِنَّهَا بِقَتْلِهِ حُرْمَةَ الْحَرَمِ ، وَيَعْتَمُّ الْخَوْفُ وَالْقَتْلُ وَفُودُ
بَيْتِ اللَّهِ ، وَلَعَلَّ لَهُ فِي خُرُوجِهِ حِينَ ذَاكَ مَا رَدَّ أُخْرَى مِنْهَا أَنْ يُعْلِنَ
لِلرَّأْيِ الْعَامِّ مِنْ أُمَّةٍ جَدَّيْهِ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي الْأَسْلَامِ .

حَيْثُ أَخَافُوهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَيْتِ وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ حَرَمًا آمِنًا وَلَا يُمُتُّونَ
لِلنَّوَامِيْسِ الْعَرَبِيَّةِ بِصِلَةٍ ، فَقَدْ كَانَ عَادًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَتَعَرَّضَ أَحَدُهُمْ
فِي الْحَرَمِ لِقَاتِلِ أَخِيهِ وَأَبِيهِ ، وَالْحَمَامُ فِي الْحَرَمِ آمِنٌ لَا يَهْبِجُهُ أَحَدٌ بِسَوْءٍ
وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ كَيْفَ يَجُوزُ لِلْحَسَنِ مُبَايَعَتُهُ ، وَتَسْلِيمُ أَرْزَمَةِ
الْخِلَافَةِ بِيَدِهِ ، وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ عَلَى حَامَةِ ،

وَقَدْ أَخْلَى الْكَثِيرُ مِنْ مُجِبِّي الْحَسَنِ وَنُصَّائِدِهِ أَنْ لَا يَتَجَدَّأَ لَكُوفَةَ دَارِ
هِجْرَةٍ لَهُ ، إِذْ لَمْ يُعْهَدْ لَهَا سَابِقَةٌ جَمِيلَةٌ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَكَانَ
رَأْيُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَادِي الْأَمْرِ أَنْ يَلْحَقَ بِالشَّعَابِ وَ
الرِّمَالِ ، إِنْ لَمْ تَطْهَنْ بِهِ الدَّارُ فِي مَكَّةَ ، حَتَّى تُفْرِلَهُ الْأَيَّامُ عَنْ نَيْتِجَةِ
صَالِحَةٍ يَمْشِي عَلَى خُطَّتَيْهَا ؟ (١)

لَكِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ سَادَاتُهُمْ وَسَوَادُهُمْ نَقَضُوا عَزِيمَتَهُمَا أَوْسَلُوا
إِلَيْهِ مِنْ كُتُبِهِمِ الْمَمْلُوءَةِ بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاقِفِ الَّتِي لَا تَقُومُ لَهَا السَّمَوَاتُ وَ
الْأَرْضُ ، وَالْمَشْتَمَلَةُ عَلَى فَنُونِ الْأُسْتِغَاثَةِ وَالطَّلَبِ ، فَبَسَّمَ الْكُوفَةُ
بِمُزْجَرٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ بِهَا الْقَوْمُ عَلَى الْحَسَنِ
وَلَا يَرَوْنَ لَهُ فِيهَا عُذْرًا لِأَنَّهُ جَرَّبَ الْمَجْرَبَ وَأَتَمَّنَ الْخَاطِنَ ، وَذَلِكَ نَيْتِجَةُ
النَّظَرِ فِي التَّارِيخِ سَطِيحِيًّا ، وَمَفَاسِدُ قِلَّةِ التَّأَمُّلِ بِمَا يَضِيقُ عَنْهَا بِطَاقُ الْبَيِّنَاتِ

(١) لَا يَذْهَبُ عَلَيْكَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ إِنَّمَا يَجْرِي عَلَى فِرَاضِ الْحَسَنِ مِنْ سَائِرِ أَفْرَادِ

الْأُمَّةِ مِمَّا شَاءَ دَعِيَ لِحُضْمِ أَمَّا مَعَ فِرَاضِهِ إِمَامًا مَعْصُومًا مَرْضِيًّا لِأَظْهَارِهِ عَلَى الْغَيْبِ كَمَا هُوَ الْحَقُّ

فَكَيْفَ يَجْهَلُ - وَحَاشَا - أُمُورَ نَفْسِهِ .

وَنظَرُ أَجَالِيَةٍ فِي تَارِيخِ الْكُوفَةِ مَعَ أَهْلِ بَيْتِ السِّتَارَةِ عَنْ وَجْهِ الْحَقِيقَةِ
وَتَقْصِيرُ الْخَطِّاءِ وَالتَّقْصِيرُ كُلُّهُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ دُونَ الْحُسَيْنِ ، فَهَلُمَّ مَعِي
لِنَنْظُرَ فِي تَارِيخِهَا نَظْرَةً عَابِرَةً ، إِذْ لَا يَسَعُنَا طَوْلُ الْمَكْثِ وَالْوُقُوفِ فِي
تِلْكَ الْعَرِصَةِ .

نَعَمْ لَقَدْ كُنَّا تَارِيخُ الْكُوفَةِ كِبَوْتَهُ الْعَظِيمَةَ ، حَيْثُ خَدَعَهُمْ
الْعَاصِمُ بَرْفَعُ الْمَصَاحِفِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَخَالَفُوا الْمُرْتَضَى فِي وَضْعِ أَوْدَادِ
الْحَرْبِ ، وَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ ، وَخَفَقَتْ عَلَى جَيْشِهِمُ أَلْوِيَةُ النَّصْرِ ،
وَلَا حَتَّ لَهُمْ مَخَابِلُ الظَّفَرِ .

ثُمَّ سَقَطَ تَارِيخُهُمْ بِحَرْوِجِهِ ، إِذْ غَدَرُوا بِالْمُجْتَبَى ، وَكُتِبُوا لِلْمَعَاوِيَةِ
بِمَا كَتَبُوا ، حَتَّى الْجَاوِ وَالْحَسَنَ لَصَلِّحَ مَعَاوِيَةَ ، وَصَفَالَهُ الْمَلِكُ ، فَهَنَّاكَ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ دَوَائِرُهُ ، فَوَلَّى عَلَيْهِمْ عَمَالَهُ الْجُفَاءَ الشَّدَادَ ، مِثْلَ الْمُغِيرَةِ بْنِ
شُعْبَةَ وَزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَسُمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ، يُجْرِعُونَ لَهُمُ الْغُصَصَ ،
وَيُسَيِّغُونَ لَهُمُ الرَّنَقَ ، فَقَتَلُوا خِيَارَهُمْ وَاسْتَبَقُوا شِرَارَهُمْ ، وَسَمَلُوا
أَعْيُنَهُمْ ، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، تَشْفِيئًا مِنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْعَتِهِ ، وَطَلَبًا
بِأَوْتَارِ آبَائِهِمُ الْمَقْتُولِينَ بِسَيْفِهِ عِنْدَ تَأْسِيسِ قَوَاعِدِ الْأَسْلَامِ ، وَإِنْ
أَظْهَرُوا بِذَلِكَ الطَّلَبَ بِدِمِ عُثْمَانَ ، وَكَيْفَ يَطْوِي مَعَاوِيَةُ وَعَمَالُهُ صَحِيفَةَ
الطَّلَبِ بِدِمِ عُثْمَانَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْعَتِهِ ، وَمَا قَامَ وَلَا اسْتَقَامَ مُلْكُهُمْ
إِلَّا بِنَشْرِ تِلْكَ الصَّحِيفَةِ ، وَقَدْ قَالَ الْحَكَمَاءُ عِلَّةُ الْخُدُوثِ هِيَ عِلَّةُ
الْبَقَاءِ ، .

فندم أهل الكوفة - طبعاً - على ما فرطوا في جنب أهل البيت ،
ندامة ما عليها مزيد ، وطلبوا منهم غير مرة أن ينهضوا بهم لمعاوية
هذا الحكم الغاشم ، لكن سبطي رسول الله أيقناً أن يعلق بهما وصمة
الغدر ، وإن لم يكن عليهما لومٌ بذلك لأن معاوية لم يستقم لهما ولم
يف بشيء من شروط الصلح ، لكن « كل إناء بالذى فيه ينضح » ،
فلبت العراق لأنه عاصمة الشيعة يروح في العذاب طيلة عشرين
سنة مدة ملك معاوية المعدود من رجال الحكم والذها ، ثم
استخلف على الأمة ولده يزيد ، ولا يشك أحد أن جوره وهوّة على
أبيه يزيد ، وقد تحقق أهل العراق أن صلح الحسن إنما كان لمعاوية ،
وأن ليس له أن يستخلف يزيداً وغيره ، إذن فليس ليزيد المترقب ظله
وتهتكه في الدين شيء في أعناق أهل البيت ، فحقوا لبيعة الحسين
- على بكرة أبيهم - عن شوق ودغبة ، وطاردوا بأجابتهم فرحاً و
سروراً ، هذا مع أن الحسين عليه السلام لم يكتف بكتبهم ودسليم
بل أرسل أمه دأداً من أهله وثقة من بيته مسلم بن عقيل ،
فألفاهم فوق ما يظن من تفانيهم في حب أهل البيت وإسراعهم لنصرتهم
وبيعتهم ، فكتب إليه يبشره بما لا في منهم من الحفاوة ويستجبه
على القدوم إليهم .

فلعمري أنه لا يتصور عاقل بعد هذا البيان غدر أهل الكوفة
برجل من سائر بني هاشم ، يشور بهم في وجه أمانة ليصدقهم عن منكراتهم

فِي الشَّرْعِ وَالْوُجْدَانِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ سَيِّدَ بَنِي هَاشِمٍ الَّذِي
انْتَهَتْ إِلَيْهِ مَوَارِيثُ النُّبُوَّةِ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ أُمُورُ الْأُمَامَةِ ، وَلَكِنْ لَهُ
أُسُوءَةٌ بِجِدِّهِ مَعَ الْيَهُودِ إِذْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَشَدَّ الْأَنْتِظَارِ « وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ
عَلَى الْكَافِرِينَ » مِنْ الْيَهُودِ وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الَّذِينَ خَسِرُوا حُظُوظَهُمْ
فَلَمْ يَسْتَضِيُوا بِنُورِ النُّبُوَّةِ وَالْأُمَامَةِ ، وَلَا لَوْمْ عَلَى ابْنِ الْمُصْطَفَى لِأَنَّهُ
سَلَكَ الطَّرِيقَةَ الْعُقْلَانِيَّةَ وَالسَّيْرَةَ الْمَأْلُوفَةَ ، « وَمَنْ نَكَثَ
فَلَا تَمْنَأْ يُنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَنُؤْوِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا » .

هَذَا وَلَكِنِّي لَا أَظُنُّ الْمَعْتَرِضَ بِرَأْيِ أَنْ الْحُسَيْنَ تَبَدَّلَ اعْتِقَادُهُ
فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ وَلَوْ جِئْتَهُ بِكُلِّ آيَةٍ ، بَلْ يُجْتَمِعُ عَلَى الْحُسَيْنِ اسْتِصْحَابَ
حَالِهِمْ مَهْمَا طَالَتِ الْمُدَّةُ وَتَوَفَّرَتِ الطَّوَارِئُ وَالْتَطَوُّرَاتُ ،
فَلَنُحْلِمَ لَهُ دَعْوَاهُ وَنَتَنَازَلُ مَعَهُ عَلَى رَادَتِهِ شَمَّ عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ لَهُ إِنْ
يَتَوَجَّهَ الْحُسَيْنُ ، وَإِنِّي أَرْضُ تَمَنُّعِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَلَمْ يَمْنَعُهُ حَرْمُ اللَّهِ وَهُرْمُ
رَسُولِهِ ، إِذَنْ هُوَ مَقْتُولٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَا مَرْثَةَ لِلْمَقْتُولِ فِي الْأَرْضِ
الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا لِيَمُكِّثَ فِي الْحِجَازِ ، أَوْ يَسِيرَ إِلَى الْيَمَنِ فَيُقْتَلَ
هَنَّاكَ .

عَلَى أَنَّ الَّذِي أَعْرِفُهُ أَنَا فِي إِخْتِيَارِ أَرْضِ الْعِرَاقِ أُمُورٌ :

(الاول) ، اَنَّ الْمَدَدَ فِي الْحِجَازِ مُنْقَطِعٌ عَنْهُ ، اِذْ لَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ
بَيْتَانِ مِنْ مُحِبِّي أَهْلِ الْبَيْتِ ، بِخِلَافِ الْكُوفَةِ فَإِنَّهَا عَاصِمَةُ شِيعَتِهِمْ
الَّذِينَ أَبْرَهُمُ ظِلْمَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَقَدْ اسْتَغَاثُوا بِهِ وَلَا حَتَّ لَهُ فُخَايِلٌ ،
صِدْقُهُمْ ، فَيَكُونُ إِمْدَادُهُمْ لَهُ مَعْلُومًا فِي سِيرَةِ الْعُقَلَاءِ وَمَظْنُونًا ،
- عَلَى الْأَقْلِ - فِي رَأْيِ الْمُعْتَرِضِ .

(الثاني) ، إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَأَقْصَمَ دَعْوَهُ
لِيُوَازِدُوهُ عَلَى أَعْلَى أَعْلَانِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَسِيرَ فِيهِمْ بِسِيرَةِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ
وَالْحُجَّةُ الشَّرْعِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَا يَظْهَرُ لِلرَّأْيِ فِي عَقِيدَتِهِ ، فَأُتِ
خِيَانَتُهُمْ بِأَبِيهِ وَأَخِيهِ قَبْلَ عِشْرِينَ سَنَةً لَا تَكُونُ لَهُ عُذْرًا فِي تَرْكِ
أُلُوفِ النَّفُوسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي اسْتِبْدَادِ مُنْكَرَاتِ بَنِي أُمَيَّةَ وَ
مُبْتَدَعَاتِهِمْ فِي الدِّينِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : «لَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُغْنِي عَنْكُمْ
أَلْمَاسُ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا .

(الثالث) ، أَنَّهُ بَعْدَ دَوْمِهِ الْعِرَاقَ كَانَ السَّبَبَ الْعَظِيمَ لِكَثِيرٍ
مِنْهُمْ أَدْرَكَوْا بِهِ السَّعَادَةَ ، وَشَمَلَتْهُمْ نِعَمَاتُ الطَّافَةِ وَبَرَكَاتِهِ ، وَهُمْ
طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ وَالْبَيْتُ الْمُبَارَكُ مِنْهَا «١» أَنْصَادُهُ الَّذِينَ قَتَلُوا مَعَهُ فَأَتَتْهُمْ
كَلَامُهُمْ - غَيْرَ مَا شَذَّ وَغَيْرَ الْهَاشِمِيِّينَ - مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، مِثْلَ جَبْرِ
مُظَاهِرٍ ، وَالْحُرِّ الرِّيَاحِيِّ ، وَثَلَاثِينَ رَجُلًا اسْلُتُوا مِنْ عَسْكَرِ ابْنِ زِيَادٍ
لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ «٢» الَّذِينَ قَتَلَهُمْ ابْنُ زِيَادٍ قَبْلَ وَصُولِهِ كَرْبَلَاءَ ، وَكَانَ
مِنْ نِيَابَتِهِمْ نَصْرَتُهُ كَيْثَمَ التَّمَارِ وَغَيْرِهِ «٣» الَّذِينَ هَالِ ابْنُ زِيَادٍ بَيْنَهُمْ

وبين نصرته حيث زجهم في أعماق السجون ونجائب الطوامير ، وهم
الكثير من أهل الكوفة كالمختار بن أبي عبيدة ، والثوابين وعلى رأسهم
سليمان بن صرد الخزاعي « ٤ » من تهيا والنصرة أو سادوا فلم يدركوها
لمعاجلة ابن زياد له بالقتل ، كابن مسعود النهشلي جيشه الكثيف من
أهل البصرة « ٥ » من هدام رأس الشريف وحرمة المسكيات معه
إلى دين الإسلام وستأتي الأشارة إلى هذا إنشاء الله تعالى « ٦ »
الباكون والمتباكون عليه وهم الكثير من الناس .

وآين يقع أهل الكوفة - لو نصره فلم يقتل - من انصاره برثائه
والبكاء والتباكى عليه ، جعلنا الله منهم وكافة أخواننا المؤمنين
أمين أمين لا أرضى بواحد حتى أضيف إليها الفأmina

ولكنني أرى المعترض وإن كفت لسانه عن الحسين ما دام لم يسمع بقتل
مسلم بن عقيل وانقلاب حالة الكوفة ، أما بعد أن سمع بذلك ،
حتى لقد قام في أصحابه خطيباً وأخبرهم بتبدل الحالة ، ففرقوا عنه
ذات اليمين وذات الشمال ، فبقى في أصحابه المخلصين ، وهم جماعة
قليلة لا تقوم لأجناد الكوفة فضلاً عن أمدادهم من جنود الشام ،
فإنه لم يبق في رأي المعترضين حجة يتعلل بها الحسين في تصميمه على
قصد الكوفة ، وقد صرح له المنحصر عن الزبد ، وتفرى له الصبح
عن بلجيه ، والذي أعرفه أنا من وجوه العذر هنا ثلاثة ،

(الْأَوَّلُ) ، أَنَّ الْفَوَائِدَ الَّتِي كَانَ يَتَوَخَّاهَا الْحُسَيْنُ مِنَ الْكُوفَةِ - وَقَدْ ذَكَرْنَا هَا - لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهَا الْأَمْرُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقَطِعْ حِينَ ذَاكَ أَمَلُهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بَتَاتًا ، كَيْفَ وَقَدْ كَانَ أَوَّلَ الْقَوْمِ مُحِقًا بِهِ مِنْهُمْ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْحُرِّ ، ثُمَّ اتَّصَلَتْ عِنَايَةُ اللَّهِ بِهِدَايَةٍ مِنْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ إِلَى مَا بَعْدَ مَقْتَلِ الْحُرِّ بْنِ يَدِيهِ :

(الثَّانِي) ، أَنَّ الرُّكْبَانَ قَدْ بَشَّرُوهُ بِأَنَّ عَامَّةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ قُلُوبُهُمْ مَعَكَ (وَعَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ الْمَعُولُ) ، وَإِنْ كَانَتْ سُيُومُهُمْ بِحَسَبِ الْحَالِ الْحَاضِرَةِ مَعَ بَنِي أُمِّيَّةَ ، فَلَا جَرَمَ أَنَّ طَمَعَ بِإِفَاقَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْ سَكْرِهِمْ عِنْدَ مَا يَحْضُرُ لَدَيْهِمْ شَخْصًا فَيَجْتَهِدُ فِي بِنْيِهِمْ مِنْ رَقْدَةِ الْغَفْلَةِ وَسِنَةِ الضَّلَالِ فِي اتِّبَاعِهِمْ لِيَزِيدَ ، لَا سِيَّمَا إِذَا انْضَمَّ لَتِلْكَ الْبِشَارَةِ أَنَّهُ قَدْ سَبَّرَ أَهْلَ الْكُوفَةِ كَأَصْحَابِ مُوسَى لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ، بَلْ سِرْعَانِ مَا يَسْأَمُونَ الْوَالِيَّ لِقَدِيمِهِمْ وَيَزِفُونَ لِلْجَدِيدِ بِأُجْحَةٍ خَوَافِهَا الرِّغْبَةُ وَقَوَادِمُهَا التَّرْحِيبُ ، كَمَا صَنَعُوا آخِرًا إِذْ تَرَكُوا بَنِي أُمِّيَّةَ لِقُدُومِ الْمُخْتَارِ ثُمَّ هَجَرُوهُ لَوُرُودِ مُصْعَبٍ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَتَلُوهُ بِجَهَنِيِّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَكَمْ فَعَلُوا مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ أَوَّلًا وَآخِرًا ، فَكَانَ مِنَ الْبَاجِزِ فِي نَظَرِ الْعُقَلَاءِ أَنَّ سَيَتَرَكُونَ بَنِي أُمِّيَّةَ وَيَفِيضُونَ لِلْحُسَيْنِ ، كَمَا تَرَكُوا بَيْعَتَهُ لِقُدُومِ ابْنِ زِيَادٍ ، لَكِنَّ الْقَوْمَ عَثَرُوا جَدُّهُمْ فَلَمْ يَسِيرُوا هَذِهِ الْمَرَّةَ عَلَى جَارِي عَادَتِهِمْ .

كَيْفَ كُنَّا إِلَى الْكُوفَةِ * (٣٩) *

والثالث، أَنَّ قَتْلَ مُسْلِمٍ وَابْنٍ يَقْطُرُ وَانْقِلَابَ حَالِ الْكُوفَةِ
لَمْ تَبْلُغِ الْحُسَيْنَ إِلَّا بِطَرِيقِ الْآحَادِ ، مِنْ رُؤَاةٍ لَا يَعْرِفُونَ بِالْصِدِّقِ
وَلَا بِالْكَذِبِ « وَمَا أَفَةُ الْأَخْبَارِ إِلَّا دَوَاهَا » .
وَأَمَّا خُطْبَتُهُ فِي أَصْحَابِهِ فَإِنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَا أَخْبَرَهُ الرُّكْبَانُ ،
عَلَى أَنَّ فِيهَا فَائِدَةً تُمَيِّزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وَهُوَ أَمْرٌ مُوْغِبٌ
إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ .

هَذَا كُلُّهُ قَبْلَ مَلَأَقَاتِهِ لِلْحَرِّ ، أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ دَامَ تَبَعًا لِلرَّايِ
الْمُعْتَرِضِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَوْ سَفِكَ دَمُهُ عَلَى قَبْرِ جَدِّهِ ،
وَأُذِيقَ عَلَى شَاذِرْوَانَ بَيْتِ رَبِّهِ أَوْ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْبَقَاعِ ، فَإِنَّهُ
يَعْلَمُ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةٍ لَا يَتْرَكُونَهُ حَتَّى يَسْتَحْرِجُوا عُلُقَةَ جَوْفِهِ ، لَكِنْ الْحُرُومُ
مَعَهُ جَمْعُوَابِهِ وَقَطَعُوا عَلَيْهِ خَطَّ الرَّجُوعِ ، بَلْ أَرَادُوا الْبَجَاءَ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا
مَعَهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا بِهِ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ فَيَرَى فِيهِ دَأْيَهُ ، وَبَعْدَهُنَّ وَهْنًا
أَنْزَلُوهُ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ فَاحْطَا بِهِ الْكَرْبُ وَالْبَلَاءُ ، وَاقْبَلْتَ لِقَاءَ
الرَّايَاتِ ، ^{تَتَلَوُهَا الْمَوَاكِبُ} الْمَوَاكِبُ وَالْخَيْلُ وَالرِّجَالُ ، الْكَتَابُ تَقْفُوهَا الْكَتَابُ
مِلَأُ الْقِفَادِ عَلَى ابْنِ فَاطِمَةَ جَنْدٌ وَمِلَأُ صُدُورِهِمْ ذَهْلُ
بِعَاكِرٍ بِالطِّفِّ أَوَّلَهَا وَآخِرُهَا بِاللَّشَامِ مُنْصَلٌ



وَمَا شَأْنُهُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ

خَاطَبَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مُبَشِّرًا لَهُمْ بِمَا لِرَسُولِهِ مِنْ كَرَمٍ وَالْأَخْلَاقِ
مَعَهُمْ فَقَالَ - وَلَهُ الْمِنَّةُ وَالطُّولُ - (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)
وَلَقَدْ وَدِدْتُ وَلَدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَغَيْرَهَا مِنْ كَرِيمِ
الصِّفَاتِ ، فَاجْتَهَدَانِ لَا يَتَجَلَّ الْقَوْمُ لَهُ بِالْقِتَالِ جُرْصًا عَلَى هِدَايَتِهِمْ
وَرُجُوعِهِمْ إِلَى الْحَقِّ ، كُلَّمَا جَادَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَدَافَعَهُ عَلَيْهِمْ
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَشْقَى بِقَتْلِهِ هَذَا الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنْ
أُمَّةٍ جَدِّهِ فَيَكُونُ مَصِيرُهُمُ النَّارَ ، وَلَا عُنْتَ أَعْظَمُ مِنْ دُخُولِ
جَهَنَّمَ ، حَتَّى أَتَى إِذَا أَرِيسَ مِنْ هِدَايَةِ الرَّجُلِ مِنْ أُمَّةٍ جَدِّهِ إِلَى الْفُودِ
بِنَصْرَتِهِ أَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْعَدَ فَلَا يَسْمَعُ وَاعِيَةً أَهْلَ الْبَيْتِ ، عُلَمَاءُ
مِنْهُ أَنْ مَنْ سَمِعَ وَاعِيَتَهُمْ وَلَمْ يُجِيبْهُمْ أَكْبَرُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرَتِهِ فِي النَّارِ ،
كَأَشَارَ عَلِيُّ بْنُ الْحُرِّ الْجَعْفِيُّ وَسَاكِنِي كَرْبَلَا مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، وَقَدْ نَاقَضَهُ
فِي رَأْيِهِ ابْنُ زِيَادٍ الشَّقِيُّ ، فَكَانَ يَسْتَحِثُّ ابْنَ سَعْدٍ فِي الْمُنَاجَزَةِ
أَنْتَهَاذَ الْفُرْصَةِ مِثْلَ الْكُوفَةِ إِلَيْهِ ، وَعِلْمَانُهُمْ بِأَقْضَى مَا لَا يُقِيمُونَ
عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا طَالَبَهُمُ الْحُسَيْنُ بِحَقُوقِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا
وَحَدِيثًا ، وَخُوفًا أَنْ يَلْحَقَ بِهِ الْمَدَدُ مِنَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ كَابْنِ
مَسْعُودٍ وَجَيْشِهِ الْبَصَرِيِّ ، فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ

* وَمَا شَأْنُ لَا هِلَّ لَكُمْ فِيهِ * (١٤٥)

عَرَّشَ ابْنُ سَعْدٍ فَأُطْلِقَ سَهْمُهُ مِنْ قَوْسِهِ ، وَالتَفَتَ إِلَى رُؤَسَاءِ جَيْشِهِ
قَائِلًا لِيُشْهِدُوا لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى الْحُسَيْنَ (٤) بِسَهْمِهِ
وَتَبِعَهُ رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ وَقَبَائِلُهُمْ ، فَاسْتَحَرَّ الْقَتْلَ وَاصْطَلَى الْفَرِيقَانِ
نَارَ الْحَرْبِ ، حِمْلَةً وَحِمْلَةً وَصَوْلَةً وَصَوْلَةً ، حَتَّى اسْتَشْهِدَ مَعْظَمُ أَصْحَابِ
الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ جَعَلَ يُخْرِجُ لَهُمُ الْوَاحِدَ وَالْأُثْنَيْنِ ، وَقَدَّامُ الْمَخْطَبِ
مِنْهُمْ قَبْلَ الْحَرْبِ ، وَفِي إِبَاهِيهَا أَنْ يُذَكِّرُوا الْقَوْمَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيُنْذِرُهُمْ
بِطُشِ اللَّهِ ، فَذَهَبَتْ خُطْبُ أُولَئِكَ الْبُلَاغَاءِ الْمَصَاقِيعَ كَصَرْخَةٍ فِي
بَلَاغٍ ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِخُطْبِهِ وَخُطْبِ أَصْحَابِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَمَا زَادَ أَكْثَرَهُمْ
غَيْرَ تَتَبُّعٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِحُجَّتِهِ مِنْ قَبْلُ (فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا
تَسْمِعُ الْقَتْلَ إِذَا دُعُوا مَدِيرِينَ) .

أَجَلًا نَ جَهْدًا لِلْحُسَيْنِ فِي انْقِذَانِ مَتِّ جَدِّهِ مِنْ هَوَا الْبَاطِلِ لَقَدْ
تَجَاوَزَ حُدُودَ الْعَادَةِ ، فَقَدْ تَوَصَّلَ إِلَى تَنْبِيهِهِمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ بِشَتَّى
الْوَسَائِلِ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ مُخْتَلَفِ الطَّرِيقِ ، حَيْثُ قَامَ فِيهِمْ
- مَوْقِفًا بَعْدَ مَوْقِفٍ - سَبْطٌ مِنْ أَوْفَى جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَفَصْلِ الْمَخْطَبِ
وَسَلِيلٌ مِنْ سَنَنِ الْخَلْقِ فِيهِ الْبَلَاغَةُ فِي كُلِّ بَابٍ ، فَطَالَبَهُمْ بِمَا كَتَبُوا
إِلَيْهِ مِنْ نَصْرَتِهِ ، وَالْحَافِيهِمْ عَلَيْهِ فِي إِجَابَتِهِ ، وَبِقُرْبِهِ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ أُمَّتِهِ ، وَبِالْكَلِمَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ فِيهِ
وَفِي ذَوِيهِ ، وَبِمَا لِأَبِيهِ مِنَ السَّوَابِقِ الْكَرِيمَةِ فِي دَفْعِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ،
وَبِحَيْطِ نَسَبِ الْوَضَّاحِ الَّذِي هُوَ مَرْكَزُ دَاثَرَتِهِ ، بَلْ حَتَّى بِلِبَاسِهِ وَمَرْكَبِهِ

وسلاحه ، فانها كانت من موارث النبوة ، وقد آعاد لهم اذ تخلى بها الذكريات
العظيمة ذكريات حامل الرسالة السماوية الخالدة وبغيرها ذكرنا من الايات البينات فاجدها انما
لقد سمعت لونا ديت حيا ولكن لاحياءة لمن شادي
ثم ترك حقوق الخاصة به ورجع الى الحقوق العامة للاسلام ،
فانه مسلم دمه وماله حرام ، ولم يأت بما يوجب سفك دمه ، ثم
عرج على الحقوق العامة بين المسلم وغيره ، بل بين الناطق والناقة
من الحيوان ، كالماء فقد جعل الله منه كل شيء حي ، والاحياء فيه
شرع سواء ، ثم تنازل عن ذلك لانه استحق منعه بزمهم اذ ترك
بيعهم ، فطلبه لطفه الذي لا اسوة له بكل هذه الامور ، وقد هني
الاسلام عن قتل اطفال المشركين ، لكن القوم طبع على قلوبهم
فتركوا شرايع الاسلام والشيم العربية ، بل العادات الجارية بين
نوع الانسان .

ولكن هل تدوي ما اذا كان جواب الكوفة له بعد هذا العذر
والانذار ، نعم وربك لو لم ينزل القرآن ببلاغته الخارجة عن طوق
البشر على السفهاء من قرشي وغيرهم ، لا كبرنا الحسين ونزهناه
عن تضيق جواهر البلاغة وعرضها على من لا يعرف قدرها من سفهاء
اهل الكوفة ، فذهبت خطبة ادراج الرياح وعاملوه معامل من
جعلوا القرآن عجين ، فجعلوا بعضه شعرا ، والاخر سحرا ، وروا
قسما منه بالكهانة ، وفسما بالاساطير ، وما هو الا وحى بوحي ،

وَمَا شَأْنُ أَهْلِ الْكُوفَةِ* (٤٣) .

هَكَذَا كَانَ جَوَابُ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُرَّةً بِالسَّكُوتِ ، وَمُرَّةً أُخْرَى
بِكَثْرَةِ كَلَامِهِمْ ، وَطَوْدًا بِالِتِّهَامِ ، وَطَوْدًا لِاتِّهَامِهِمْ مَا يَقُولُ ، وَ
قَدْ ذَهَبَ عَلَى الْقَوْمِ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمْ نَصْحًا وَاعْتِدَادًا بِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ،
وَأَخِيرًا اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ التَّزْوِلَ عَلَى حُكْمِ يَزِيدَ وَابْنِ زِيَادٍ ، حِينَ طَلَبَ
مِنْهُمْ أَنْ يُخَيِّرُوهُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ ، أَمَّا أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى ،
أَوْ يَسِيرَ إِلَى ثَغْرِ مَنْ تُغَوَّرِ الْمُسْلِمِينَ يَكُونُ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ،
أَوْ يَأْتِيَ يَزِيدَ فَيَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِهِ^(١) ، وَظَنِّي أَنَّهُمْ لَوَاجِبُونَ إِلَى ذَلِكَ
لَاخْتَارَ الْمَسِيرَ إِلَى ثَغْرِ مَنْ تُغَوَّرِ الْمُسْلِمِينَ ، لِأَنَّهُ تَرَكَ الْفِتْنَةَ قَائِمَةً
فِي الْمَدِينَةِ وَعَلَى رَأْسِهَا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ مُسْتَشَارُ بَنِي أُمَيَّةٍ ،
وَأَمَّا وَضْعُ يَدِهِ فِي يَدِ يَزِيدَ فَسَتَعْرِفُ أَنَّ دُونَهُ مِنْ مِثْلِ الْحَسَنِ ؛
خَرَطَ الْقِتَادَ ، وَلِذَلِكَ صَمَّمَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ بِهِ بَلَّ بِالتَّزْوِيلِ عَلَى حُكْمِ
يَزِيدَ طَلَبًا لِقَتْلِهِ ، مَعَ عَلَيْهِمْ بَأَنَّهُ لَوْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوْ سَادَا إِلَى ثَغْرِ
مَنْ تُغَوَّرِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَنْفُتِقُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَدَّهُ ، لِأَنَّهُمْ
قَدْ جَرَّبُوهُ فَأَلْفَوْهُ صَابِرًا عَلَى الْأَذَى ، مُحْتَمِلًا لِلصَّبْرِ ، وَافِيًا بِالْعَهْدِ
أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَهُوَ الْيَوْمَ صَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ .

هَذَا وَلَا يَتَوَهَّمُ الْمُعْتَرِضُ فِي الْحَسَنِ تَنَاقُضَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
فِي تَنَازُلِهِ هَذَا لِبَنِي أُمَيَّةٍ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ ، فَإِنَّ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ
لَمْ يَزَلْ مُتَمَسِّكًا بِمَبْدِئِهِ الْمَقْدَسِ فِي الدِّفَاعِ عَنْ نَامُوسِ الْأَسْلَامِ ،
بِنَفْسِهِ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ لَا يَلُوي عَلَى غَيْرِهِ وَلَا يُعْرِجُ عَلَى سِوَاهِ ،

(١) وَإِنْ صَحَّ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ افْتَرَاهُ ابْنُ سَعْدٍ كَمَا يُخْبِرُنَا بِهِ عَقْبَةُ بْنُ سَمْعَانَ

لكنه في اكثر هذه الموارد يُبالغ في تسجيل الحجّة على خصومه ، حيث ينقطع دجاؤه من اجاباتهم طلبته ، ولئلا يقول المعارضون وغيرهم هلا تنازل مع مناوئيه بعض التنازل ، ليستدرجهم الى استغلال بعض أمانيه .

وان ضائق المعارض وذعم من أمثال هذه الموارد الأداة
البحرية منه قلنا ان نقول واي غضاضة على نصير الحق وسيدا المجاهد
اذا سائر الوضع الحاضر ، وتميز الى جانب آخر من جوانب الدفاع ،
وشرع خطة غير التي كان عليها ، هي بحسب الظروف الحاضرة أهم
من الأولى ، ومن قرأ سيرة جده ومصالحته مع المشركين ، حتى محا
اسمه الشريف من الرسالة بإصبع نفسه ، ودفع عن مكة متربصا
سنوح فرصة أخرى ، أذعن بان سبطه متم لسيرته ومبتلى بكل ما
ابتلى به من سلف يزيد سنة بسنة ومثلا بمثل ، لكن رسول الله اوتي
سؤله ، فصالح ورجع الى مد يديه المنورة بمجيشه واصحابه ، وسبطه
لم يرجع الى المدينة الا نساؤه الأيامي وأطفاله اليتامى ، وبقي هو
شلا في عرصة كربلاء مكبوبا على وجهه ، واصحابه مجزوين حوله
كالأضاحي تصهرهم الشمس ، وتبول عليهم خيول الأعداء .
صرعى تقلبهم أيدي الجياع وما لهم بغير وشيخ التمر تظليل

* لَمْ يَزَلْ عَلَى حُكْمِ يَزِيدَ *

إِنَّ الْوَرَأَ الَّذِي يَضْرِبُ عَلَيْهِ الْمُعْتَرِضُونَ ، وَالْأُمْرَ الَّذِي يُطْبِلُونَ بِهِ وَ
يُزَمُّونَ مِنْ أَوَّلِ قُدُومِ كِتَابِ يَزِيدَ إِلَى حِينَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ هُوَ عَدَمُ اجَابَةِ
لِبَنِي أُمِّيَّةٍ فِي إِعْطَائِهِمْ سُؤْلَهُمْ ، وَمَنْ قَدْ بَيَّنَّا الْعُدَّةَ فِي امْتِنَانِهِ
مَنْ بَيَّعَهُمْ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، فَقَدْ كَانَ يَظُنُّ فِي أُمَّةٍ جَدِّهِ الْخَيْرَ فَيُعَاوَنُونَهُ
عَلَى نَصْرَةِ الْحَقِّ وَخِذْلَانِ الْبَاطِلِ ، وَقَدْ كَذَّبْنَا ذَلِكَ فِي رَأْيِهِ مَكَاتِبُهُ
أَهْلَ الْكُوفَةِ لَهُ وَابْتَدَأُوا هُمْ أَيَّاهُ أَنْ يُؤَاذِرُوهُ عَلَى قَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ ،
وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَّا الْآنَ وَقَدْ أَخَذُوا بِكُطْرِهِ وَانْقَطَعَ عَنْهُ
الْمَدَدُ ، فَقَدْ غَرَّهَتْهُمْ كَثْرَةُ جُنُودِهِمْ وَقُوَّةُ عُدَّتِهِمْ ، وَلَمْ يَتَمَعَّوْا
لِنِدَاءِ الْحَقِّ « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ » وَ
قَوْلِهِ تَعَالَى « قُلْ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فُتُوكُمْ وَلَوْ كَثُرَتْ » لَذَلِكَ أَعْرَضُوا
عَنْ ذِكْرِ الْبَيْعَةِ ، وَتَرَقَّوْا إِلَى طَلَبِ نَزُولِ الْحُسَيْنِ عَلَى حُكْمِ يَزِيدَ
ابْنِ زِيَادٍ .

وَمَنْ نَقُولُ لَهُمْ لَا مِثْلَ الْهَبْلِ - إِذَا كَانَ الْحُسَيْنُ لَمْ يَصَالِحْ
مَعَاوِيَةَ فَكَيْفَ يَبَايِعُ يَزِيدَ ، وَإِذَا لَمْ يَدْرُ فِي خَلْدِهِ أَنْ يَبَايِعَ يَزِيدَ
فَكَيْفَ يَنْزِلُ عَلَى حُكْمِهِ (١) ، أَلَيْكَرَّةُ جُنُودِكُمْ ، فَإِنَّ جُنُودَ مَعَاوِيَةَ أَكْثَرُ
وَعَزْمُهُ يُغْنِيهِ عَنِ الْعُدَّةِ وَالْعُدَّةِ ، وَاعْتِمَادُهُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ ،
وَمَنْ أَشَدُّ مِنَ اللَّهِ قُوَّةً ، وَمَنْ أَعْظَمُ مِنْهُ مُحَاوَلَةً ، وَمَنْ أَكْثَرُ

منه جنوداً واستمعوا له ينشدكم بلسان حاله ،
 رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كَيْشِي مُحَاوَلَةً وَكَثْرَتُهُمْ جُنُودًا إِذَنْ
 لَا تَفْخَرُوا بِجُنُودٍ لَا عِدَادَ لَهَا إِنَّ الْفَخَارَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمُحْكِنٌ
 وَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعْلَمُ الْمُعْتَرِضُونَ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَعْنَى
 هَذِهِ الْعِبَارَةِ فَيَحْتَمُوا عَلَى الْحُسَيْنِ إِبَابَةَ الْقَوْمِ أُلَيْهَا ،
 نَعَمْ مَعْنَاهَا سَلْبُ اخْتِيَارِ الْحُسَيْنِ بِالْكَلِمَةِ ، وَعَدَمُ مُعَارَضَتِهِ
 لِيَزِيدَ وَابْنِ زِيَادٍ فِي أَمْرِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَهَذَا مَخْنُذُكَرٌ مَا نَعْرِفُهُ مِنْ
 وَجْهِ الْعَدُوِّ ضَمَنْ كَلِمَاتِنَا الْآيَةِ ، وَلَعَلَّ هُنَاكَ وَجْهًا قَدْ دَأَاهَا
 الْحَاضِرُ وَلَمْ يَرَهَا الْغَائِبُ ، (١) لَا يُلْقِي الْحُسَيْنُ بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ
 قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ السَّبَبَ الْوَحِيدَ فِي تَزْوِيلِ الْبَلَاءِ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَعَمَلِهِ
 عَلَى الْعِرَاقِ هُوَ مِيلُهُمْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ، حَتَّى كَتَبَ مُعَاوِيَةُ لِعَمَّالِهِ أَنْ
 اقْتُلُوا عَلَى لُطْنَةِ وَاحِبِ سِوَا عَلَى لَثْمَةٍ ، نَاسِخًا لِقَوْلِهِ أَوَّلًا مَنْ قَامَتْ
 عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيًّا فَاقْتُلُوهُ ، وَهَذَا الَّذِي لَمْ يَسْخُ لَهْ فِي دِينِهِ
 أَنْ يَتَمَتَّعَ جُجْرًا وَصَحَابُهُ بِالْحَيَاةِ ، مَا لَمْ يَتَرَأَوْا مِنْ خَصْمِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ الْمَوْلُودِ عَلَى الْفِطْرَةِ وَالَّذِي لَمْ يَقُمْ بِنَاءُ الْأَسْلَامِ إِلَّا بِسَيْفِهِ
 عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ هُوَ الْمَوْسُومُ عِنْدَ الْقَوْمِ بِرَجُلٍ الْحَلِيمِ وَالذَّهَاءِ .
 فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَتَصَوَّرُ عَاقِلٌ أَنْ يَكُفَّ يَزِيدُ غَضَبَهُ عَنِ الْحُسَيْنِ
 عَلِيِّ خَصْمِهِ وَخَصِمِ أَبِيهِ بَعْدَ مَا جَاهَرَهُ بِالْعَدَاوَةِ وَأَعْلَنَ مَعَهُ الْقِتَالَ
 فَيَعْفُو عَنْهُ وَلَا يَقْتُلَهُ ، وَقَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ بِزَعْمِهِ وَنَادَاهُ

﴿ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى حُكْمٍ يُرِيدُ ﴾ (٤٦)

سلطان جده محمد ، ويزيد أولى به من كل أحد فيما يظن .
 كَلَّا ثُمَّ كَلَّا وان تَبَرَّءُ الْحُسَيْنُ مِنْ أَبِيهِ أَبِي تَرَابٍ سَبْعِينَ مَرَّةً
 وَمَا أُدْرِى مَنْ الَّذِي يَمْضِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَرِضِينَ مَعَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ
 خَفِيرًا لَهُ مِنْ فَتْلِ ابْنِ مَرْجَانَةَ وَابْنِ هَنْدٍ ، أَمْ يُرِيدُونَ الْحُسَيْنَ
 يَمْدُ عُنُقَهُ لِحَصْمَةِ الْأَلَدِ وَهُوَ مَمْتَلِئٌ عَلَيْهِ غَيْظًا وَحَنَقًا ، ثَمْلُ بَسْكَرَاتِهِ
 الَّتِي لَمْ يَعْرِفِ الصَّخْرَ مِنْهَا طَرَفَةً عَيْنٍ ، فَيَقْتُلُهُ انتِقَامًا لَهُ مِنْ بَنِي
 أَحَدٍ مَا كَانَ فَعْلًا ، فَيُسْتَجَلُونَ عَلَيْهِ - لَا مُحَالَةَ - أَنَّهُ الْقَتْلُ بِيَدِهِ
 إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَيُلْزَمُونَهُ أَنَّهُ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ الزَّامًا لَا يَنْفَلِتُ مِنْهُ ،
 وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا الْأَعْتِذَارُ عَنْهُ .

كَلَّا فَقَدْ قَرَأَ سَيِّدُ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ اقْتِرَاحِهِمَا التَّرْوَلَ عَلَى حُكْمِهِمْ
 وَمِنْ نَظَرِهِ فِي سِيرَةِ أُمِّيَةِ الْقَاسِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأَشْيَاءِهِمْ
 أَنَّهُ مَخْتَرِبِينَ أَنَّ يُقْتَلَ فِي خَطَرِ الْحَرْبِ عَزِيمًا ، مُدَافِعًا عَنْ شَرَفِ
 نَفْسِهِ ، ذَائِدًا بِسَلَاحِهِ عَنْ حَوْضِ مَجْدِهِ ، أَوْ يُقْتَلَ فِي مَجْلِسِ أُمِّيَةِ
 ذَلِيلًا عَلَى النَّطْعِ الَّذِي قُتِلَ عَلَيْهِ خِيَارُ أَصْحَابِ أَبِيهِ أَيَّامَ صَلَاحِ مَعَاوِيَةَ
 وَقَدْ رَجَعَ تَرَانًا لِيَزِيدَ ، فَأَيُّ الْقَتْلَتَيْنِ أَوْلَى لَوْ أَنْصَفَ الْحُكْمُ

(٢) حَيْبُ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ

لَمْ يُبَوِّغْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ دِينَهُمْ وَوَجَدَانَهُمُ الْبَقَاءَ تَحْتَ حُكْمِ يَزِيدَ ، وَخَضَعُ
 لِسُلْطَانِ شَهْوَاتِهِ ، لَمَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ ، وَعَدَمِ
 مَبَالَاغِهِ فِي انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُظَلَّةٍ غَسِيلُ الْمَلِكَةِ رُوَيْتُهُ

ما فرجنا على يزيد ، حتى خفنا ان نرعى بالحجارة من السماء ، وخفنا ان رجلا ينكح
الأمهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة
فخرجوا عليه موطنين أنفسهم على ما حل بهم من شدة الانتقام
في واقعة الحرة الغني عن البيان ، لكنهم صبروا على عذاب يزيد
فراذ من عذاب الله ، وعذاب الله شديد .

فإذا خاف اهل المدينة - وهم من سواد الأمة - ان
يرميهم الله بالحجارة ويعجل لهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة
لسكوهم عن يزيد (والساکت عن الحق شيطان أخرس)
حتى وطئوا أنفسهم على القتل ومن سلم من القتل فقد لاقى
أعظم من القتل فكيف يجوز للحسين - وهو سيد الأمة ومطعم
أنظارها - ان يزل على حكم يزيد ، ويدعه ونهته في ارتكاب
المحرمات ، وتلاعبه في الدين حتى تقفومعالمه ، وتندرس
آثاره ، كل ذلك حباً للسلامة الموهومة ، وطعاً بعيشة أيام
قليلة منكدة من هذه الدنيا الفانية .

(٣) * وَلَيْدُ الْعِرَّةِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ *

يقول سيد أباة الضيم في خطبة يوم عاشوراء (الواو) الدعوى ابن
الدعي قد ذكر بين اثنتين بين السلة والذلة ، وهيهاث منا
الذلة ، يا بني الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ومجور طابت
وجود طهرت ، وأنوف حميت ، ونفوس آتية ، من أن نوثر طاعة

اللتام على مصاريع الكرام)

هَلَمْ أَيُّهَا الْمَعْتَرِضُ لَفَهْمِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَسَرِّحِ النَّظَرَ فِي رِيَاضِهَا
عَنِ اللَّهِ أَنْ يُشْرَحَ لَكَ صَدْرًا ، وَإِنْ خِفْتَ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَى سَبْرِ
أَنْوَارِهَا فَإِنَّ الشَّمْسَ تَعْرِفُ بَعِيْنَهَا وَأَثَارِهَا ، وَهِيَ أَنَا مُبَيِّنٌ لَكَ
مِنْهَا مَا يَحْتَمِلُهُ هُنَا الْقَابِرُ ، .

يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ دَعِيَ آلَ أَبِي سُفْيَانَ وَابْنَ دَعِيْمٍ :
عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَقَدْ خَيْرَنِي بَيْنَ الْحَرْبِ وَالزُّوْلِ عَلَى حَكِيمٍ وَحَكِيمٍ
زَيْدٍ ، وَهُوَ غَايَةُ الدِّلَّةِ ، وَمِثْمَها تَأَنَّ أَنْ أَنْزَلَ عَلَى سَكِيمَها لَأَنَّ اللَّهَ
لَا يَرْضَى أَنْ أُلْقَى بِيَدِي إِلَى الْهَلَكَةِ فَأَمَدَّ عُنُقِي لِسَيْفَيْهِمَا ، وَلَوْ نَجَّوْتُ
مِنَ السَّيْفِ كُنْتُ سَاكِتًا عَنِ الْحَقِّ وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِمِثْلِهِ الظَّالِمُ ،
وَلَوْ جَاذَلَنِي فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ غَضُّ النَّظَرِ عَنْ مَنَكَرَاتِ زَيْدٍ وَابْنِ
زِيَادٍ لَمْ يَجْزِلِي لَزُولُ عَلَى عَكِيمَها لَأَنَّ غَايَةَ الْخَضُوعِ وَالذِّلَّةِ فَكَأَنِّي
تَرَكْتُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَمِلْتُ لِعِبَادَتِهِمَا ، وَكَيْفَ أَغْصَى اللَّهُ بِرُكُونِي
لِهَذَيْنِ الظَّالِمَيْنِ وَأُخَالَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَكُلَّ مُؤْمِنٍ يَبْلُغُهُ ذَلِكَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَهَا بَعْدَ اللَّهِ بِنَصِّ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ ،
وَالْعَزِيزُ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ عَزِيزٍ مِثْلِي قَدْ حَازَ تَلِيدَ الْمَجْدِ بِكْرَمِ آبَائِهِ
وَمَجَابَةِ أُمَّهَاتِهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ طَرِيفَهُ بَعْزَةَ النَّفْسِ وَشَمَمِ الْأَنْفِ ،
فَإِنِّي لَمْ أَبَايِعْ مَنْ كَانَ اعْظَمَ بَأْسًا مِنْ زَيْدٍ ، فَمَا لِي أَبَايِعُ زَيْدًا
أَحَبًّا لِلْحَيَاةِ وَفِرَادًا مِنَ الْمَوْتِ ، أَيْرَضُنِي قُلُوبُ الْغِيَاوِيِّ أَنْ أَحِلَّ

لِوَاءِ الْأَزَلِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ عِلْمَ الْعِزِّ وَمَنَارَ الْفَخْرِ وَالْعِلَاءِ ، وَ
بَعْدَ أَنْ لَقِيتُ سَيِّدَ بَابِ الضَّمِيمِ حَيْثُ عَانَقْتُ مَصْرَعًا طَالِمًا حَنَّ لَهُ
الْكَرَامُ وَتَمَنَّاهُ أَعَاظِمُ الْأَفْجَادِ ، أَلَيْسَ أَبِي الْقَاتِلَ رِثْلًا لَفُ ضَرْبَةٍ
بِالسَّيْفِ خَيْرٌ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى فِرَاشٍ ، أَلَيْسَ أَنْصَارِي تَمَنَّوْا الْقَتْلَ دُونَ
مِرَادٍ عَدِيدَةٍ وَأَنَا سَيِّدُهُمْ وَمُرْشِدُهُمْ الَّذِي يَقْتَفُونَ أَثَارِي وَ
يَقْتَبِسُونَ مِنْ أَنْوَارِي .

فَهَلْ كَفَى الْمُعْتَرِضَ مَا جَرَى أَمُّهُ لَا يَرْضَى بِحُكْمِ الْكِتَابِ ، وَ
لَا سُنَّةِ الرَّسُولِ ، وَلَا طَرِيقَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشَرَفِ الْعَاطِفَةِ
فِيحْتَمُّ عَلَى الْحُسَيْنِ الْإِزْوَالَ عَلَى حُكْمِ يَزِيدَ طَلَبًا لِلِسَّلَامَةِ الْمَوْهُومَةِ
هَذَا وَقَدْ عَلِمَ مِنْ تَارِيخِ يَزِيدَ أَنَّ لَنَا ظَهْرَ جَيْشٍ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ
يَرْضَ مِثْرَ ذَلِكَ الْجَيْشِ إِلَّا بِأَنْ يُبَايَعُوهُ لِيَزِيدَ ، عَلَى أَهْضَمِ عَبِيدِهِ
إِنْ شَاءَ بَاعَ وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ ، فَذَكَرَ لَهُ بَعْضُهُمُ الْبَيْعَةَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ
وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَضْرَبَ عُنْقَهُ ، فَلَيْتَ شَعْرِي أَعْلَى هَذَا الْحُكْمِ
يَنْزِلُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَكُونُ مُضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الدُّلِ ،
- وَحَاشَا سَيِّدَ بَابِ الضَّمِيمِ - كَلَّا فَإِنْ سَلَامَتَهُ مِنْ سَيْفِ يَزِيدَ
بِهَذِهِ الدَّلِيلَةِ أَسْوَأُ وَأَنْكَى لِعَاطِفَةِ الْمُخَرِّجِ مِنْ سَلَامَتِهِ ابْنِ مُطِيعِ الْعَدُوِّ
مِنْ سَيْفِ الْمُحْتَارِ ، حَيْثُ تَرَكَ زِيَّ الرِّجَالِ وَهَرَبَ مِنْهُ بَرِيٌّ النَّسَا
وَكَيْفَ يَمْدُ الْحُسَيْنُ يَدَهُ لِيَزِيدَ بِالْبَيْعَةِ وَهُوَ لِحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي أَنْفَتِهِ
عَنِ الضَّمِيمِ وَارْتِكَابِ الذَّنْبِ ، وَلِمَا ذَا يُسَالِمُ يَزِيدَ ، وَهُوَ الْخَيْرُ

فِي قُوَّةِ ارَادَتِهِ وَمِضَاءِ عَزَمَتِهِ ، وَمَا بِهِ يَنْزِلُ عَلَى حُكْمٍ يَرِيدُ ،
وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي كِبَرِ نَفْسِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلَمْ يُلْقِ زِمَامَ
الْأُمَةِ بِيَدِ ابْنِ مَيْسُونٍ ، وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي صَلَابَةِ
دِينِهِ وَمَتَانَةِ إِيْمَانِهِ ، وَكَيْفَ يُلْقِي جِلَّ الْأُمَةِ عَلَى غَارِبِهَا ،
وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ حَفِيدُ مُحَمَّدٍ لِقَاتِلِ رِ وَاللَّهُ لَوْ وَضَعُوا
الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ أَتْرَكَهُ
حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ ، وَلَا أَيْ شَيْءٍ يَهِينُ عَجْزًا أَوْ
يَسْتَكِينُ ذُلًّا وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ تَنَزَّيَّحُ فِي مَسْمَعِ الدَّهْرِ
رَ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى قِتَالِي مَا وَلَّيْتُ عَنْهَا الدُّبُرَ
كَيْفَ يَلُوي عَلَى الدُّنْيَةِ جِدًّا يَتَوَيَّ اللَّهُ مَا لَوَاهُ الْخُصُوفُ
فَأَبَى أَنْ يَعِيشَ إِلَّا عَزِيزًا أَوْ تَجَلَّى لِكِفَاحٍ وَهُوَ رَجِيحٌ

وَإِذْ لَمْ يَرْضَ الْحُسَيْنُ بِخَطَةِ الْخَشَفِ ، وَالْتَزَلَ عَلَى حُكْمِ أُمِّيَّةٍ بَلْ
شَرِبَ بَنِي أُمِّيَّةٍ يَزِيدًا نَبْزُوه - بِالْخَارِجِيَّةِ - وَهُوَ وَاللَّهُ مِنْ
الْأَسْلَامِ فِي صَمِيمِهِ ، وَمِنْ دِينِ الْحَقِّ وَالْهُدَى فِي السَّنَامِ
دُونَ الْغَارِبِ .

وَلَقَدْ خَالَفَ بَنُو أُمِّيَّةٍ وَلَا يَزَالُونَ مُخَالِفِينَ لِحُكْمِ الْكِتَابِ
الْعَزِيزِ إِذْ هُنَّ عَنِ الشَّابِزِ بِالْأَلْقَابِ ، فَتَبَزَّوْا - بِأَسْمِ الْخَارِجِيَّةِ
مَنْ لَقِبَهُ النَّبِيُّ بِسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَيْثُ خَرَجَ بِزَعْمِهِمْ
عَلَى خَلِيفَةِ زَمَانِهِ يَزِيدَ ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي حَاوَلَ بَنُو أُمِّيَّةٍ وَ-

وَاتَّبَاعُهُمْ مِنَ الْمُعْتَرِضِينَ اثْبَاتَهُ فَفَشِلُوا وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُمْ فِي مَخْرَدِهِمْ .

وَلَيْتَهُمْ إِذْ وَسَمَوْهُ بِالْخَارِجِيِّ عَامِلُوهُ مُعَامَلَةَ الْخَوَارِجِ بِالْمُسِيرِ فَقَدْ عَلِمَتْ أَحْكَامُهُمْ فِي الشَّرْعِ مِنْ بَابِ مَدِينَةِ عِلْمِ النَّبِيِّ ، وَالْمُحِبِّينَ مِنْ قَبْلِهِ يَحْضِرُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ بِقَوْلِهِ (أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ) فَقَدْ أَوْعَى جَيْشَهُ قَبْلَ لُتْحَامِ الْقِتَالِ بِصَفَيْنِ قَائِلًا ، (فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُضَيُّوا مُعْوِدًا وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ ، وَسَبَّيْنَ أُمَرَائَكُمْ ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسُ وَالْعُقُولُ ، وَإِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاكُمْ) وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، بِالْفِهْرِ وَالْهَرَاةِ فَيَعِيرُهَا وَعَقِبُهَا مِنْ بَعْدِهَا .

فَمَا بِالْجَيْشِ يَزِيدَ قَدَافَاتٍ مَعَ خَوَارِجِهِ بِتِلْكَ الْأُمُورِ الْفُظْيَةِ الَّتِي تَحْتَرُّ وَجَنَةُ تَارِيخِ الْأَسْلَامِ وَالْعَرَبِ عِنْدَ ذِكْرِهَا خَجَلًا ، وَيَتَصَبَّبُ عِنْدَ سَمَاعِهَا عَرَقًا ، مِنْ مَنَعِ الْمُنَاحَةِ عَلَى الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَهُوَ مُبَاحٌ لِلْكِلَابِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ سَوَاءً اسْتَقْبَلُوا لِهَيْمِ الْحُسَيْنِ أَمْ لَا ، وَالْمُثَلَّةِ بِالْأَجْسَادِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَسُلْبِهَا وَرَضِهَا بِالْحَيْلِ ، وَاجْرَاقِ خِيَامِ النِّسَاءِ عَلَيْهَا ، وَشَتْمِهَا وَخَرْجِهَا وَسُلْبِهَا وَسَبِّهَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

لَمْ يَزَلْ عَلَى حِكْمٍ يَزِيدُ * (٥٣) .

مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُنْكِرُهَا الشَّرْعُ وَالْوِجْدَانُ .
 فَهَلْ كَانَ يَزِيدُ وَعَمَالُهُ أَعْلَمُ بِأَحْكَامِ الْخَوَارِجِ مِنْ أَقْضَى الْأُمَمِ
 بَعْدَ نَبِيِّهَا بِتَقْرِيرِ الْخُلَفَاءِ السَّابِقِينَ ، كَلَاثِمَ كَلَاةٍ ، فَرُودًا
 أَيُّهَا الْمُعْتَرِضُونَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ ، بَلْ هُوَ فَوْقَ
 مَا تَوَهَّمُونَ ، وَقَدْ نَصَعْتُ لَكُمْ الْآيَاتِ ، فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ
 تُنْكِرُونَ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَحْقَاؤُ بَدْرِيَّةٍ ، وَأَضْغَانُ أُحْدِيَّةٍ ،
 اصْحَرِهَا يَزِيدُ عِنْدَ مَا بَدَتْ لَهُ الرُّؤُوسُ عَلَى رُجِيِّ جِيْرُونَ ،
 وَعِنْدَ مَا نَكَثَ ثَنَاءُ يَا أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمُخَصَّرَتِهِ
 فَمَتْنِي حُضُورًا شَيْخِيهِ بَبْدُرٍ ، قَائِلًا .

لَيْتَ أَشْيَاخِي بَبْدُرٍ شَهِيدًا	جَزَعَ الْخُرُوجَ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ
لَا هَلَكُوا وَأَسْتَهْلُوا فَرَحًا	شَمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْمَ مِنْ سَادَاتِهِمْ	وَعَدَلْنَا بِبَدْرٍ فَا عَتَدَلْ

اتَّضَرْجُ بَاشَلَتْ يَمِينُكَ إِنِّيهَا وَجْهٌ لَوْ جَرَّ اللَّهُ طَالَ سُبُودُهَا



والتعليق على اقتراحه *

لَا إِخَالَ أَحَدًا يَشْكُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ عَاشَ حَتَّى مَاتَ ثَابِرًا مِنَ الْبَيْتِ
 طَالِبًا مِنْهُ - بِقَتْلِ ذَرِيَّتِهِ وَمَنْ انْضَوَى إِلَيْهِمْ - بِذُحُولِ^(١)
 رَهْطِ الْمُقْتُولِينَ فِي بَدْرِ وَأَخَوَاتِهَا ، وَأَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ نَصَبَهُ^(٢)
 حِبَالَهُ يَقْتَنُصُ بِهَا بَقَرًا لَشَامٍ ، لِيُقَدِّمَهُمْ ضَمِيَّةَ أَمَالِهِ وَ
 غَايَاتِهِ الَّتِي يَهْدِفُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ هَجَّجَ هُجَّةً - بَلْ زَادَ فِي الطِّينِ
 بَلَّةً - نَغْلَهُ يَزِيدُ ، مُنْذَبُوَاهُ أَبُوهُ عَرْشَ الْخِلَافَةِ ، وَقَدْ
 تَمَكَّنَتْ عَدَاوَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي نَفْسِهِ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، كَانَ
 شَقِيًّا فِي ذَاتِهِ وَطِينَتِهِ ، وَكَانَ مُشَوَّهًا فِي نَظْفَتِهِ الْمُخْتَلِطَةِ
 بِسَمِّ الْعَقَرِبِ ، وَكَانَ شَقِيًّا فِي أَرَثِهِ الْعَدَاوَةِ مِنْ بَنِي أُمِّتِهِ
 لِبَنِي هَاشِمٍ ، وَكَانَ عَقْرَبًا تَزَادُ سَمًّا إِذَا وَصَّى لِيَكُ أَبُو مُعَاوِيَةَ
 بِأَنْ لَا يَبْقَى لِهَذَا الْبَيْتِ شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ
 سِرًّا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبُصْرِهَا ، بَلْ هُوَذَا يُصْرِحُ أَمَامَ الْمُغِيرَةِ
 ابْنِ شُعْبَةَ - وَقَدْ سَمِعَ اسْمَ مُحَمَّدٍ يَهْتَفُ بِهِ الْمُؤَذِّنُ - فَيَنْصَحُ
 عَنْ مَكُونِ غَيْظِهِ ، وَيُعَرِّبُ عَنْ مُجَنَّنَاتِ حِقْدِهِ قَائِلًا ،
 لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ لِأُمِّكَ إِلَّا دَفْنًا دَفْنًا ، إِذَنْ فَلَا تَخْلَنَا مَبَا^(٣)
 إِذَا اعْتَقَدْنَا أَنَّ يَزِيدًا مِمَّا اقْتَرَحَ نَزُولَ الْحُسَيْنِ وَاصْحَابِهِ عَلَى حَكْمِ
 لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِهِ آدَادَ قَضَائِهَا ، وَهِيَ التَّشْفِي وَالْإِنْتِقَامُ ؛

﴿وَالْتَعْلِيْقُ عَلَى الْقُرْآنِ﴾ (٥٥)

لُحْفَاءِ جَدِّهِ أَبِي سُفْيَانَ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ وَ
أَصْحَابِهِ عَلَى الشَّكْلَةِ الَّتِي قَتَلَ عَلَيْهَا أُولَئِكَ الرَّهْطُ الْمَطْلُولَةُ
وَمَاؤُهُمْ ، وَقَدْ كَانُوا الْعَامِلَ الْقَوِيَّ فِي وَقْعَةِ الْأَحْزَابِ ،
وَهُمُ الَّذِينَ فَتَوْا فِي أَعْضَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَكَّنُوا الْخَوْفَ وَالرُّعْبَ
مِنْ قُلُوبِهِمْ ، عِنْدَ مَا تَرَامَتْ إِلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ أَهْلُهُمْ قَدْ نَقَضُوا
مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ مِنَ الْعَهْدِ ، وَنَشِطَ بِهِمُ الْمُنَافِقُونَ
الْمُخْتَلِطُونَ بِالْمُسْلِمِينَ وَمَا أَكْثَرَهُمْ ، فَأَخَذُوا يَجْهَرُونَ بِأَصْوَاهُمْ
قَائِلِينَ (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) هُمْ يَرْجِفُونَ
بِالْمُسْلِمِينَ مَا قَدَرُوا ، وَيُثَبِّطُونَ الْمَجَاهِدِينَ مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى
ذَلِكَ سَبِيلًا ، هُنَا لِكَذَاغَتِ الْأَبْصَارَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْمَحَنَاجِرَ ، وَأُسْتَوَى الْخَوْفُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَمَكَّنَ الْفَزَعُ وَالْهَلَعُ
مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَاسْتَمِعْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي تَلْخِيصِ الْقِصَةِ (إِذْ
جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذَا غَتَّتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْمَحَنَاجِرَ ، وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ، هُنَا لِكَذَاغَتِ
الْبُطْنُ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلَالًا شَدِيدًا ، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ،
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُمْ عَلَى أَمِيرٍ الْمُؤْمِنِينَ وَحَمْرَةُ عَمِّ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، (مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تَبْدِيلًا ، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ
إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ تَعَفُّوًا رَحِيمًا ، وَرَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا

نَعَمْ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ إِنْ صَرَعَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ
بَطْلًا لَشَرِكِ الْأَخْرَابِ بِسَيْفِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَطْلٍ الْأَسْلَامِ ،
وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُمْ فِي مَخْرَدِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَعِنْدَهَا دَارَتِ
الدَّائِرَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَجَنَاحَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْغَدَّةُ مِنَ
الْيَهُودِ وَكَانَتْ عَلَيْهِمُ الدَّبْرَةُ ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ ،
وَأَدَّى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ ، أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَارْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَمَرُّوْهَا ، فَارْتَحَلُوا عَلَى خَوْفٍ وَرُعَبٍ ، وَلَمْ يَبْصَحْ
مِنْهُمْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ نَافِخُ ضَرْمَةٍ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَتَوَارَوْا
فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ وَخَفَّتْ أَصْوَاهُهُمْ الَّتِي كَانُوا يَجْهَرُونَ
بِهَا فِي الْأَرْجَافِ وَسَفَى عَلَى جُوهِهِمُ الرَّمَادُ ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ
وَمُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَمَّا الْيَهُودُ فَلَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ
أَنْ يَضَعَ السِّلَاحَ حَتَّى يُجَازِيَ بَنِي قُرَيْظَةَ مَغَبَّةً فَعَلِمَ بِمَا أَخْلَفُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا وَعَدُوهُمَا مِنْ عَدَمِ مُظَاهَرَتِهِمْ لِأَحَدٍ مِنْ أَعْدَاءِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَسَادَ النَّبِيُّ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَرَايَةَ الْأَسْلَامِ تَخَفُّقٌ عَلَى
رَأْسِ قَاتِلِ بَطْلِ الْأَخْرَابِ ، فَذُعِرَ لِذَلِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، وَعَلَا

والتعليق على اقتراحه * (٥٢) *

الهِتَاتُ بَيْنَهُمْ (جاءكم قاتل عمرو ، جاءكم قاتل عمرو)
وَعَضُّوا أَنَامِلَهُمْ نَدَامَةً وَأَسْفًا ، وَلَاتَ سَاعَةٌ مِّنْهُمْ ، وَ
بَعْدَ حِصَادٍ طَوِيلٍ وَتَكَرَّرَ اخْذُ وَرْدٍ تَزَلُّوا عَلَى حَكْمِ الْمَسَدِ وَالرَّشِيدِ
سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَرَيْسِ الْأَوْسِ ، وَظَنُّوا أَنَّ أَصْرَ الْحِلْفِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْأَوْسِ سَتُجَدِّي بِهِمْ نَفْعًا ، فَخَيَّبَ اللَّهُ ظَنُوهُمْ وَأَمَالَهُمْ وَحَكَّمَ
عَلَيْهِمْ سَعْدٌ بِقَتْلِ الرِّجَالِ - مَا لَمْ يُسَلِّمُوا - وَهَضَبِ الْأَمْوَالِ ،
وَاسْتِرْقَاقِ النِّسَاءِ وَالذَّرَارِي ، وَدَفْعِ الْمَسَاكِينِ لِمَنْ لَا دَوْلَهُمْ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ
فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ) وَهَكَذَا فَعَلَ بِهِمْ فَأَخَذُوا يُسَاقُونَ إِلَى
حَفَازِ الْقَتْلِ وَدَفَاتٍ وَوُحْدَانًا لِيَعْمَلَ فِيهِمْ سَيْفُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
فَكَانَتْ أَعْظَمَ مَجْزُوعَةٍ بِسَيْفِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، وَقُطِعَ دَابِرُ الْكَافِرِينَ
بِسَيْفِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَمَا لَمْ كُتِبْ فِي الْعَدَاوَةِ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَخْذُلُ اللَّهُ يُخْذَلْ
فَوُفِّيَ سَعْدٌ فِي حُكْمِهِ ، وَتَطَوَّلَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ عَلَى الْجَامِعَةِ الْبَشَرِيَّةِ
فِي إِذَاحَةِ حَجَرِ الْعَثَرَةِ عَنْ طَرِيقِ سَيْرِهَا إِلَى خَيْرِهَا وَصَلَاتِهَا ،
وَقَلْعِ الْجَرَائِمِ الْفَتَاكِزِ فِي جَسَدِهَا .
وَسَوْءٌ لِّعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ سُلُولُ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ إِذَا
حَالَ بَيْنَ الرَّسُولِ الْأَقْدَسِ وَبَيْنَ تَنْفِيزِ أَدَاتِهِ الْقُدْسِيَّةِ فِي
سَلَفِهِمْ مِنْ بَنِي النَّظِيرِ ، فَقَدْ أَرَادَ تَطْهِيرَ الْأَرْضِ مِنْهُمْ بِقَطْعِ شَأْنِهِمْ

لَمَّا نَقَضُوا الْعَهْدَ كَهَوْلًا ، وَادَادُوا قَتْلَهُ ، وَهُوَ فِي دَارِهِمْ ،
فَلَمْ يَرْعُوا تَرْبِيَهُمْ جَوَادًا وَلَمْ يَرَوْا الْأَنْفُسَ حُرْمَةً ، وَلَكِنْ رَأَسَ
الْإِنْفَاقَ - وَكَانَ فِي ظَهْرِهَ الْخُرُوجُ بِلِ الْأَنْصَارِ كُلِّهَا -
الْتِمَاجَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا حَمَلَهُ
الظَّهْرُ عَدَا الْحَلَقَةَ ، فَجَلُّوا إِلَى نَوَاحِي الشَّامِ .

وَمَنْ يَدْرِي أَنَّ ذَوَارِيَهُمْ هُمُ الَّذِينَ اسْتَفْجَلُوا مَرْهُمَ
الْآنَ ، فَصَادُوا بِطَرِيقَةِ بَعْدَانَ كَانُوا سِنْدَانًا ، حَتَّى قَابَلُوا
الْمُسْلِمِينَ بِمَا مُنَوَّبَهُ فِي فَلَسْطِينَ وَمَا وَالَاهَا ، وَكَبَدُوا الْعَرَبَ
وَالْمُسْلِمِينَ مَا كَبَدُوهُمْ مِنَ الْمَعَارِكِ الدَّامِيَةِ وَالْفَتْكِ الَّذِي
وَأَسْرَ الْعِيَالِ وَشَقَّ بُطُونِ الْحُبَالَى وَالْأَطْفَالِ الْإِبْرِيَاءِ ، فَإِنَّ
حَامِلَ الرِّسَالَةِ السَّمَاوِيَّةِ الْخَالِدَةِ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ فِي الْأَصْلَابِ
مِنْ أُمَّتِهِ فِي مُسْتَقْبَلِهَا السَّعِيدِ كَنَظَرِهِ إِلَى حَاضِرِهَا النَّبِيلِ
الْمَجِيدِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهَا كَابُوسَ الشَّقَاءِ وَيُرِيحَهُمْ مِنْ
شِدَّةِ الْعَنَاءِ الَّذِي لَاقَتْهُ الْأُمَّةُ مِنْ ذَوَارِي تِلْكَ الشَّرْذِمَةِ
الْوَبِيئَةِ ، وَخَبَائِثِ الْأَيَّامِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدِ شَرِّ خَلْقِ اللَّهِ ،
فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ وَاجِعُونَ .

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّا لَا نَرَى نَعْتِيقُ مِنْ اقْتِرَاجِ يَزِيدَ أَنْ يَنْزِلَ
الْحَسِينُ عَلَى حَكِيمِهِ ، مَعَ هَذِهِ الطَّوَارِئِ وَالْأَحْوَالِ أَنَّ يَزِيدَ
ظَنَّ أَنَّ الْفُرْصَةَ سَخَتْ لَهُ فِي اخْتِذَاثِ حُلَفَاءِ جَدِّهِ أَبِي سُفْيَانَ

١، مثل يضرب للذليل يكون عزيزاً (٢)، ما يترأى للتناثم كأنه يخنقه ودخيله (الجيتو)

فَاخْذِ يَضْرِبُ اَخْنَسًا لاسِدَّاسٍ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ لَا يَضِيعُ
 حَقٌّ وَدَاءَهُ طَالِبٌ ، وَتَوَقَّعُوا أَنَّ الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ سَيَنْزِلُونَ
 عَلَى حَكِيمِهِ ، وَيُاقُونَ إِلَى خَفَائِرِ الْقَتْلِ ذَرَفَاتٍ^(١) وَوُحْدَانًا^(٢)
 صَدْمَةٌ بِصَدْمَةٍ وَقِتْلَةٌ بِقِتْلَةٍ (وَأَتَى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ
 مَكَانٍ بَعِيدٍ) وَأَتَى نِزْلُ إِمَامِ الْأَبَاةِ عَلَى حَكِيمِهِ وَحَكِيمِ عَامِلِهِ
 ابْنِ مَرْجَانَةَ لِيُثَارِمِنَهُ ، لِأَنَّهُمَا زَنْدَانِ فِي وَعَاءٍ ، وَهَذَا
 صَوْتُهُ يُذَوِّي فِي مَسَامِعِ الدَّهْرِ (وَاللَّهُ لَا أُعْطِيَ الدُّنْيَةَ مِنْ بَعْضِهِ
 وَأَتَى لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً ، وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا
 وَيَكْفِينَا شَهَادَةُ عَدُوِّهِ ابْنِ سَعْدٍ يَقُولُ (وَاللَّهُ لَا يَسْتَلِمُ حُسَيْنٌ
 فَإِنَّ نَفْسَ أَبِيهِ بَيْنَ جَنْبَيْهِ) .

وَمَنَاقِبُ شَهِيدِ الْعَدُوِّ بِفَضْلِهَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَ بِهِ الْأَعْدَاءُ
 إِيَّاهُ وَاللَّهُ لَا يَسْتَلِمُ حُسَيْنٌ لِإِرَادَةِ يَزِيدَ ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ سَيِّئًا عَلَيْهِ
 بِالْحَيَاةِ ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ طَلِيقَ عَفْوِهِ ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَيْهِ يَقُولُ
 (لَا أَرَى الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا) ، وَلَئِنْ بِذَلِكَ
 يَسْتَرْجِعُ مَكْرُمَةً جَدِّهِ مِنْقِذًا لِبَشَرٍ ، حَيْثُ عَفَا عَنْ
 سَلَفِ يَزِيدَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ عَفْوًا عَامًّا فَقَالَ (إِذْ هَبُوا فَأَنْتُمْ
 الْطُّلُقَاءُ) فَذَهَبَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْهُ مِمَّا مَذْهَبَ الْمَثَلِ
 وَصَارَتْ عَلَمًا عَلَيْهِمْ وَوَسَامَ ذَلٍّ وَعَارٍ لَهُمْ
 وَلَا عَقَابَ بِهِمْ وَكَانَ مِنْ أَشْهُرِهِمْ أَبُو سَفْيَانَ وَعَقِبُهُ

(١) ذَرَفَاتُ : جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ نَحْوُ الْعَشْرَةِ وَالْعِشْرِينَ (٢) وَوُحْدَانًا : أَحَادًا

فكيف وهو يعتقد ، وكل ذي لب يعتقد أنه يريد قتله
 إذا نزل على حكمه ، ليشأربقتله لحلفاء جدّه ولأشياخه
 المقتولين في بدر الدين هتف بهم في حليسته العامة
 لعبد الظفر ، وليكيل الجزاء للنبي صاعاً بصاع ، بقتل
 الحسين وأهل بيته من ذرية رسول الله وأصحابه انصار الله
 وانصار رسوله وانصار الأسلام ، ولكن عدوّ الله ،
 (اجتهد ففشل ، وشاور فخذل) والله ذو عقيلة بني هاشم
 وخفيرة آل عليّ زينب الكبرى سلام الله عليها ، اذ صبت
 عليه سياط زواجرها ، وردت كيداً في بخره وأعاد
 تاريخ أمها في خطبتها السالفة ، حيث افتتحت خطبتها
 الكريمة بقوله تعالى (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاؤُوا
 السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)
 ثم قالت (أَمِنْ الْعَدْلِ يَا ابْنَ (الطفاء)) مخدرك
 إمائك وحرثك ، وسوقك بنا في رسول الله
 سباً يا على أقتاب المطايا ، ليس معهنّ من حاقصين
 همي ولا من رجالهنّ وليّ) الخ

الحسين بن علي

(٦١)

لِما ذَا أَوْنٍ لِّأَنْصَارِهِ بِالْأَنْصَارِ عَنْهُ

القرآن الكريم - وهو كتاب الله الصامت - لا يُحِيطُ
عقولنا هذه المحدودة بكنه معرفته ، بل تأخذ منه بمقدار
قابلياتها واستعدادها (الله الذي أنزل من السماء ماءً
فسالت اودية بقدرها) فالحسين - وهو كتاب الله
الناطق - اولى بهذه المرتبة ، واجد ان ترجع العقول
امام عظمته حسيرة عن كنه معرفته ، متضائلة اذلاء شأ
الرفيع ومقامه الذي يقول فيه جد الاعظم صلى الله عليه
(حسين مني وانا من حسين) وجد هو الذي يقول فيه
المخلوق العليم - ولا يعرف حقائق الاشياء الا خالقها ،
(فكان قاب قوسين او أدنى) وله ايضا منزلة ابيه المرتضى
الذي يقول فيه جد المصطفى (يا علي ما عرفك الا الله و
انا) فان فتح الله لافهامنا سبيلا من اسرار فضته فذلك
فضل الله يوتيهِ من يشاء ، والا تَحْزِنَا الى هذا الوجه فانه
خير ملجأ ، واغتصمنا بالتسليم لله ورسوله وخليفته لانه خير
مُعْتَصِم ، امثالاً لامرئيتنا ومرشدنا الاعظم اذ يقول :
لجابر بن عبد الله : (يا جابر اقل لك في امر الحسن قبل الحسين
لا تكون مؤمناً حتى تكون لولايتك مسلماً ، ولا تكون معتزلاً

وَلَعَلَّكَ تَعَدُّ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مُبَالَغَةً الْحُسَيْنِ طَوْرًا فِي دُعَا
النَّاسِ لِنُصْرَتِهِ عُمُومًا كَأَهْلِ بَصْرَةَ وَخُصُوصًا كَأَبْنِ الْحَرْثِ الْجُعْفِيِّ
وَعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، وَتَحْلِيلَ نَصَارِهِ - طَوْرًا أُخَرَ - مِنْ بَيْعَتِهِ
وَإِذْنَهُ لَهُمْ بِالْأَنْصَارِ عَنْهُ لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ وَقَدْ ضَاقَتْ
حَلَقَتَا الْبَطَانِ وَبَلَغَ الْحِزَامُ الطَّبِيعَيْنِ^(١) ، وَكَيْفَ جَاذَلَهُ أَنْ
يُجِلَّهُمْ مِنْ بَيْعَتِهِ ، وَيُسَوِّغَ لَهُمُ الْفِرَارَ عَنِ الْيَهَادِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ
رَ مَنْ سَمِعَ وَأَعَيْتَنَا وَلَمْ يُجِئْنَا أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِيهِ فِي النَّارِ
وَلَكِنَّا نَقُولُ أَمَّا حَدِيثُ الْوَاعِيَةِ فَلَا مَسْرَحَ لَهُ هُنَا
لَأَنَّهُمَا ذَرَقَرُهَا عِنْدَ مَا ذَرَقَرْنَ الشَّمْسُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَقُلْتُ
الْتِهَامُ لِمُضَارِبِ الْحُسَيْنِ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ ابْنِ سَعْدٍ كَأَنَّهُمَا
شَآبِيبُ الْمَطَرِ ، وَأَمَّا دُعَاؤُهُ النَّاسَ لِنُصْرَتِهِ فَقَدْ دَعَا لَهَا
رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ هُبُوطِ حَفِيفِهِ هَذَا مِنْ عَالِمِ الْأَنْوَارِ إِلَى عَالِمِ الْحَسَنِ
وَالْمَادَّةِ ، وَذُوْنِكَ بَيْعَةُ الْعَقْبَةِ وَالْغَدِيرِ وَغَيْرِهَا ، وَالْقِرَاءُ
فَوْقَ الْكَلِّ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ رَقْلًا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا
الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) .

وَأَمَّا خُطْبَتُهُ فِي أَنْصَارِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا : « أَلَا وَاتِّ
أَطْنُ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا وَاتِّ قَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ ، فَاَنْطَلِقُوا
جَمِيعًا فِي جِلِّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ ، وَهَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ
فَاَنْتَحِذُوا بِجَمَلًا ، وَلِيَا خُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي »

فجزاكم الله جميعاً خيراً ، وتفرقوا في سوادكم ومدانكم ، فإن
إنما يطلبوني ، ولو أصابوني لذهلوا عن غيري ، فإن الذي يحتلها
هذه القاصرات أربعة وجوه .

الأول ، الأمتان واختبار مقدار نيآت أصحابه ليكون
واثقاً من وجود العدة التي يجب على الإمام النهوض بها في وجوه
تيار الظلم والجور وهي أربعون رجلاً فمنازاد ، كما يرشدنا إلى
ذلك خبر تطواف أمير المؤمنين على منازل المهاجرين والأنصار
ليلاً ، ومعه الزهراء ، فإذا وجد العدة أمرهم بأن يغدوا
عليه مخلصين رؤوسهم ، وأيديهم على مقابض سيوفهم
ثم لا يفيل له - بأبي ونفسي - إلا أربعة من أولئك الأربعين
وقل من أولئك السبعين الف رجل " وكل زمان بالكرام
بخيل ، فصبر - روي فداه - (روي العين قذني وفي الخلق
شجاء ، خوفاً على دوحه الأسلام النيرة الغضة انك تذبيل سيمو
الحروب والفتن وتقتلهم أعاصير الاختلاف والفرقة ،
عملاً بعهد رسول الله إليه ، ورسول الله أعلم بما عهد ،
والآفانة يعرف أخاه أبا الحسن يغنيه حرمة عن الأنصار
وبأسه عن الأعوان ، ولو تظاهرت العرب والعجم على
قتاله - وكم تظاهرت - فلم يول عنها الدبر .

وقد جرى على نسقه سليله الحسن المجتبي ، كما في حديث
شكايتِه عند جده المصطفى في الرجعة من أنه لو وجد أربعين
رجلاً لما صالح معاوية وسلم له الأمر ، ولكنه لما لم يجدهم
بل اطلع على كتب رؤساء الكوفة لمعاوية في وعدهم أياها أن
يسلموا له الحسن وإخوته صالحه على مضيض وعلى شروط
كثيرة فيها صلاح حاضر الأمانة ومستقبلها ، وضنا بإخوته و
حائثه على القتل وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله والراسخون
في العلم ر سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تمجد
لسنة الله تبديلاً .

والتكاليف الأمتحانية للأختبار وجد كثيرة في الشريعة
الاسلامية (ليلوكم أيكم احسن عملاً) ويشهد لما أقول
جوابه ، لشقيقته العقيلة زينب الكبرى حيث قالت له :
(هل استعلت من اصحابك نياتهم فإني اخشى ان يسلموك
عند الوثبة) فيجيبها - رباطاً على قلبها - (والله لقد بلبوهم فما
وجدت فيهم إلا الاشوش لا قعس ، يستأينون بالمنية دوني
استيناس الطفل الى محالب امه) .

ولعل المعترض يزعم من باب الافتراض أن هذا الوجه لا
يقاوم محذوراتها زهم الفرصة ، وتعلقهم بالمعاذير ، وهتغل
رخصته فيفرقوا عنه كما امرهم ،

فَنَقُولُ فِي جَوَابِهِ حَاشَا وَلَتَكِ الصَّفْوَةُ الْكَرَامُ إِنْ يَعْلَقَ
بِهِمْ هَذَا الْوَهْمُ ، وَتَمُرُّ بِخِيَالِ سَيِّدِهِمْ فِيهِمْ هَذَا
الْأَحْتِمَالُ ، لِأَنَّهُ اعْرِفُ بِنَفْسِيَّاتِهِمْ مِنْهُمْ ، وَلَقَدْ عَبَّرُوا
عَنْ تَفَانِيهِمْ فِي سَبِيلِ نَصْرَتِهِ بِأَوْسَعِ مَا تَحْتَمِلُهُ الْأَلْفَاظُ ،
وَإِنْ صَاقَتْ عَنْ مَكُونِ خَوَاطِرِهِمْ ، وَيَكْفِيكَ شَاهِدًا
أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ يَقُولُ : (وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّي أُقْتَلُ شَمَّ
أَحْيَا شَمَّ أَحْرَقُ شَمَّ أَحْيَا شَمَّ أَذْرِي يُفْعَلُ بِي ذَلِكَ سَبْعِينَ مَرَّةً
لَمَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى حِمَامِي دُونَكَ) وَجَاءَ زَهِيرٌ بَعْدَهُ فَانْتَهَى
إِلَى الْأَلْفِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ السَّبْعِينَ وَالْأَلْفَ هُمَا الْغَايَةُ فِي الْمُبَاقَاةِ
فِي عَرَفِ الْعَرَبِ .

عَلَى أَنَا لَوْ فَرَضْنَا مِنْ بَابِ الْمَحَالِ - وَفَرَضَ الْمَحَالُ لَيْسَ بِمَحَالٍ -
أَنَّهُ مَرَّ بِهَا جِسْرُ الْحُسَيْنِ مَا ذَكَرَهُ الْمُعْتَرِضُ فِي انْصَارِهِ - وَحَاشَاهُمْ -
لَوْ جَبَّ عَلَيْهِ إِنْ يَخْطُبُ فِيهِمْ خُطْبَتَهُ وَيَجْعَلُهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِهِ ،
كَأَخْطَبٍ فِي الطَّرِيقِ بِأَوْشَابِ النَّاسِ وَذَوِي الْأَطْمَاعِ وَبَيِّنَ لَهُمْ
صَرَاحَ الْأَمْرِ ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَ
مِيزَانُ اللَّهِ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ ، إِذْ لَوْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الصَّفْوَةُ وَلِقِيَتِ
الْبَاقِيَةَ حَذَّ وَأَوَّلَكَ كَانَ الْأَوَّلَى بِهَا أَنْ تَخْلَى مِنْهُمْ كَمَا فَارَقَ
سَلَفَهُمْ ، شَمَّ كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ وَجْهَةِ أَمْرِهِ مَعَ الْقَوْمِ ،
وَإِذَا اسْتَغْلَوْا رُخَصَتْهُ وَتَعَلَّقُوا بِالْإِعْذَارِ كَمَا فَرَضَهُ فِيهِمُ الْمُعْتَرِضُ

فَهُمْ مِنَ السَّيْفِ الْمَجْزُوعِ ، وَفِرَارُهُمْ غَدًا مِنْ لِقَاءِ
هَاتِيكَ الْأَهْوَالِ أَوَّلِيَّ وَاجِدَرٍ ، فَلَا يُغَامِرُ فِيهِمْ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ
وَيُقَابِلُ فِيهِمْ جُمُوعُ الْأَعْدَاءِ ، وَلَكِنْ فَرَضَ الْمَحَالِ لَيْسَ بِمَحَالٍ وَلَا
يُنْجِ إِلَّا الْمَحَالُ ،

الثَّانِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ شَخَذَ عَزَائِمَهُمْ بِمُخْطَبَتِهِ ،
وَصَقَلَ هِمَمَهُمْ بِهَذِهِ الرُّخْصَةِ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ (دَعِ
عَنْكَ لَوْ مَيَّ فَإِنَّ اللَّوْمَ أَخْرَاءُ) الْمُرْتَأَنَّهُمْ قَدْ شَاعَ السُّرُورُ
فِي نَفْسِهِمْ بَعْدَهَا ، وَبَدَأَ الْفَرْحُ عَلَى سَائِرِ وُجُوهِهِمْ ،
وَخَرَجُوا مِنْ طُورِهِمُ الْمَعْهُودِ فِيهِمْ مِنَ الرِّزَانَةِ وَالْوَقَارِ إِلَى حَيْثُ
أَخَذَ يَضَاحُكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَهَازِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَخَفَّتْ
بِهِمُ الْمَشَقُّ إِلَى مُصَافَحَةِ السُّيُوفِ وَمُعَانَقَةِ الْمُخُتَوِّفِ دُونَ مُهْمَةِ
الْمُرْتَضَى وَوَدِيعَةِ الْمُصْطَفَى ، حَتَّى طَالَتْ عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ عَاشُورَاءَ
فَمَا أَجَدَّوْهُمْ بِقَوْلِ مَا دَجَّهِمْ وَدَائِهِمْ :

إِنْ دُعُوا خَفُّوا إِلَى دَائِعِي الْوَعْنِ وَإِذَا النَّادِي حَتَبَى كَأَنُوثًا
الثَّالِثُ ، أَنَّهُ إِذَا رَأَى تَفَاعَ مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ ، لَأَنَّ دَرَجَاتِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ مُتَفَاوِتَةٌ جِدًّا كَمَا يَقُولُ تَعَالَى وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ
دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ، فَلَعَلَّهُ عَلِمَ - وَاللَّهِ وَرَسُولُهُ وَوَلِيُّهُ
أَعْلَمُ - أَنَّ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ بَعْدَ رُخْصَتِهِ لَهُمْ وَأَمْتِنَاعِهِمْ
عَنْ فِرَاقِهِ تَعَلُّقًا بِالْمَعَاذِيرِ تَرْتَفِعُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَنَّهُمْ سَيَبْلُغُونَ

لَمَّا دَايَا دِينَ الْأَنْصَابَ بِالْأَنْصَارِ عَنْهُ * (٦٢) هـ

مَعَهُ إِلَى دَرَجَةٍ (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) وَلَقَدْ قَسْنَا مَا
هُنَاكَ عَلَى مَا هُنَا (وَقَسْنَا الْأَخِيرَ عَلَى الْأَوَّلِ) فَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ
اسْتَحَقُّوا بَعْدَ نَظَرِهِمْ بِنُفُوسِهِمْ عَلَى الْقَتْلِ دُونَ حَبِيبِ اللَّهِ
وَابْنِ حَبِيبِهِ أَنْ يُكْشَفَ عَنْ بَصَائِرِهِمْ فَيَرَوْا مَا زِلْهُمْ فِي الْجَنَّةِ
بِأَبْصَارِهِمْ ، وَهُمْ فِي قَبْدِ الْحَيَاةِ ، فَبِالْبَيْتِ كُنْتُ مَعَهُمْ
فَا فُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ،

(الرَّابِعُ) لَعَلَّ بَيْنَ أَبِي السَّبْطَيْنِ وَلَدَيْهِ الرَّجَائِئِينَ فُرْقًا
فِي تَكْلِيفِهِمُ الْخَاصِّ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَالَّذِي قَدْ تَنَكَّيْتُ لَنَا بَعْضُ
وُجُوهِهِ مِنْ أَثَارِهِ ، وَهُوَ حِفْظُ الْمُرْتَضَى لِبَيْضَةِ الْإِسْلَامِ وَ
تَرْبِيَةِ لِدَوْحَةِ الدِّينِ بِصَبْرِهِ وَتَرْكِ حَقِّهِ مَا لَمْ تَكِلْهُ الْعِدَّةُ ، وَزَا
عَلَيْهِ سَلْبُهُ الْمُجْتَبَى بَضِيئِهِ بِإِخْوَانِهِ وَحَامِيَهُ عَلَى الْقَتْلِ مَا لَمْ يَسْتَكِلْهَا
عِلْمًا مِنْهُ بَأَنَّهُ إِذَا هَضَمَ قَبْلَ اسْتِكْلَالِهَا اسْتَأْصَلَ مُعَاوِيَةَ وَاهْلُ الْغَدْرِ
مِنَ الْكُوفَةِ شَافَتُهُمْ وَانْقَطَعَ نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُنَاكَ الْمُصِيبَةُ
وَالْبَلَاءُ ، وَأَمَّا شَهِيدُ الْأَبَاءِ وَالْعِظَةُ فَإِنَّهُ ضَنَّ أَبْصَابَ إِخْوَانِهِ
وَحَامِيَتِهِ وَصَفْوَةَ أَنْصَارِهِ عَلَى الْقَتْلِ ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ صِدْقَ
نِيَّاتِهِمْ وَعَزَمَ أَنْ يَقِفَ فِي وَجْهِ تَبَارِ الْأَهْوَالِ بِنَفْسِهِ ، وَحُطِّمَ
كِيَانُ دَوْلَةِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ بِهَيْمَتِهِ الَّتِي لَا يَتَّبِعُهَا الْقَضَاءُ وَلَا يَصْرِفُهَا
الْقَدَرُ ، فَقَتَلَهُ وَحْدَهُ أَهْوُونُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَتْلِهِمْ مَعَهُ مَا لَمْ
يَمْتَنِعُوا عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَمْتِنَاعِ فَلَا يَضِيقُ عَلَيْهِمْ بِالْفُوزِ مَعَهُ

بدوجته المغشاة بالنور ،

بربك أيها المعترض هلم لشبح معي في فضاء الفكر الواسع
فإن شئت فصوب النظر إلى الخفيض الأسفل ، وقل إن الحسين
أراد أن يفرق أصحابه وحامته في المدن والسواد حتى إذا
أصبح الله الصباح وراه بنو أمية قد فرق عسكره ولم يبق
لقتالهم أدركتهم الرأفة به ورضوا منه بدون النزول
على حكمهم ، بل أذنوا له أن ينصرف بنسائه وأطفاله إلى
أي ثغر من ثغور المسلمين فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم
وإن شئت - وكان الأولى أن تشاء ذلك - فصعد النظر
إلى الذروة العالية ، لنرى لحسين كيف يخلق وحده في
جوار الأبناء والعظمة ، فيريد أن يتجرد من الأعوان مع وجود
الأعوان ، ويتخلّى من الأنصاف مع وجود الأنصار ، ليكون
إمام الأباة غير مدافع ، وواحد أبطال العظمة بلا استثناء
وإن ذكرت له امتياداً بينه وبين أبيه تبعاً لغيري
فقلت ،

لم يتفق لشجاع مثل موقفه بها هنا فانظر التاريخ للقد

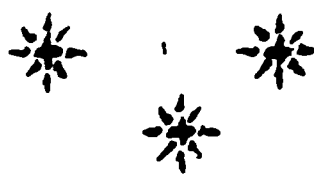
لا في حسين من جندي مجن فكان بينهما أوسى من العلم

لكن هذا الفارق أعظم ، بل هو في نظري أعظم وسام
للعزاد حره الله لحبيب رسول الله ، وأشرف خاصته

* لَمَّا ذَا اَزَنَ لَانْصَاةٍ لَا تُصْرَاعُنْهُ * (٦٩) .

قَرَنَ اللّٰهُ بِهَا فِي دُنْيَا الْعِظَمَةِ وَالْاُبَاءِ اَسْمَ الْحَسَنِ .
وَدَعَى مَا كَانَ بَيْنَ الْحَسَنِ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، فَلَيْسَ لَنَا اَنْ
نَتَدَاخَلَ بَيْنَ الْعَاشِقِ وَمَعْشُوقِهِ ، حَيْثُ اَرَادَ اَنْ يَمَثُلَ بَيْنَ
يَدَيْهِ مُتَجَرِّدًا عَنْ جَمِيعِ عِلَاقِ الدُّنْيَا ، حَتَّى لَتَكَادُ نَفْسُهُ
تَفَارِقَ مَرْكَزَ بَدَنِهَا شَوْقًا لِلِقَائِهِ ، مُتَرْفِعًا بِحُبِّهِ الْحَقِيقِيِّ لِصَادِقِ
عَنْ دَرَجَةِ قَوْلِ الْقَائِلِ :

تَرَكْتُ الْخَلْقَ طَرَأَ فِي هَوَاكَ وَابْتَمَتُ الْعِيَالُ لِكَيْ اَرَاكَ
وَمَنْ يُدْرِينَا لَعَلَّهُ لَذَلِكَ اسْتَحْيَا اَنْ يُخَاطَبَهُ مَوْلَاهُ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ
حُلَّةَ نَدَانِهِ « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطَيَّنَّةُ » ، اَرْجِعِي اِلَى رَبِّكِ وَضِيئَتِهِ
مَرْضِيَّةً فَاَدْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » وَلَكِنْ
مَا اَدْرِي يَا اَبَا عَبْدِ اللّٰهِ دَخَلْتَ جَنَّةَ رَبِّكَ وَهِيَ بِأَيْتَةٍ
حَالَةٍ ، هَلْ كَانَتْ فَرَحَةً بِمَقْدَمِكَ الْمَقْدَمِ مَرَجَرَةً بِمَصْرَعِكَ
هَلْ زُودْتَ جَنَّةَ عَدُوِّهِ فِي جَزَعٍ عَلَيْكَ اَمْ بِكَ طَرَفُ الْخُلْدِ مَكْمُولٍ
اَمْ هَزَّ عِطْفَكَ بِشَرِّهِ لِنَعِيمٍ وَفِي خِيَابِ النِّسَاءِ ضَرَامُ النِّشَامِ



❖ كيف برزوا للجيش آخاوا ❖

الشجاعة قوة إرادة في القلب ، ومضاء غزمية في النفس
 تبعث صاحبها على تحريك عضلاته على الأقدام على المخاطر
 وتربأ به عن الأحمال وتولية الدبر ، وقد تكون غريزية في
 النفس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل
 العظيم ، وقد تكون موروثه من العنصر ، وللعناصر
 أثرها العجيب وعملها القوي في تركيز الملكات في محالها
 المستعدة لقبولها ولكنها في الغالب تكتسب من التدريب
 التمرن ، فإن العادات قهارة ولكل امرئ من دهره ما
 تعودا ، والبيئة التي يعيش بها الإنسان عاملها الفعال
 حيث يتحقق عنده أن الأقدام مكرمة وفخار ، والجبن
 منقصة وذلة وعار لشخص الجبان وسبب خالدة في أعقاب
 فيضحي ببدنه دون سمعته وبحياته الفانية أمام ذكره و
 صيته والذكر للإنسان عمرثا في .

أما القتال الذي يراد به وجه الله سبحانه فيكون
 مبعث الشجاعة فيه - علاوة على ما ذكرنا - قوة الإيمان
 في النفس ورسوخ العقيدة في القلب ، لذلك تقدر
 بمقاييس تعلقه وبشدة ارتباطه بالمقدسة ومبلغ

كَيْفَ بَرَزُوا لِلْحَيَاةِ خَارًا * (٧١) *

أَخَذَهُ بِنَصِيْبِهِ مِنْهَا ،

وقد اختار الله بحبيبه الحسين أنصاريًا توفرت فيهم
بواعث الشجاعة وتكثرت فيهم دواعي لبسالة ، كانوا
شجعانًا في طبائعهم وعزائمهم وكانوا فرسان المصروف
البصائر وقومًا مستميتين ، كما شهد لهم عدوهم ،
وقد لمس الأيمان قرادة نفوسهم ، فأحبوا الحسين لذاته و
معناه ولما بقوا للموت دون مستأنسين به استيناس
الطفل محالب أمه ، وخلفوا به جد رسول الله لما وعوا
قوله (إني أخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيته
فانظروا كيف تخلفوني فيهما) وحفظوا به بيضة الأسلام لانه
يتجلى لأعينهم بشخصه الرباني ، ونصروا المثل العليا لأنها
تمثل بأسمى معانيها في نفسه الكريمة ، وذادوا عن حوض
العدل وشرعية الأنصاف وردعوا الظلم ووقفوا سدًا
منيعًا في وجه تياره ، والأخذ بيد المظلوم غريزة النفوس
البشرية السليمة فضلا عن كبرائها من عظماء الرجال ،
فقد دعاها أهل الكوفة ليحملهم على المحجة البيضاء والطريق
اللاجب ، وينقذهم من فحالب أمية السبعية التي عاثت
فسادًا بدنيهم ودنياهم ، ولا كما عاث فرعون فسادًا في
بنى إسرائيل وبلادهم ، فلما لبى دعوتهم عدوا عليه ؛

يَقْتُلُونَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَطْفَالِهِ تَابِيَةً لِدَعْوَةِ أُمِّيَّةٍ
 مِنْ غَيْرِ مَا دَأْفَةٍ وَلَا دَحْمَةٍ ،
 وَلَقَدْ ضَاعَفَ قُوَّتَهُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ وَزَادَهَا سَبَبٌ هُوَ
 أَعْظَمُ الْأَسْبَابِ وَأَقْوَاهَا الْإِلَهِيَّةُ وَهِيَ إِتِّصَالُهُمْ بِالْحُسَيْنِ ،
 فَاسْرَفَتْهُمْ أَخْلَاقُهُ وَسَرَتْ إِلَيْهِمْ طَبَائِعُهُ وَجَذَبَتْ قُلُوبَهُمْ وَ
 نَفْسِيَّاتِهِمْ نَفْسِيَّتُهُ الْعَظِيمَةُ ، كَمَا يَجْذِبُ الْحَدِيدَ الْمَغْنَطِيْسُ
 فَكَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ لَهُ عَنْ جَدِيدٍ عَلَى مِثَالِهِ وَطَبَعَهُمْ عَلَى
 غِرَارِهِ . (١)

هَذَا قَبْلَهُ مَا يَرْجُوْنَهُ - كَمَا بَشَّرَهُمْ - مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ
 وَمُعَانَقَةِ الْحُورِ الْعِينِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ بَعْضِهِمْ (وَاللَّهُ مَا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَ الْحُورِ الْعِينِ إِلَّا أَنْ يَمِيلَ عَلَيْنَا هَؤُلَاءِ بِأَسْيَافِهِمْ)
 بَلْ رَوَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُمْ مَنَازِلُهُمْ وَهُمْ فِي قِتَالِ الْحَيَاةِ ، فَلَا
 تَعَجُّبَ إِذَا لَاقَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ بِفُرْدِهِ جَيْشَ الْكُوفَةِ بِقَضِيَّةٍ وَقَضِيَّةٍ
 وَعَدَدِهِ وَعُدَّتِهِ ، وَنَقَلَ التَّارِيخُ أَنَّهُ ضَاقَ بِقِتَالِ
 أَشَدِّائِهِمْ ذَرْعًا وَاعْتَصَمَ مُقَاتِلَتُهُ عَنْهُمْ بِالْفِرَارِ وَالْهَرَمَةِ
 فَإِنَّ الْأَرَادَةَ إِذَا عَظُمَتْ صَغُرَ لَدَيْهَا كُلُّ كَبِيرٍ ، وَالْبَوَاعِثُ
 النَّفْسِيَّةُ إِذَا تَوَفَّرَتْ تَضَاعَلَتْ فِي جَانِبِهَا كُلُّ عَدَدٍ ، فَكَأَنَّمَا
 خَلَقَتْ هَذِهِ الْبَوَاعِثُ فِي نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ عَزَائِمٌ لَا مَتْنَى
 لَهَا مُدَّةٌ وَشِدَّةٌ وَعِدَّةٌ ، فَتَرَاهُ إِذَا بَرَزَ وَحْدَهُ لِلجَيْشِ

بأسره .

يَصُولُ فَرْدًا بِجَيْشٍ مِنْ عِزِّهِ وَتَرَاوَلَتْهُ لِلْجَمْعِ قَدْرًا
بِثَمِّ الْحُسَيْنِ وَابَائِهِ وَصَلَابَةِ الْإِيمَانِ الَّذِي خَامَرَ نَفْسَهُ
يُحْتَيِ الْهَيْجَاءُ بِثَغْرِ الْبَاسِمِ وَقَدْ قَطَبَتْ فِي وَجْهِهِ وَكَشَرَتْ
عَنْ أَنْيَابِهَا ، وَيُخْدِلُهَا الْمُحْتَدِمُ غَيْظًا وَغَضَبًا بِوَجْهِهِ
الْوَضِيئِ الْوَضَاحِ ، فَكَانُوا مِنْ أَظْهَرِ مَصَادِيْقِ قَوْلِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ (عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي
أَعْيُنِهِمْ) وَلَسْتُ أَحَابِيَهُمُ الشَّاءَ ، أَوْ أَكِيلُ لَهُمُ الْمَدْحَ
جُرَافًا هَذَا الْعَدُوُّ يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِذَلِكَ ، حَيْثُ لَا مَرَّةً
الْعَذُولُ بَعْضُ مَنْ خَضَرْتُمْ وَقَعَةَ الطِّفِّ ، فَقَالَ فِيمَا
قَالَ (ثَارَتْ عَلَيْنَا عِصَابَةُ أَيْدِيهَا عَلَى مَقَابِضِ سِيوفِهَا
كَالْأَسُودِ الْقَضَارِيَةِ ، تَحْطِمُ الْفُرْسَانَ يَمِينًا وَشِمَالًا ،
تُلْقِي نَفْسَهَا عَلَى الْمَوْتِ ، لَا تَقْبَلُ الْأَمَانَ وَلَا تَرْغَبُ فِي
الْمَالِ وَلَا يَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حِيَاضِ الْمَنِيَّةِ) وَهَذَا أَعْرَفُ
النَّاسِ بِنَفْسِيَا قَوْمِ سَيِّدِهِمُ الْحُسَيْنِ يُشْهَدُ لَهُمْ بِكَلِمَتِهِ
الْثَمِينَةِ الْخَالِدَةِ (أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْ فِي وَ
لَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي وَلَا أَهْلَ بَيْتِ أَبِي وَلَا أَوْصَالَ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِي) أَجَلٌ وَاللَّهِ لَمْ يُجَلِّ التَّارِيخَ مِنْذُ بُرُوجِ فَجْرِهِ إِلَى يَوْمِ
النَّاسِ هَذَا لِوَاحِدٍ مِنْ بَنِي الْأَنْسَانِ لَا قِيَامَ بِفُرْدِهِ جَيْشًا

بِرُؤُوسِهِ ، فَلَمْ يَهِنِ عِجْزاً وَلَمْ يَسْتَكِنْ ذُلًّا ، وَلَمْ تَحْزَنْ عِزْمِيَّتُهُ
جُبْنًا ، اَللّٰهُمَّ اَلَا مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ مِنْ حَمَلَةٍ مَلَأَتْ نَكَّةَ
السَّمَوَاتِ يَوْمَ أَحَدٍ (اِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيْ اُخْرَاكُمْ) (يَوْمَ حُنَيْنٍ) اِذَا مَجَّبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ
فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْاَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ
وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، وَعَلَى يَدَيْهِمْ الْمَشْرِكِينَ وَيُرَدُّ كِتَابُهُمْ
عَنْ وَجْهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، يَحْصُدُ الرُّؤُوسَ حَصْدًا وَيَقْدُمُ
الْاَبْدَانِ بِسَيْفِهِ قَدًّا ، وَجِبْرِيلُ يُشِيدُ بَذِكْرِهِ وَيُنَوِّهُ بِمَدْحِهِ
مُنَادِيًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ .

لَا سَيْفَ اِلَّا ذُو الْفَقَارِ ... وَلَا فَتَى اِلَّا عَلِيٌّ

اِذَا فَلَا تَحْتَسِبُنَا مُبَالِغِينَ فِيْ مَدْحِهِمَا وَ مُغْرِقِينَ فِيْ وَصْفِهِمَا
اِذَا قُلْنَا فِيْهِمَا ،

فَاِنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِمَا عَلِيٌّ فَكُلَّهُمْ عَلِيٌّ اَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اِذَا كَرَا
لَقَدْ تَضَاعَكُوا لِلِقَاءِ الْمَوْتِ جَذَلًا وَاجْتَهَمَ حُبُّ الْمُحْسِنِ فَرْحًا
حَتَّى نَضَوْا الدَّرْعَ عَنْ اَجْسَادِهِمْ وَاصْحَرُوا بِهَا لِسِيُوفِ الْاَعْدَا
وَرَمَاجِهِمْ ، وَدَعَوْا عَلَى اَنْفُسِهِمْ اَنْ تَاْكُلَهُمُ السِّبَاعُ اَحْيَاءً
اِنْ هُمْ تَرَكُوْهُ وَحْدَهُ وَانْصَرَفُوْا عَنْهُ وَلَمْ يَنْصُرُوْهُ ، وَتَمَنَّوْا اَنْ
يُقْتَلُوْا دُونََهُ ثُمَّ يُحْيَوْنَ ثُمَّ يُحْرَفُوْا فَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ مِرَادًا ، وَ
قَدْ صَدَقَ اللهُ مَا عَاهَدُوْهُ ، فَقَدْ رَوَيْ اَنْهُ لَمَّا وَقَفَ بَيْنَهُمْ

❖ كيف برزوا للجيش آحاداً ❖ (٧٥) ❖

يَنْدُبُهُمْ وَيُوثِقُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ لِنُصْرَةٍ وَحِمَايَةِ حُرْمِهِ (وَهُمْ
جُثَّةٌ فَوْقَ الصَّبْعِ هَوَامِدُ) . قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُؤُوسِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ
ذَبَّتْ بِهِمْ تِلْكَ الْأُمَانِي الْمَحْلُوءَةُ بِدَلِّ الْأَرْوَاحِ ، وَلَهَضَتْ
بِهِمْ عَزَائِمُهُمْ بَعْدَ مَا سَرَتْ فِي عُرُوقِهِمْ وَشَرَايِينِهِمْ عَوْضُ
الدِّمَاءِ ، فَأَخَذَتْ جُثَّتُهُمْ تَضْطَرِبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا
سَتَاذِنُهُ بِالْقِيَامِ وَلِقَاءِ الْأَعْدَاءِ كَمَا اسْتَاذَنُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ
بِالْبِرَازِ غَيْرَ آهِينَ بِتَفْرِيقِ رُؤُوسِهِمْ عَنْ أَجْسَادِهِمْ وَلَا مُحْتَفِينَ
بِفِرَاقِ أَرْوَاحِهِمْ ، وَآيَمُ اللَّهِ لَوْ أَذِنَ لَهُمْ بِالْقِيَامِ لَقَامُوا ،
وَبِرَازِ الْأَعْدَاءِ لَبَارِزُوهُمْ أَشَدَّ مِنْ الْبِرَازِ الْأَوَّلِ ، لَكِنَّهُ
أَوْمَى إِلَيْهِمْ بِاللُّكُونِ وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَعُودُوا كَمَا كَانُوا ،
فَسَكَنُوا امْتِثَالَ أَمْرِهِ ، وَعَادُوا أَنْوَمَتِهِمْ طَوَاعِيَةً رَأْيِهِ ، وَإِذَا
كَانَ هَذَا سِيرُهُمْ مَعَهُ فِي حَيَاتِهِمْ وَدَائِبُهُمْ بَعْدَ مَا تَمَّ فَلَا تُرَى
صَاحِبَ الرِّوَايَةِ مُبَالِغًا فِي وَصْفِهِ إِذْ يَقُولُ وَقَفَ الْحُسَيْنُ عَلَى
أَصْحَابِهِ كَالطَّيْرِ الْمَتَكْسِرَةِ الْجَمْتَةِ ، وَأَخَذَ يَدْعُوهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَحَدًّا
وَاحِدًا ، يَا مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ، وَيَا هَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ ، وَيَا حَبِيبَ بْنَ
مُظَاهَرَ ، وَيَا زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ ، وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ ، يَا أَبِطَالَ لَصْفَا
وَيَا لِيوْثَ الْهَيْجَا ، مَا لِي أَفَادِيكُمْ فَلَا يُجِيبُونَ وَادْعُوكُمْ فَلَا تَسْمَعُونَ ، أَنْتُمْ نِيَامُ أَرْجُو تَنْتَبَهُنَّ
أَمْ حَالَتْ مَوَدَّتُكُمْ عَنْ مَا مَعَكُمْ فَلَا تَتَقَرَّوهُ ، هَذِهِ نَأْيُ الرُّسُولِ لِفَقْدِكُمْ قَدْ عَلَا هُنَّ الْخَوْلُ وَلَكِنْ صَرَّحَ
وَاللَّهُ رَبُّ الْمُنُونِ وَغَدَّ بِكُمْ الدَّهْرُ الْخَوَوْنَ ❖ أَحْبَابِي لَوْ غَيْرُ الْحَاجِبِ مَا بَكَمُ ❖ عَسَيْتُ وَلَكِنْ
مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبٌ ❖ إِلَهَ اللَّهِ أَشْكُوا إِلَهَ النَّاسِ شَيْئًا ❖ أَرَى الْأَرْضَ بِتَقَرُّ وَالْأَخْلَاقُ تَلْهَبُ ❖

لِمَا ذَا نَبْشُرُو خَدَهٗ أَبَاهُ بِالرَّوَا*

فِي ظَنِّي أَنَّ الْمُعْتَرِضَ سَيَقُولُ ، آيَةُ خُصُوصِيَّةٍ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
الْأَكْبَرِ ، دُونَ أَصْحَابِ أَبِيهِ مِنْ صَانِغِيَّتِهِ وَأَنْصَارِهِ ،
فَيَدْعُو أَبَاهُ وَهُوَ فِي دَوْرٍ الْأَحْتِضَارِ (يَا أَبَتَاهُ هَذَا جَدِّي
رَسُولُ اللَّهِ قَدْ سَقَانِي بِكَاسِهِ الْأَوْفَى شَرِبْتُهُ لَا أَظُنُّ بَعْدَهَا نَدَا
وَهُوَ يَقُولُ الْعَجَلُ الْعَجَلُ فَإِنَّ لَكَ كَأْسًا مَذْخُودَةً حَتَّى تَشْرَبَهَا
السَّاعَةَ) فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ قَدْ زَاوَلَ الْحَرْبَ عَطْشَانًا ، مِنْ
الَّذِي زَاوَلَهَا مِنْهُمْ وَهُوَ رِيَّانٌ ، وَإِنْ كَانَ أَمَتَهُمْ بِالْحُسَيْنِ
رَحِمًا فَإِنَّ الْأَجْنَبِيَّ أَوْلَى بِتَوْفِيرِ الْأَجْرِ لِأَنَّهُ كَالْمُتَطَوِّعِ السَّابِقِ بِالْجَيْلِ
وَالْأَحْسَانِ ، وَأَمَّا مِثْلُ الْأَكْبَرِ فَهُوَ قَانِمٌ بِوَاجِبِهِ ، وَقَدْ سَارَ
فِي الْأَمْثَالِ لِالشُّكْرِ عَلَى دَاءٍ وَاجِبٍ (فَخَيْرُ عِلَاجٍ لِهَذَا الْخَبْرَانِ
تَعْتَبَرُهُ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ ، شَأْنٌ غَيْرُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ فَهِيَ
كَثِيرَةٌ جِدًّا .

قُلْنَا أَمَا كُنُ الْوَاجِبِ لِشُكْرِ فِيهِ بَلْ كُنُ الْمَتَطَوِّعِ أَفْضَلَ
مِنْهُ فَغَيْرُ قَانِمٍ ، بَلْ قَدْ تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْفَقْهِ ، أَنَّ الْوَاجِبَ
أَفْضَلُ مِنَ الْمُسْتَحَبِّ ، عَلَى أَنَّ جِهَادَ أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ وَأَوْلَادِهِ
وَإِخْوَتِهِ عَلَى شَاكِلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنْ وَاجِبًا وَإِنْ مُسْتَحَبًّا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ
فِي الْوَاجِبِ شُكْرٌ لَمَّا آثَابَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ بِلِ الْأَنْبِيَاءِ وَ

* لماذا بشر حذره اباه بالروا* (٧٧)

المرسلين .

فَمَا كُونُ أَجْرِهِمْ بِالْأَسْتَحْقَاقِ ، وَبِالتَّفَضُّلِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
فَلَا يَدْخُلُ فِي غَرَضِنَا ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَحْزُورُ بَحْثِنَا ، وَلَكِنَّا
رَمَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ، بِأَهْلِ نِيَّانِ الْأَسْلَامِ
وَدَافِعِ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَسَيِّدِ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، (وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ كَبِيرًا) ، وَأَمَّا الْأَلْتِمَاسُ لِلْأَعْتِقَادِ بِوَضْعِ الْخَبَرِ وَتَكْذِيبِهِ
لَاذُنِي شَبَهَةٍ تَعَوُّضُ فِي الدِّهْنِ وَقَبْلَ عِلَاجِهِ بِوَجْهِ مَقْبُولٍ
فِي الْعَقْلِ فَبَعِيدٌ عَنْ مَسَافِحِ الْعُرْفِ وَسَاحَةِ الْأُصُولِ الْخَطِيئَةِ
عِنْدَ كَافَّةِ النَّاسِ ، نَعَمْ يُلْتَجَأُ إِلَى ذَلِكَ إِذَا خَالَفَ ضَرُورَةُ
الشَّرْعِ أَوْ صَادَمَ بَدَاهَةَ الْعَقْلِ وَالْوُجْدَانِ ، أَوْ عَارَضَ عَلَى
الْأَقْلَ مَا هُوَ أَشْهَرُ مِنْهُ مِمَّا وَاصَّحَ مِنْهُ سَنَدًا .

فَنَقُولُ فِي الْجَوَابِ إِنَّ حَدِيثَ هِتَابِ الْأَكْبَرِ بِأَبِيهِ
لَيْسَ فِيهِ أَيْ اخْتِصَاصٌ لِلْأَكْبَرِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ غَيْرَهُ سَقَا
الرَّسُولُ مَاءً وَهُوَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ ، فَبَشَّرَ بِذَلِكَ غَيْرَهُ ،
فَلَا مَخْتِاجُ لِلْبَحْثِ عَنْ هَذَا الْاِخْتِصَاصِ ، أَوْ رَدِّ الْحَدِيثِ
إِذَا قُدِّمَ الْوَجْهُ ، إِلَّا إِذَا قُلْنَا بِحُجَّتِهِ مَفْهُومَ اللَّقَبِ (٥) ، وَالتَّادِ
لَمْ يَضْمَنْ لَنَا نَقْلَ كُلِّ حَادِثَةٍ تَقَعُ فِيهِ ، فَعَدَمُ الْوُجْدَانِ
لَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْوُجُودِ ، وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ الْأَكْبَرَ (٤)

١ ، مثال عدم حجة مفهوم اللقب ان نقول محمد رسول الله فانه لا تنفي رسالته فهو

اِخْتَصَّ بِأَنْ يَنْطَلِقَ لِسَانُهُ فَيُبَشِّرَ أَبَاهُ دُونَ بَقِيَّةِ انْصَادِهِ ،
 فَيُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ لَذَلِكَ وَجُوهًا .
 الْأَوَّلُ لَعَلَّهُ كَانَ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ عَطْشًا ، إِلَّا أَبَاهُ (١) ،
 أَوْ اخُفَّ ذَاهُ ، أَلَا تَرَاهُ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحَرْبِ شَاكِيًّا لِحَرِّ الْعَطَشِ
 لَمْ يُجَوِّلْهُ عَلَى غَيْرِهِ فِي إِقْنَاعِهِ بِأَنْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ
 عَطْشًا لِيَسْلُوَ عَنْ عَطْشِهِ ، لِأَنَّ الْمُصَابَ إِذَا نَظَرَ لِمُصَابٍ
 غَيْرِهِ الْمُسَاوِي لِمُصَابِيهِ وَالْأَشَدَّ ، سَلَّى عَنْ مَصِيبَتِهِ ،
 وَهَذَا قِصَّةُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا أَخْبَارًا لِأُمِّ السَّالِفَةِ فِي تَكْذِيبِهِمْ
 أَنْبِيََاءَهُمْ وَرُسُلَهُمْ (وَإِنْ يُكْذِبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ ،
 مِنْ قَبْلِكَ) وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي رِثَاءِ أَخِيهَا صَخِيرٌ ،
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى قَتْلِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
 فَسَلَّى الْأَكْبَرُ عَنْ عَطْشِهِ ، بَلْ يَنْبَغِي تِلْكَ النَّارَ الْمَلْتَهَبَةَ بَيْنَ
 أَضْلَاعِهِ لَمَّا وَضَعَ أَبُوهُ لِسَانَهُ فِي فِيهِ ، فَأُحْسِنَ مِنْ يَبُوسَةِ
 اللِّسَانِ ، شِدَّةَ أَوَادِ الْعَطَشِ ، فِي الْجَنَانِ وَمِنْ بَعْدِ
 عَهْدِهِ بِالرَّيْقِ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَدُورُ فِيهِ دُمُ الْحَيَاةِ ، وَسَوْفَ
 تَسْكُنُ عُرُوقَهُ وَشَرَايِينَهُ (٢) وَلَا تَنْبِضُ فِي آخِرِ الْأَرْطَاقِ إِذَا لَلَّ الشَّامُ
 دَلِيلُ الْقَلْبِ ، وَالْعِنَوَانُ حَالِكٌ عَنِ الْمُعْتُونِ ، فَطَبِيعِي وَ
 هُوَ الَّذِي يَتَفَانِي فِي سَبِيلِ حَيَاةِ أَبِيهِ لِأَنَّهَا حَيَاةٌ مُبَدَّاهُ
 الْمُقَدَّسِ وَدِينُهُ الْحَقُّ أَنْ يَسْنِيَ عَطَشَ قَلْبِهِ ، وَلَا يَحْسِنَ مِنْهُ

(١) الْجَنَانُ : الْقَلْبُ (٢) الشَّرَايِينُ : جَمْعُ شَرَايْنٍ : الْعُرُقُ النَّابِضُ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ الدَّمُ

لَمَّا ذَاكَ بَشَّرُوهُ بِأَبَا بَالرُّؤُوسِ (٧٩)

بَشِيرٌ ، وَبَدَّهِيَ أَنْ تَتَضَاعَفَ قُوَّتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ فَيَنْشَطُ عَلَى
جَهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَا يَدْعُ فَقْدَ سَمْعِنَا بِالْكَثِيرِ مِنَ الْعُشَّاقِ
لَمْ يُجِئُوا بِوَقْعِ السِّلَاحِ وَلَا أَلِمَ النَّارَ أَنْ سَمِعُوا أَنَّ مِنْ مَعْشُوقِهِمْ ،
فَأَيُّ عَاشِقٍ أَصْدَقُ عِشْقًا مِنَ الْأَكْبَرِ ، وَأَيُّ مَعْشُوقٍ أَوْلَى
بِالْحُبِّ الصَّادِقِ وَالْعِشْقِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ رِيحَانَةِ الرَّسُولِ وَقَرَّةِ
عَيْنِ الزَّهْرَاءِ الْبَتُولِ .

وَسَبَبُ آخِرُ لَشَدَّةِ عَطَشِ الْأَكْبَرِ وَهُوَ طَوَّلُ مُرَاوَلَتِهِ لِلْحَرْبِ
فَقَدْ ضَجَّ الْعَسْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ وَغَبَرَ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ ،
حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ حَيْدَرًا الْكَرَّاءَ قَدْ شَقَّ ضَرْبِيهِ وَجَاءَ لِنُصْرَةِ وَلَدِهِ ، وَ
عِنْدَهَا هِيَ بَعْضُ أَبْطَالِ الْجَيْشِ ، وَهُمْ طَارِقٌ وَآخُوهُ وَابْنُهُ
فَخَارَبُوهُ مُبَارَاةً وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، فَكَانُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَشَدَّ
بِأَسِيهِ كَالْعَصَافِيرِ فِي مُخَالِبِ الصَّقَرِ ، ثُمَّ رَمَاهُ ابْنُ سَعْدٍ
بَذَخِيرَةٍ مِنَ الْجَيْشِ وَبَطْلِهِ الَّذِي أَعَدَّ لِلشَّدَائِدِ بُكْرَيْنِ غَانِمِ
فَأَمْرًا لِحُسَيْنٍ أُمَّةً لَيْلَى أَنْ تَدْعُو لَوْلَدِهَا الْوَحِيدِ ثِقَةً بِمَحْدِثِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (دَعَاءُ الْوَالِدَةِ فِي وَلَدِهَا مُسْتَجَابًا)
فَنَصَرَ اللَّهُ عَلِيًّا عَلَى قَرْنَيْهِ بُكْرَيْنِ بِمَحْدِثِ النَّبِيِّ كَمَا نَصَرَ جَدَّهُ
عَلِيًّا عَلَى مُنَاجِرِهِ نَبِيلِ الْأَحْرَابِ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ ، وَبَعْدَ قَبْلِهِ
وَقَفَ يَتَخَذَاهُمْ لِلْمُبَارَاةِ وَيَدْعُوهُمْ لِلْمُنَاجِرَةِ ، فَلَمْ يَبْرُزْ
إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ يَطْلُبُ الْجَائِزَةَ شَرِبَةً مَاءٍ يَتَقَوَّى

على القوم الظالمين - يا لفظاعة الخطب عند الحسين ،
 يا لعظم مصيبتك الوالد إذا لم يجد ما يسعف به الوليد شيء
 يطلبه منه وقد مسّت له الحاجة ، عزيز علينا والله أنت
 يطلبنا أينا أبناؤنا شيئاً عزيزاً وجوده ، ثم لا تقدر على
 إسعافهم به ، فكيف إذا كان مذبذولاً لكل أحد كما لماء
 فردّه بأبي وأمي إلى الميدان ردّاً جميلاً ، بعد أن
 دفع لسانه في فيه ، ليكون على أطمئنان أن أباه أشد
 منه عطشاً ، وإن لم يزاوِل الحرب والقتال ، فلو كان
 هناك ماءً لآثره به كما آثره بريقه ، بناءً على استمرار بقائه
 في حلقه .

فأنصاع يؤثره عليه بريقه لو كان ثمّة ريقه لم يجد
 كل حشاشته كصاليه الغضا ولسانه ظاك شقة مبردة
 وسبب ثالث لشدة عطش الأكبر كأبيه الحسين ، أن
 جسديهما لم يستطع أحدهما بغير وسيلة يجمع أوصالهما ،
 من كثرة الجروح التي أصابتهما ، بجند الحسين رفعه
 زين العابدين لقبره ببارية أتأبها بنو أسد ، والأكبر
 جمع أبوه الحسين أوصال جسده بردائه لما أراد حمله إلى
 الخيام ، ولا شك أن كثرة الجراح توجب شدة استنقاذ
 نار العطش واللواح ،

، أعلم أن العطش الظما ، واللواح والأوام والصدى كلها مترادفة ارتقاء

نقول واذا ثبت أن الحسين وولده الأكبر كانا أشدَّ
عطشاً من كلِّ مَنْ عداها لزم نبيَّ الرحمة أن يختصَّهما بكأسيه
ويسقيهما وهما في دورِ الاحتضار .

الثاني أن الحسين قارَنَ تسليّةَ ولده بين دفع لُشَا
في فيه وبين قوله « يا بُنَيَّ قَاتِلْ قَلِيلًا فَمَا أَسْرَعَ مَا تَلْفِي
جَدَّكَ مُحَمَّدًا فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ الْأَوْفَى شَرِبَةً لَا تَطْمَأْ بَعْدَهَا
أَبَدًا » فأراد الله أن يُجَلَّ البشارة لحبيبه وابن حبيبه
بأنه قد آنجز له وعده ، ولم يُخلف له ظنه وثقته به ،
فسقى مهجة قلبه بمجوز نبيته من كأس وليه شربة لا
ينظأ بعدها أبداً ، والحسين وإن اعتقد ذلك في
أنصاره كلهم ، بل اعتقده لهم الأعداء ، ولكن
لِلتَّصَرُّحِ لَذَّةً كَمَا جَاءَ فِي الْأَمْثَالِ ، فَمَا أَلَذَّ وَقَعُ هَذِهِ
الْبَشَارَةِ فِي مَسَامِعِ الْحُسَيْنِ ، إِنْ أَظُنُّ أَنَّ الْأَكْبَرَ مَضَى
إِلَى رَبِّهِ وَهُوَ مَطْمَئِنٌّ أَنَّ سُرُورَ الْحُسَيْنِ بِهَذِهِ الْبَشَارَةِ
سَيَنْدُكُ فِيهِ حَزْنُهُ بِمَصَابِ وَلَدِهِ الْبَارِ الْجَبِيبِ ،

الثالث لقد صحَّ في الروايات أن الأكبر كان يُشَبِّهُ
رسولَ الله خُلُقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا ، وَلَقَدْ كَانَتْ مُصِيبَةُ
أَهْلِ الْبَيْتِ بِرَسُولِ اللَّهِ عَظِيمَةً جَدًّا ، وَشَوْقُهُمْ لِرُؤْيِهِ
وَجْهِهِ الْمُبَارَكِ وَخُلُقِهِ الْعَظِيمِ وَمَنْطِقِهِ الْعَذْبِ الْفَصِيحِ

لا يزال يزيد وينمو على توالي الشهور والأيام ، فلما ولد
 الأكبر فاشبهه بهذه الصفات حتّى بعض وجدّهم وأخذوا
 يُشبعون همتهم لرؤية وحيد الرسول بالنظر لوجه شبّه
 الرسول ، ودّ بما قيل أنّه كان يأمره بالأذان قبالة وجهه
 لسمع اسم الرسول بنغم صوت الرسول المنبعث عن شمائل
 الرسول فلما برز الأكبر وحده للقاء جيش الكوفة بكامله ،
 فتلقّى الجموع فردّوا ولكن كلّ عضو في الروع منه جموع
 اتّبع دأبوه بصره ، وكلّه وجدّ عليه وهيام ، وقيل أخذ
 يهرول خلفه لأنّه سلب فؤاده ولبّه حيث اصطرع فيه
 الأمل واليأس فالأمل برجوعه يحمي ويعيش إخلاداً لشجاعة
 التي يهدّها في ولده ، فقد جاءته جوة من جدّه حيدر
 الكرار واليأس يعظم ويشتدّ لأنّه رآه مُشتاقاً للشهادّة و
 جوار الملك الجبار ، اكرّستهم إلى قوله للنساء ولقد تعلّقن
 به لما هم بالرجوع (وعنه فقد اشتاق الحبيب إلى حبيب)
 لذلك أرسلها زفرة من قرارة نفسه ودفع سبابته إلى
 السماء شاكياً لآله الأرض والسماء قائلاً فيما قال (اللهم
 اشهد على هؤلاء القوم فقد برزوا ليهم غلاماً شبه الناس خلقاً
 وخلقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا إذا استقنا إلى نبيك
 نظرنا إلى وجهه) فالآن - وقد يسنا منه - إلى أيّ وجه نتوجّه

* لماذا بُشِّرَ وحداً بالرواء * (٨٣) .

فطبيعيّ والحالُ هذه أنّ أَمَلُ الحسينِ عليه السّلام
قد ذوّى بموتِ الأكبر من جدِّه رسولِ الله وسلوّة عن
رسولِ الله ، فأين الوجهُ الذي ينظره إذا اشتاق ، و
كلُّه شوقٌ للنظرِ إلى جدِّه ، وأين الصّوتُ الذي يملأُ مسمناً
بأنغامِ صوتِ جدِّه ، لذلك أخذ الأكبر يدورهُ يُسَلِّيه
عن نفسه بنفسه ، قائلاً له هذا جدِّي فكأنّه يقول له إذا
انقطع أَمَلُك من رسولِ الله وذوّى أَرْجَاؤُك من شَبَهه و
يُوحِضُه وبَدِيلُه وعَجَلُ اللّحَاقِ به ، فها هو عندي حاضر ،
ولقد وميت مُنتظر ، فتَحْظُ حينئذٍ برؤية الأصل وفرعه ، و
المعوّض والمعوضه (الرّابع) لقد ترك الأكبر والدّه الحسين
يتلهّفُ للقاء رسولِ الله هو في رغبةٍ شديدةٍ لرؤيته حبّاً
لذاته ، وهو في شوقٍ عظيمٍ للمُثُلِ بين يديه ، ليتمتعَ
من رؤية وجهه ويُسِرِّحَ نظره في رياضِ قَمَاتِهِ ، وهو في
حَنِينٍ للأُنْصَالِ به ليُبَيِّتَ له ما يُكَيِّنُ ضميره من شِكَاتِهِ ،
ودبماً سمعه الأكبر يوصي بذلك بعضَ أنصاريه وحُماة ، وفي
ظَنِّي أنّ أحترشكوى يديهما لرسولِ الله إذا اتّصل به منعُ
أُمّتِهِ ولدّه ومهجة قلبه من وُدِّ المُنَاءِ على شِدَّةِ حاجته
إليه ، وهو ميسورٌ تحت أيديهم ، تَمَرِّغُ فيه الكلابُ
والخنازير ، فما إنْ مَثَلَ الأكبر بين يدي جدِّه رسولِ الله

حَتَّى هَتَفَ بِالْحُسَيْنِ (هَذَا جَدِّي قَدْ سَقَانِي شَرْبَهُ
فَلَا أَظْأُ بَعْدَهَا أَبَدًا) فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ لَقِيتُ جَدِّي وَفَتَّ
مَقَامَكَ بِالشِّكَايَةِ لَدَيْهِ ، وَنَبَتْ مَنَابِكَ فِي التَّظْلِمِ
بِمَجْرَدِ أَنْ مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَعْدَاكَ فِي الشَّكْوَى
وَسَقَانِي شَرْبَهُ لَا أَظْأُ بَعْدَهَا أَبَدًا (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)

(الْخَامِسُ) أَنْكَ سَمِعْتَ مَا جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ فِي مَسِيرِ
الْحُسَيْنِ ، حَيْثُ هَوِّمَتْ عَيْنَاهُ بِالنُّومِ سَاعَةً ،
وَأَنْتَبَهَ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَأَقْبَلَ
عَلَيْهِ وَلَدَهُ عَلِيُّ الْأَكْبَرِ ، وَقَالَ لَهُ يَا أَبَتِ لِمَ اسْتَرْجَعْتَ
لَا أَرَاكَ اللَّهُ سُوءٌ ، فَقَالَ يَا وَلَدِي خَفَقْتَ خَفَقَةً ،
فَرَأَيْتُ فَارِسًا وَهُوَ يَقُولُ الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنَايَا تَسِيرُ
بِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَلِيُّ يَا أَبَتِ أَفَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ،
فَقَالَ بَلَى يَا بُنَيَّ وَالَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبَادِ ، فَقَالَ
يَا أَبَتِ إِذَا لَانْبَأَ لِي بِالْمَوْتِ ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ جَزَاكَ
اللَّهُ خَيْرَ مَا جَزَى وَلَدًا عَنْ وَالِدِهِ - فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ
الرِّوَايَةِ أَنَّ عَلِيًّا الْأَكْبَرَ تَجَلَّى بِأَجَلِي مَظَاهِرِ الْحَرِصِ فِي
حُبِّ الْجِهَادِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ نَصْرَةً لِلْحَقِّ وَإِذْهَا قَالِيبُ طَلِّ

لَمَّا ذَا بَشَرُ وَحْدًا بِأَمَّا لِرَوَاءِ * (٨٥) .

وَذِيَادًا عَنْ شَرِيعَةِ الْعَدْلِ وَالْهُدَى إِلَى آخِرِ نَفْسٍ يَلْفِظُهُ
مِنْ أَنْفَاسِ حَيَاتِهِ ، وَإِذْ قَدْ صَرَعَ عَنْ جَوَادِهِ - وَلَا
تَسَلُّ عَمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْجُرَاحَاتِ الَّتِي لَا تَعْدُ وَلَا تَحْصَى -
أَرَادَ أَنْ يُوصِيَ لِمَنْ خَلْفَهُ مِنْ أَنْصَارِ أَبِيهِ أَنْ لَا يَكْلُوا عَنْ
الْجِهَادِ أَجَلُ (حُبِّ لَأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ)
كَأَوْصَى سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ لِأَخَوَانِهِ الْأَنْصَارِ بِنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ
بَعْدَ أَنْ صَرَعَ فِي وَاقِعَةٍ أُحْدِثَ إِذْ قَالَ لِمَنْ جَاءَ يَنْظُرُهُ كَأَمْرِ الرَّسُولِ
أَنْيَ الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْرٌ فِي الْأَمْوَاتِ - وَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ -
(أَبْلَغُ قَوْمَكَ عَنِّي أَلْسَلَامَ وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ
يَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا عُدَّةَ لَكُمْ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ وَفِيكُمْ عَيْنٌ
تَطْرُقُ) فَقَالَ الرَّسُولُ تَعْلِيْقًا عَلَى وَصِيَّتِهِ وَإِشَادَةً بِإِيمَانِهِ
الْمُتَيْنِ (وَحِمَمَ اللَّهُ سَعْدًا نَضَرْنَا حَيًّا وَأَوْصَى بِنَا مَيِّتًا)
وَكَذَلِكَ حَبِيبٌ لَمَّا اسْتَعَدَّ لِقَبُولِ وَصِيَّتِهِ مُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ
لَوْلَا قَرَبُ مَنِيِّهِ وَمَصْرَعُهُ مِنْ مَصْرَعِ مُسْلِمِ أَوْصَاهُ مُسْلِمٌ
بِنُصْرَةِ الْحَسَنِ الْغَرِيبِ ، وَلَكِنْ وَصِيَّةُ الْأَكْبَرِ كَانَتْ
أَبْلَغَ أَثَرًا مِنْ وَصِيَّةِ سَعْدٍ وَأَبْنِ عَوْسَجَةَ ، لِأَنَّ وَصِيَّتَهَا
مَجْرُودَةٌ عَنِ الْمَصْلَحَةِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى الْجِهَادِ ، فَقَدْ جَاءَ
بِالْوَصِيَّةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا ، وَالْأَكْبَرُ كَتَبَ عَنْهَا بِذِكْرِ الْمَصْلَحَةِ
وَهُوَ الْأَسْقَاءُ بَعْدَ شِدَّةِ ذَلِكَ الْعَطَشِ مِنْ حَوْضِ الرَّسُولِ

بِكَاسِهِ الْأَوَّلِي ، وَالْمُجَاهِدُ بَعْدِي قِيدَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 مَنَابَا لَكَ بِرَإِذَا انْتَقَلَ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ الْأَبَدِيَةِ نَعَمْ
 لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
 لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ لَفْظٌ عَظِيمٌ ، وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ
 الْبَيَانِ أَنَّ الْكُنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ ، لِإِقْتِرَافِهَا بِاللَّيْلِ
 وَاللَّيْثَانِ ، أَلَا تَرَى شُهَدَاءَ بَشَرٍ مُعَوْنَةً وَأَحَدِنَا
 وَأَوَّاجِرَاءَ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ جَزَاءُ مُؤَفَّوْرًا ، ثُمَّ أَوَّانَ يَجِدُوا
 لَهُمْ رَسُولًا يُبَلِّغُ مَنْ خَلْفَهُمْ بِمَا لَقُوا عِنْدَ اللَّهِ وَبِمَا أَعَدَّ
 اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ لئَلَّا يَكْلُوا عَنِ الْجِهَادِ ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ
 أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ وَأَوْحِي إِلَى نَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ ،
 (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
 فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ
 وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)

(السادس) لقد رجع علي بن الحسين إلى الميدان
 ناسيًا عطشه ، أَنَّ دَامِيَ التَّفَاوُتَ عَظِيمًا فِي الْمَقْيَاسِ
 بَيْنَ عَطَشِهِ وَعَطَشِ أَبِيهِ ، وَإِذَا كَانَ أَبُوهُ أَشَدَّ مِنْهُ عَطْشًا
 فَيَنْبَغِي أَنْ يُسْقَى مِثْلَهُ بِكَاسِ الرَّسُولِ الْأَوَّلِي ، وَإِذَا لَمْ يَأْتِ

نوبته بعد في السقيا لأنه لم يدخل في دور الاحتضار ،
فاللزام الانتقال الى لبشارة لأن ذكر العيش نصف العيش
فما إن رآى الأكبر الكأسين بيد جدّه المصطفى يتلقى بهما
الأشدّين عطشا ، حتى هتف بأبيه يبشره بهما ، ولكنه
رأى قصارى مقصد الحسين سقيا ولده وكان قصارى
منه سقيا أبيه ، لأنّه أشدّ منه عطشا ، وهوله أشدّ من
نفسه حتّا ، لذلك أثر قصد أبيه على قصده كما أثره الأب
الباز الرحيم بريقه ، فبدأ بذكر منى أبيه قبل منى نفسه ،
فقال (هذا جدي رسول الله سقاني بكأسه الأولى في
شربة لا أظأ بعدها أبداً ، وهو يقول لك عجل فإن لك
كأساً مذخورة) وإذا جاءت الرواية أنّ الحسين لما ألقى
نفسه على ولده دخل في دور الاحتضار فلا أرى سببه
الأشدّة منى الأكبر وحرصه أن تأتي نوبة أبيه ، فسيقى
جدّه تلك الكأس المذخورة ، وقد أعطى الله الأكبر ما
تمنى ، لولا أنّ عمته العقيلة حالت دون مناه ، إذ
خرجت من الخيمة تؤمّ الشلو المبضع ، ويراها حميد بن
مسلم ، وهي تنادي وابن أخاه ، فشغلت أخاها
غيره الله بأمر الناموس ، والعرض مقدّم على الأولاد
والنفوس ، فترك ابنه لفيتاينه يحملون أخاهم الى الخيمة

بَعْدَ أَنْ جَمَعَ بِيَدِهِ أَوْصَالَهُ الْمُبْعَثَةَ بِرِدَائِهِ وَوَدَّ أَخْتَهُ إِلَى
الْخِيْمَةِ حَدَّذَا مِنْ شَمَاتَةٍ لِأَعْدَائِهِ .
(السَّابِعُ) يَقُولُ فِي الْأَكْبَرِ وَاصْفُهُ وَمُطَرِّبُهُ ، وَإِنْ شِئْتَ
قُلْ مُقَرِّظُهُ وَنَاعِبُهُ .

جَمَعَ الصِّفَاتِ الْغُرُوفِي تَرَاهُ عَنْ كُلِّ غَطْرِيفٍ وَشَهْمٍ صَيِّدٍ
مِنْ الَّذِينَ وَدَّهُمْ فِي صِفَاتِهِمُ الْغُرَاءِ وَتُغَوِّهِمُ الْعُلْيَا . الْخَمْسَةُ
الْأَشْبَاحُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَكَانَ يُشَبِّهُ الْمَصْطَفَى خُلُقًا وَخُلُقًا
وَمَنْطِقًا ، وَكَانَ يُشَبِّهُ الْمُرْتَضَى شَجَاعَةً وَأَسْمَاءً (وَالْأَسْمَاءُ تَنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ) ، وَأَشَبَّ عَمَّهُ الْحَسَنَ الزَّكِيَّ جُودًا وَكِرَمًا ، وَجَدَّةَ
الزَّهْرَاءِ قَصْرَ عَمْرٍ ، وَعَدَمَ مَبَالِغَةَ السُّلْطَةِ الْقَائِمَةِ ، وَ
قَلَّةَ أَكْثَرَاتٍ بِالْقُوَّةِ الْغَاشِمَةِ ، فَإِنَّ جَدَّتَهُ الزَّهْرَاءَ لَمْ
تُبَالِ بِأَوَّلِ سُلْطَةٍ أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، إِذْ صَبَّتْ
عَلَيْهَا حَاصِبًا مِنْ رَوَاجِرِهَا ، وَقَرَعَتْهَا بِسَيَاطِ مَوَاعِظِهَا فِي
خُطْبَتِهَا الْبَلِيغَةِ الْمُرْتَجَلَةِ ، فِي حَشْدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَجَاءَ حَفِيدُهَا يُعِيدُ بَدْوَهُ الْعَهْدَ الْمَجِيدَ الْفَاطِمِيَّ ، غَيْرَ
هَتَابٍ مِنْ مَجْهَرِهِمْ ، وَلَا مُخْتَفٍ بِكَثْرَتِهِمْ ، وَلَمْ يَحْسِبْ
أَيَّ حَسَابٍ لَتَحْفَرُهُمْ وَتَحْرِقُهُمْ .

أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
مَنْ بَيْتِ اللَّهِ أَوَّلِي بِالْبَنِي
أَضْرِبُكُمْ بِالسَّيْفِ أَمِّي عَنْ أَبِي
بِأَنَّهُ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابْنُ الدَّعِي
ضَرَبَ غَلَامٍ هَاشِمِيٍّ عَلَوِيٍّ

وقد وِدثَ بطلٌ ووايتنا اباة الحسينَ بالِإباءِ عن الضيمِ و
الأتقَةِ عن ارتكابِ الذنبيّةِ ومُسالمةِ الأعداءِ فدُونَ ذلك
ارتكابُ المنيةِ ، ولسانُ حالِهِ يَهْتِفُ صَاحِظًا فِي مَسْمَعِ اللَّهِ
مُدَوِيًا فِي أذُنِ الْعَدُوِّ الْمُتَجَبِّرِ الْمُخْتَالِ .
لَا سَقِيَنِي كَأْسَ الْمَدَامِ بِذَلِكَ بَلْ فَاسْقِنِي بِالْعِزِّ كَأْسَ الْخِطَلِ
فَفَتَّ فِي عَصَدِهِ وَانْفَلَتَ زِمَامُ الصَّبْرِ مِنْ يَدِهِ إِنْ سَمِعَ أَعْدَاءُ
أَبِيهِ يُنَادُونَهُ بِلِسَانِ الشَّمَاتَةِ وَالظَّفَرِ (يَا حُسَيْنُ أَمَا تُرَى
الْمَاءَ يُلَوِّحُ كَأَنَّهُ كَيْدُ السَّمَاءِ ، وَاللَّهُ لَنْ تَذُوقَ مِنْهُ قَطْرَةً وَاحِدَةً
حَتَّى تَرُدَّ الْحَامِيَةَ فَتَشْرِبَ مِنْ حَمِيمِهَا) فَلَمْ يَرَمَا يَكْبَحُ بِهِ جَاهَهُمْ
وَيَخْفِضُ مِنْ غُلُوِّهِمْ إِلَّا أَنْ يَطْهَرَ فِي جَهَادِهِمْ ظُهُورَ مَنْ لَمْ يُبَالِ
بِالْعَطَشِ ، مُفَنِّدًا لَزَعِيمِهِمْ أَنْ سَوْفَ يَقْتُلُونَهُمْ بِسِلَاحِ الْعُطَشِ
وَاعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلْحُسَيْنِ سَرَدُ الْحَامِيَةِ وَسُقَى
مِنْ حَمِيمِهَا ، فَكَذَّبَ زَعِيمَهُمْ وَهَتَفَ فِي مُتَوَسِّطِهِمْ (هَذَا
جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ سَقَانِي شَرِبَةً لَا أَظْأُ بَعْدَهَا أَبَدًا)
كَأَوْعَدَهُمْ بِذَلِكَ أَبُوهُ الْحُسَيْنُ حَيْثُ قَالَ فِي رَدِّ قَوْلِهِمْ هَذَا
(بَلْ أَرِدُ عَلَى جَدِّي فَيَسْقِيَنِي مِنْ حَوْضِ الْكَوْثَرِ) فَكَأَنَّ الْأَكْبَرَ
يَقُولُ لِلْأَعْدَاءِ لَا حَاجَةَ لَنَا بِفِرَاتِكُمْ ، وَإِنْ كَانَ مِيرَاثُنَا مِنْ
جَدِّتِنَا الزَّهْرَاءِ ، فَانْظُرُوا مَا فَعَلْنَا بِكُمْ فِي الْحَرْبِ عَلَى شِدَّةِ
عَطَشِنَا ، هَذَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَاقْصُرُوا عَنِ الشَّمَاتَةِ

أَيُّهَا اللَّيْثُ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَهَذَا جَزَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ
لَا كَمَا زَعَمْتُمْ يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ وَأَعْدَاءَ الْإِنْسَانِيَّةِ .
وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَقَدْ عَلَّقَ عَلَى كَلِمَةٍ وَلَدَهُ هَذِهِ مُصَدِّقًا
لَهُ فِيمَا قَالَ (وَلَدِي عَلِيٌّ قَتَلُوكَ وَمِنْ شُرْبِ الْمَاءِ مَنَعُوكَ)
تَشْفِيًا مِنِّي وَشِمَاتَةً بِي أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّكَ لَا تُبَالِي بِمَنْعِهِمْ ،
وَلَا تَكْتَرُثُ بِفِرَاتِهِمْ فَقَدْ غَبَرْتَ عَلَى عَطَشِكَ بِجَيْشِهِمْ ،
(كَأَنَّهُمْ مَا عَرَفُوكَ) ، أَنَّكَ وَارِثُ الزَّهْرَاءِ ، وَالْفِرَاتُ
بَعْضُ صَدَاقِهَا (وَلَا عَرَفُوا مِنْ جَدِّكَ وَأَبُوكَ) أَلَيْسَ
جَدُّكَ رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي طَوَّقَ رِقَابَ الْعَالَمِينَ بِمَنِّهِ وَ
فَضْلِهِ إِنْ جَاءَهُمْ بَدِينٌ فِيهِ سَعَادَةٌ دُنْيَا هُمْ وَأَخْرَجَهُمْ
وَقَدْ قَالَ الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي بَيْتِهِ ، فَمَا بِالْهَمِّ لَمْ يَحْفَظُوهُ فَيْتَكَ
وَأَبُوكَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي بَايَعُوهُ عُمُومًا عَلَى يَدِ
رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ الْغَدِيرِ بِالْوِلَايَةِ عَلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَقَدْ بَايَعَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْخُصُوصِ أَبَاكَ
الْحُسَيْنَ عَلَى أَنْ يَنْصُرُوهُ وَلَا يَخْذُلُوهُ ، لَا عَلَى أَنْ يَقَاتِلُوا
مَهْجَةً قَلْبِهِ عَلَى شِدَّةِ عَطَشِهِ شَمَّ يَتَعَطَّفُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ وَيَقْتُلُوهُ ، شَمَّ وَدَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِذْ وَدَّعَهُ
بِكَلِمَةٍ تَصَاعَدَتْ مَعَهَا شَطَايَا قَلْبِهِ بِزَفَرَاتِهِ
الْحَادَّةِ الْمُتَصَاعِدَةِ مِنْ صَمِيمِ قَوَادِرِهِ وَاعْتِمَاقِ ضَمَائِرِهِ

(عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَا ، لَأَنْكَ كُنْتَ زَهْرَتَهَا وَقَدْ
 ذَهَبَتْ ، وَنَضَرَتَهَا وَقَدَامَحَتْ ، فَعَادَتْ دَوْحَةً
 الْأَمَلِ أَنْغَصَاهَا يَابِسَةً ، وَبَعَثَ الْمُنَى مُقْطِبَةً عَابِسَةً
 فَأَيْنَ ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِي أُشْبِعَ فِيهِ نَهْمَتِي مِنَ النَّظَرِ لَوْجِهِ
 جَدِيهِ الْمُصْطَفَى ، وَإَيْنَ تِلْكَ الْفَرُوسِيَّةَ الَّتِي جَدَّدَتْ
 ذِكْرِي شَجَاعَةً أَبِي الْمُرْتَضَى ، وَإَيْنَ تِلْكَ السَّمَاحَةَ
 الَّتِي أَحْيَتْ جُودَ أَخِي الْحَسَنِ الْمَجْتَبَى ، الْيَوْمَ مَاتَ
 الْخَمْسَةُ أَصْحَابُ الْكِيَا ، الْيَوْمَ حَرَمْتُ عَلَى مُصَابِ
 غَيْرِكَ الْبُكَاءَ ، وَلَدِي عَلَى ، وَلَدِي عَلَى ، وَلَدِي
 عَلَى .

بُنَى أَجِبْنِي فَقَدْ أَوْشَكَتُ تُفَارِقُ رُوحِي جُثَامِي
 بُنَى أَلَا نَقَطْتُ الرِّجَاءَ أَلَمْ تَكُ غَايَةَ آمَالِي
 أَلَا نَفَقَدْتُ مِثَالَ لِنَبِي وَسَلَوَانِي عَنْ كُلِّ اسْتِغْنَاءِ

فَلْتَذْهَبِ الدُّنْيَا عَلَى الدُّنْيَا الْعَفَا
 مَا بَعْدَ يَوْمِكَ مِنْ زَمَانٍ أَرْغَدِ

﴿كَيْفَ رُمِيَ الْغُرْقَةُ مِنْ يَدِهِ﴾

الْحُبُّ يَنْمُو فِي الْقَلْبِ وَيَشْتَدُّ ، حَتَّى يَتِمَكَّنَ مِنَ الْقَلْبِ وَ
يَتَمَلَّكَهَ ، وَلَهُ مَرَاتِبٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وَلِلَّتِلْكَ الْمَرَاتِبِ آثَارٌ
وَخَوَاصُّ ، وَأَعْلَاهَا فَنَاءُ الْعَاشِقِ فِي ذَاتِ الْمَعشُوقِ ،
فَيُسَيِّطُ الْحُبُّ فِيهَا عَلَى الْقَلْبِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَارِحَ
تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ تَتَّبِعُ الرِّعْيَةَ لِلسُّلْطَانِ ، وَخُصُوصِيَّةُ
هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ أَنْ تَطْغَى الْجَوَارِحُ عَلَى لَطِيعَةِ وَتَخْرُجَ عَنْ
أَحْكَامِهَا ، فَلَا تَعُودُ تُحْسِنُ بِالْأَلَامِ الَّتِي تُحْسِنُ بِهَا لَوْ خُلِيتْ
وَطَبَعَهَا ، وَلَا تَدْرِكُ اللَّذَاتِ الَّتِي تَدْرِكُهَا لَوْلَا تَمَكُّنُ
الْهُوَى مِنَ الْقَلْبِ ، وَدُبًّا كَانَتْ لَهَا آثَارٌ وَانْفِعَالَاتٌ
لَمْ تَكُنْ لَوْلَا بُلُوغُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنَ الْعَشْقِ وَالْهَيَامِ ،
حَتَّى كَانَ اللَّهُ رَكَبٌ فِيهِمْ طَبِيعَةٌ أُخْرَى تُخَالِفُ طَبَاعَ
الْبَشَرِ ، يَسُوطُ أَحَدُهُمُ الْقِدْرُ بِيَدِهِ فَيَنْتَثِرُ لِحْمُهُ فِي
مَرْقِهَا وَهُوَ لَا يَجِدُ لِلْحَرَارَةِ قَوَايِ أَلَمٍ ، وَتَأْمُرُ امْرَأَةٌ
الْعَزِيزُ بِضَرْبِ يُوسُفَ سَبْعِينَ سَوَاطٍ - وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهَا
حِجَابٌ - فَتَضْرِبُ الْأَرْضَ قَبْلَ تَمَامِ السَّبْعِينَ ضَرْبًا
شَدِيدًا ، ثُمَّ يُضْرَبُ هُوَ تَمَامَ السَّبْعِينَ سَوَاطٍ وَاحِدًا
ضَرْبَةً خَفِيفَةً فَتُوْذِيهَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ ، وَتُحْسِنُ أَنَّ السَّوْطَ

﴿ كَيْفَ مِى الْغُرْفَةِ مِنْ يَدِهِ ﴾ (١٣) .

وَقَعَ عَلَى فُؤَادِهَا ، فَتَفَزَّعَ لَذَلِكَ فَرَعَا عَظِيمًا ، وَ
تَقْتَصِدُ فَيَجْرِى دَمُهَا عَلَى الْأَرْضِ ، وَهُوَ تَكْتُبُ ، يُوسُفُ
يُوسُفُ ، وَيُدفَنُ عَاشِقُ إِلَى جَنْبِ مَعشُوقَتِهِ فَتَنْبُتُ عَلَى
قَبْرِهَا شَجَرَتَانِ تَتَقَارَبَانِ وَتَتَعَانَقَانِ تَعَانِقًا لِعَاشِقٍ
وَالْمَعشُوقِ ، وَيُخْبِرُ الْجَنَّا شَيْئًا بِسُقُوطِ رَبَا عِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ
فَنَسَقَطُ رَبَا عِيَتِهِ ، ثُمَّ يُخْبِرُ بِمَوْتِهِ فَيَمُوتُ لَوَقْتِهِ وَ
سَاعَتِهِ .

وَالْعَبَاسُ فِي عَشِقِ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ
قَدْ بَلَغَ الذَّرْوَةَ الْعَالِيَةَ ، وَالْمَرْتَبَةَ الْقُصُوى الَّتِي يَضِيقُ
عَنْهَا نِطَاقُ الْبَيَانِ ، وَالَّتِي لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ
خَالِقُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ ، فَقَدْ تَوَافَرَتْ عَلَيْهِ دَوَاعِي حُبِّهِ
وَهَوَاهُ ، وَعَادَ لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ غَيْرَهُ وَلَا يُبْصِرُ سِوَاهُ ،
أَحَبَّهُ لِلَّهِ فِي اللَّهِ ، وَأَحَبَّهُ لِنَفْسِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَأَحَبَّهُ
لِأَنَّهُ كَانَ أَخَاهُ ، بَلْ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ ، وَأَحَبَّهُ لَشِدَّةِ
حُبِّ الْحُسَيْنِ إِيَّاهُ ، وَأَحَبَّهُ حُبًّا جَمًّا ، لِغَيْرِ مَا ذَكَرْنَا
فَلَا يَدْعُ وَلَا مَجِبَ إِذَا دَمَى الْغُرْفَةُ مِنْ يَدِهِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ
عَطَشَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ وَلَمْ يُجِئْ لِلْعَطِشِ الْمَاءَ ، عَلِمًا مِنْهُ
أَنَّ الْمَاءَ سَيُذَكِّي جَذْوَةَ الظَّمِّ فِي فُؤَادِهِ الَّذِي مَلَكَهُ
حُبُّ الْحُسَيْنِ ، فَلَيْسَ لِحُبِّ الْمَاءِ فِيهِ مَكَانٌ ،

وَلَا عَجَبَ لَوْ أَكَلَ النَّدْمُ أَصَابِعَهُ وَجَرَتْ دُمُوعُ الْأُسُوفِ
 عَلَى وَجْنَتَيْهِ ، حَيْثُ هَمَّ بِشُرْبِ الْمَاءِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَ
 فَرَعَ بَابَ التَّوْبَةِ فِي عِتَابِ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بِقَوْلِهِ .
 يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحَسَنِ هُوَ يَ فَبَعْدَهُ لَا كَانَ أَنَّ تَكُونِي
 هَذَا الْحَسَنِ شَارِبَ الْمَنِّ وَتَشْرَبِينَ بَارِدًا لِمَعِينٍ
 يَا نَفْسُ مَا هَذَا فَعَالَ دَهِي وَلَا فَعَالَ صَادِقِ الْيَقِينِ
 فَهَلْ فِي هَذَا الدَّلِيلِ مُقْنِعٌ لِمَنْ يَتَخَذَلِقُونَ فِي عَذْلِهِ ، وَ
 يَتَكَمَّنُونَ فِي وَجوبِ شَرْبِهِ الْمَاءِ ، لِيَقْوَى بِهِ عَلَى الْجِهَادِ
 وَيَبْلُغَ الْغَايَةَ الَّتِي تَوْخَاهَا ، مِنْ إِصَالِ الْمَاءِ إِلَى الْحَسَنِ
 ثُمَّ يَزِيدُ بَعْضُهُمْ فِي الطَّهْنِ بِلَّةً وَفِي الطَّبُورِ نَعْمَةً ،
 فَيَقُولُ إِنَّهُ بَرَكَ شَرِبَ الْمَاءِ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ وَقَتْلَاهَا ،
 وَبَعْضُهُمْ يَسْتَرْسِلُ فِي عُذْرِهِ عَنْ مُقَارَفَةِ هَذَا
 الذَّنْبِ ، بِأَنَّ الْعَبَّاسَ غَيْرُ مَعْصُومٍ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ
 أَنَّ قَاتِلَ نَفْسِهِ فِي النَّارِ ، وَلَيْسَ هُوَ ذَنْبًا مِنْ صِغَارِ
 الذُّنُوبِ الَّتِي قَدْ تَصَدَّدُ مِنْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ .
 هَذَا وَلَنَا فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الْأَعْتِرَاضَاتِ
 عِلَاوَةٌ عَلَى الْوَجْهِ الْأَيْفِ الْجَوْبَةُ أُخْرَى وَإِلَيْكَ
 تَفْصِيلُهَا .

كَيْفَ فِي الْخُرْقَةِ مِنْ يَدِهِ * (٩٥) .

(الْأَوَّلُ) ، أَنَّ فِعْلَ الْعَبَّاسِ لَا بُدَّ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الصِّحَّةِ ،
لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَاحْتِمَالُ فِعْلِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ عَلَى أَحْسَنِهِ ،
- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - بَلْ فِعْلُهُ حِجَّةٌ لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنَ الزَّلَلِ
مَفْطُومٌ مِنَ الْخَلَلِ ، أَلَيْسَ هُوَ تَلْمِيزَ مَدْرَسَةِ أَبِيهِ الْمُرْتَضَى
بَابِ مَدِينَةِ عِلْمِ الْمُصْطَفَى ، وَخَرِجَ جَامِعَةً أُخُوِيَّةً ١
السَّيِّطِينَ الْأُمَامِيِّينَ إِنْ قَامُوا وَإِنْ قَعَدُوا ، وَقَدْ شَهِدَ
لَهُ الْأُمَامُ بِأَنَّهُ قَدْ تَلَبَّسَ بِالْمَلَكَةِ النَّفْسَانِيَّةِ الَّتِي
شَدَّدُ صَاحِبُهَا عَنْ اقْتِرَافِ الْمَآثِمِ وَالْإِخْرَافِ عَنْ
الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، إِذِ يَقُولُ (كَانَ عَمَّنَا الْعَبَّاسُ) (٢)
صَلَبَ الْأَيْمَانَ ، نَافِذًا الْبَصِيرَةَ .

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ لِلْعِصْمَةِ مَرْتَبَتَيْنِ (الْأُولَى) ، الَّتِي
يَتَلَبَّسُ بِهَا حَمَلَةُ عَهْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَنَالُ الظَّالِمِينَ ،
وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ ، وَهِيَ الْمَشَارُؤُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى
(اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ
لَا يَتَنَاوَلُهَا مَوْضُوعٌ بِحِثِّنَا لِأَنَّ وَاحِدًا مِنَ الشَّيْعَةِ لَمْ
يَدَّعِ أَنَّ الْعَبَّاسَ إِمَامًا ثَالِثًا عَشَرَ (الثَّانِيَّةُ)
مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمَلَكَةِ النَّفْسَانِيَّةِ الَّتِي تَمْنَعُ صَاحِبَهَا عَنْ اتِّكَالِ
صَغِيرِ الذُّنُوبِ وَكَبِيرِهَا ، وَهِيَ فَوْقَ مَلَكَةِ الْعَدَالَةِ ،
وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ،

رَفِئَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، فتقول هل مِثْقَالَ الذَّرَّةِ مِنَ الشَّرِّ
مِنْ صِغَارِ الذُّنُوبِ أَمْ مِنْ كِبَارِهَا ، وَإِذَا كَانَ مِنْ صِغَارِهَا
مِثْلُهَا نَأَى اللَّهُ عَنْ ارتكابه أَمْ لَا ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَهَا نَا
عَنْهُ فَهَلْ هُوَ تَحْتَ قُدْرَتِنَا وَاسْتِطَاعَتِنَا أَمْ لَا ، لَا بُدَّ أَنْ
تَكُونَ الْأَجُوبَةُ كُلُّهَا إِيْجَابِيَّةٌ ، فَإِنَّ مَقْدَارَ الذَّرَّةِ كَحَبَّةِ
الْخُرْدِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ تَمِثِلُ لَصَغِيرِ الذُّنُوبِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ
يَكُونَ الْعَبْدُ مِنْهَا عَنْهُ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا ، وَلَمْ يَرِ الْأَنْسَانُ
لَهُ جَزَاءٌ شَرًّا ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ تَرْكُهُ مَقْدُودًا لَنَا ، لِأَنَّ اللَّهَ
لَمْ يُكَلِّفِ الطَّاعَةَ إِلَّا دُونَ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ .

وَالْعَبَّاسُ - وَخَاشَاهُ - إِذَا سَلَمْنَا مَعَهُمْ جَدًّا لَا
بِأَنَّهُ قَارَفَ هَذَا الذَّنْبَ لَمْ يَكُنِ الْأَعْتَادُ عَنْهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ
مَعْصُومٍ ، فَأَرْتَكِبَ ذَنْبًا صَغِيرًا ، لِأَنَّهُ قَاتِلُ نَفْسِهِ ،
وَقَاتِلُ نَفْسِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَكُونُ ذَنْبُهُ أَكْبَرَ مِنْ
الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَلَيْسَ أَكْبَرَ مِنْهُ إِلَّا
عَفْوُ اللَّهِ ، وَقَدْ أُدْعِيَتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ مِنَ الْعِصْمَةِ
لِلْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ ، فَكَيْفَ يَخْلُو مِنْهَا مِثْلُ أَبِي
الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ .

كَيْفَ مَيَّ الْخُرْقَتَيْنِ يَدَهُ * (٩٧)

ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لِقَارِضِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ وَجْهٌ مَقْبُولٌ ،
هَلْ جَاءَ فِي التَّارِيخِ أَنَّ أَحَدَ الصَّالِحِينَ - فَضلاً عَنْ
الْتَّبَتِينَ - قَتَلَ نَفْسَهُ ، لِيَقُولَ لَهُ الْأَمَامُ ، (أَشْهَدُ
أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصَّالِحِينَ
وَمُتَبِعاً لِلنَّبِيِّينَ) .

ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ وَأَعِدِ النَّظَرَ لِتَرَى عَظَمَةَ الشَّأْنِ
عَلَيْهِ مِنَ الْأَمَامِ - وَلَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ إِلَّا أَهْلُهُ -
أَذِي قَوْلُهُ (أَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ

الْبَدْرِيُّونَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُبَالِغُونَ فِي
نُصْرَةِ أَوْلِيَاءِهِ الذَّابُونَ عَنْ أَجْبَائِهِ) مِنْ هُمُ الْبَدْرِيُّونَ
الَّذِينَ شَبَّهَ الْأَمَامُ مَوْقِفَ الْعَبَّاسِ بِمَوْقِفِهِمْ ، هَلْ هُوَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي رَمَى التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ ،
حَيْثُ سَمِعَ النَّبِيَّ يَخْضُ عَلَى الْجِهَادِ ، وَيُرْغَبُ فِي دُخُولِ
الْجَنَّةِ قَالَ (فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ أَرْمِيَ
هَذِهِ التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِي) ثُمَّ أَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي وَطْئِ
الْمَعْرَكَةِ وَاسْتَشْهَدَ ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ حَامِلُ الرِّسَالَةِ الْخَالِدُ
كُلُّ تَمَرَاتِكَ أَوَّلًا لِتَقْوَى بِهَا عَلَى الْجِهَادِ ، وَإِلَّا كُنْتَ قَاتِلًا
لِنَفْسِكَ ، أَمْ هُوَ سَيِّدُهُمْ وَمُمَثِّلُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي
فَسَّرَ فِيهِ قَوْلَهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ)

وَمِنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) مَعْصُومٌ
مِنَ اللَّيْمِ ، وَتَبِعَ لِلنَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ، أَفِيكُونَ تَابِعُهُمَا
مُرْتَكِبًا لِحُطْبَةٍ لِيَحْتَاجَ لِلْإِعْتِذَارِ عَنْهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ
مَعْصُومٍ .

وَلَيْتَ شِعْرِي مَا وَجَّهَ الْمُبَالَغَةُ فِي نُصْرَةِ الْعَبَّاسِ
لِلْحُسَيْنِ الْمَشَارِإِلِهَا فِي قَوْلِ الْأَمَامِ (الْمُبَالَغُونَ فِي
نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ الذَّاكِرُونَ عَنْ أَحِبَّائِهِ) ، وَمِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ
مَا يُوجَدُ فِي غَيْرِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ هَلْ يُرِيدُ قَطْعَ يَدَيْهِ فَقَدْ
قَطَعَتْ يَدَا غَيْرِهِ كَوْهَبِ بْنِ حُبَابٍ الْكَلْبِيِّ ، أَمْرٌ غَيْرُهُ
مِنَ الْمَلَكَاتِ وَالْحَالَاتِ الَّتِي حَاذَاهَا الْعَبَّاسُ ، مِمَّا
لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، إِنِّي أَظُنُّ ،
(وَظَنُّ الْأَلَمْعِيِّ يَقِينٌ) أَنَّ الْأَمَامَ أَرَادَ اخْتِصَالَ صِ الْعَبَّاسِ
بِأَنَّهُ قَدَّرَ عَلَى شَرْبِ الْمَاءِ فَهَتَفَ بِهِ وَجَدَّاهُ وَنَادَى
بِهِ ضَمِيرُهُ .

يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُوَنِي وَبَعْدَ لَا كَانَ أَنْ تَكُونِي
فَالْأَمَامُ يُقَرِّضُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا هَذَا التَّقْرِضُ الْعَظِيمَ الْحَافِ
وَالْمَعْتَرِضُ بِجَعْلِهِ أَكْبَرَ ذَنْبٍ لِلْعَبَّاسِ ، فَانْظُرْ مِقْدَارَ
الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ ، وَالْبُؤْسَ الشَّاسِعَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ
ثُمَّ اخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَا يَحُلُّو وَاتَّبِعْ أَكْثَرَهُمَا شِئْتَ

كَيْفَ مَيَّ الْغُرُفُ مِنْ يَدِهِ * (٩٩) .

(الثاني) قد تبلغ قوة الإرادة وصدق العزيمة
 أَنْ يَسْطِرَّ الْأُنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ فَيَقْسِرَهَا عَنْ تَنَاوُلِ مَا
 يُحِبُّ وَيُوْطِنُهَا عَلَى التَّلَبُّسِ بِمَا تَكْرَهُ ، وَذَلِكَ رِيَاضَةٌ
 النَّفْسِ حَتَّى قَهْشَ لَمَّا تَبْغُضُهُ لَوْلَا هَذِهِ الرِّيَاضَةُ ، فَمِنْ
 ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ يُحِبُّ نَفْسَهَا وَيُحِبُّ أَثَارَهَا تَبَعًا لَهَا وَإِذَا
 كَبَحَ جِاحَهَا بَعَيْنَانِ الرِّيَاضَةِ عَادَتْ تَبْذِلُ نَفْسَهَا الْمَحْبُوبَ
 وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَيْثَارِ وَقَدْ تَفَسَّرَ بِالْمُفَادَةِ وَبَعْدَهَا
 مَرْتَبَةُ الْأَيْثَارِ فَقَطْ ، وَهِيَ تَقْدِيمُ الْمَحْبُوبِ عَلَى نَفْسِهَا
 بِتَخْصِيصِهِ بِمَا تُحِبُّ ، وَاخْتِصَاصِهَا دُونَهُ بِمَا تَكْرَهُ .
 وَالْعَبَّاسُ فَرَعَ تِلْكَ الدَّوْحَةَ الْكَرِيمَةَ وَشَبِلَ فَادِي
 النَّبِيَّ الْعَظِيمَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ
 يَشْرِي أَيْ يَبِيعُ نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ) لَمَّا أَمَرَهُ
 النَّبِيُّ أَنْ يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ فَادِيًا لَهُ بِنَفْسِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ
 فَوُطِنَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَتْلِ وَأَجَابَ وَلَمْ يَتَلَكَّ فِي الْمَبِيتِ ،
 وَبَقَاءُ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ مُحَبُّوبٌ ، أَلَا تَرَى اللَّهُ يُبَاهِي بِهِ
 مَلَائِكَتَهُ جَبْرئِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، حَيْثُ أَوْحَى إِلَيْهِمَا ،
 (إِنِّي أَخِيْتُ بَيْنَكُمَا وَجَعَلْتُ عُمْرَ أَحَدِكُمَا أَطُولَ مِنَ الْآخَرِ
 فَأَيُّكُمَا يُؤَثِّرُ صَاحِبَهُ بِطَوْلِ الْحَيَاةِ) فَاخْتَارَ كُلُّ مَنَاهَا طَوْلَ
 الْحَيَاةِ ، فَأَوْحَى إِلَيْهِمَا (أَلَا كُنْتُمَا كَوَلِيَّيَ عَلِيٍّ أَخِيْتُ بَيْنَهُ)

وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ فَأَثَرَهُ بِالْحَيَاةِ عَلَى نَفْسِهِ وَدَقْدَنِي
فَرَاشَهُ يَقِيهِ بِمُهْجَتِهِ ، إِهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ جَمِيعًا فَاحْفَظَا
(مِنْ عَدُوِّهِ) فَهَبَطَ جَبْرَائِيلُ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ وَمِيكَائِيلُ
عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، يَقُولُ (مَخْجَخْ مَنْ مِثْلَكَ يَا ابْنَ أَبِي
طَالِبٍ ، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يُبَاهِي بِكَ الْمَلَائِكَةَ)
وَالْعَبَّاسُ هُوَ ابْنُ الَّذِينَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ لَهُمْ خَصَاصَةٌ (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جُزَاءً وَلَا شُكْرًا) .

طَبَعَنِي لِهَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِّضِينَ أَنْ يُنْكِرُوا حَدِيثَ هَذِهِ
الْوَاقِعَةِ لَوْلَمْ يَنْطِقْ بِهَا الْقُرْآنُ وَيَأْتِيَ التَّفْسِيرُ شِيعِيَّهِ
وَسُنِّيَّهِ ، بِأَنْ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَ
جَارِيَتَهُمْ فَضَّةً قَدْ أَطْعَمُوا قَوْلَهُمْ كُلَّهُ ، وَهُوَ خَمْسَةُ أَقْرَاصٍ
مِنَ الشَّعِيرِ مِسْكِينًا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ ، وَيَتِيمًا فِي الْيَوْمِ
الثَّانِي ، وَأَسِيرًا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَصَامُوا
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَطْعَمُوا فِي لَيَالِيهَا إِلَّا الْمَاءَ الْقَرَّاحَ ، وَلَوْ لَا
وَرُودُ الْقُرْآنِ وَالتَّفْسِيرِ لَسَجَلُوا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ قَاتِلُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ ، وَلِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ - عَلَى قِلِّ تَقْدِيرٍ -
لَأَنَّهُمَا حِينَ ذَاكَ طِفْلَانِ لَا يَتَحَمَّلَانِ هَذَا الْجُوعَ كُلَّهُ إِذَا

كَيْفَ عُرِفَ الْمَلَأْمُنُ بِهِ * (١٠١) *

فَسْنَاها على أطفالنا ، وخمسة أقرص في اليوم
الثالث كلها تزيد على قوت الأسير ليومه ، وقد
أشرف الطفلان على الموت ، فهلا دفع أبواهما نصف
قرصيهما للأسير وتركَا النصف الآخر لميسكا به
ومقهما .

ثم ما الذي أمسك حياتهما - وإن عادا يرتعشا
كالفراخ - لولا قوة إرادتهما ومضاء عزميتهما ، ولت
شعري فهل يمكن الاعتذار عنهم بعد الأذعان
بحدوث هذه الواقعة بأن أهل البيت غير معصومين
وإذن منا وجه مدح الله لهم وثنا به عليهم في
قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، والعباس من يتلوه
حق تلاوته .

(الثالث) لقد ورد الحديث عن النبي صلى الله
عليه وآله (أحب من دنياكم ثلاثاً النساء والطيب
وقرة عيني الصلاة) وقد علق عليه الحكماء أنه لما
ذكر النساء والطيب ، وقد صدّ الحديث بأن هذه
المحوبات من الدنيا كان سبب ذكر هذه المحبة لأنه
بشر مثلنا ، ولكن جنة تعلّقه بالدنيا جد ضعيفة ،
فكانها معدومة لديه ، فكان حبه للنساء ليس

لِقَضَاءِ الشَّهْوَةِ ، بَلْ لِكَثِيرِ التَّكْلِ فَيُبَاهِي بِأَمْتِهِ الَّتِي
هَدَاهَا اللَّهُ بِهِ سَائِرَ الْأُمَمِ ، وَهَكَذَا حُبُّهُ لِلطَّيِّبِ
لَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُحِبُّهُ وَتَتَفَرَّغُ مِنَ الْأَقْدَارِ ، وَصَلَاةُ
الْمُطَيِّبِ تَعْدِلُ سَبْعِينَ صَلَاةً ، غَيْرَ أَقْصَا مِنْ الْمَوَادِّ
الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَتَحَصَّ لِلْآخِرَةِ ، وَأَمَّا جَنْبُهُ تَعَلُّقُهُ بِالْآخِرَةِ
فَإِنَّهَا جِدُّ قُوَّةٍ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهَا ، لِذَلِكَ جَذَبَتْهُ
سَرِيعًا إِلَى اللَّذَّةِ الرُّوحِيَّةِ لِيَتَحَصَّهَا لِلْآخِرَةِ ، وَلَيْسَتْ
هِيَ مَحْبُوبَتَهُ فَقَطْ كغَيْرِهَا مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ ، بَلْ هِيَ قُرَّةُ
عَيْنِهِ الصَّلَاةُ .

وَالْعَبَّاسُ لَمَّا اغْتَرَفَ عُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ وَقَرَّبَهَا إِلَى
فِيهِ وَهَمَّ أَنْ يَشْرِبَهَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ جَهَادًا مُزَوَّجًا
بِالْمَوَادِّ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَإِنَّهُ بِشَرِّ مَثَلُنَا وَلَهُ جَنْبُهُ تَعَلُّقُهُ بِالدُّنْيَا
ثُمَّ جَذَبَتْهُ سَرِيعًا جَنْبُهُ تَعَلُّقُهُ بِالْآخِرَةِ إِلَى اللَّذَّةِ الرُّوحِيَّةِ
وَالْجِهَادِ الْمُتَحَصِّصِ لِلْآخِرَةِ ، وَعَدَمِ اعْطَاءِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ
مَا تُمَسِّكُ بِهِ حَيَاتَهَا ، فَإِنَّ النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ أَوْلَى بِأَنْ
تُعْطَى مُرَادَهَا ، لِتَرْجِعَ إِلَى رَبِّهَا رَاضِيَةً مُرْضِيَةً ،
لَمْ تَعْلُقْ بِشَيْءٍ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا ، وَبَكَاءُ الْعَبَّاسِ وَ
عِتَابُ نَفْسِهِ الْبَشَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ دَفَعِيَ الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ مَعْنَاهُ
الْأَسْفُ وَالنَّدَمُ عَلَى غَتْرَافِهِ الْمَاءَ وَتَقَرُّبِهِ إِلَى فِيهِ

كَيْفَ مَيَّ غُرُقًا لِمَا مِنْ يَدِهِ * (١٠٣)

وَقَمِيته بِأَن يَشْرَبَ ، لِأَنَّهُ اعْتَبَرَهَا ذُنُوبًا مِنْ مِثْلِهِ ،
حَيْثُ كَانَ جِهَادًا مَشُوبًا بِالْمَوَادِّ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَقَدْ وَرَدَ
أَنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ .

(الرَّابِعُ) جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْمُرْسَلَةِ أَنَّ أَبَاهُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصَاهُ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِأَن لَا يَشْرَبَ
الْمَاءَ إِذَا مَلَكَ الشَّرِيعَةُ يَوْمَ الطَّقِ - قَبْلَ أَخِيهِ
الْحُسَيْنِ - فَأَرَادَ الْعَبَّاسُ بِامْتِنَاعِهِ مِنَ الشَّرْبِ
تَنْفِيذَ وَصِيَّةِ أَبِيهِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمَ بِوَجْهِ الْحِكْمَةِ
حِينَ أَوْصَى بِذَلِكَ وَلَدَهُ الْحَبِيبَ ، وَقَدْ قَالَ لِأَخِيهِ
مُحَمَّدٍ مِنْ قَبْلِهِ أَنْتَ وَلَدِي وَهَذَا وَلَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَنَا أَجْعَلُ وَلَدِي فِدَاءً لَوْلَدِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَا إِذَا شَأْ
الْمُعْتَرِضُ أَنَّ يُنْكَرُ جُودَ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ لِأَنَّ رِوَايَتَهَا
مُرْسَلَةٌ فَلْيُنْكَرْ رِوَايَةُ رَمِي الْعَبَّاسِ لِلْمَاءِ مِنْ يَدِهِ لِأَنَّ
رِوَايَتَهَا مُرْسَلَةٌ أَيْضًا وَحُكْمُ الْأَمْثَالِ فَيَأْجُوزُ وَمَا
لَا يَجُوزُ وَاحِدًا .

(الْخَامِسُ) لَقَدْ كَانَ الْحُسَيْنُ ضَنْبًا بِأَخِيهِ
الْعَبَّاسِ فَلَمَّا جَاءَ يَطْلُبُ الْإِذْنَ مِنْهُ لِلْبِرَازِ شَقَّ عَلَى
الْحُسَيْنِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ ، فَلَمْ يَجِدِ الْعَبَّاسُ ذَرْبَةً يَخْطِيهَا
عَلَى حُصُولِ الْإِذْنِ مِنْ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ أَنَّ

لَا صَبْرَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فِي الْخِيَمَةِ ، وَهُوَ يَسْمَعُ بَكَاءَ
الْأَطْفَالِ مِنَ الْعَطَشِ ، وَيَرَاهُمْ يَتَلَوْنَ مِنَ الظُّلْمِ
وَيَدُهُ تَمْلِكُ قَائِمَ سَيْفِهِ ، فَأَجَاذَهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بَأَنْ يَطْلُبَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ .
نَقُولُ فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَسْعَى فِي مُهِمَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ
كَالْعَبَّاسِ كِبَرَ نَفْسٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ فَإِنَّ أَمَانَةَ السَّعْيِ تَحُولُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ آيَةِ غَايَةِ سِوَاهَا ، وَنَفْسُهُ الْعِصَامِيَّةُ تُرَبِّأُ بِهِ
أَنْ يَقْضِيَ لَهَا مَعَ الْبَانَةِ ، وَضَمِيرُهُ الْحَرُّ يُنَازِعُهُ أَنْ
لَا يَثُوبَ بَغْرَضِهِ الْأَسْمَى غَرَضًا آخَرَ ، وَلَوْ كَانَ سَامِيًّا
وَلَا لَمْ يَجِدْ نَفْسَهُ وَافِيًا بِأَمَانَتِهِ وَلَا صَادِقًا فِي دَعْوَى
هَوَاهُ وَفُجْبَتِهِ ، فَصَاحِبُ الْحَاجَةِ لَا يَرَى إِلَّا
قَضَاهَا .

وَالْمَرْءُ أَعْمَالُهُ تَكُونُ مَقَاصِدُهُ لِذَاكَ قَبْلَ خِيَرَةِ الْمَالِ يُدْرِكُ
وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْجَوَابُ الْحَقِيقِيُّ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ قَتَلَ
بَطْلَ الْأَخْرَابِ عَمْرَو بْنَ عَبْدِوَيْهِ ، فَأَعْرَضَ عَلَيْهِ بَعْضُ
الْمُهَاجِرِينَ قَائِلًا لَهُ ، هَلَا سَلَبْتَ دِرْعَهُ ، فَأَنَّهُ
دَاوُدِيَّةٌ ، وَلَيْسَ لِلْعَرَبِ مِثْلُهَا ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَاشَاهُ أَنْ يَحْبِطَ سَعْيُهُ الْكَرِيمَ بِأَنْ
يُشْرِكَ غَرَضًا بَغْرَضِهِ الْأَسْمَى فِي إِزَالَةِ حَجَرِ الْعَثَرَةِ .

﴿ كَيْفَ مَيَّ غُرْفَتَا الْمَاءِ مِنْ بَيْتِهِ ﴾ (١٠٥)

عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ يَكْشِفُ الْعَادَ عَنْهُمْ وَيَرْفَعُ الدَّلِيلَ
الَّذِي شَمَلَهُمْ مِنْ جَرَاءِ نِدَاءِ عَمْرِو الَّذِي أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ وَ
هَجَمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَتَخَذَاهُمْ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ ، مُنَادِيًا
فِيهِمْ بِمِلَّةٍ فِيهِ .

وَلَقَدْ مَجِئْتُ مِنَ النَّدَا بِمَجْعَمِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِدٍ
فَبَرَزَ الْإِيمَانُ كُلَّهُ إِلَى الشِّرْكِ كُلِّهِ كَمَا تَخَصَّصْنَا أَمْرَهَا رَسُولُ
اللَّهِ الَّذِي أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، نَعَمْ بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلَّهُ
وَقَدْ مَجِئْتُ بِشَخْصِيَّةٍ بَطَلِ الْأُسْلَامِ مُجِيبًا صَوْتَ عَمْرِو وَقَدْ
مَجِئْتُ الشِّرْكَ كُلَّهُ فِي شَخْصِيَّةٍ ، فَلَمْ يَلَيْتُ أَنْ صَرَعَهُ
اللَّهُ بِسَيْفٍ وَلِيَّ اللَّهِ بِضَرْبَةٍ لَمْ يَعْرِفْ قَدَرَهَا وَلَمْ يَزِنْ
ثِقَلَ أَجْرِهَا إِلَّا النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ - وَلَا يَعْرِفُ الذَّهَبَ
إِلَّا نَاقِدُهُ - حَيْثُ قَالَ (ضَرْبَةُ عَلِيٍّ لِعَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ
تَعْدِلُ أَعْمَالَ الثَّقَلَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فَلَمْ يَشَأْ لَهُ
إِيمَانُهُ الْمَتِينُ وَفَنَاءُ هُ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَنْ يُشْرِكَ بِغُرْضِهِ
الْأَسْمَى وَمَقْصَدِهِ الْأَعْلَى طَمَعًا فِي حُطَامِ الدُّنْيَا ، وَلَوْ
كَانَتْ دِرْعًا دَاوُدِيَّةً لَيْسَ لِلْعَرَبِ مِثْلُهَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
عَلَيْهِ فِي سَلْبِهَا آيَةٌ غَضَّاضَةٌ وَخَرَجَ مِنْ عُرْفِ أَوْ
شَرِيعَ ، فَقَدْ قَالَ الْمَشْرِعُ الْأَعْظَمُ (مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا
فَلَهُ سَلْبُهُ) وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ

نَصْرَ الْجَارَةِ مِنْ سَفَاهَةِ بِهِ وَنَصْرَ رَبِّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابٍ
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَتَيْتُ كُنْتُ الْمَقْطُورَ بَرِّهِ أَثْوَابُ
فَلَوْلَمْ يَكُنْ سَلْبُ الْأَثْوَابِ بَعْدَ لِقَاتِهِ مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ
لَمَا هَمَّ بِهِ عَمْرُو الْبَاسِلِ السَّرِيِّ لَوْ كَانَ - لَا قَدْرًا لِلَّهِ -
مَوَالِقَاتِهِ لَنَا جِزْهُ عَلَيَّ .

وَمَخْنُ نَقُولُ - لِهَذَا الْمَعْرِضِ أَوِ الْمَشِيرِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنَا صَحَّاحًا كَمَا يَتَرَأَّى مِنْ كَلَامِهِ - لِأَمَتِكَ الْهَبْلُ ، إِنَّكَ
تَرَى عَلَيًّا قَدْ صَبَرَ عَلَى ذِمِّهِ مُدَّةً طَوِيلَةً أَنْجَابَتْ فِيهَا
عَنِ الْأَسَدِينَ الْمُتَّصِلِينَ مَلَاءَةً الْقَسْطِ الَّتِي سَجَّتْهَا ،
شِدَّةُ مَصَاوِلِ الْبَطْلِينَ الْمُتَنَاجِرِينَ لِأَنَّ عَلِيًّا لَمَّا جَثَا
عَلَى صَدْرِهِ شَتَمَ عَرَضَهُ ، وَالْعَرِضُ أُعْزِمَ مِنَ النَّفْسِ فَمَخَا
أَنْ يُعَاجِلَهُ بِالذَّبْحِ فَيَكُونَ قَدْ أَشْرَكَ فِي غَرَضِهِ التَّشْفِي
جَزَاءً شَتَمَ عَرَضِهِ ، فَصَبَرَ عَلَيْهِ طَوِيلًا حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ
لِنَفْسِهِ شَتَمَ ذِمِّهِ قَرِيبَةً إِلَى اللَّهِ ، وَنَصْرَةً لِدِينِهِ ،
فَكَيْفَ يَثُوبُ بِالْقَرِيبَةِ الطَّمَعِ بِالْحُطَامِ الزَّائِلِ ، وَيُدْسُهُ
فِي غَرَضِهِ الْعَظِيمِ وَمَقْصَدِهِ الْكَرِيمِ ، لَا هَا اللَّهُ لَا يُمَكِّرُ
أَنْ يَصْدُرَ ذَلِكَ أَبَدًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدِ الْعَارِفِينَ ،
وَبِهِ دَرْعُ عَبْدِ الْبَاقِي الْعُمَرِيِّ حَيْثُ يَخَا طَبْعُهُ وَ
يَقُولُ .

* كَيْفَ فِي غُرْفَةٍ لِمَا مِنْ يَدِهِ * (١٠٧)

وَأَنْتَ أَنْتَ الَّذِي لِلَّهِ مَا فَعَلَا وَأَنْتَ أَنْتَ الَّذِي لِلَّهِ مَا صَنَعَا
(السادس) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَمَّا أَفْصَلَ طَالُوتُ

بِالْجُنُودِ قَالَ إِنْ أَلَانَ اللَّهُ مُبْتَليكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ
فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا) فَقَدْ كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ
أَلْفًا وَكُلُّهُمْ يَدَّعِي الرِّغْبَةَ فِي الْجِهَادِ وَقَالُوا مَا لَنَا
إِلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا
فَا مَتَحَنَّمُ اللَّهُ أَيْ اخْتَبَرَهُمْ - وَلِلَّهِ أَنْ يَخْتَبِرَ عِبَادَهُ
وَلَيْسَ لِعِبَادِهِ أَنْ يَخْتَبِرُوهُ - بَأَنَّ مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي
نِيَّةِ الْجِهَادِ فَلَا يَكْرَهُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي سَيَعْتَرِضُهُمْ ،
وَمَنْ كَانَ كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْعُ فُرْصَةً أَعْتَرَا ضِ
النَّهْرِ وَيَكْتَفِي مِنْهُ بِالْغُرْفَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَابْنٌ مِنْ يَكْتَفِي نَفْسَهُ
عَنِ الظُّلْمِ مَا لَمْ تَوْجَدْ عَلَيْهِ لِتْرِكِهِ وَهِيَ عِدَّةُ الْقُدْرَةِ عَلَى دِتْكَائِهِ
نَعَمْ وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ حَكِيمُ الشُّعْرَاءِ
الظُّلْمُ مِنْ شِبْهِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدَّدَ ذَا عَفَّةٍ فَلَعَلَّهِ لَا يَظْلِمُ
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا فَيَلْكَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ ثَلَاثَةً
وِثْلَاثَةً عَشَرَ رَجُلًا .

نَقُولُ صَحِيحٌ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَبَرَهُمْ وَابْتَلَاهُمْ لِتَمْيِيزِ الْخَبِيثِ
مِنَ الطَّيِّبِ ، وَلَكِنْ لَا يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ لَا يَثْقُلُوا بِشَرِبِ الْمَاءِ

* كَيْفَ فِي غُرْفَةٍ لِمَا مِنْ يَدِهِ * (١٠٧)

وَأَنْتَ أَنْتَ الَّذِي لِلَّهِ مَا فَعَلَا وَأَنْتَ أَنْتَ الَّذِي لِلَّهِ مَا صَنَعَا
(السادس) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَمَّا أَفْصَلَ طَالُوتُ

بِالْجُنُودِ قَالَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ مُبْتَلِيَكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ
فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً
بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا) فَقَدْ كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ
أَلْفًا وَكُلُّهُمْ يَدْعِي الرِّغْبَةَ فِي الْجِهَادِ وَقَالُوا مَا لَنَا
إِلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا
فَا مَتَحَنَّمُ اللَّهُ أَيْ اخْتَبَرَهُمْ - وَلِلَّهِ أَنْ يَخْتَبِرَ عِبَادَهُ
وَلَيْسَ لِعِبَادِهِ أَنْ يَخْتَبِرُوهُ - بَأَنَّ مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي
نِيَّةِ الْجِهَادِ فَلَا يَكْرَهُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي سَيَعْتَزُّ بِهِمْ ،
وَمَنْ كَانَ كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْعُ فُرْصَةَ اعْتِرَاضِ
النَّهْرِ وَيَكْتَفِي مِنْهُ بِالْغُرْفَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَإِنْ مِنْ يَكْفُفُ نَفْسَهُ
عَنِ الظُّلْمِ مَا لَمْ تَوْجِدْ عَلَيْهِ لِتْرِكِهِ وَهِيَ عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى ارتكابه
نَعَمْ وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ حَكِيمُ الشُّعْرَاءِ
الظُّلْمُ مِنْ شِبْهِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجَدَّدَ ذَا عَفَّةٍ فَلَعَلَّهِ لَا يَظْلِمُ
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا فَمَثَلُ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ ثَلَاثَةً
وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا .

نَقُولُ صَحِيحٌ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَبَرَهُمْ وَابْتَلَاهُمْ لِتَمْيِيزِ الْخَبِيثِ
مِنَ الطَّيِّبِ ، وَلَكِنْ لَا يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ لَا يَثْقُلُوا بِشَرِبِ الْمَاءِ

فَيَمْنَعُ مِنَ الْخِفَةِ فِي الْحَرْبِ ، كَمَا كَانَ مَالِكٌ يَطْوِي
ثَلَاثًا إِذَا اشْتَغَلَ فِي الْحَرْبِ ، لِئَلَّا يُثْقِلَهُ الْأَكْلُ عَنْ
الْجِهَادِ ، وَالشَّرْبُ وَالْأَكْلُ كِلَاهُمَا مِنْ مُقَوِّمَاتِ حَيَاةِ
الْإِنْسَانِ ، وَلَكِنْ إِذَا زَادَا هَذَا الصَّادِقُ فِي نِيَّةِ
الْجِهَادِ يَشْغَلَانِهِ وَيُثْقِلَانِهِ عَنْ مُهْمَّتِهِ أَمْسَكَ عَنْهُمَا إِلَّا
مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ كَأَصْحَابِ طَالُوتَ ، بَلْ أَمْسَكَ
عَنْهَا بَتَاتًا ، كَمَا لَكَ الْإِشْتِرَاءُ عَنِ الطَّعَامِ وَبَطْلُ رِوَايَتِنَا
الْعَبَّاسِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَعَلَّ اسْتِثْنَاءَ الْغُرْفَةِ
كَانَ لَهُمْ عَلَى طَرَفِ الرُّخْصَةِ وَلَوْ تَرَكُوها لَكَانَ أَحْسَنَ ،
وَالْعَبَّاسُ بِمُهْمَّتِهِ الْقَعَسَاءِ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْمَاءَ قَبْلَ خِيَرَةِ
الْحُسَيْنِ الْغُرْفَةَ فَمَا فَوْقَهَا ، لِئَلَّا يُثْقَلَ فِي الْجِهَادِ وَ
لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْهُ صِدْقَ النِّيَّةِ وَحُسْنَ الطَّوَيَّةِ ، وَلَآنَ
الْغُرْفَةَ وَحَدَّهَا تَزِيدُ نَارَ عَطَشِهِ اتِّقَادًا وَمَا زَادَ عَلَيْهَا
يُثْقِلُهُ عَنِ الْجِهَادِ ، وَأَمَّا الْكَفَاءُ أَصْحَابِ طَالُوتَ بِالْغُرْفَةِ
حَتَّى رَوَيْتُ مِنْ اغْتَرَفَ بِيَدِهِ وَظَيَّ مِنْ كَرَعٍ فِي النَّهْرِ مِنْ
بَابِ الْمَعْجَزَةِ وَخَرَقَ الْعَادَةَ وَعَقُوبَةً مِنَ اللَّهِ لِلظَّالِمِينَ
عَلَى سُوءِ نِيَّتِهِمْ ، فَكَرَعُوا لِيَرْتَوُوا فَرَادَهُمْ ظَمًا وَلَوْ أَحَا ،
بِجَلَا فِي الْمَطِيعِينَ لَهُ .

كَيْفَ مِ غُرْفَةِ الْمَأْمُونِ يَدُهُ * (١٠١)

(السابع) ، تقديم الأهم على المهم من سيرة
العقلاء التي اقرهم عليها الشرايع السماوية ، و
يعدّ خلاف ذلك تقديم المرجوح على الراجح ، وهو
باطل شرعاً وعرفاً ، فنقول لاشك أن حفظ مهجة
الأمير حجة العصر أهم من حفظ مهجة الإنسان
نفسه ، فكيف يسوغ للعباس أن يشرب غُرْفَةَ الْمَأْمُونِ
ليحفظ مهجته وحشى أخيه الحسين تلتهب أواماً و
تشبّ ضراماً ، كلا لعمرى .

فأبت نقيبته الزكية رثياً وحشى ابن فاطمة يشبّ ضراماً
اليس هو ابن القايل جلوسى في المسجد أحب إلى من جلوسى
في الجنة لأن جلوسى في المسجد فيه رضا ربى وجلوسى
في الجنة فيه رضا نفسى ، وإن أقدم رضا ربى على
رضا نفسى ، وذلك لأن رضا ربى كان أهم في
نفسه من رضا نفسى ، بل هو لا يرى لنفسه وجوداً أما
واجب الوجود ،

وهذا أبو ذرّ يحل الماء إلى الرسول وهو عطشان تقدماً
للأهم على المهم ، فكيف يحل لعباس الماء لأخيه
الحسين وهو ريان .

وهل ترى صادقاً دحواخوة روى حشى وأخوه فى الحجر ظنى

وَمَهْمَا تَبْعُدُكَ الْأَمْثَالُ فَلَا تَنْشِ الْحُسَيْنَ حِينَ نَزَلَ
 إِلَى الْمَشْرِعَةِ وَافْتَرَفَ - بِأَبِي وَأُخِي - غُرْفَةً بَيْدَهُ
 لِيُشْرِبَهَا ، فَصَاحَ عَلَيْهِ صَائِحٌ مِنَ الْقَوْمِ (يَا حُسَيْنُ
 أَتَلْتَذُّ بِشُرْبِ الْمَاءِ ، وَقَدْ هُمِّتْكَتْ حُرْمُكَ ، هَذَا
 لَمْ يَبْلُغِ الْمَاءُ إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ وَعَنَاءٍ ، وَقَدْ خَلَا ظَهْرُهُ
 مِنْ جَمِيعِ أَنْصَارِهِ وَمُحَارِبَتِهِ ، وَطَمَعَ الْقَوْمُ فِي قَتْلِهِ فَضَلَّ
 عَنْ مَنَعِهِ الْمَاءَ ، وَقَدْ بَلَغَ الْعَطَشُ مِنْهُ غَايَتَهُ ، وَاخْتَلَمَ
 الْحَرْبُ وَالتَّعَبُ مِنْهُ مَا خَذَّ عَظِيمًا ، وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ
 يَرْمِي الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ أَنْ سَمِعَ تِلْكَ الصَّيْحَةَ الْمَشُومَةَ ،
 حَيْثُ كَانَ حَفِظَ عَرَضِهِ أَهَمَّ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، ثُمَّ
 رَأَى الْخِيْمَةَ سَالِمَةً ، فَعَلِمَ أَنَّهَا حِيلَةٌ مِنَ الْقَوْمِ وَ
 مَكِيدَةٌ (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمَاكِرِينَ)
 أَمْ لَيْسَتْ طِغْ أَحَدُهُمْ لَوْلَا أَنْ يَعْتَذِرَ عَنِ الْحُسَيْنِ كَمَا اعْتَذَرَ
 عَنِ الْعَبَّاسِ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُعَصُومٍ ، وَغَيْرُ الْمُعَصُومِ قَدْ يُقَاتِلُ
 الذَّنْبَ - اللَّهُ أَكْبَرُ - لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ
 السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًّا .
 (الثَّامِنُ) لِتَشْرِيعِ الصَّوْمِ حِكْمٌ كَثِيرَةٌ ،

مِنْهَا أَنْ يَذُوقَ الْاَغْنِيَاءُ لِبَاسَ الْجُوعِ عَنْ طَاعَةِ
لِلّهِ وَإِذْعَانٍ ، فَيَذْكُرُوا إِخْوَانَهُمُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ
الَّذِينَ يُعَانُونَ جَهْدًا لَتَغْبِ وَيَذْفُقُونَ أَلَمَ الطَّوِي
عَنْ فَقِيرٍ وَاقْلَالٍ ، فَطَيَّبَ حِينَئِذٍ نَفْسَهُمْ ،
بِتَأْدِيَةِ حُقُوقِ اللّهِ الْوَاجِبَةِ الَّتِي فَرَضَهَا لِلْفُقَرَاءِ فِي
أَمْوَالِ أَهْلِ الثَّرْوَةِ مِنَ الْاَغْنِيَاءِ ، فَقَدْ اِقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ
تَعَالَى حِينَ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ وَ
يَخْتَبِرَهُمْ بِأَنْ يَجْعَلَ رِزْقَ بَعْضِهِمْ فِي أَيْدِي بَعْضٍ

رَ فَلْيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ،
وَلَوْ اِكْتَفَى بِوَصْفِ قَرَارَةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ التَّغْبِ لَمْ يُذِيعُوا
لَوْصِفِهِ إِذْ عَاهَضَهُمْ لِعَانَاتِهِ لِأَنَّ آثَارَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِنَّمَا
تَتَرْتَّبُ عَلَى وُجُودِهَا الْخَارِجِيِّ كَالْإِحْرَاقِ لِلنَّارِ ، دُونَ وُجُودِهَا
الذِّهْنِيِّ - نَعَمْ وَرَبِّكَ -

لَا يَعْرِفُ الْوَجْدَ إِلَّا مَنْ يَكَابِدُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَاجِلُهَا
فَإِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لَوْ قَامَ مَقَامَ الْعَبَاسِ ، ثُمَّ أَكْطَفَا
وَقْدَةَ عَطَشِهِ بِشُرْبِ الْمَاءِ بَرَدَتْ نَادُ عَزْمُهُ ، وَلَمْ
يُوَصِلْ سَعْيَهُ مُطَرِّدًا وَمُسْتَمِرًّا عَلَى الشَّائِكَةِ الَّتِي ابْتَدَأَ
بِهَا الْأَمْرَ فِي إِصْصَالِ الْمَاءِ إِلَى خَبَاءِ الْحَسَنِ ، وَقَدْ
عَادَ عَطَشُهُ فِي ذَاكِرَتِهِ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، وَإِصْصَالُ الْمَاءِ

إلى الحسين كان مِذْعاةً جهاديه ، والا
كان غايته الوحيدة وضالته المنشودة
يُرفعُ كلَّ مانعٍ عن وُصولِ غايته ، والمتَّ
يُبَالِغُ في دفعِ الحَوَاجِزِ وكشفِ الحُجُبِ
أُمنِيتهُ

(التاسع) من المُحقِّقِ أَنَّ الحُسَيْنَ قَا
وهو في مكة المكرمة عند ما أراد السفرَ
فقال فيما قال (مَنْ كانَ فينا باذِلًا مُهْجَنًا
لقاءِ اللهِ نفسَه فليرحلْ معنا ، فَإِنِّي رَاةُ
انشاء الله) والمهجة كما فسرها اللغويون
أودم القلب ، هذا مع أَنَّ على العباس
عُهودًا كثيرةً بأن يَتَفَانِي في سبيلِ نصرته
يَبْذُلُ فِيهِ مُهْجَتَهُ ، فلو أَنَّهُ - وحاش
الماء - وقد كان ترك الحسين منذ ودَّعه
كالخشبَةِ اليَابِسَةِ لَيسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ رُحْمٍ
مَنْ ذَا يُؤْمِنُهُ أَنَّ الحُسَيْنَ يَمُوتُ في مكانه
العبَّاسِ حَيَاتَهُ وَتُوتَهُ في الجهادِ ، وإِ
في مكانه فَإِنَّ فَائِدَةَ تَبْعِي لِلجِهَادِ^(١) ، وه
بعهدِهِ وَبِيعَتِهِ أَمَرْتَاهُ لِيَسْتَحَقَّ أَنْ يُنْشِدهُ

(١) ألا تسمع إليه حيث يقول لنفسه : هذا الحسين شارب الماء

بلسان حاله .
 لَا أَلْفَيْتَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادًا
 هَذَا مَا لَكَ الْأَشْرُوكَا قَالَ لَهُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)
 إِلَيْهِ وَقَدْ شَارَفَ الْفَتْحَ رَأَيْتُكَ أَنْ تَفْتَحَ وَإِمَامُكَ
 يُقْتَلُ فِي مَكَانِهِ ، وَقَعَ السَّهْفُ مِنْ يَدِهِ وَأَرْسَلَ زِمَامَ
 الْفَتْحِ وَالظَّفِيرَ لِعَدُوِّهِ بَعْدَ مُعَالَجَةِ تِلْكَ الْحُرُوبِ الظَّالِمَةِ
 وَالظَّفِيرَ بِالْعَدُوِّ نَشْوَ عَظِيمَةٍ شَاطِرُ عَلَى الْمَشَاعِرِ وَتَأْخُذُ
 بِالْقُوَى وَالْمَدَارِكِ الْأَمِّنِ حَازِقُوةً الْأَرَادَةِ وَلَمْ تَغْلَبْ
 عَاطِفَتُهُ عَلَى عَقْلِهِ ، وَقَدْ سَرَدْنَا التَّارِيخَ كَثِيرًا مِنْ
 أَخْبَارِ أَهْلِ الْوَفَاءِ الَّذِينَ وَفَّوْا بِعَهْدِهِمْ لِغَيْرِهِمْ بِأَدْنَى
 عِلَاقَةٍ وَأَقْلَمُ مَلَابَسَةٍ ، شَرَّوِي كَعْبِ بْنِ مَامَةَ
 الَّذِي قَتَلَهُ الْعَطَشُ حَيْثُ انْطَمَى حِصَّتَهُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي
 اقْتَمَوْهُ بِالْحَصَاةِ لَصَاحِبِهِ كُلَّمَا جَاءَتْ نَوْبُهُ فَقَالَ لَهُ
 (أَذْكُرْ صَاحِبَكَ يَا كَعْبُ) وَبِضْدِهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ ،
 فَقَدْ سَجَلِ التَّارِيخُ غَدَرَاتِ الْكَثِيرِ مِنْ سَاقِطِي الْهَيْمِ وَ
 صِغَارِ الْتُفُوسِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَادَا ، وَلَمْ يَحْسَبُوا
 لِلْإِنْسَانِيَّةِ أَيَّ حَسَابٍ ، فَخَرَجُوا مِنْهَا وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلُوا
 فِيهَا ، حَيْثُ غَدَرُوا بِذِمَّتِهِمْ وَأَرْخَصُوا ضَمَائِرَهُمْ وَخَانُوا
 بِعَهْدِهِمْ (وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى

بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وَاسْتَمَرَ
الْعَبَّاسُ بِالْوَفَاءِ وَالْمُؤَاسَاةِ لِأَخِيهِ الْحُسَيْنِ كَأَعْظَمِ مَا
يَتَصَوَّرُهُ الْعَقْلُ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْمُؤَاسَاةِ بِالنَّفْسِ إِلَى أَحْزَنِ
نَفْسٍ يَلْفِظُهُ أَمَامَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، لَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ
لَا نِجْمٌ ، وَلَا يُصْغِي بِأُذُنِهِ لِعَذْلِ اللَّوَاحِي ، وَذَلِكَ حِينَ وَضَعَ
الْحُسَيْنُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ ، فَرَفَعَهُ وَرَفَعَهُ فِي التُّرَابِ ،
- يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا - وَحَاشَا الْعَبَّاسَ مِنْ مُخَالَفَةِ الْحُسَيْنِ
كَأَقْدَرِ أَيِّ مَنْ فَعَلِهِ ، لَذَلِكَ سَأَلَهُ حَتَّى يَبُوحَ بِالْحَقِيقَةِ
الْمُنْطَوِبَةِ فِي ضَمِيرِهِ ، وَلِيَسْجِلَهُ التَّارِيخُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ وَفِي
بَيْعَتِهِ فَأَجَابَهُ (الْآنَ أَنْتَ تَأْخُذُ رَأْسِي وَتَرْفَعُهُ عَنِ التُّرَابِ
وَبَعْدَ سَاعَةٍ مِنْ يَرْفَعُ رَأْسَكَ ، وَمَنْ يَمْسُحُ التُّرَابَ عَنْ
خَدِّكَ) بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَبَا الْفَضْلِ مَا آخِذُ رَأْسُ خَبِكَ
بَعْدَ سَاعَةٍ إِلَّا التَّمْلُؤُا لَضَبَابِي ، ثُمَّ شَهَقَ الْعَبَّاسُ شَهَقَةً
عَظِيمَةً - وَأَلْحَنَهَا لِتَذَكُّرِ السَّاعَةِ الرَّهِيْبَةِ سَاعَةِ ذِيحِ الْحُسَيْنِ -
وَهَكَذَا مَاتَ بَيْنَ يَدَيْ أَخِيهِ شَهِيدًا مَانْتَهُ وَصَرِيحَ وَفَائِهِ
فَصَاحَ أَخُوهُ وَأَخَاهُ وَاعْتَبَّاسَاهُ ، الْآنَ انْكَسَرَ ظَهْرِي وَ

قَلَّتْ حِيلَتِي وَتَمَّتْ بِي عُدُوِّي .
وَهَوَى عَلَيْهِ مَا هُنَاكَ قَائِلًا الْيَوْمَ بَانَ عَنِ الْيَمِينِ حُسَاهَا
الْيَوْمَ نَامَتْ أَعْيُنُ بَكْ لَمْ تَنْمِ وَتَشْهَدَتْ أُخْرَى فَعَزَمْنَا

القاسم بن الحسن * (١١٥)

* ما وجه تزويجه يوم عاشوراء *

أكثر الناس لا يرون وجهًا لصحة الرواية القائلة أنَّ
الحسين زوج ابن أخيه القاسم من ابنته سكبنة ،
في عرسه كربلاء في اليوم العاشر من المحرم ، وقد
قامت الحرب بينه وبين أعدائه على ساقها وحمي طبعها
وكثرت عن أنبيائها ، وقد صرع نصب عينه أبطاله
وأخوته وولده ومحمته ، فما وجه مزج فرج العرس
والقيران بهجوم المصائب وعموم فقد الأجبة .
وكل مصيبات الزمان جدًا سوفرة الأجباب ^{يخطب}
وهل هو إلا من قبيل الطفرة من الحزن العظيم إلى الفرح ،
والتاريخ بكامله لم يحل نظير هذه المفاجأة الغربية ،
والحكيم من يضع الأشياء في مواضعها ، ويطبّق أموره
كلها على اعتبارها المناسب لها .

قلنا هذا كله صحيح ولكن هل لتزويج القاسم دخل
في عظمة هضبة الحسين وما ذنب الحسين إذا زيد في
نهمته ما لم يسبق له فيه علم ولا اطلاع ، شأن
الحوادث المهمة ذات الشأن الكبير ، فألّا كَلَمًا
بعد أمدها وزاد اهتمام الناس بها أخذت بالزيادة

طولاً وعرضاً ، وتداولها أخيلة دواها سعة و
ضيقتا ، وكل يعمل على شاكلته ، وليس الشهرة
دليل الوقوع ما لم تبلغ حد التواتر ، ولا عدم الشهرة
كاشف عن عدم الصحة ، واستمع إلى قول حكيم
الشعراء .

رُبَّ مشهورٍ ولا أصل له وله أصل ولم يشتهر
وحسبك دليلاً على ما نقول ما اشتهر عند عامة
الناس طيلة القرون المتقدمة أن القمر عند الخوف
تبتلعه حوتة عظيمة ، فهم ينادونها الإها زيج
ويفتنون بخلاصه من بين فكها بالاستعطاف طورا ،
وتزهدها فيه طورا آخر ، وتهددها تارة ثالثة
وهو لا يوافق شيئا مما في الأخبار ولا الهيئة الجديدة
بل ولا القديمة .

هذا ولنا في الجواب عن هذا الزفاف لو فرضنا صحة
روايته وجوه كثيرة ، علاوة على التسليم للأمام في
جمع أقواله وأفعاله لأنه معصوم ، وجميع أمور المعصومين
جارية على وفق الصواب والحكمة (لا يسبقونه بالقول
وهم بآمره يعملون) .

(الْأَوَّلُ) إِنْ أَلْعَرِضَ يُسَلِّمُ وَجُودَ رِوَايَةِ الزِّفَافِ بَلْ شُرْهَافَ
فِي لَزْمِهِ عُرْفًا لِلتَّصَدِيقِ بِهَا ، لِأَنَّ وَضْعَ الْأَخْبَارِ
لِلتَّصَدِيقِ ، وَأَمَّا الْكِذْبُ فَاحْتِمَالُ عَقْلِ لَا يَلْزَمُ
الْأَنْصِبَاغُ إِلَيْهِ ، مَا لَمْ يَنْتَهِ مِنَ التَّصَدِيقِ مَا نَعَى
مِنْ بَدَاهَةِ الْعَقْلِ أَوْ ضُرُورَةِ الشَّرْعِ ، فَأَمَّا مُجَرَّدُ
الْأَسْتِعَادِ لِأَنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَحِلَّ فِي طِبَاتِهِ نَظِيرَ هَذَا
الزِّفَافِ ، فَلَا يَكْفِي فِي رَدِّ هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، وَأَهْنِ
مَنْ أَحَاكَ بِالتَّارِيخِ عَلَيْنَا لِيَحْكُمَ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ السَّلْبِ
الْكُلِيِّ كَيْفَ وَقَدْ قَالَ الرَّئِيسُ ابْنُ سَيْبَانَ (كَلَّمَاءُ وَرَعَى
سَمْعَكَ مِنَ الْعَجَائِبِ فَذَرَهُ فِي بُقْعَةٍ لَا مَكَانَ حَتَّى
يَذُودَكَ عَنْهُ سَاطِعُ الْبُرْهَانِ) وَإِذَا كَانَ مُمَكِّنًا وَ
جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ ، فَلَنَا أَنْ نَطَالِبَ بِالْمَانِعِ مِنْ
تَصَدِيقِهَا ، وَلَعَلَّكَ تَقُولُ الْمَانِعُ مِنْ تَصَدِيقِهَا
مَا حَصَحَ فِي الرِّوَايَةِ أَنَّ سُكَيْنَةَ كَانَتْ فِي حَبَالِ عَبْدِ
ابْنِ الْحَسَنِ أَخِي الْقَاسِمِ ، فَكَيْفَ تَزُوجُ مِنَ الْقَاسِمِ
فَنَقُولُ إِنْ جَاءَتْ الرِّوَايَةُ بِأَنَّ اسْمَ زَوْجِ الْقَاسِمِ
سُكَيْنَةُ فَلَعَلَّ لِلْحُسَيْنِ ابْنَةَ ثَانِيَةَ اسْمِهَا سُكَيْنَةُ .
فَإِنَّ لَهُ عَلِيًّا وَعَلِيًّا وَقِيلَ وَعَلِيًّا ثَالِثًا أَيْضًا وَهُوَ الرُّضْعُ
الْمَقْتُولُ يَوْمَ الطَّنِّ وَلِأَبِيهِ زَيْنَبُ الْكُبْرَى وَزَيْنَبُ الصُّغْرَى

وامثال هذا في التاريخ جِد كثير .
 (الثاني) ، أَنَّ الحسينَ أَرَادَ تَنفِيزَ وَصِيَّةِ أَخِيهِ
 الحسن كما جاءَ في رواية العُوذَةِ - إِنْ صَحَّتْ رِوَايَةُ
 العُوذَةِ - فَإِنَّ أَمْرَ تَرْوِيجِهِ كَانَ مُوسَعًا ، وَلَمَّا
 أَبَى الْقَاسِمُ إِلَّا الْجِهَادَ بَيْنَ يَدَيْ عَمِّهِ وَلِقَاءَ حَيْشِ الْكُوفَةِ
 بِأَسْرِهِ تَحَقُّقَ دُئُو أَجَلِهِ ، فَصَارَ الْوَاجِبُ مُضِيقًا ،
 فَأَرَادَ الْحُسَيْنُ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَةً فِي نَفْسِ أَخِيهِ الْحَسَنِ ،
 جَزَاءً لِتَنفِيزِ الْقَاسِمِ وَصِيَّةَ أَبِيهِ فِي بَذْلِ نَفْسِهِ فِي نَصْرِ
 عَمِّهِ الْحُسَيْنِ (وهل جزاءُ الأَحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) .
 (الثالثُ) ، أَنَّ الْحُسَيْنَ أَرَادَ أَنْ يَظْهَرَ لِلْعَالَمِ
 الْأَسْلَامِيِّ فِي مَظْهَرِ الشُّكْرِ أَنَّ هَذِهِ الْمَصَائِبَ الْعَظِيمَةَ
 الَّتِي تَنَدَّلَتْ لَهَا الْجِبَالُ الرُّوَاسِي عَلَى صَلَابَتِهَا ،
 مِنْ فَقْدِ الْأَحَبِّ وَقِلَّةِ النَّاصِرِ وَمُشَارَفَةِ قَتْلِهِ عَطْشَانًا
 وَأَسْرَعِيَالِهِ فِي أَيْدِي الْأَعَادِي الشَّامِتِينَ .
 وَقَدِيمًا أَخْبَرَ جَدُّهُ الْمُصْطَفَى أَبَاهُ الْمُرْتَضَى بِمَا يَجْرِي
 عَلَيْهِ مِنَ الْحَوَادِثِ ، مِنْ غَضَبِ حَقِّهِ وَهَضْمِهِ وَ
 ضَرْبِ زَوْجِهِ الزَّهْرَاءِ نَضْبَ عَيْنِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ
 (أَنْصِرْ بِأَعْيُنِي) فَقَالَ لَهُ (يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا
 مَقَامَ الصَّبْرِ بَلْ هُوَ مَقَامُ الشُّكْرِ) أَجَلَ فَإِنَّ اللَّهَ

عِبَادًا يَتَعَاهَدُهُمْ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَتَعَاهَدُ أَحَدُكُمْ
الْمُحِبِّيبَ بِالْخُفَةِ ، وَإِذَا اتَّخَفَ الْمَوْلَى عَبْدَهُ بِخُفَةٍ
وَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُهَا ، وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ
نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى عَلَيْهِ آثَارَهَا ، هَذَا مَعَ أَنَّ
أَبْطَالَ الَّذِينَ فَقَدَهُمْ وَمَا فَقَدَ مَكَادِمَهُمْ قَدَرَفَعُوا
رَأْسَهُ عَالِيًا بِمَصَارِعِهِمِ الْكَرِيمَةِ ، فَقَدْ عَاشُوا
كِرَامًا وَقُتِلُوا أَعِزَّاءَ يُخَلِّدُ التَّارِيخُ مُجْدَهُمْ وَيُجَلِّعُ مَعَ
الْأَجْيَالِ ذِكْرَ عَظَمَتِهِمْ ، وَلِلَّهِ دَرُ السَّيِّدِ جَعْفَرِ
الْحَلِيِّ حَيْثُ يَقُولُ .

بُشْرَى بَنِي هَرِفَافٍ بَنَاءُ وَهُمْ مَا تَوَاوَهُمْ أَعْلَى الْوَدَى عَيْنَا
لَا يَلْطَمُوا الْأَيْدِي حَقُّ لَهِمْ أَنْ يَعْقِدُوا أَنْزِيَةً لِلْهَنَا
فَأَيُّ عَجَبٍ إِذَا عَقَدَ الْحُسَيْنُ نَادِيًا لِلْهَنَا لِهَرِي اللَّهِ
عَلَيْهِ إِثَارًا لِلنِّعَمِ ، وَضَاعَفَ الْفَرَحَ وَالْأُبْتِهَاجَ
بِعَرَسِ ابْنِ أَخِيهِ ، وَمَا هُوَ الْمَانِعُ مِنْ تَدْخُلِ اسْبَابِ
الْفَرَجِ وَالسَّرُورِ .

(الرَّابِعُ) لَقَدْ عَاشَ أَبِي الضَّمِيمِ وَهُوَ يَرَى شِمَاتَةَ
الْأَعْدَاءِ الْأَعْظَمِ الْمَصَائِبِ وَأَشْجَى الْفَوَاحِ ، وَلَسْنَا
حَالِهِ يَهْتَفُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ .
كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهْوُنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

لذلك كان إذا المّت به إحدى الكوارث ودفعت
أخيه صوّقها بالبكاء والنخب - ومن شأب
النساء الجزع والبرقة - ناداهما أخته زينب لا
تُمتي بنا الأعداء ، فانطبعت شقيقته بطائفه ،
فكان قلبها بعد قتله كزبر الحديد ، كما يُخبر عنها
جدة عصرها زين العابدين عليه السلام وقد قال
الحكّاء (الجزع على المصيبة أعظم من المصيبة)
لأنه يفرّح به العدو ويسو الصديق ، والصبر
يسو العدو ويسو الصديق ، ومنزلة الرضا *
أعظم من منزلة الصبر ، كما أنّ درجة الشكر إلى
ذكرها أبو الحسن أرفع من درجة الرضا ، وهذا
الغصن من تلك الشجرة ، وفي الفرع ما في أصله
وزيادة ، فكان الحسين دأى أعداءه يتخفرون
لشماطة بقتل رجاله ومُشارفة قتله ، حيث هتفوا
به (يا حسين قتل الأجانب واخذت تلود في
أطناب الجناب بين النساء والأطفال) فأراد
دخض خزائهم ، فحقق سروده وابتهاجه بزل
هذه الفواجع يعرض ابن أخيه الذي سيلتقي بعد
ساعة بعومته وطائب أرومته ، فإن ذلك

أَنكِ لِلْعَدُوِّ فِي كَسْرِ سُورَةِ شَمَاتِهِ ، وَاشْدُّنِ
التَّجْلِيدَ ذِكْرَهُ الْهَذْلِيَّ فِي قَوْلِهِ .
بِتَجْلِيدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْبَعًا أَقْبَلُ لِرَبِّ الدَّهْرِ لَا اتَّضَعُ
وَقَدِيمًا اعْتَرَضَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَبِيهِ - وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ
يُذَكَّرُ - لَمَّا قَتَلَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ إِلَى
النَّبِيِّ يَحْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ أَنْظِرْ بَا
رَسُولَ اللَّهِ إِلَى عَلِيِّ كَيْفَ يَحْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ ، وَقَدْ
فُضِّتْنَا عَنْ هَذِهِ الْمَشْيَةِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
هَذِهِ مِشْيَةٌ يَمُقُّهَا اللَّهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَقَامِ - أَيْ
مَقَامِ الْحَرْبِ - فَقَدْ عَلِمَ الْمُصْطَفَى نِيَّةَ أَخِيهِ الْمُرْتَضَى
أَنَّ هَذِهِ الْمَشْيَةَ بَعْدَ قَتْلِ حَامِيَةِ الْمُشْرِكِينَ وَ
بَطْلِهِمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ أَعْظَمَ عَلَيْهِمْ وَاشْدُّ
نَكَايَةً لَهُمْ مِنْ قَتْلِهِ ، حَيْثُ رَجَعَ وَقَدْ فَرَغَ مِنْ
قِتَالِهِ وَهُوَ يُنْشِدُهُمْ بِلِسَانِ حَالِهِ .
إِنْ عَادَتِ الْعُقُوبُ عُذَابَهَا وَكَانَتِ الْمَغْلُهَا حَاضِرَةً
بِجَلَدٍ مَا لَوْ قَتَلَهُ وَرَجَعَ مِنْكَ سِرًّا مُتَالِمًا مِنْ قَرْجِ الْحَرْبِ^(١)
الَّذِي مَسَّهُ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمَشْيَةَ أَعْظَمَ مِنَ الشَّمَاتَةِ
وَابْلَغُ فِي إِظْهَارِ عَدَمِ الْمُبَالَاهِ بِهِمْ وَبِجَاهِيَّتِهِمْ ، وَ
أَجْلَى مَظْهَرٍ مُحَقِّقٍ لِقَوْلِ النَّبِيِّ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ ،

(رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَرَاهُمْ مِنْ نَفْسِهِ شِدَّةً) .
 وَأَنَا أَقُولُ لِهَذَا الْمُعْتَرِضِ يَا هَذَا اقْتُلْ عَمْرًا ثُمَّ امْشِ عَلَى دَأْسِكَ
 إِنْ شِئْتَ دُونَ أَطْرَافِ أَصَابِعِكَ .
 (الْخَامِسُ) ، أَنَّ الْحُسَيْنَ رَأَى هَذَا الشَّابَّ فِي عُنْفَرِ
 شَبَابِهِ وَمُقْتَبِلِ حَيَاتِهِ قَدْ اعْرَضَ عَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَ
 مُتَعَ الْحَيَاةَ ، وَبَذَلَ نَفْسَهُ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ ،
 فِدَاءً لِمُخْلِيفَةِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحَامِلٍ عَهْدِهِ فِي عِبَادِهِ ،
 فَأَرَادَ أَنْ تَرْتَفِعَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ بِأَنْ يَلْقَاهُ وَهُوَ
 مِنْ جِيَارِ أُمَّةٍ جَدَّ رَسُولِ اللَّهِ ، نَظَرَ إِلَى قَوْلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (شَرَارُ أُمَّتِي الْعُرَابُ بِخِيَارِهِمْ
الْمُتَزَوِّجُونَ) وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَحْدِثِ (الدُّنْيَا مَرْزُوعَةٌ
الْآخِرَةُ) وَأَنَّ اللَّهَ يُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ وَيُنْهِيهَا (وَاللَّهُ
بِضَاعِيفٍ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) فَشَقَّ تَمْرَةً
 يَتَصَدَّقُ بِهِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ بِرَأَاهُ أَكْبَرَ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ ،
 فَمَا بَالُكَ بِبَذْرِ يَزْرَعُهَا بِيَدِهِ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، لِابْنِ
 أَخِيهِ أَكْبَرِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فِي حَقْلِ
 عَرِصَةِ كَرْبَلَاءَ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةَ
 وَلَا بَيْتَهَا الْعَتِيقَ ، وَهِيَ دَوْضَةٌ مِنْ دِيَارِ الْجَنَّةِ ،
 وَقَدْ ضَمَّتْ جَسَدَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ،

(السادس) اَنْ سَكِيْنَةً لَوْ لَمْ تُزَوَّجْ بِالْقَاسِمِ ؛
 لَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ بغيرِهِ ، وَلَعَلَّهَا كَانَتْ مُسَمَّاةً لَهُ ،
 بِنَاءً عَلَى اسْتِمْرَارِ حَيَاتِهِمَا حَتَّى يَتَزَوَّجَ بِهَا ، فَإِذَا قُتِلَ
 وَلَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا اَنْ تَخْتَارَهُ فِي الْبَحْتَةِ لِأَنَّهُ
 لَمْ يَتَزَوَّجْهَا فِي الدُّنْيَا ، فَهَلْ يَأْتُرِي مِنَ الْأَنْصَافِ
 وَالْمُرُوَّةِ اَنْ تُصَرَفَ عَنْهُ ابْنَةُ عَمِّهِ الْمُسَمَّاةُ لَهُ لِغَيْرِ
 سَبَبٍ ، إِلَّا أَنَّهُ فَدَى أَبَاهَا بِأَعْزَا لِنَفْسِ عَلَيْهِ ،
 وَقُتِلَ فِي نَصْرَةِ دِيْنِ اللَّهِ الْخَنِيفِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ
 أَنَّ الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ تُخْتَارُ بَيْنَ أَزْوَاجِهَا فِي الدُّنْيَا ،
 فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ اخْلَاقًا ، فَإِذَا كَانَ وَاحِدًا ، وَلَعَلَّ
 سَكِيْنَةً لَمْ تَقْتَرِنْ بِغَيْرِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْاِخْلَاقِ كَابْنِ
 الْحَسَنِ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَعْدِلٌ عَنْ اخْتِيَارِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ
 بِجَدِّهِ الْمُصْطَفَى اَنْ زَوَّجَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ
 اَزْوَاجًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَيْنٍ إِلَّا بَعْدَ اِنْتِقَالِهِ اِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ،
 وَهُنَّ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ ،
 وَكَلْثَمُ أُخْتُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، كَمَا وَرَدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
 قَالِ لِحَدِيْجَةَ وَهِيَ فِي دَوْرِ الْأَحْتِيَاذِ اَبْلَغِي ضَرَا تُرْكُ عَنِّي
 السَّلَامَ ، فَقَالَتْ وَمَنْ ضَرَا تُرِي يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ،
 قَالَتْ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ ، وَ

كَلَّمْتُمُ أُخْتَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، فَقَالَتْ بِالرَّفَاءِ وَ
الْبَنِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَكَانَ الْأَزْدِ وَاجُ فِي الدُّنْيَا
وَالْبِنَاءِ وَثَمَرَةُ الزَّوْجِ فِي الْآخِرَةِ ، وَلِلْقَاسِمِ
حَفِيدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ
مِجْدَى رَسُولِ اللَّهِ

(السابع) - وَلَعَلَّهُ اقْوَى الْوُجُوهِ - أَنَّ الْحُسَيْنَ
أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْقُدْوَةَ الصَّالِحَةَ وَالْأَسْوَةَ الْحَسَنَةَ وَ
الْمَثَلَ الْأَعْلَى لِأُمَّةٍ جَدِّ فِي جَمِيعِ الْمَصَائِبِ الَّتِي قَدِّمَ
بِهِمْ عَلَى مَرُورِ الْعُصُورِ وَتَعاقِبِ الْأَزْمِنَةِ .

وَإِذَا تَعَاوَدَكَ الزَّمَانُ وَمَالَ مَحُوكٍ بِالنَّوَابِ
فَاذْكُرْ مُصِيبَتَهُمْ بَعْرًا صَةِ كَرَبَلَاءَ تَشْرِ الْمَصَائِبِ
فَإِذَا فَتَدَّ أَحَدُهُمْ أَعَزَّ حَبِيبٍ ، تَذَكَّرْ مُصِيبَةَ
الْحُسَيْنِ بِأَحِبَّائِهِ وَأَنْصَارِهِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ حَبِيبٍ ،
وَإِذَا أَنْشَبَتِ الْمَنِيَّةُ أَظْفَارَهَا لِأَحَدِهِمْ بِرَضِيعٍ ،
سَلَى بِرُزْيَةِ عَبْدِ اللَّهِ الرُّضِيعِ وَمَصْرَعِهِ الْفَطْبَعِ ،
وَإِذَا نَكَبَهُ الدَّهْرُ بِفَقْدِ وَلَدٍ أَكْبَرَ ، فَإِنَّ لَهُ الْأُسْوَةَ
الْحَسَنَةَ بِمُصِيبَةِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ بَعْلِ الْأَكْبَرِ ، وَ
إِذَا مَاتَ الزَّمَانُ بِمَوْتِ أَخٍ لَهُ أَوْ أَخَوَيْنِ ، جَعَلَ نُصْبَكَ
عَيْنِيهِ قَتْلَ الْعَبَّاسِ وَإِخْوَتِهِ ، وَذَكَرَ مَدَى خُرَهِيمٍ

الْعَمِيقِ فِي قَلْبِ سَيِّدِ الْحُسَيْنِ ، وَإِذَا قَلْبَ الدَّهْرِ
لأَحَدِهِمْ ظَهَرَ الْمَجْنُنُ ، فَمَاتَ عَرُوسُهُ بَيْنَ يَدَيِ
زُفَافِهِ وَتَبَدَّلَ الْفَرَحُ بِالْحُزْنِ ، فَلَيْتَ ذَكَرَ - وَلَا بُدَّ
أَنْ يَتَذَكَّرَ - فَجَبَّةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ بِالْعَلَامَةِ مِنْ
أَخِيهِ الْحَسَنِ .

وَلَكِنْ مَنْ لِلْأُمَّةِ بِأَسْرِهَا بَغْلَامٍ كَالْقَاسِمِ ابْنِ
رِيحَانَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟
قِيمَ الْحُسْنِ فَلَقَّتْ بَيْنَ فُفْيِهِ فَلَقَّةٌ وَالْأَنَامُ فِي أُخْرَاهَا
وَلِذَا كَانَتْ الْعُيُونُ تَرَاهُ فَلَقَّةَ الْبَدْرِ أَشْرَقَتْ سَمَاهَا
يُزَقُّ عَلَى بَنَةِ عَمِّهِ سَكِينَةَ الْهَوَاءِ الْأَنْسَبَةِ ، فَيَمْشِي
الدَّهْرُ أَعْمَى وَإِذَا بِهِ يُزَقُّ عَلَى الْمَنَبَةِ ، وَيُلْبَسُ لِلْعَرَسِ
ثِيَابَ أَبِيهِ الْحَسَنِ ، وَإِذَا بَعِيَتْ يَشُقُّ لَهُ آثَابُهُ فَيَجْعَلُهَا
فِي صُورَةِ الْكَفَنِ ، وَيُنْثَرُ عَلَى رَأْسِهِ التَّقْلُ ، وَإِذَا هُوَ
عَرَضُ النِّشَابِ وَالنَّبْلِ ، وَتَحْضَبُ كَفُّهُ لِلْعَرَسِ
بِالْحِنَاءِ ، وَإِذَا بِهَا تَحْضَبُ مِنْ رَأْسِهِ فِي الْمِيدَانِ
بِالدِّمَاءِ ، وَيُدْخِلُهُ عَمَّتُهُ الْمَخِيمةَ بِيَدِهِ وَيُبَارِكُ لَهُ
فِي عَرْسِهِ وَقِرَانِهِ ، وَإِذَا هُوَ بَعْدَ سَاعَةٍ يُنَادِيهِ
أَدْرِ كُنِّي يَا عَمَّتَاهُ ، فَيَنْقُضُ عَلَيْهِ كَالصَّقَرِ إِذْ يَنْقُضُ
عَلَى فَرَسِيَّتِهِ .

فَلَا تَجْأَلِي لَعْبَةً إِلَّا وَالْحُسَيْنُ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ الْغُلَامِ ،
وَهُوَ يَخْصُ بِرَجْلَيْهِ وَالْحُسَيْنُ يَقُولُ (يَعْزُّوَاللَّهُ عَلَى
عَمَلِكَ إِنْ تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ ، أَوْ يُجِيبُكَ فَلَا يُعْبِتُكَ أَوْ
يُعْبِتُكَ فَلَا يُغْنِي عَنْكَ ، بَعْدَ الْقَوْمِ قَتْلُكَ) ثُمَّ احْتَمَلَهُ
وَاضْعًا صَدْرَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، وَرَجُلَا الْغُلَامِ تَجْتَظَانِ
فِي الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَلْقَاهُ فِي الْخَيْمَةِ بَيْنَ الْقَتْلَى
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، مَعَ وَلَدِهِ عَلِيِّ الْأَكْبَرِ ، وَهُوَ يَنْدُبُهُمَا
أَشْجَى نَدْبَةٍ ، وَيَرِثُهُمَا أَحْرَارِثَاءُ ، فَلَمْ تَرَ ثَاكِلًا أَشْجَى
مِنْهُ بَيْنَ فَقِيدَيْنِ ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِمَجْجُوعٍ أَشَدَّ حَزْنًا مِنْهُ
بَيْنَ قَتِيلَيْنِ ، لَا سِيَّمَا إِذَا نَظَرَا إِلَى وَجْهَيْهِمَا كَأَنَّهُمَا قُرْآنٌ
وَقَدْ جَبَّتْهُمَا وَفَرَّقَا هُمَا كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، وَقَدْ
فَاضَتْ عَلَيْهِمَا دِمَاؤُ الْهَامَتَيْنِ ، وَكَسَتْهُمَا ثَوْبَيْنِ أَحْمَرَيْنِ
فِيُنْشِدُهُمَا بِلِسَانِ حَالِهِ .

تِلْكَ الْوُجُوهُ الْمَشْرِقَاتُ كَأَنَّهُمَا الْأَمْثَارُ سَجُ فِي غَدَرِدُمَا
خَضِرَا وَمَا شَابُوا وَكَانَ خَضِبًا بَدَمٍ مِنَ الْأَوْدَاجِ لَا الْخِنَاءِ



عَبْدُ اللَّهِ الرَّضِيعُ

٠ (١٢٦)

لَمَّا فَرَغَ مِنْ نَحْلِهِ أَبَوْهُ إِلَى الْمَرْكَةِ *

قَاتَلَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَمُداودَ وَدَتَهُ الْمُقَصِّصَ
وَمُرَاوَنَتَهُ فِي الْحُجَّةِ وَالْخُصُومَةِ ، أَذَاعَ فِي
الشَّامِ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ (يَا عَمَّارُ تَقْتُلُكَ الْفِتَةُ
الْبَاغِيَةُ) وَلَمَّا دَامَ لِشَامِيُونَ عَمَّارًا يَحِلُّ لِقَاتِهِمْ
رَايَةً خَصِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ذَكَرُوهُ فِي حَدِيثِهِ
فَوَعَدَهُمْ - كَاذِبًا - بِأَنْ عَمَّارًا سَتَكُونُ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ
أَنْ يُقْتَلَ تَحْتَ لَوَاهِيهِمْ ، وَآخِرًا اعْتَرَضَهُ أَبُو الْعَادِيَةِ
الْفَزَارِيُّ وَهُوَ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ ، وَعَاوَدُوهُ فِي الْأَعْرَاضِ
فَقَالَ (مَا مَخْنُ قَتَلْنَاهِ وَإِنَّمَا قَتَلَهُ مِنْ عَرَضِهِ
لِسَيْوفِنَا وَرِمَاحِنَا) يُرِيدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
نَقُولُ إِذَا تَبَعَ الْمُعْتَرِضُ مُعَاوِيَةَ فَأَوْلى أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى
الْحُسَيْنِ فِي حَمَلِهِ عَبْدَ اللَّهِ الرَّضِيعَ بِجَهْرَةٍ عَسْكَرِ الْكُوفَةِ
فَيُبْهَرُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ قَائِلًا ، إِذَا كَانَ الْحُسَيْنُ عَلِيمًا أَنَّ
اللَّهَ قَدْ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ لِفَتْكِهِمْ
الَّذِينَ بَاهَلُوا بَيْتَهُ وَأَنْصَارَهُ ، مِنْ غَيْرِ مَا رَحِمَةٍ
وَلَا وَافَةٍ ، هِيَ كَالْحِجَارَةِ الْوَاشِدِ قُوَّةً ، وَقَدْ
ضَاعَتْ فِي الْقَوْمِ خُطْبَتُهُ وَخُطْبُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ

أَلَسِنْتُهُمْ كَالْمَخَارِقِ ، فَمَا بِالْهـ وَهَوَا الرِّذِيلِ الرِّصِينِ
 بَلْ أَلَمَعِي الْحَكِيمُ - يَعْرِضُ طِفْلَهُ عَبْدَ اللَّهِ الرُّضِيعَ
 عَلَيْهِمْ وَيَسْقِيْ لَهُ مِنْهُمْ الْمَاءَ فَيُعَرِّضُهُ بِذَلِكَ
 لِمَصْرَعِهِ الْفَطِيْعِ وَيُغَامِرُ بِهِ أَنْ يُرْمَى بِذَلِكَ السَّهْمِ
 الْمَشُومِ ، أَلَيْسَ فِي تِلْكَ الْمَغَامَرَةِ مَجْرِبَةٌ لِلْمُجَرَّبِ ،
 أَلَا يَكْفِيهِ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ حَالَتَهُ فَإِنْ دَفَعُوا الْمَاءَ
 لِيَسْقِيَهُ بِهِ فَذَلِكَ مَا أَرَادَ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ قَدْ فَتَحَ لَهُمْ
 الطَّرِيقَ عَلَى قَتْلِهِ .

وَلَنَا أَنْ نَقُولَ أَمَّا اسْتِسْقَاؤُهُ لِلطِّفْلِ مِنَ الْقَوْمِ
 فَوَاجِبٌ لِّئَلَّا يَهْلِكَ عَطَشًا فَيَعْتَزِدُوا عِنْدَ اللَّهِ بِعَدَمِ عِلْمِ
 بِحَالَتِهِ ، وَأَنَّ أَبَاهُ جَنَى عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يُخْبِرْهُمْ بِهِ ، وَ
 هُمْ أَيْمَانًا حَرَّمُوا الْمَاءَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فِي
 إِرَادَتِهِمْ تَقْوِيضَ عَرْشِ يَزِيدَ ، وَالطِّفْلُ خَارِجٌ مَوْضِعًا
 وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْوَصْفَ لَا يَكْفِي فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ عَنْ
 الْمَشَاهِدِ وَمِنْ أَرَاءِ مَنْ سَمِعَ ، وَلَعَلَّهُمْ وَلَوْ صَدَّقُوهُ بِأَنَّ
 الطِّفْلَ قَدْ اشْفَى عَلَى الْهَلَاكِ مِنْ شِدَّةِ الظَّمَا يَتَمَوَّنُهُ
 بِأَنَّهُ سَيُشَارِكُهُ فِيهِ أَوْ يُؤْثِرُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَقَدْ حَرَّمُوا
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَذُوقَ مِنْهُ قَطْرَةً وَاحِدَةً أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ
 فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ (خَذُوهُ وَاسْقُوهُ) فَكَأَنَّهُ أَحْسَنَ مِنْهُمْ

١، اشفى المريض على الهلاك : قاربته

لَمَّا ذَا يُحْلِلُ أَبُوهُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ * (١٢٩)

الْثُّمَّةُ لَهُ ، وَأَمَّا عَلَيْهِ بِأَقْصَمٍ قَدْ نَزَعَتْ الرَّحْمَةُ مِنْ
قُلُوبِهِمْ هُنِي كَأَمْجَادَةٍ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَيَكْفِيهِ دَلِيلًا
عَلَى ذَلِكَ فَتَكْتُمُ الذَّرِيعُ بِآلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ ،
مَنْ كَانَ يَتَصَوَّرُ يَا تَرَى أَنْ تَبْلُغَ بِهِمَا الْقَسْوَةُ وَتَنْتَهِيَ
بِهِمَا الْوَحْشِيَّةُ وَالْهَجِيَّةُ إِلَى مَا انْتَهَتْ أَلَيْهِ مِنْ فَتْكِهِمْ
بِالرَّضِيعِ الَّذِي لَاجِرْمَ لَهُ وَلَا ذَنْبَ وَلَا يَبْدِي فِي الْأُمُورِ
وَلَا يُعِيدُ ، وَأَنْ صَدَرَ لِأَبِيهِ ذَنْبٌ - كَمَا يَزْعُمُونَ -
لِعَدَمِ نَزُولِهِ عَلَى حَكِيمٍ يَزِيدُ فَإِنَّهُ لَا يَدُورُ فِي خَلْدِ^(١) أَنْ
سَيُؤْخِذُونَ بِهِ الرِّضِيعَ إِذْ لَمْ يَجْرِ الْعَادَةُ بِذَلِكَ ،
حَتَّى عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ وَهَجِيَّتِهَا لَا تَسْمَعُ شَا عَرَهُمْ
إِذْ يَقُولُ .

ابْنُ نَاحِيَةٍ قَتْلًا وَاسْرًا عَدَا الشُّمَّاءُ وَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ
ثُمَّ يَقُولُ أَتَلُومُ الْحَسِينَ بِجَلِّ الطِّفْلِ لِأَنَّهُ رَجَعَ بِهِ إِلَى
الْخِيَمَةِ مَقْتُولًا وَلَا تَعَجُّبُ مِنْ سِيَاسَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ
بِأَسَالِيِبِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ ، وَتَنْبِيهِ أُمَّةٍ جَدِّهِ مِنْ
رَقْدِهِمَا الطَّوِيلَةِ وَسُبَا قِصَمِ الْعَمِيْقِ ، لَا تَسْمَعُ إِلَى
خُطْبَتِهِ الَّتِي هَزَّتِ الْعُسْكَرَ عَلَى كَثْرَتِهِ وَقَسْوَتِهِ هَزَّةً
عَنِيفَةً ، بَلْ مَا جَاحِلُهَا الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ حَزَنًا وَجَزَعًا
وَارِجٌ^(٢) بَهْرًا وَمَجْبًا ، حَيْثُ هَتَفَ بِهِمْ فَبَلَغَتْ دَعْوَتُهُ

(١) الْحَلْدُ : بِالْهَاءِ وَالْقَلْبِ (٢) عَجَبًا تَفْسِيرُ بَهْرًا

القلوب قبل الآذان (يا قوم قد قتلتم شيعتي وبي
عمي وأولادي وأخواني وقد بقي هذا الطفل يتلظى عطشا
فاسقوه شربة من الماء) .

ودعا في القوم يا الله للخطب لقطع نبؤني أنا المذنب أم هذا الرضيع
لا حظوه فعليه شبه الهادي الشيع لا يكن شافعكم خصما لكم في الدنيا
فاستشرف له الجمع ، فتطاولت الأعناق ، واشربت
النفوس وأرهفت الآذان ، ووجفت القلوب ،
وفاضت العيون بالدموع ، وكثرت اللغظ والرهج في
العسكر ، فمن قاتل إذا كان ذنب للكبار فما ذنب
الصغار ، ومن قاتل لعن الله ابن سعد ما أقسى قلبه
وكادوا يفيقون من سكرة ضلالهم ، ويستيقظون
من رقة غفلتهم ، وللعقل رقة وانتباه ، والله
مقلب لقلوب الأبصار .

فبربك هل سمعت أو علمت أن خطبة من خطبه
فضلا عن خطب أصحابه قد فعلت مفعولها في قلوب
القوم كخطبته برضيعه ، وهل سيطر بشي على
تلك النفوس الموصدة الآذان العمي لبصائر كآوائه
لهم ذلك الطفل البريء من الذنوب ، الخالص
من الآثام ، التزيه من الجرائم ، وهو يتلوى

﴿لَمَّا ذِي الْجَمَلِ دَابُّهُ إِلَى الْمَعْرِكَةِ﴾ (١٣١)

عَطْشًا وَيَتَلَقَّى أَوَامًا ، وَقَدْ صَفَرَتْ مِنْهُ وَجَنَّتَاهُ
وَهُمَا وَرَدَتَانِ ، وَغَارَتْ عَيْنَاهُ وَهُمَا نَزَجِسَتَانِ ،
وَذَبَلَتْ شَفَتَاهُ وَهُمَا عَقِيقَتَانِ .

أَمَّا ابْنُ سَعْدٍ فَقَدْ أَدْرَكَ الْوَضْعَ وَادْتَبَكَ فِي
حَرَاةِ الْمَوْقِفِ وَلَمْ تَسْأَلْهُ عَاطِفَتُهُ وَطَمَعُهُ فِي الْجَاهِثَةِ
بِانْقِيَادِهِ لِأَمِيرِهِ أَنْ يَسْقِيَ الرُّضِيعَ قَطْرَةً مِنَ الْمَاءِ ،
فَغَامَرَ بِنَفْسِهِ وَزَعَمَ أَنَّ الشَّرَّ يُطْفَأُ بِالشَّرِّ ، فَقَطَعَ ،
- بِزَعْمِهِ - نِزَاعَ الْقَوْمِ الْمُحْتَدِمِ وَلِجْهَهُمُ الْمُسْتَمِرَّ ،
أَنْ انْتَحَبَ حَرْمَلَةٌ مِنْ بَيْنِ الرُّمَامَةِ ، لِأَنَّهُ وَجَدَهُمْ
قَلْبًا وَأَغْلَظَهُمْ كِبَدًا ، وَأَمَرَهُ بِذِيجِ الرُّضِيعِ بِهِمْ
ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ
الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَأَطْلَقَ سَهْمَهُ الْمَثَلَّثَ الْمُسَمُومَ مِنْ كِبَدِ
قَوْسِهِ الْمَشُومَةِ - اللَّهُ أَكْبَرُ - وَلَمْ تَرَعْشْ يَدُهُ وَ
لَمْ تَحْتَلِجْ جَوَادِحُهُ دُونَ أَنْ جَعَلَ هَدَفَ سَهْمِهِ الْمَثَلَّثِ
الْمُسَمُومِ رَقَبَةَ الْبَطْلِ الْمَغْنَى عَلَيْهِ مِنَ الْعَطَشِ ، وَقَدْ
رَأَاهَا تَلَوَّحَ عَلَى عَصْدِ أَبِيهِ كَأَنَّهَا عَمُودُ فَضَّةٍ ، فَانْتَقَطَتْهَا
بِهِمْ إِلَى عَصْدِ أَبِيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَادَ بِأَكْيَاسٍ
مِنْ فَعْلَتِهِ الْكَرَاءِ الَّتِي تَبَرُّأُ مِنْهَا النَّفُوسُ السَّبْعِيَّةُ
مُضِلًّا عَنِ الْبَشَرِيَّةِ ، أَنْ رَأَى الْبَطْلَ يُرْفَرُ عَلَى صَدْرِهِ

أَبِيهِ كَالظَّيْرِ الْمَذْبُوجِ ، وَأَبُوهُ يَتَلَقَّى بِكَفِّهِ دَمَ طِفْلِهِ
الَّذِي يَجِيءُ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وَعَظِيمِ الشَّبَابِ ، وَهَرَمِي بِهِ
صَاعِدًا إِلَى السَّمَاءِ ، وَلِسَانُ حَالِهِ يُتَرَجِّمُ عَنْ
مَكْنُونِ نَفْسِهِ ، إِنَّ بَعْثِكَ يَا رَبِّ مَا نَلْقَاهُ وَ
بِمَجْنَبِكَ مَا نَكَأُ بَدُنًا ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ فِي ذَاتِكَ وَنَزْدٌ فِي
رِضَاكَ يَا أَلَهَ السَّمَاءِ .

وَهَكَذَا تَفَتَّنَ شَهِيدُ اللَّطْفِ بِأَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ إِلَى
الْحَقِّ وَالنِّدَاءِ إِلَى الْهُدَى ، فَارْتَقَتْ بِهِ نَفْسُهُ
الْقُدْسِيَّةُ مِنْ دُعَاءِ الْبَشَرِ قَبْلَ مَقْتَلِ الطِّفْلِ إِلَى دُعَاءِ
إِلَهِ السَّمَاءِ بَعْدَ مَقْتَلِهِ ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ قُرْبَانَهُ وَ
أَرْسَلَ مَلَائِكَتَهُ تَتَلَقَّفُ دَمَهُ الَّذِي أُدِيقَ لَوَجْهِهِ
الْكَرْهِيمِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَحَالَ قَبْلَ اقْتِصَالِهِ بِالْمَلَأُ
الْأَعْلَى (أَلْتَوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ)
فَلَمْ تَنْزِلْ مِنْهُ إِلَى الْأَرْضِ قَطْرَةً وَاحِدَةً .

تَلَقَّفَتْ دَمَهُ الْأَمْلاكُ حِينَ رُجِّئَ نَحْوَ السَّمَاءِ بِهَ الْمَوْلَى فَمَا اخْتَدَا
وَلَكِنَّ الْقَوْمَ فَاهُظَمَ الْغَرَضُ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَأَرْسَلَهُمُ
اللَّهُ مِنْ يَدِهِ إِسْرَافًا مَنْ أَرَادَ إِهْمَالَهُ ، وَنَزَعَ الرَّحْمَةَ
مِنْ قُلُوبِهِمْ فَكَانَتْ عَلَى قُلُوبٍ اقْتِفَاطًا ، وَلَقَدْ
كَانَ الْأَوَّلَى بِهِمْ أَنْ يَسْكُحُوا عِيَوْهُمْ عِنْدَ مَقْتَلِ الطِّفْلِ

* لما ذاب يحمداً بؤه الى المعركة * (١٣٣) .

غَبَّ مَا انْتَبَهُوا بِعَضِّ الْأُنْتَبَاهِ ، فِي عَرْضِهِ عَلَيْهِمْ
يَلُوكُ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ ، أَلَيْسَ رُؤْيَتْهُ مُطَوَّقًا بِأَلْسِنِهِمْ
أَمْضًى مِنْ رُؤْيَيْتِهِ مَلْفُوفًا بِالْقَطَاطِ ، أَلَيْسَ تَشْحُطُهُ بِدَمِهِ
أَعْظَمَ مِنْ تَلْظِيهِ بِعَطَشِهِ ، أَلَيْسَ نَظَرُهُ مُرْفَرَفًا
عَلَى صَدْرِ أَبِيهِ كَالطَّهْرِ الْمَذْبُوحِ اقْرَحَ لِلْقُلُوبِ مِنْ نَظَرِهِ
مَرْفُوعًا بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ سَاكِنًا لِأَحْرَاكَ بِهِ لَكُونِهِ مَغْشِيًا
عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ ، أَلَمْ تُبَكِّ هَذِهِ الْحَالَةَ حُرْمَةً
الْفِظَاءِ الْغَلِيظَ وَهُوَ الْمُتَعَدُّ عَلَى قَتْلِهِ قَبْلًا وَلَمْ تُدْرِكْهُ بِهِ
رَحْمَةٌ ، أَلَيْسَ رُجُوعُهُ بِهِ إِلَى الْخَيْمَةِ قِتْلًا عَلَى عَطَشِهِ
أَعْظَمَ وَأَبْلَغَ اثْرًا مِنْ رُجُوعِهِ بِهِ لِمَوْتٍ فِي الْخَيْمَةِ بَيْنَ يَدَيْ
أُمِّهِ عَطَشًا .

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْحَسِينَ قَدْ بَلَغَ رِسَالَتَهُ وَأَحْسَنَ
فِي أَدَائِهَا كَثِيرًا لِأَنَّهُ رَأَى لَطْفَ قَدَّاشْفَى عَلَى الْهَلَاكِ
مِنَ الظَّمْأِ فَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَقِيَّ لَهُ ، عَلَمًا مِنْهُ
أَنَّهُ إِذَا تَرَكَهُ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ ، فَكَانَ هُوَ الْجَانِي
عَلَيْهِ فِي حُجَّتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ ، وَظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْقَوْمَ
سَيَسْقُونَهُ لِبَرَاءَةِ سَاعَتِهِ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَلِمِلِّ الطَّبَاعِ
لِرَحْمَةِ الْأَطْفَالِ ، وَلَوْ وَصَفَ لَهُمْ حَالَتَهُ فَنِيَّتُهُمْ
بِجَعْلِهِ ذَرِيعةً لِأَطْفَاءِ وَقْدَةِ كِبَرِهِ ، ثُمَّ لَمَّا فَاجَأَتْهُ

هذه النازلة الجسيمة التي لم تكن بحسبانها ما وهن
ولا استكان بل استمررت في نشر دعوتها بالطريقين ٢
الأوضح ، والنجاة البيضاء ، ف ضرب لهم الأمثال
قائلاً (اللهم لا يكن عليك أهون من فصيل ناقة
صالح) وقوم صالح عقرُوا ناقة فقام فصيلها
في البر ، فحذروهم بنبيهم من الانتقام وقال لهم
اطلبوا الفصيل ليكف الله عنكم به بأسه فطلبوه فلم
يُدرِكوه ، وأهل الكوفة قتلوا الرضيع قبل الفصال فلم
يرغوا عن بغهيم ، ولم يرجعوا عن طغيا لهم بل استمروا
في عتوهم حتى قتلوا الحسين ؑ وهو أعظم قدراً عند الله
من صالح وناقة .

جاء في الأثر القديم أَنَّ غلاماً مسلماً دعا جباراً
زمانه الذي يعبد من دُون الله إلى الإيمان بالله ،
فاحتدمت وقدة غيظه عليه وأعد لقتله يوماً مشهوداً
فسد له سهماً بعد أن هتف باسم الصنم الذي جعل
الغلام قرباناً له فلم يصبه ، وصوب سهماً آخر فأخط
الغرض ، فلما دأه قد ضجر من كثرة السهام وعدم
الأصابة ، قال له أن أردت أن تُدرك غرضك
من قتلي فقل عند رمي السهم باسم رب الغلام ،

* لما ذاب محمد أبوه إلى المعركة * (١٣٥)

فما إن قالها ورمى السهم حتى صرع الغلام ،
وعندها أسلم الحاضرون كلهم لرب الغلام و
آمنوا بالله رب العالمين ، أن صرع سهم جبارهم لغلام
في سبيل نشر الدعوة لربه .

فكان ينبغي أن يكون مصرع هذا الغلام أسرع
في نشر الدعوة من ذلك الغلام ، لأن ذلك الغلام
خارج على تقاليد قومه وهذا الغلام لم يبلغ الفصال
ولم يُيم الرضاة ، وذلك الغلام ابن رجل من سائر
الناس لا أمة له ولا قَدَر ، وهذا الغلام ابن محمد
صفوة العالم وسيد البشر ، وكلهم ينتمون إلى ملته و
يزعمون أنهم من أمته ، وذلك الغلام لم يقتل على الظأ
وهذا الغلام قُتل وقد شارف الموت من شدة
العطش ، وذلك الغلام قُتل بهم ذِي شُعْبَةَ وَاحِدٍ
وهذا الغلام قُتل بهم ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ وكان
مع ذلك مسموماً .

ثم نقول أما مجاح الدعوة فلا تعلق له بالداعي ،
لأن الكثير من الأنبياء والرسل ذهبت دعوتهم أوداج
الرياح ، ولكنهما قاموا بالحقبة لله على عباده لئلا
يقولوا (ربنا لولا أرسلنا رسولا فنتبع آياتك

مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَنَخْرُجَ ، تَعْلِيْقًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى
 (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) ، وَأَمَّا ائْتِظَادُ
 قَبْلِ الْبَطْلِ قَبْلَ مَجَاجِ الدَّعْوَةِ لِلْأَسْتِسْقَاءِ بِاللرَّشِدِ وَ
 الْهُدَى فَلَيْسَ ذَلِكَ بِضَائِرٍ دَاعِيَةٍ الْحَقِّ وَرَسُولِ الرَّشِدِ
 وَالْهُدَايَةِ ، وَسَفَرِ الصَّلَاحِ وَالْهُدَى ، لِأَنَّ لَهُ الْأُسُوَّةَ
 بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَدُعَاةِ الْخَلْقِ لِلْحَقِّ ، وَقَدْ ذَكَرَ
 الْقُرْآنُ وَالتَّارِيخُ قَتْلَهُمْ قَبْلَ مَجَاجِ دَعْوَتِهِمْ ، بَلَّهِ
 الْأُسُوَّةَ الْحَسَنَةَ بِجَدِّهِ الْمُصْطَفَى وَبِكَثِيرٍ مِنْ سَرَايَاهُ الْكَرِيمَةِ
 وَرُسُلِهِ الْمُبْلَغِينَ عَنْهُ ، وَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ سَرِيَّةِ جَعْفَرِ
 الطَّيَّارِ ، أَوْ هَلْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ سَرِيَّةِ الرَّجَبِ ،
 أَمْ لَمْ تَسْمَعْ بِوَقْعَةِ بَرِّ مَعُونَةٍ ، وَهُمْ سَبْعُونَ
 شَهِيدًا بَعَثَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ لِلتَّبَشِيرِ بِدِينِ اللَّهِ بَعْدَ
 اسْتِدْعَاءِ أَبِي بَرَاءٍ ، فَأَخْفَرُوا الْأَعْرَابَ ذِمَّتَهُ وَعَلَى
 وَأَسِيَّهُمْ عَامُرُ بْنُ الطَّفِيلِ لَعَنَهُ اللَّهُ فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا ،
 بَلْ كَثِيرٌ مَا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ نَفْسَهُ دَعَا النَّاسَ لِلَّهِ فَلَمْ
 تَنْجَحْ دَعْوَتُهُ وَأُوذِيَ فَصَبَرَ ، بَلْ كَانَ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ
 عَلَى الْقَتْلِ وَلَوْ قَبْلَ مَجَاجِ الدَّعْوَةِ وَأَرَادَوْهُ مِنْهُ بِكُلِّ مَا
 أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِهِ غَايَةَ جَهْدِهِمْ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وَالْحَسَيْنُ إِذَا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَوَطَّنَهَا عَلَى الْقَتْلِ اقْتَدَاءً
بِمَجْدِهِ فَقُتِلَ بَعْدَ كَرَامٍ أَنْصَارِهِ وَأَهْلٍ بِبَيْتِهِ ، فَمَا مَنَعُهُ
مِنَ الْجِهَادِ بِطِفْلِهِ وَبِتَقْدِيمِهِ لِلذَّبْحِ فِي نَشْرِ دَعْوَةِ
الْهُدَى ، قُرْبَانًا لِلَّهِ وَابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى
لِسُوفِ بَرَضَى .

هَذَا وَلَكِنَّا لَا تَرَاهُ نَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَمْ يَدْفُئْ فِي خَلْدٍ الْحَسَنِ
وَلَمْ يَحْظَرْ فِي بَالٍ غَيْرِهِ أَنَّ بَنِي مَهَبَةٍ سَيَمْنَعُونَ طِفْلَهُ الْمَاءَ
بَعْدَ ذَوَيْتِهِمْ لَهُ بَتْلُكَ الْحَالَةِ الَّتِي تُصَدِّعُ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ
وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ رَحْمَةُ الْأَطْفَالِ مِنْ طِبَايِعِ الْبَشَرِ ؟
فَلَمْ يَدْفُئْ لَا وَدَبَّ لِابْنِ خَلْدٍ مِنْ آلِ حَرْبٍ بَعْدَ اللَّهِ مَا صَدَّ
وَأَعْتَمَدًا عَلَى أَنَّ رَحْمَةَ الْبَشَرِ لِلطِّفْلِ الصَّغِيرِ مِنْ بَابِ إِرْسَالِ
الْمُسَلَّمَاتِ تَلَقَّتْ سُكِينَةُ أَبَاهَا بِسُؤَالِهَا الَّذِي ذَرَا الْمَلْحَ
عَلَى جُورِ فَوَادِهِ (أُبَةُ لَعَلَّكَ سَقَيْتَ أَحْيَى الْمَاءِ) فَبَكَى الْحَسَنِ
وَكَتَفَى عَنِ الْجَوَابِ بِأَنَّهُ دَفَعَ لَهَا الطِّفْلَ عَلَى حَالَتِهِ الَّتِي قُتِلَ
عَلَيْهَا وَالسَّهْمُ لَا يَزَالُ فِي مَخْرَجِهِ ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ دَفْعَ
تَوَقُّعِهَا فِي اسْتِيعَادِ صُدُورِ قَتْلِهِ كَمَا هُوَ مُرْتَكِزٌ فِي الْأُذْهَانِ
قَائِلًا لَهَا (بُنَيْتَهُ خُذِي أَخَاكَ مَذْبُوحًا بِسَهْمٍ
الْأَعْدَاءِ .

وَأكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ لَوْ جَرَتْ الْعَادَةُ فِي قَتْلِ الْأَطْفَالِ عَلَى عَظَمَتِهِمْ
وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ غَيْرَ اسْتِقَاءِ الْوَلِيِّ لَهُمْ ، وَعَرَضَهُمْ
عَلَى مَا نَفَعَهُم الْمَاءُ ، لَمَا مَتْنَى الْحَسَيْنُ حُضُورَ شَيْعَتِهِ
يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، لِنَظَرِ وَأَبَا عَيْنٍ رُؤُوسِهِمْ هَذِهِ
الْمَصِيبَةُ الْغَرِيبَةُ فِي جَدِّهَا الْعَظِيمَةِ فِي نَوْعِهَا ، كَمَا
أَوْصَى إِلَهُهُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنَتِهِ سَكِينَةَ لَمَّا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا
عَلَيْهِ وَقَدْ قُطِعَ رَأْسُهُ ، كَمَا قَالَتْ لَمَّا مَرَّ الْقَوْمُ بِالنِّسْوَةِ
عَلَى الْقَتْلِ رَمَيْتُ بِنَفْسِي عَلَى جَدِّ أَبِي فَمَعَتْ صَوْتًا يَخْرُجُ
مِنْ مَنْحَرِهِ الْمُقَدَّسِ .

شَيْعَتِي مَا إِنْ شَرِيتُمْ عَذَابًا فَأَذْكُرُونِي

أَوْ سَمِعْتُمْ يَقْتِيلُ أَوْ شَهِدَ فَأَنْذِرُونِي

فَأَنَا السِّبْطُ الَّذِي مِنْ غَيْرِ حُرْمٍ قَتَلُونِي

وَبَجَرْدِ الْخَيْلِ بَعْدَ الْقَتْلِ عَمْدًا سَحَقُونِي

لَبِيتُكُمْ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ جَمْعًا تَنْظُرُونِي

كَيْفًا سَتَسْقِي لَطْفًا لِي فَأَبَوَا أَنْ يَرْجُمُونِي

وَسَقَوْهُ سَهْمَ نَعْيٍ يَوْضًا لَمَّا الْمَعِينُ

* وَالْعَجْزُ عَنْ صُفِّ شَجَاعَةٍ *

بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي عَصْرِكَانِ
كُلُّ مَنْ الْفَصَاحَةِ وَالشَّجَاعَةِ فِيهِ قَدَا دَرَكْتَ إِنَّا هَا وَ
بَلَّغْتَ أَشَدَّهَا ، هُنَا مَطْلَعُ أَنْظَارِ أَهْلِ ذَلِكَ لِعَصْرِ
بَلِّهَا غَايَةُ الْمَجْدِ عِنْدَهُمْ ، وَقُصَارَى مَا يُعَدُّونَهُ
لِمَفَاخِرِهِمْ ، تَفَوُّنَ فِي الْفَصَاحَةِ فَعَلَقُوا قَصَائِدَهُمْ
عَلَى الْكَعْبَةِ فِي مَوْسِمِ اجْتِمَاعِهِمْ لِتَهْرَبَ بِأَيْدِي الْوُفُودِ
مَسِيرَ الرِّيحِ إِلَى جَمِيعِ أَقْطَارِهِمْ وَنَوَاحِيهِمْ ، وَنَبَغَ
فِي الشَّجَاعَةِ عَنَتَرُ بْنُ زَبِيبَةَ ، وَكَانَ عَبْدًا شَانَهُ
الْحَلَبُ وَالصَّرَّ^(٢) ، فَصَارَ سَبْدًا تَعَشَّقُهُ كَرِيمَاتُهُمْ وَ
عَمَقَاتُهُمْ ، وَمَا عَلَيْهِنَ بِذَلِكَ غَضَاضَةٌ ، بَلِ
لَهُنَّ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ ،

وَلَكِنَّ اللَّهَ بَهَرَهُمْ بِفَصَاحَةِ الْقُرْآنِ الْخَارِجَةِ
عَنْ طَوَقِ الْبَشَرِ ، حَتَّى تَحْدَاهُمْ^(٣) بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِنْ مِثْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ رَأَوْهُمْ يَعْجِزُونَ عَنِ الْإِتِّبَانِ
بِمِثْلِهِ كُلِّهِ ، بَلِ بَعْشَرُ سُورٍ مَفْتَرِيَّاتٍ ، فَلَمَّا قَطُّوا
- فِي كُلِّ ذَلِكَ - فِي عَجْزِهِمْ ، وَاعْتَرَفُوا مُذْعِنِينَ
بِضَعْفِهِمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ عَلَى دَعْوِ الْأَوْفِصِمْ ،

١، نَضِجَهَا (٢)، شَدَّ الصَّرْعَ (٣)، خَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ كُلِّهِ أَوْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ

فمَحَيَّرُوا لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَصَبَرُوا لِلْجِلَادِ وَالنِّضَالِ ،
وَوَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ وَ
وَيَلَاهُتَا مِنْ أَذْهَاقِ النُّفُوسِ وَتَرْمِيلِ النِّسَاءِ وَيُتَمِّ
الْأَطْفَالِ وَاسْتَرْقَاقِ ذُرَايِهِمْ وَهَضَبِ مَوَالِهِمْ ،
وَكَمَا أَسْرَهُمُ الْأَسْلَامُ وَمَنْ أَذَلُّ مِنَ الْأَسِيرِ ، وَأَذَاهُمْ
اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَقَاسُوا مِنَ التَّعَذُّبِ لَوَانًا ،
وَمِنَ الصَّغَارِ وَالتَّكْيِيلِ أَنْوَاعًا ، وَذَلِكَ حِينَ مَحَضَاهُمْ
الرَّسُولُ وَخَبَّرَهُمْ أَنَّ يَكْفُوا بِأَسَهِ عَنْهُمْ بِوَاحِدَةٍ مِنْ
هَاتَيْنِ الْخِصْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَدْ بَلَغْتَ أَشَدَّهُمَا عِنْدَهُمُ
الْفَصَاحَةُ فَيَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ بِلِ بَعِشْرِ سُورٍ بِلِ بَسُودَةٍ
وَاحِدَةٍ - وَالشَّجَاعَةُ فَيَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
فَدَعَتْهُمَا الْعَصِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ أَنْ إِخَارُوا هَذِهِ
الْخِلَّةَ الثَّانِيَةَ ، وَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا هَاهُنَا فِي
نَفْسِهِمْ مِنَ الْأُولَى ، لِذَلِكَ أَنْزَلُوا مُعَلَّقًا لِقَوْمِ
- وَضَعًا لِقَدَرِهَا - وَرَمَوْا بِهَا فِي التُّرَابِ ،
وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ ، وَإِنْ عَلِمُوا بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ وَ
الْمَصِيرِ إِلَى مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ ، لَكِنَّهُمْ آثَرُوا أَنْ
يَمُوتُوا - بِزَعِيمِهِمْ - كِرَامًا ، وَهَكَذَا يَفْعَلُ الْجَاهِلُ
بِصَاحِبِهِ ، وَالْجَاهِلُ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ .

﴿ وَالْجَنَّةُ عَنْ صِفِّ شَجَائِعِهَا ﴾ (١٤١) .

أَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ وَحْدَهُ إِلَى النَّاسِ
كَافَّةً ، أبيضهم وأسودهم بل إلى الجن والأُنس
إلى يومِ الْقِيَامَةِ وَقَدْ عَلِمَ - وهو الْعَلِيمُ بعبادِهِ -
أَنَّهُمْ سَيُكَذِّبُونَهُ وَسَيَقَابِلُونَهُ بِكُلِّ مَا أَوْثَقُوا مِنْ قُوَّةٍ ،
وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ قُوَّتَهُمْ تَتَخَصَّرُ فِي فَصَاحَةِ اللِّسَانِ وَ
شَجَاعَةِ الْجَنَانِ ، لِذَلِكَ ذَوَّدَهُ بِهِمَا وَأَتَاهُ فَوْقَ مَا
أَنَّ أَهْلَ ذَلِكَ الْعَصْرِ جَمِيعًا ، بِكُلِّ صُورٍ وَالْقُرُونِ
الَّتِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ
قَدْ أَرْسَلَهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ - لِهَذَا
الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الْخَطِيرِ ، فِي ذَلِكَ الظَّرْفِ الْعَصِيبِ
الرَّهِيبِ ، لِلْجَنِّ وَالْأُنْسِ كَافَّةً ، فَكَيْفَ يُرْسِلُهُ
مُجَرَّدًا مِنَ الْقُوَّةِ الْقَاهِرَةِ وَالْقُدْرَةِ الْكَافِيَةِ ، عَادِيًا
مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تَمَسُّ لَهَا الْحَاجَةُ ، وَتَدْعُوهَا الْأَحْوَالُ
الْكُفْهِلَةُ بِالْجَنَاحِ ، وَكَيْفَ يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
إِنَّ هَذَا وَدَيْكَ لَا يَكُونُ فِي الْأُمْرِ الْمُؤَلَّوْثَةِ الْبَشَرِيَّةِ
لِلْعَبِيدِ مُضَلًّا عَنِ الرَّبَّانِيَّةِ الْأَلْهِيَّةِ لِلْحَبِيبِ ، وَهُوَ
الْقَائِلُ (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) كَلَّا فَقَدْ
فَتَحَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - مِنْذُ وَضَعَ قَدَمَهُ فِي
عَرَصَةِ الْوُجُودِ وَاخْتَارَهُ اللَّهُ لِرِسَالَتِهِ الْخَالِدَةِ -

بَابَيْنِ مِنَ الْقُدْرَةِ ، وَأَمَدَهُ بِسِلَاحَيْنِ عَظِيمَيْنِ
لِلنَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْعَدُوِّ ، وَأَيْدِهِ بِقُوَّتَيْنِ مِنْدُوجَتِهِ
إِلَى جِهَتَيْنِ (الْأُولَى) الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ ، وَهُوَ فِي
هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْمِثْلُ الْكَامِلُ فِي الرَّجُولَةِ الَّذِي لَا تَنَالُهُ إِلَّا بِسُنْ
بِقَدْحٍ ، وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَبْلُغَ كُنْهَهُ بِمَدْحٍ ،
حَيْثُ خَلَا مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ وَصَارَ الْمِثْلُ الْأَعْلَى لِكُلِّ
فَضِيلَةٍ أَجَلٍ .

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ الْمَعْتَرَعُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ إِنَّمَا
أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) كَمَا أَشَارَ إِلَى الثَّانِيَةِ (بِقَوْلِهِ
(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)
وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ اتَّصَلَ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَاسْتَلَمَ
الْوَحْيَ ، وَارْتَضَاهُ اللَّهُ لِلْإِطْلَاعِ عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ ،
وَصَدَّرَتْ مِنْهُ الْمُعْجَزَاتُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ ، وَهِيَ
مَا نُسِمَتْ بِهَا بِالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَلَعَلَّهُ أَشَارَ إِلَيْهَا
بِقَوْلِهِ (يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَنِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ) كَلَامًا فَانَّهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا بَعَثَ لِلنَّاسِ كَافَّةً وَأَوْفَى الْقُرْآنِ
الَّذِي لَوْ اجْتَمَعَتِ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ لَا
يَأْتُونَ بِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا كَذَلِكَ أَوْفَى مَنْ

* وَالْعَجْزُ عَنْ صِفِّ شَجَاعَةٍ * (١٤٣)

الشجاعة ما يعجزُ البشرُ عن مُقابَلَتِهِ كَالْقُرْآنِ بِلِ الْأَسْرِ
وَالْحَبْنِ ، الَّذِينَ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَكَيْفَ يَقْصُرُ سِلَاحُ شَجَاعَةٍ جَنَانِهِ عَنْ سِلَاحِ فَصَاحَةٍ
قُرْآنِهِ ، وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ عَصَرِهِ سَيَخْتَارُونَ
الْحَرْبَ وَالنِّزَالَ ، بَعْدَ أَذْعَانِهِمْ بِالْعَجْزِ عَنْ مُقَابَلَةِ
فَصَاحَةِ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ بِرُبِّهِ أَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

غَيْرَ أَنَّهُ تَعَالَى رَفَعَ مَقَامَ نَبِيِّهِ عَنْ مُبَاشَرَةِ الْحَرْبِ
بِنَفْسِهِ فِي غَيْرِ الْمَقَامَاتِ الَّتِي تَدْعُوهَا الْحَاجَةُ كَيَوْمِ
الْحُدَيْ ، وَجَعَلَ الْمَظْهَرَ التَّامَّ بَيْنَ الْمُحَقِّقِ الْأَجَلِيِّ لَشَجَاعَتِهِ
وَالْمِرَآةِ الَّتِي انْطَبَعَتْ فِيهَا صُورَةُ بَطُولَتِهِ وَفِرَوسِيَّتِهِ وَصِيَّةِ
بِلِ نَفْسِهِ - فِي نَعْوَتِهِ الْحُسْنَى وَمُثْلِهِ الْعُلْبَا -

بَطْلَ الْإِسْلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَهُوَ تَعَالَى كَمَا تَخَذَلُوا
بِالْقُرْآنِ تَخَذَلُوا بِشَجَاعَةِ عِذْلِ الْقُرْآنِ فِي أَهْمِهِ
مَوَاطِنِ النَّبِيِّ أَعْنَى غَزْوَةٍ بَدْرٍ الْكُبْرَى إِذَا نُزِلَ عَلَيْهِ

رِيَآئِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَفْسِيرِهِ
كَثِيرٍ مِنَ الْجُمْهُورِ وَكَافَّةِ الشَّيْعَةِ ، وَتَخَذَلَى النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَثِيرًا مِنَ الْعَرَبِ كِبَرِيٍّ وَلِبَعِهِ وَغَيْرِهِمْ
بِأَخِيهِ أَنْ يُرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَنْتَهَوْا فَيَقْتُلِ الرِّجَالَ دَا

يَسْبِي الدَّارِي وَيَنْهَبُ الْأَمْوَالَ ، وَكَمْ قَذَفَ فِي
لَهَوَاتِ الْحُرُوبِ (فَلَا يَنْكُفِي حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ)
كَمَا قَالَتْ كَفَوْهُ الزَّهْرَاءُ فِي خُطْبَتِهَا ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَاتِلُ ،
(لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى قِتَالِي مَا وَلَّيْتُ)
عَنْهَا (الدُّبُرُ) أَمَّا أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي قَاتَلَ طَوَاغِيتَ الْجَنِّ
بِمَدَدِ رَبِّهِ السَّمَاءِ فِي حَتَّى قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ ، وَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ وَسِيفُهُ يَنْطِفُ مِنْ
دَمَائِهِمْ ، وَمَا لَنَا نَذْهَبُ فِي التَّدْلِيلِ عَلَى مَا
نَدَّعِيهِ بَعْدًا ، وَهَذَا أَحَدُ ذُرِّيَّتِهِ الصَّادِقِينَ
يَقُولُ فِي زِيَارَتِهِ (كَاشَفُ الْكَرْبِ عَنْ وَجْهِهِ ،
- أَيْ النَّبِيِّ - الَّذِي جَعَلَتْهُ سَيْفًا لِنُبُوتِهِ ، وَ
مُعْجَزًا لِرِسَالَتِهِ ، وَدَلَالَةً وَاضِحَةً لِحُجَّتِهِ ، وَ
حَامِلًا لِرَابْتِهِ ، وَوَقَايَةً لِمُجْتَمَعِهِ ، وَهَادِيًا لِأُمَّتِهِ
وَيَدًا لِبَاسِهِ ، وَتَاجًا لِرَأْسِهِ ، وَبَابًا لِلنَّصْرِ ،
وَمِفْتَاحًا لِلظَّفِيرِ ، حَتَّى هَزَمَ جَبُوشَ الْكُفْرِ بِأَذْنِكَ
وَأَبَادَ عَسَاكِرَ الشُّرِكِ بِأَمْرِكَ) وَبِحُكْمِ قِيَاسِ الْمُسَاوَاةِ
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَالَمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ قَرِينٌ فِي
الشَّجَاعَةِ وَمُسَاوٍ فِي الْبُطُولَةِ لِبَطْلِ الْأَسْلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ ، وَحَمَلَةُ عَهْدِ اللَّهِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَضْلًا عَنْ وُجُودِ

﴿ والعجز عن صِف شجاعته ﴾ (١٤٥)

الأشجع ، كما لا يمكن وجود ما يساوي فصاحة القرآن فضلاً عن الأفتح ، ولذا كان العترة و القرآن ثقلي النبي اللذين أوصى بهما أمته لأنهما دعامة نبوته ، وقوام رسالته ، وسلاحها دينه وميلته ،

هَذَا وَلَكِنِّي لَا أَزَالُ أَهْمُجَبِّدًا - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - من حديث الثقلين غير ما يترأى من ظاهره ، وعلى أن أبدي رأبي و ليس علي أن يقبله كل من وعاه - يقول صلى الله عليه وآله لأمتيه موعداً لها ببقاء مليته حتى يقوم الناس لرب العالمين ، غير مبالي بما يكونونه في صدورهم من انتهاز الفرصة والتخلف للوثبة لمحو دينه ، وأستبصال شأفة ذريته انتقاماً منه بما فعل بهم ، وقد قرأ ذلك كله على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم ، وفعل كل مري كاشف عن نبيه وهو ميزان الرجال ومعبأ وملكاها ، فقام بين يدي المؤمنين معلناً فيها بالبشارة ، وفي مشهد المنافقين - وما أكثرهم - مرعياً أنا فيها صادعاً بالندارة ، (إني تخلف فيكم الثقلين

١، مثل يضرب لإزالة الشيء من أصله ومعنا ما الإفرادي القرحة في أسفل القدم

كِتَابُ اللَّهِ وَعَتَرِي أَهْلَ بَيْتِي ، سَلَامِي دَعْوِي وَقَوَامِي
 مِلَّتِي ، وَدَعَا مَتِي رِسَالَتِي لِلتَّائِبِينَ قَامَتْ عَلَيْهِمَا ،
 وَبِهِمَا تَحْدِيثُ الْجَنِّ وَالْأَنْسِ فَلَمْ يُقَابِلُوهُمَا وَلَوْ كَانَ لِبَعْضِهِمْ
 لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلِفُونِي فِيهِمَا) فَإِنْ اتَّبَعْتُمَا
 وَاقْتَصَصْتُمْ أَثَرَهُمَا وَاقْتَدَيْتُمْ بِهِمَا فَحَظَّكُمْ أَصَبْتُمْ ،
 وَسَعَادَتُكُمْ أُدْرِكْتُمْ ، وَسَتَرِدُونَ حَوْضِي مَعَهُمَا يَوْمَ نَزَعِ
 كُلِّ أُمَّةٍ بِأَمَامِهَا ، وَسَتَحْشُرُونَ مَعِي وَفِي دَرَجَتِي فِي
 الْجَنَّةِ ، لِأَنِّي أُجِبُهُمْ ، وَالْمَرْءُ يُحْشَرُ مَعَ أَحَبِّ
 الْأَوَائِمَا لَا يُورَدَانِي إِلَى ضَلَالَةٍ وَلَا يَنْتَهِيَانِي بَكُمْ إِلَى غَوَايَةٍ
 (مَا إِنْ مَسَّكُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا) وَإِنْ خَالَفْتُمَا -
 وَلَا بُدَّ أَنْ تَخَالَفُوهُمَا - فَأَنْتِ أَنْتَ حَاكِمٌ بِهِمَا بَعْدِي كَمَا تَحْكُمُكُمْ
 بِهِمَا فِي حَيَاتِي ، وَسَيَعُضِدَا حَدُّهُمَا الْآخِرَ وَيُسَانُهُ
 وَسَيَبْقِيَانِ سِلَاحًا لِدَعْوِي ، وَسَيَبْقَى دِينِي قَائِمًا
 بِهِمَا لِأَنَّ عِلَّةَ الْحُدُوثِ هِيَ عِلَّةُ الْبَقَاءِ ، وَأَذَا سَأَلْنَا
 فَلَنْ يُشْلَمَ غَرْبُهُمَا وَسَيَقْعَلَانِ مَفْعُولَهُمَا وَلَنْ يُضَرَّ هُمَا
 خِلَافُ الْمُخَالِفِينَ شَيْئًا وَلَنْ يُضِيرَهُمْ خِذْلَانُكُمْ لَهُمَا وَ
 قَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ وَأَنْ يُرِيدُوا خِيَابَتَكَ فِي عَلَيٍّ فَلَنْ
 يَقْبَلُوهُ وَصَبَّأَ لَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَبِكَ فَلَمْ يَقْبَلُوا
 نَبِيًّا وَرَسُولًا لَهُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ وَتَمَّتْ رِسَالَتُكَ وَكُلُّ دِينٍ

وَلَمْ يُغْنِهِمْ مَكْرُهُمْ وَخَبَائِثُهُمْ شَيْئًا ، فَاذَا قَدَرْتُمْ
أَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ فِي فَصَاحَتِهِ قَدَرْتُمْ أَنْ تُقَابِلُوا
عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي شَجَاعَتِهِ ، وَأَذَاكَانِ فِي وَسْعِكُمْ
أَنْ تَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلَهُ مُفْتَرِيَاتٍ وَسِعَكُمْ أَنْ تَكِيدُوا
بَعْدَهُ عَشْرَةً مِنَ الْأَثْمَةِ الْهَدَاةِ ، وَأَنْ أُمَكِّنَكُمْ أَنْ
تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، أُمَكِّنَكُمْ أَنْ تُنْكِرُوا الْبَقِيَّةَ
الْبَاقِيَةَ وَالْحُجَّةَ الْمُبْتَدَأَ الْأَمْدَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَالْأَوْقَعَ
الْأَفْتَرَاءَ بَيْنَ الثَّقَلَيْنِ ، وَلَمْ يَكُونَا - وَحَاشَا لِهَما -
عِدْلَيْنِ .

وَدَلِيلُنَا مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ مَخَذِي أُمَّتَهُ
بِأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا مَخَذَاهَا بِالْقُرْآنِ إِلَى يَوْمٍ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
عَنْ دِينِهِ فَمَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)
أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) فَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْجَلِّ (وَاللَّهُ مَا قُتِلَ أَهْلُ هَذِهِ الْآيَةِ
حَتَّى الْيَوْمِ) فَإِنَّ فَتَى الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ بِالضَّمَامِ
تَفْسِيرُهَا عَنْ أُسْدِ أَلْبَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ

المؤكد بهذا القسم العظيم ، مع ما يكتنفها من احوال
وملايسات وتعقيبها - بلا فصل - بأختها آية
الاولاء (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ وَمَنْ
يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ) هذه الاشياء ترشدنا الى امور ١
« ١ » أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدِي الْأُمَّةَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ حَتَّى مِنْ
بَعْدِهِ وَأَقْضَمَ هُمُ الْغَالِبُونَ إِذَا قَاتَلُوا مَعَهُمْ ،
« ٢ » أَنَّ حُرُوبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ
وَاجِبَةً عَلَيْهِ لِهَذَا التَّهْدِيدِ وَالتَّوَعُّدِ ،
« ٣ » أَنَّ حُكْمَ مَنْ قَامَ بِالسَّيْفِ مِنْ بَعْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مَنْ حَلَّ عَهْدَ اللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ يَحْفَظَ دِينَ اللَّهِ وَيُعَادِلَ
كِتَابَ اللَّهِ كَوَلَدَيْهِ الْحُسَيْنِ وَالْمُهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ فَإِنْ
حُكِمَا حُكْمَ أُيُّهُمَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كَوْنِ فَخْصَتِهِمَا تَوَعُّدًا
جَدُّهُمَا أُمَّتَهُ ، وَأَنَّ لَهَا الْغَلْبَةَ وَعَلَى عَدُوِّهَا
الدَّبْرَةَ وَسُوءَ الْعَاقِبَةِ ، لِأَنَّ حُكْمَ الْأَمْثَالِ فِيمَا يَجُوزُ وَمَا لَا يَجُوزُ
« ٤ » أَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَهُمْ وَخَذَلَهُمْ فَضُوْمرْتَدُّ عَنْ الدِّينِ
خَادِجٌ عَنْ رِبْقَةِ الْأَسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، لِأَنَّ
أَثَابَةَ الْأَسْلَامِ ثَلَاثٌ لَا اثْنَاتَ ،

❖ وَالْعَجْزُ عَنْ صِفَتِ شَيْئٍ عِنْدَ (١٤٩) ❖

« ١ » أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَهُمْ بِهَذَا الْأَنْقِلَابِ الَّذِي وَقَعَ بَعْدَ نَبِيِّهِ وَأَنْذَرَهُمْ سُوءَ مَغْبَتِهِ ، ففَعَلُوهَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْجَرْحُ لَمَّا سَمِعُوا
 « ٢ » أَنَّ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقِيَامَ بِالسَّيْفِ لَا وَتَدًا وَأَهْلَ عَصْرِهِ بِمُخَالَفَتِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُمِدَّهُ اللَّهُ مِنْ لَدُنْهِ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَبَأْسٍ شَدِيدٍ وَقُدْرَةٍ يَتِمَكَّنُ بِهَا مِنَ الْغَلَبَةِ وَالْإِنْتِصَارِ عَلَى الْمَجَاهِدِينَ لَهُ وَالْمُنْظَاهِرِينَ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانُوا عَرَبَ الْأَنْسِ وَمَجْمَعَهَا ، بَلْ وَلَوْ كَانُوا الْحِجْنَ وَالْأَنْسَ ، وَوَجُودَ الْأَنْصَارِ لَيْسَ شَرْطًا لِهَذَا التَّكْلِيفِ وَالْتِهْوِضِ بِهَذَا الْعِبَاءِ الثَّقِيلِ ، بَلِ الشَّرْطُ هُوَ إِذْنُ اللَّهِ لَهُمْ حَيْثُ تَقْتَضِيهِ مَصْلَحَةُ الظُّرُوفِ ، وَقَدْ عَرَفْنَا هَذَا وَاضِحًا لَا سُتْرَةَ عَلَيْهِ مِنْ عَزْمِ النَّبِيِّ عَلَى لِقَاءِ جَيْشِ أَبِي سَفْيَانَ فِي بَدْرٍ وَالْمَوْعِدِ ، وَلَوْ خَذَلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، وَمِنْ آيَةِ صَحَابِ الْبَحْلِ فَإِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَيُحِبُّونَهُ هُمُ الْمَعْنُونُونَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ فِي وَقْعَةِ خَيْبَرَ (لِأَعْطَيْنَا الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) فَتَحَقَّقَ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ ، وَتَدَعَّى لَنَا ذَلِكَ بَلْ تَرَفَّعَ كُلُّ شِبْهَةٍ عَنْ أَذْهَانِنَا آيَةَ التَّصَدَّقِ الَّتِي أَرَادَتْ مِنَ الْجَمْعِ وَاحِدَ النَّاسِ عَلِيًّا حَيْثُ يَقُولُ (اِيْمَنَّا وَلِبِكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ ذَاكِرُونَ ، فَإِنَّ الْمَرَادَ بِكَلِمَاتِ الْآيَاتَيْنِ وَاحِدًا لَنَا
وَأَنْ كَانَ أَشِيرًا لَهُ بِصِبْغَةِ الْجَمْعِ وَيُؤَيِّدُ مَدْعَانَا قَوْلَهُ
(لَوْ تَطَاهَرَّا لَعَرَبُ وَالْعَجَمُ عَلَى قِتَالِي لَمْ أُولِهَا الدُّبُرُ)
وَحَدِيثُ أُورَادَةِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْقِيَامَ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ
بِالسَّيْفِ حَتَّى يَمْجُوهُمْ عَلَى شِدَّةِ مَرَضِهِ إِذَا صَمَّمُوا عَلَى
قَتْلِهِ كَمَا تَشِيرُ إِلَيْهِ ،

وَدَلَّلْنَا مِنَ السُّنَّةِ مَا صَحَّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ
عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَأُضْرَابِهِ أَتَّهَمَ سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ
كَثِيرًا مَا يَقُولُ لِعَلِيٍّ أَنْتَ قَاتِلُ لَنَا كَثِيرِينَ وَالْقَاسِطِينَ
وَالْمَارِقِينَ ، وَمَا قَاتَلَ الطَّوَائِفَ الثَّلَاثَ إِلَّا بِأَمْرِ
مِنَ النَّبِيِّ لِأَتَّهَمَ لَنَا خَالَفُوهُ ارْتَدُّوا وَانْقَلَبُوا عَلَى
أَعْقَابِهِمْ فَوَجَبَ عَلَيْهِ رُدُّهُمْ لِدِينِ الْأَسْلَامِ
وَأَغْمَحِينَ ، وَبَدَّلَ عَلَى مَا قَلْنَا دَلَالَةً وَاضِحَةً مَا يَرَوْنَ
أَنَّ أَحَدَ الْخُلَفَاءِ خَطَبَ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ
الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِنَبِيِّهِ - رَأَيْتُمْ
لَوْ أَنَّ أَحَدَ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ قَامَ بِالْأَمْرِ ، وَتَرَكَ
الْعَرَبَ فِي عِزَّتِهَا وَمَنْعَتِهَا وَقُوَّةِ دَوْلَتِهَا ، وَلَكِنَّهُ دَعَاَهَا
إِلَى الرَّجُوعِ لِدِينِ آبَائِهَا وَعِبَادَةِ أَصْنَامِهَا ،

* وَالْجُرْعَةُ صَيْفٌ شَاجِرٌ * (١٥١)

فَهَلْ يَسْتَطِيعُ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ يَجِدُّ لَهُ مُعَارَضًا يَمْنَعُهُ وَ
 يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا أَرَادَ) وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرٍ وَمَسْمَعٍ
 مِنْ حَامِيَةِ الْأَسْلَامِ وَنَصِيرِهِ الْمَعْدِ لِحِفْظِهِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَرَفَ الْمَغْزَى وَهَضَمَ الرَّمْزَ وَالْمَعْنَى ،
 وَعَلِمَ أَنَّهُ هُوَ الْمَعْنَى بِالسُّوَالِ ، وَالْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْجَوَابُ
 فَانْتَبَرَى لِمُسَاجَلَتِهِ وَانْقَتَلَ لِمُسَاجَلَتِهِ وَقَالَ ،
 (لَوْ دَعَانَا إِلَى ذَلِكَ لَرَدَدْنَاهُ إِلَى الْأَسْلَامِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ
 بِالسَّيْفِ الَّذِي أَدْخَلْنَاهُ بِهِ كَارِهُمَا) فَاسْتَرْحَسُوا
 فِي ارْتِغَاءٍ وَقَالَ لَهُ أَحْسَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ .
 وَتَحْقِيقًا لِقَوْلِ الرَّسُولِ وَطَرْدًا لِقَوْلِهِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ
 الْيَقِينِ انْتَقَلَتِ الشَّجَاعَةُ الْكَامِنَةُ فِي نَفْسِ مُحَمَّدٍ
 الظَّاهِرَةِ فِي شَخْصِ عَلِيٍّ إِلَى حَفِيدِهِمَا الْحَسَنِ الْمُجْتَبَى
 مَعَ انْتِقَالِ عَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَحَمُّلِ أَعْيَادِ الْأُمَامَةِ وَ
 مُعَادِلَةِ كِتَابِ اللَّهِ الْمَجِيدِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ
 وَلَيْسَ صَلَاحُهُ لِمَعَاوِيَةَ يُؤْذِنُ بِعَجْزِهِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَ
 ضَعْفِهِ عَنِ مُنَازِلَةِ الْأَقْرَانِ ، فَقَدْ صَالَحَ جَدُّهُ
 قَرِيبًا لِمَصْلَحَةِ اقْتِضَائِهَا ظَرْفُهَا وَالزَّمَرُهَا وَقَتُّهَا
 وَالْأَشْيَاءُ مَرهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا وَكَانَ لَهُ الظَّفَرُ عَلَيْهَا

وكان الفوز والغلبة في جانبه دونها ، وهو
هو محمد الذي لم يكف بأسه عنها في الدعوة
إلى الحق حين كان بين ظهرانيها في مكة على قلبه
من الأعوان والأنصار ، وهو هو محمد الذي
طالما حطم أصنامهم وسفاه على عبادهم
أحلامهم ولم يبال بقوتهم حيث أخبرهم أن
آباءهم دخلوا النار بعبادة هذه التماثيل والأجناد
وهو هو محمد الذي لم يخرله عزم ولم تضعف له
إرادة والذي عزم أن يلقى وحده جيش أبي سفيان
في بدر الموعد حين ما رأى أصحابه يتلکأون ،
وقد خادعهم إذ (قال لهم الناس إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) ولما رأوه مصيبي
على لقاء الجيش وحده ذاب كل تردد في نفوسهم
(وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة
من الله وقضيل لم يسههم سوء) وهو هو
محمد الذي أوحى إليه ربّه بأية النبي جاهد
الکفار والمنافقين وأغلظ عليهم ، وهو
هو محمد الذي أوحى إليه الله (وإن جحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وذلك في بدء القتال

* وَالْعَجَزُ عَنْ صَيْفِ شَجَاكَ عِنْدَ (١٥٣) .

وكانت له عاقبة الفوز ، وعلى عدوه المغرور بعدد
وعُدته الذي لم ينجح للسلم الدبرة القاضية والهزيمة القبيحة
والعاقبة للمتقين .

أرأيت كيف انتهينا بك إلى أمر الحسن ، أرأيت
كيف أوقفناك - حسب استيطاننا - على
جلية حال الحسن ، أأمنت أن الشجاعة التي
أشدنا بذكرها انتقلت إليه حين تحمل عن أخيه
الحسن الزكي عهداً لله العظيم ، أصدقت أنه
لما صار عدل القرآن ساواه في تحدي الجن والانس
على أن يأتوا بمثله في صفاته الغلبا ونعوت الحسنى ،
فلم يأتوا ولن يأتوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ،
أعلمت أنه لو تنازل لهم عن ذلك وقال فأتوا
بعشرين مثله فقط ، وهي التي قضاهما بعد
أخيه الحسن واستطرداها في صلح معاوية لعجزوا
كما يعجزون أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن مفتربات ،
أأيقنت ألهم كما يعجزون عن معارضة القرآن بأن
يأتوا بسورة من مثله يعجزون عن الحسن عدل القرآن
أن يأتوا بواحدة من صفاته ويضعفون عن مقارنتها
وهي شجاعته الموروثة عن محمد وعلي ، ، ،

وقد كان لها مجمع البحرين ، إِيَّ اللَّهِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهَا
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا .
رَأَى الْحُسَيْنُ أَنَّ صَلَاحَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مَعَ مُعَاوِيَةَ قَدْ انْتَهَى أَجَلُهُ ، وَرَأَى مُعَاوِيَةَ لَمْ يَفِ
بشَيْءٍ مِنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ وَأَعْظَمَ مَا آتَى بِهِ مِنْ
نَقْضِ الشُّرُوطِ اسْتِخْلَافَهُ عَلَى الْأُمَّةِ نَخْلَهُ بِزَيْدٍ
يَرُدُّ الْأُمَّةَ عَلَى عِقَابِهَا كِفَارًا كَفَرَتِ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى
فَكَيْفَ يَسْكُتُ الْحُسَيْنُ وَيُتَّقِي حَبْلَ الْأُمَّةِ عَلَى غَارِبِهَا
وَهُوَ حَامِلٌ عَهْدَ اللَّهِ الْإِلَهِيَّ لَوَ الْأُمَّةِ جَدِّ نَصْرًا ، وَلَا
يُغْفَلُ عَنْ حِبَاظِهَا طَرَفَةً عَيْنٍ ، مَعَ أَنَّهُ يَمِيدُ فِي
نَفْسِهِ الْكَفَاءَةَ عَلَى دَخِصِ هَذَا الْعَدُوِّ الْأَلَدِيِّ
يُهْدِدُهَا بِهَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ ، وَكَيْفَ يَرَى النَّاسَ
يَخْرُجُونَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَهُوَ يَقْدَرُ أَنْ يُمْسِكَ
عَلَيْهَا دِينَهَا وَيُعْبِدَ عَلَيْهَا جَدَّةَ إِيْمَانِهَا ، وَكَيْفَ
يَقْعُدُ فِي دَارِهِ اعْتِرَافًا بِالضَّعْفِ وَإِعْلَانًا بِالْعَجْزِ ،
وَهُوَ يَرَى عِدْلَهُ الْقُرْآنَ يَتَّخِذِي الْعَالَمَ رَجْدًا عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَلَمْ يَأْتُوا وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ،
إِذَنْ فَأَيْنَ الْمُعَادِلَةُ الْمُنَوَّهَةُ بَيْنَ الثَّقَلَيْنِ ، وَكَيْفَ
لَمْ يَقْعِ الْأَفْتِرَاقُ بَيْنَهُمَا قَبْلَ وَرُودِهِمَا الْخَوْضَ ، كَمَا

* والعجز عن صنف شجاع * (١٥٥) د

يُعلنُ به جدُّه المصطفى في أُمِّهِ بِمِلِّي فِيهِ ، وَمِلِّي أَسْمَاعِيَا
وَهَلْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ .

وَالْأَمْرُ لَا عَجَبٌ وَالْخَطْبُ لَا قَطْعُ أَنْ يَطْلُبُوا مِنْهُ
الْبَيْعَةَ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لِيُخْلَافَتْهُمْ بِالْمَرْصَادِ
وَقَدْ نَوَّهَ بِذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الْهَالِكُ - وَأَهْوَنَ بِهِ
هَالِكًا - لِلْخَلِيفَةِ الْجَدِيدِ الَّذِي جَاءَ بِحُرْقِ الْأَوْثَمِ^(١)
عَلَى الْأَسْلَامِ وَنَبِيِّ الْأَسْلَامِ ، إِذْ يَقُولُ بِمِلِّي فِيهِ
وَفِي مَلَأٍ مِنْ حَشْدِهِ .

لَسْتُ مِنْ خِنْدِفٍ أَنْ لَمْ يَنْقِمِ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلَ
شُمَّ لَا يَقْنَعُونَ بِالْبَيْعَةِ ، بَلْ يَقْتَرِحُونَ عَلَى الْحَسَنِ
الْتِّزُولَ عَلَى حَكِيمٍ غُرُورًا بِكثرة جنودهم وظنًا منهم
أَنَّ الْحَسِينَ قَدْ لَانَتْ قَنَاتُهُ بِذَلِكَ وَعَجِيزٌ بِالضَّيِّمِ غُرُورًا
كَأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ شَجَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ انْخَصَرَتْ
فِيهِ ، وَعَادَتْ حَيَوَةَ إِلَهٍ ، وَاسْتَرَتْ عَلَى
قَلْبِهِ فَا مَتَلَأَ بِهَا ، كَمَا اسْتَوَى دِرْعُ الرَّسُولِ عَلَى
جَسَمِهِ فَا مَتَلَأَتْ بِهِ فَا جَابَهُمْ بِصَرْخَةٍ تَمَلَأَ أُذُنَ اللَّهِ
وَتُدَوِّي فِي مَسْمَعِ الْأَبَدِ (وَاللَّهُ لَا أُعْطِيكُمْ بِبِدَى
إِعْطَاءِ الذَّلِيلِ وَلَا اقْتِرَاءِ قَرَارِ الْعَبِيدِ) وَإِنْ لِسَجَاعَةِ
مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ أَنْ تَجَلَّى لِلْأَبْصَارِ وَتُظْهِرَ لَأَعْيُنِ النََّاظِرِينَ

(١) الْأَوْثَمُ : الْأَضْرَاسُ وَالْعُتْرُقِ حَتَّى بَعْضُهَا يَبْعُضُ وَهَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ شِدَّةً

ظهوراً لشمس بعد طول استتارها ، حتى تكون في رابعة نهارها ، فلا تعجب إذا حدثك عنه وصفه الذي رأى فعله بعيني رأسه حيث يقول رما دأبت مكثوراً قط قتل أصحابه وولده وإخوته أربط جاشاً من الحسين ، وإن كانت الرجال لثد عليه وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً فشد عليها فبكشفون من بين يديه .
انكشاف المعزى إذا شد عليها الذنب .

يكرههم بما ضيه فيهمهم — وهم ثلاثون ألفاً وهو منظر
وما سمعت أذن لا أذن — بأثبت منه في اللقاء وهو أحد

ولا بدع إذا أخبر الرواة عنه أنه كان كلما اشتدت الخطوب أشرق وجهه وهلل للقاء بها فرحاً وجدلاً ،
وهب أن الخطوب به أجتأ فإن السيف يمضي بالصفال

وهذه شقيقة مجده ذنب تقول في مجلس عدوه ابن زبارة
إن أخي ما ترك داراً بالكوفة إلا وفيها نائح أو نائحة)
فلا يستطيع لكلامها تفصيلاً ، ولا لحديثها تكذيباً ولو
قد وعدوا لله لفعل ، بل واستطاع أن يكذب فيرد
مقالها لما ترك ذلك ، وكيف يستطيع تكذيبها و
هو يسمع صراخ الكوفة ويناحتها على قتلاها يملئ مسامعها
وهي تكلمها ملاً عبيته ولو أنصف لقال لها ،

والعجز عن وصف شجاعته * (١٥٧) *

- ولكنّا نحن نقول لها - صدقت يا عقيلة في
الرسالة ومُحدّدة ببيت النبوة ، إنّ أخاك يحل في
قلبه شجاعة محمد وعليّ ، وهو يتخذني بها الجنّ
والأُنس بل العالم جميعاً ، فضلاً عن الكوفة ، و
ما فدراً لكوفة وجنودها في جنب شجاعته التي حان
ظهورها وأن برودها ومجليها .

ولقد كان ابن سعدٍ حرص الناس على قتل
الحسين ، لأنّ ابن زياد ألقى عليه مسؤولية الحرب
والقتال ، وأطعته في ولاية الرّي ، وقد
اقترب الوعد في رأيه أنّ دأى الحسين قريباً قد قتل
جميع أنصاره وحماته ، لذلك غدر وفجر ، و
خالف سنة العرب والأسلام ، ولم يبال بسبّة
الدهر وعار الأعقاب فخصّ الجيش بأسره أنّ يحلّ
على الحسين حلة رجل واحد ، بعد أن أعطاه
حقّ البراز ، بأن يبارزوه واحداً بعد واحد حتى
قتل منهم في ذلك ألفاً وخمسمائة في كثير من الروايات
فتكاملوا عليه ثلاثين ألفاً وأردفهم ببقية الجيش
وما أكثرها فافترقوا عليه - كما أمرهما ابن
سعد - أربع فرق فرقة بالسُيوف ،

وَفِرْقَةٌ بِالرَّمَاكِ ، وَفِرْقَةٌ بِالسَّهَامِ ، وَفِرْقَةٌ
 بِالْحِجَارَةِ لَعَلَّهُ يَنْجُو فِي وَاحِدَةٍ إِنْ أَخْفَى فِي ثَلَاثٍ
 فَوَجَّهُوا نَحْوَهُ فِي الْحَرْبِ أَرْبَعَةً السَّيْفِ السَّهْمِ وَالْخَطِيءِ وَالْحَجَرِ
 هَذَا وَقَدْ حَاطَتْ الْخُطُوبُ أَرْبَعَ فِرَقٍ عَلَى قَلْبِهِ هـ
 الْكِبَرِ بَاطِنًا كَمَا افْتَرَقُوا عَلَى مُقَدِّمِهِ ظَاهِرًا ، وَفِرْقَةٌ
 الْعَطَشِ وَفِرْقَةٌ فَقْدِ الْأَحِبَّةِ ، وَفِرْقَةُ الْغُرْبَةِ ، وَ
 اعْظَمُهَا وَأَشْبَاهُهَا فِرْقَةُ حُزْنِهِ عَلَى دِينِهِ الْحَنِيفِ ،
 فَرَاهُ ابْنُ سَعْدٍ يَحْزَنُ بِحُزْنِ الْغَلْبَةِ عَلَيْهِمْ وَيَفُوزُ بِنَصِيبِ
 النَّصْرِ وَهُمْ ، لِأَهْزَمَ كَانُوا يَشُدُّونَ عَلَيْهِ وَ
 هُمُ كَالْحَرَادِ الْمُنْتَشِرِ ، فَيَشُدُّ عَلَيْهِمْ فَيَهْزَمُونَ مِنْ
 بَيْنِ يَدَيْهِ انْكَشَافَ الْمِعْزَى إِذَا شَدَّ عَلَيْهَا الذُّبُّ وَ
 سَبَفَهُ رُتِلَ فِي رِقَابِهِمْ (سَبَهَزُمَا الْجَمْعُ وَيُؤْلُونَ
 الدُّبُرُ) .

فَرِيدًا مَاسِطًا فِي الْجَمْعِ لَا وَكَانَ لِنَصْرِهِ حِلْفًا لِلْفَرِيدِ
 يَا تَجَلَّالَ اللَّهِ يَا عَظِيمَ اللَّهِ ، مَاذَا بَرَى ابْنُ سَعْدٍ جُنُودَهُ
 رَجُلٌ مُحِبٌّ بِقَلْبِهِ الْخُطُوبُ وَبِجَسَمِهِ الْجُنُودُ فَيَضَعُونَ
 عَنْهُ وَيَقْوَى جَانِبُهُ عَلَيْهِمْ أَعْرُ لَمْ يَأْلَفُوهُ وَشَجَاعَةٌ لَمْ
 يُحْدِثْهُمْ بِهَا التَّارِيخُ حَقٌّ لِابْنِ سَعْدٍ أَنْ يَمْسَحَ عَيْنَهُ
 لِبَرَى نَفْسَهُ أَيْ حُلِمَ هُوَامِي يِقْظُهُ ، فَإِنْ كَانَ فِي نِقْظَةٍ

والعجر عن صِفِّ سَجَائِدِهَا * (١٥٩)

فَلْيَقْطَعْ أَمْلَهُ مِنَ الْحَيَاةِ فَضْلاً عَنْ وِلَايَةِ الرَّيِّ ، فَقَدْ
بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ وَتَضَعْتَ أَرْكَانَ جَبْشِهِ وَتَقَاعَسَتْ
مَنْكُوسَةٌ أَعْلَامُهُ ، فَلَمْ يَهْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ نَادَاهُ ،
اعْتِرَافاً بِمَا لِأَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ خَاصَّةٍ حَبَاهُمُ اللَّهُ بِهَا
فَوْقَ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ (بِأَحْسَنِ اتِّقَاتِلْنَا بِالْقُدْرَةِ
الْأَلَاهُوتِيَّةِ) - وَهِيَ الَّتِي تَقْدَمُ الْأَشَارَةُ إِلَيْهَا - فَقَدْ
لَا بَلَّ بِالْبَشَرِيَّةِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُرَبِّهَ لِقُدْرَةِ الْأَلَاهُوتِيَّةِ
فَمَدَّ السِّيفَ فَأُحَاطَ بِرِقَابِ الْجَبْشِ كُلِّهِ ، مَجِثٌ لَوْجَذِهِ
إِلَيْهِ لَمْ يَبْقَ رَأْسٌ مِنْهُمْ عَلَى جَسَدٍ ، وَلَمَّا اطَّهَّرَ ابْنُ
سَعْدِائِهِ كَانَ يُقَاتِلُهُمْ بِالْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ انْتِرَاعُ
السِّيفِ مِنْ رِقَابِهِمْ .

حَقٌّ لِابْنِ سَعْدِائِهِ بَطْنُ هَذَا الظَّنِّ ، وَحَقٌّ لَنَا
أَنْ نَصَدِّقَ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ ، لِأَنَّ ابْنَ سَعْدِائِهِ كَانَ عَارِفاً بِهَذَا
الْبَيْتِ ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يُمِدُّهُمْ بِقُدْرَةِ فَوْتِ
مُسْتَوَى طَبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي الْحَرْبِ وَأَوَّغَرَهَا إِذَا اقْتَضَتْهَا الْحَالُ
وَمَسَّتْ لَهَا الْحَاجَةُ ، كَمَا حَارَبَ عَلِيٌّ بِهَا عِفَادِيكَ الْجَنِّ
وَطَوَّأَ عَنْهُمْ مَحْتِ الْأَرْضِ وَدَجَعَ إِلَى الرَّسُولِ وَسَيْفَهُ يَنْطِفُ
مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَكَأَنَّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَدَحْرَاءُ عَدَائِهِمْ قَبْلَ هُبُوطِ
رُوحِهِ الشَّرِيفَةِ مِنْ عَالَمِ الْأَنْوَارِ إِلَى عَالَمِ الْحَيَاقِ وَالْمَادَّةِ ،

كَجَاءَ فِي حَدِيثِ عَرْفَةَ الْجَنِّي وَغَيْرِهِ إِذَا رَادَّ أَنْ يَغْرِبَ سَفِينَةُ نُوحٍ
فَضَرَبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى يَدِهِ فَقَطَعَهَا ،
وَبَقِيَ الْخَوْفُ يَتَوَعَّلُ فِي قَلْبِ بْنِ سَعْدٍ حَتَّى قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَهَجَمَ الْعَسْكَرُ عَلَى خَلِيفَتِهِ
حَامِلِ عَهْدِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، فَأَرَادَ شِمْرُ قَتْلَهُ مُتَحَرِّقًا
مُتَشَدِّقًا بِأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ صَدَرَ مِنَ الْأَمِيرِ لَا يَبْقَى لِهَذَا الْبَيْتِ شَيْءٌ
وَاحِدٌ ، فِدَافَعَ عَنْهُ ابْنُ سَعْدٍ بِجَهْدِهِ وَصَدَّ شِمْرًا عَنْ مُرَادِهِ
لِمَا وَعَى عَنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ إِذَا صَحَّتْ أَهْلُ الْكُونَةِ عَلَى ذَنْجِ
زَيْنِ الْعَابِدِينَ قَامَ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ مُخَاهَمٌ عَنْ آخِرِهِمْ ،
بِالْقُدْرَةِ أَلَّا هَوِيَّتِ الْتِي ظَنَّ أَنَّهَا ظَهَرَتْ فِي حَرْبِ الْحُسَيْنِ
وَلَمْ يُجَلِّ اللَّهُ أَرْضَهُ مِنْ حُجَّةٍ تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا كُنَّا
مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) وَتَحْقِيقًا لِقَوْلِ الرَّسُولِ فِي ثِقَلِهِ
أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيْهِ الْخَوْضَ لِذَلِكَ كَفَّ عِنَانَ شِمْرٍ
أَمْسَكَ بِلِجَامِ غَرَمَيْهِ ، وَلَكِنْ عَدَّ اللَّهُ وَعْدًا لِلْأَنْسَانِيَّةِ
أَمْرًا بِخَرَجِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ مِنَ الْخَيْمَةِ ، وَقَالَ فِي الْحَرَمِ الْأَيْتَامُ
اكْبِسُوا عَلَيْهِمُ الْخِبَاءَ ثُمَّ قَالَ سَوَدَّ اللَّهُ وَجْهَهُ وَقَدَّامِنْ مَكَرَ اللَّهِ
رَعَى بِالنَّارِ الْأَحْرَقَ بِهَابِئُونَ الظَّالِمِينَ فَأَحْرَقُوا الْخِبَاءَ وَالْأَطْنَابَ
وَفَرَّتِ النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ هَائِئِةً عَلَى وَجْهِهَا فِي لَيْلٍ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ

وَمُخَذَّرَاتٍ مِنْ عَقَائِلِ أَحْمَدٍ هَجَمَتْ عَلَيْهَا الْجَنْلُ فِي بَنَائِهَا
كَأَنَّهُمَا دَرَرَتْ مِنْ سِلْكَيْهَا أَنْخَدَتْ مُدْتَسِلُكُهَا بِأَكْفِ الرَّعْبِ عِلْوًا

لِمَا يُطَلِّبُ الْمُبَارَزَةَ

لَقَدْ وَرِثَ الْحُسَيْنُ شِجَاعَةَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ ، وَأُسْتُوتَ عَلَى جَسَدِهِ دَرْعُ
الرَّسُولِ حَيْثُ تَحَمَّلَ عَهْدَ الْأَمَامَةِ عَنْ أَحِبِّهِ ، فَكَانَ إِمَامَ الْعَصْرِ وَخَلِيفَةَ
الزَّمَانِ ، وَكَانَ الْمَثَلَ الْكَامِلَ فِي الصِّفَاتِ الْحُسْنَى ، وَكَانَ نَسِيجَ
وَحْدِهِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَشْيَاءِ ، نَعَمَ وَدَيْكَ لِأَنَّ صِفَاتِ
إِمَامِ الْعَصْرِ إِمَامُ الصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ ، أَلْبَحْرُ فِي جَنْبِ
كَرَمِهِ قَطْرَةٌ ، وَالْجَبَلُ الْأَشْمُ عِنْدَ صَبْرِهِ وَشَبَابُهُ ذَرَّةٌ ، وَسَحْبَانُ فِي
جَنْبِ فَصَاحَتِهِ كَبَاقِلٌ ، وَالْأَسَدُ فِي مُقَاوَمِهِ أَجَبُنٌ مِنْ صَافِرٍ ،
لِذَلِكَ كَانَ يَوْمُ الطِّفِّ كَلِمَاتُكَ اثَرَتِ الْجُنُودَ لِحَرَبِهِ وَقِتَالُهُ تَلْقَاهَا بِصَدْرِهِ
الرَّحْبَ وَجَاشَ الْمُطْمَئِنُّ وَضَمَّرَ الْمُرْتَاحُ ، وَكَلِمَاتُكَ تَفَاقَمَتِ الْحَوَادِثُ وَ
تَكَثَّفَتِ الْخُطُوبُ أَشْرَقَ لَهَا وَجْهٌ ، وَبَرَقَتْ أَسَادِرُهُ ، وَزَادَتِ الطَّلَاقَةُ
فِي مُحِبَّاهِ الْكَرِيمِ الْوَضِئِ

تَزِيدُ الطَّلَاقَةَ فِي وَجْهِهِ إِذَا مَلَمَلَ الرَّعْبُ أَقْرَانَهَا

وَلَكِنْ بَحَاؤُ الْعَقْلِ وَيَتَرَدَّدُ الْفِكْرُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ جَاءَ بِهِ التَّايِيخُ مِنْ بَابِ رِسَالِ
الْمُسَلَّمَاتِ ، وَلَمْ يَتَلَعَّمْ فِي نَقْلِ لِسَانِهِ ، أَلَا وَهُوَ طَلِبُ الْحُسَيْنِ مِنَ الْقَوْمِ
الْمُبَارِزَةِ ، فَآخِذُوا بِرُزُونِهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ
خَلْقًا كَثِيرًا ، وَقُدِرَ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ بِأَلْفٍ وَخَمِيسَةِ مُبَارِزٍ ، حَتَّى أَقْبَلَ
الشَّيْخُ إِلَى ابْنِ سَعْدٍ ، وَقَالَ لَهُ (أَهْأَ الْإِمْرَانُ هَذَا الرَّجُلُ يُفِينَا مُبَارِزَةً)
وَأَشَادَ عَلَيْهِ بِأَنْ يَجْلُ عَلَيْهِ الْجَيْشُ كُلُّهُ جَمْلَةً وَرَجُلًا وَاحِدًا ، فَقَبِلَ مَشُورَتَهُ ،

١، سحبان رجل يضرب المثل بفصاحته ، وبأقل رجل يضرب المثل بعبته وفهامته

فَإِنَّ الْمُعْتَرِضَ وَقَفَ عَلَى ثَنِيَةِ الْأَعْتَرِاضِ يَتَرَصَّدُ ثَغْرَةً يَلْجُ مِنْهَا إِلَى مَقْصِدٍ
وَطَرِيقًا يَسْلُكُهُ لِيُقْضِيَ بِهِ إِلَى أَمَلِهِ الَّذِي يَتَوَخَّاهُ ، فَلَهُ أَنْ يَصْرُخَ بِمِلِّي شِدْقِيهِ
قَائِلًا إِذَا كَانَ الْحَسَنُ عِدَلًا لِقُرَّانٍ - كَمَا تَزْعُمُونَ - وَالْقُرَّانُ لَا يَفْتَأُ يُخَدِّى
الْعَوَالِمَ الَّتِي كَانَ كِتَابَ اللَّهِ إِلَيْهَا وَجَبَتْ عَلَيْهَا بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ فَلَا يَأْتُونَ وَلَوْ كَانُوا
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ، فَمَا بِالْحُسَيْنِ يَمْنَعُ مِنْ اجْتِمَاعِ جَيْشٍ لِكُوفِهِ عَلَى قِتَالِهِ
بَلْ لَا يَسْتَزِلُّ فَصِيلَةً مِنْ فَصَائِلِهِ ، بَلْ أَشْنَى مِنْ شُجْعَانِهِ وَأَبْطَالِهِ ، أَلَيْسَ
هَذَا يُؤْذِنُ بِضَعْفِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْجَيْشِ بِأَسْرِهِ ، وَيُعْلِنُ بِعَجْزِهِ عَنْ مُقَابَلَةِ
الشُّجْعَانِ إِذَا تَكَثَّرَتْ وَحَدَّثَتْهَا ، أَمْ وَدَاءَ هَذِهِ الْأُمُودِ شَيْءٌ آخَرُ

قُلْنَا - لَيْسَ وَدَاءَ هَذَا الْأَعْتَرِاضِ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَإِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ
(الْأَوَّلُ) أَنَّ الْمُبَارَاذَةَ مِنْ سُنَنِ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ فِي كُلِّ دِينٍ وَفِي كُلِّ دَوْرٍ مِنْ
أَدْوَارِ الزَّمَنِ ، وَإِنْ اسْتَوَتْ الصُّفُوفُ وَتَوَاقَفَتِ الْجِيُوشُ ، فَضْلًا عَمَّا إِذَا
بَقِيَ الْمُحَارِبُ فِي حَيْدٍ يُقَابِلُ جَيْشًا يَضُمُّ الْغِيَالِقَ ، الْمُنْظَمَةَ الرَّايَاتِ وَالْبَيَارِقَ ،
وَجَاءَ الْأَسْلَامُ فَأَقْرَبَ هَذِهِ الْقَاعَةَ ، فَمَنَعَ فِي جِهَادِهِ الْمُقَدَّسِ أَنْ يُعِينَ الْمُبَارِذُ
مِنْ جُنُودِهِ جُنْدِيٌّ آخَرُ عَلَى قِرْنِهِ فِي التَّرَالِ مَا لَمْ يُنْجِذْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدٌ ، وَهَذَا
رَسُولُ اللَّهِ فِي أَعْرَفٍ وَقَائِعِهِ بَدِ الْكُبْرَى لَمْ يُخْرِجْ لَشَيْبَةً وَعُتْبَةً وَابْنَهُ الْوَلِيدَ
إِلَّا عِدَّتَهُمْ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي عَفْرَاءَ ، وَلَمَّا اقْتَرَحُوا أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ أَكْفَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَقَدْ فَهِمَ مِنْ لَحْنِ خِطَابِهِمْ وَمِنْ مُلَاحَظَةِ ذَهْوِهِمْ وَغُرُورِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ
لَأَنْفُسِهِمْ أَكْفَاءَ إِلَّا بَنِي هَاشِمٍ أَشْرَفَ النَّاسِ حَسَبًا وَأَعْلَاهُمْ نَسَبًا ، فَأَجَابَهُمْ
إِلَى مَكُتُولِهِمْ وَأَخْرَجَ لَهُمْ أَهْرَ النَّاسِ عَلَيْهِ أَخَاهُ عَلِيًّا وَعَمَّتَهُ الْحِزْرَةَ وَابْنَ عَمَّتِهِ

* لَمَّا ذَا يُطْلَبُ الْمُبَادَرَةُ * (١٦٣) .

عُبَيْدَةَ ، وَانزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي اللَّهِ) وَقَضَى
لِأَوْلِيَائِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ .

وَالْحَسِينُ لَمَّا أَخْرَجَ لَجِيْشَ الْكُوفَةِ أَنْصَارَهُ الْبَوَاسِلَ أَحَادَ وَثْنًا لَزِمَ
فِي سَنَةِ الْبِقَاتِ لِأَنَّهُ يُبَادِرُ ذُرِّيَّتَهُمْ كَذَلِكَ مَوْحَدَ وَمَشْنَى دُونَ أَنْ تَحْمَلَ
عَلَيْهِمْ كِتَابٌ ، أَوْ يُقَاوِمَهُمُ الْجَيْشُ بِأَسْرِهِ مَقَانِبَ ، وَلَكِنْ بَنَى مُبَةً
خَرَقُوا التَّوَامِيْسَ الْعَرَبِيَّةَ ، تَبَعًا لِلْمَنَاهِجِ الدِّينِيَّةِ ، فَأَرَادَ الْحُسَيْنُ
أَنْ يُنْذِرَهُمْ عَلَى غَلْطِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ ، لِيُقْلِعُوا عَنْ سُوءِ فَعْلِهِمْ ، وَإِذَا كَانُوا
يَرَوْنَ لِمُبَادَرَتِهِمُ الْأَوَّلِ ظَهْرًا ، وَيَنْظُرُونَ أَنَّهُ سَيُجَادُّهُمْ إِذَا حَمَلُوا عَلَى
أَفْرَادِهِمْ كِتَابٌ فِي مَقَانِبَ ، فَالْآنَ وَقَدْ اسْفَرَّتِ الْحَرْبُ عَنْ فُرْجَةٍ
وَتَبَيَّنَ لَهُمْ خِلَاءُ ظَهْرِهِ مِنْ مُعِينٍ وَظَهِيرٍ لَمْ تَبْقَ لَهُمْ وَلَا مِنْ يُرِيدُ صِلَاحَ
تَارِيخِهِمْ حُجَّةٌ يَتَعَلَّلُونَ بِهَا ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا ، وَكَلِمَةُ
الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَوَلَّى اللَّهُ الْغَالِبُ الْمَنْصُورَ ، وَعَدُوَّهُ
الْمَغْلُوبُ الْمَخْذُولُ (وَلَنْ يُجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)
«الْثَّانِي» مَا نُقِلَ عَنِ الْعِقْدِ الْفَرِيدِ أَنَّهُ لَمَّا خَيَّرَهُمْ أَنْ يَدْعُوهُ يَرْجِعَ مِنْ
حَيْثُ أَتَى إِلَى مَدِينَةِ جَدِّهِ وَمَسْقِطِ رَأْسِهِ ، أَوْ يَسِيرَ إِلَى ثَغْرِ مَنْ
تَغْوَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَكُونُ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُبَادِرُوهُ
وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، فَأَبَى عَلَيْهِ الْقَوْمُ هَذِهِ الْخِصَالَ كُلَّهَا مَا لَمْ يَكُنْ
ثَلَاثُونَ رَجُلًا وَقَالُوا (أَبْنُ رَسُولِ اللَّهِ يُطْلَبُ مِنْكُمْ أَمْرًا مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُودٍ

فَلَا تُعْطَوْنَ وَاحِدًا مِنْهَا) نَقُولُ فَإِذَا هَدَى اللَّهُ بِهَذَا الْاِقْتِرَاحِ مِنْهُ ،
وَبِامْتِنَاعِهِمْ عَنْ إِجَابَتِهِ ثَلَاثِينَ نَفْسًا مِنْ أُمَّةٍ جَدِّهِ وَانْقِذَهُمُ اللَّهُ مِنَ
الضَّلَالِ ، وَدُخُولِ النَّارِ ، فَكَمْ يَكُونُ رِيحُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ جَدِّهِ لِأَبِيهِ (يَا عَلِيُّ لَأَنْ يَهْدِيَكَ اللَّهُ
بِكَ نَفْسًا وَاحِدَةً خَيْرٌ لَكَ فَمَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرُبَتْ) إِي وَاللَّهُ
خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَهَلْ جَاءَ الْحُسَيْنُ الْإِمَامُ دِيًّا لِأُمَّةٍ جَدِّهِ ، وَ
مَلَّ قَاتِلُهَا الْأَعْلَى الرَّشَادَ وَانْقَازِهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَجَدَّه يُبَاهِي
الْأَنْبِيَاءَ بِأُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَوْ بِالسَّقَطِ الْوَاحِدِ فَمَا بِأَلَكِ بِثَلَاثِينَ
رَجُلًا جَرَى عَلَيْهِمْ قَلَمُ التَّكْلِيفِ .

(الثالث) ، إِذَا مَالَ مَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا أَنْ لَمْ يُعْطِهِ الْقَوْمُ وَاحِدَةً مِنْ
ثَلَاثٍ ، فَكَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يَمِيلَ مَعَهُ ثَلَاثُونَ الْفَأْ ، أَنْ مَنَعُوهُ إِيَّاهَا
بَعْدَ أَنْ مَنَعُوهُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا ، إِذْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوهَا كَمَا انْتَبَهَ أُولَئِكَ
الْثَلَاثُونَ فَيَقُولُوا (مَا عَدَا مَا بَدَأَ) أَمْحِلُونَ الْمُبَادَرَةَ سَاعَةً وَتَحْرِمُوهَا
أُخْرَى ، أَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ ، أَلَيْسَ الْعَهْدُ بِلِ الْوَعْدِ
مَسْئُولًا ، أَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، أَمْ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَمْ عَلَى
قَوَاعِدِ الْحَرْبِ ، وَنَوَامِيسِ الْقِتَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ تَغْدِرُونَ بِهِ ، بَعْدَ
تِلْكَ الْمُبَادَرَةِ الَّتِي اقْتَرَحَهَا عَلَيْكُمْ فَنَحْنُمُوهَا وَتَزِدُّمُوهَا مَعَهُ ، فَتَحِلُّونَ
عَلَيْهِ هَذِهِ الْحِمْلَةَ الشَّعْوَاءَ ، وَتَفْتَرِقُونَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ فِرَقٍ ، فِرْقَةً بِالسُّيُوفِ
وَفِرْقَةً بِالرَّمَاكِ ، وَفِرْقَةً بِالسَّهَامِ ، وَفِرْقَةً بِالْحِجَارَةِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا

رجلٌ واحدٌ ، دَعَوْهُ وَيَلِكُمْ تَقْتُلُهُ الْفِرْقُ الَّتِي تُحِطُ بِقَلْبِهِ ، وَتَتَوَخَّلُ
نِيرَانَهَا فِي أَقْصَى ضَمَائِرِهِ ، فِرْقَةُ الْعَطِشِ ، وَفِرْقَةُ الْغُرْبِ ، وَفِرْقَةُ
فَقْدِ الْأَحِبَّةِ ، وَفِرْقَةُ حُزْنِهِ عَلَى دِينِ الْحَنِيفِ ، وَمَبْدَأُ الْمَقْدَسِ
الَّذِي غَادَ كُرَّةً تَتَلَقَّفُهَا طَوَاغِيتُكُمْ ، يَزِيدُ بَعْدَ مَعَاوِيَةٍ ، وَمَعَاوِيَةٍ
بَعْدَ يَزِيدٍ ، هَذَا بَعْدَ مَا ضَمِنِي جَدُّ مُحَمَّدٌ بِمُهْجَتِهِ فِي إِعْلَاءِ مَنَارِهِ وَبِنَاءِ
كِيَانِهِ ، وَلَكِنْ أَهْنِ الْمُهْتَدُونَ ، وَإِنْ أَتَضَعْتَ الطَّرُقَ وَهَجَمْتَ الْمَسَالِكَ ،
فَانْهَالُهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ، فَصُبْرُ حَبِلٍ
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ،

يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ ضَيِّعْتَ الْعَهْدَ أَنْاسُ وَالْحَافِظُونَ قَلِيلٌ

(الرَّابِعُ) ، لَا شَكَّ أَنَّ الْأَمْرَ الشَّخْصِيَّ الْخَاصَّ الصَّادِرَ عَنْ مَوْضُوعِهِ الْخَاصِّ
الْحَقِيقِيِّ أَبْلَغُ وَأَتَمُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْوُجُوهِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ الْعَامِّ
الصَّادِرِ عَنْ مَوْضُوعِهِ الْكُلِّيِّ ، وَلِهَذَا يُقَدَّمُ عَلَيْهِ وَيُخَصِّصُ لَهُ ، بَلْ
الْكُلِّيُّ الْعَامُّ كَمَا قُلْتُ أَفْرَادُهُ ، وَإِنْ بَقِيَ إِضَافِيًّا وَلَكِنَّهُ قَرَبٌ مِنَ
الْخَاصِّ كَانَ أَبْلَغُ وَأَتَمُّ ، وَانْظُرْ إِلَى مَهْرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا اعْتَرَفَ الْخَوَارِجُ
كُلُّهُمْ بِقَتْلِ عَامِلِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَابٍ بْنِ الْأَرَثِ ، وَكَانُوا كُتْلَةً وَاحِدَةً
أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْقَسِمُوا كَتِيبَتَيْنِ ، فَأَعْتَرَفَتْ كُلُّ كَتِيبَةٍ بِقَتْلِهِ ، ثُمَّ قَسَمَ
كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا اثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفَتَا بِقَتْلِهِ ، وَمَا زَالَ يُقْسِمُهُنَّ كَأَنَّ
فِيهِمَا صَوْتٌ بِقَتْلِهِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ شِبْهَةٌ فِي الْعُرْفِ فِي عَدَمِ انْدِكَالِ صَوْتٍ
مِنْ أَصْوَاتِهِمْ ضَمِنْ أَصْوَاتِ أَصْحَابِهِ ، فَعِنْدَهَا قَالَ رَلَوْا عُرْفَ

١٠ الكُتْلَةُ : مِنَ الطَّيْنِ وَنَحْوِ الْقِطْعَةِ الْمُتَجَمِّعَةِ الْمُلْتَبِدَّةِ وَتَسْمَعُ فِي النَّاسِ مَجَازًا

أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ - أَيَّ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِنَ التَّخْصِصِ
لِقَتْلِهِمْ بِهِ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَكَانَ غَرَضُهُ مِنْ هَذَا التَّقْرِيرِ بَعْدَ تَقْسِيمِهِمْ أَنْ
لَيَعْتَذِرَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ بِأَنْ لَأَصَوْتٌ لِي فِي هَذَا الْإِعْتِرَافِ ، وَقَدْ أُنْذِرْتُ
إِنْكَارِي لِكُتُوبِي وَالْقَوْلِي ضَمَّنَ أَصَوَاتِ أَصْحَابِي ، فَاشْتَبَهَ الْأَمْرَ حَتَّى
أَدَّى الْحَالُ فِي وَقُوفِي مَعَهُمْ إِلَى قَتْلِي بِغَيْرِ حِجَّةٍ وَاضِحَةٍ لِأُسْلُطَانِ بَيْنِ ،
وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي تَقْرِيرِ الشُّهُودِ فِي الدَّعَاوِي بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ وَتَأْكِيدِ الْبَيْعَةِ
عَلَى الْمُبَايَعِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَلَةِ وَالشَّوَاهِدِ .
وَالْخَامِسُ ، مَنْ كَانَ يَظُنُّ يَا تَرَى أَنْ يَنْتَهِيَ الصَّلَفُ وَقَلَّةُ الْحَيَاءِ
بِأَفْرَادِ الْجَيْشِ وَاحِدٍ الْعَسْكَرِ وَأَشْخَاصِهِ كُلِّهِمْ أَنْ يُرِيدُوا وَضْعَ سِلَاحِهِمْ بِيَدِ
الْحُسَيْنِ ، مِنْ دُونِ تَحْفُظٍ وَلَا اسْتِحْيَاءٍ ، وَهُوَ بِحَاجَةِ نَبِيِّهِمْ وَثَرَةٍ
قَلْبٍ بِضَعَةِ رَسُولِهِمْ ، أَفَ لَهُمْ وَلَأَتَمُّهُمُ الْوَيْلُ وَالْهَبْلُ ،
مَا كَانَ وَجْهَهَا صَيِّحَةً قَابِلَتْ بِالْبَيْضِ جِهَتُهُ تُرِيقُ دِمَاءَهَا
هَذَا مُهْلِكُ أَحْوَكْلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ لَمَّا أَرَادَ عَبْدُهُ قَتْلَهُ بِوَضْعِ سِلَاحِهِمَا فِيهِ ،
قَالَ لَهَا رَاتِضَعَانِ سِلَاحَكُمَا بِيَدِيكُمَا ، وَلَكِنِّي مِلْتُ الْحَيَاةَ وَسُمْتُ
الْعَيْشَ ، فَخُذَا الْبَيْضَةَ مِنْ رَأْسِي بَلْغَا قَصْدَكُمَا مِنْ قَتْلِي ، وَعِنْدَهَا
مَلَكُمَا النَّجْلُ مِنْ سَيِّدِيهِمَا ، وَرَجَعَا عَنْ وَضْعِ سِلَاحِهِمَا فِيهِ ، وَلَكِنَّمَا انْتَهَيَا
إِلَى أَمْرِهِ فِي كَيْفِيَةِ قَتْلِهِ ، وَالْحُسَيْنُ وَاللَّهُ أَجَلٌ قَدَرًا وَأَعْظَمُ هَيْبَةً وَأَمَلًا
لِلْعَيْنِ مِنْ مُهْلِكِ بْنِ رَبِيعَةَ وَآخِيهِ كُلِّبِ صَاحِبِ الْحِمَى الْمَضْرُوبِ

(التاسع) ، لقد كان المظنون بل المستقن هؤلاء الذين حظوا خطوة خاصة بقاء سيد شباب أهل الجنة وتشرفوا برؤيته وجهه المبارك الميمون الذي يذكرهم برؤية وجه الرسول أن يتملك لقاءه مشاعرهم وتستولي رؤيته وجهه على قلوبهم وأفئدتهم ، فتميل بها إلى الحق والهدى وتخرجهم من الظلمات إلى النور ، لاسيما إذا انضم إلى ذلك ما تتحلى به من شيا ب رسول الله وسلاحه ومركبه ، فتجلى بوجه رسول الله ، وتجلي بمجلبه رسول الله ، وما شفعه به من نصوص أثرية فيه ، عن حامل رسالة السماء ، واستشهد على مدعاؤه أهل الصدق والحفاظ من المعمرين ، فإنه لا تزال الحياة تحتفظ بالكثير من سموات ذلك منه ، وحفظوه عنه ولقد اتفق ذلك للكثير من الناس معه ومع سلفه الكريم الصالح ، وإن زعمت أم المؤمنين عائشة أن سحر علي بن أبي طالب عظيم ، وأن أولاده يحدون حذوه ، حيث انتجت من عسكرها رجلا شديدا العداوة لعلي بن أبي طالب ، لتبعث معه برسالتها إليه أوصته أن لا يغلبه ببحره ، ولكنه سرعان ما بهرته أبه الحق وجذب به مغناطيس الرشد ، فعاد محبًا حميمًا بعد أن كان عدوًا صميمًا

إِنَّمَا هَذِهِ الْقُلُوبُ حَدِيدٌ وَجَمِيلُ الْأَوَاءِ مَغْنَاطُشٌ

فقلت ما بعثنا إلى ابن أبي طالب هذا إلا سحره ، وهكذا الشامخي الذي شتم الحسن أول الأمر واجترأ على قدس بيته ، ثم قال له في آخر أمره لقد خرجت من الشام ، وما على وجه الأرض بقص إلى منك ،

وَمَا أَنَا رَجُوعٌ إِلَى بِلَادِي ، وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ،
وَكَيْفَ يُسْتَبَعَدُ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَهُمْ وَرَثَةُ مُحَمَّدٍ الَّذِي اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ
كَثِيرًا ، أَلَيْسَ يَقُولُ وَاصِفُهُ مَنْ رَأَاهُ بِدِهْمَةٍ هَابَةٍ ، وَمَنْ خَاطَبَهُ
أَحَبَّهُ ، يُشِيرُ إِلَى جَمَالِ خَلْقِهِ وَجَمِيلِ خُلُقِهِ ، وَهُوَ وَرَثَتُكَ أَفْضَلُ
عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُوسَى الَّذِي يَقُولُ لَهُ اللَّهُ (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)
وَبَطْلُ رِوَايَتِنَا الْحُسَيْنُ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ)
وَهَذَا أَمُّهُ تَقُولُ فِي تَرْقِيصِهِ ، وَقَلْبُهَا مُفَعَّمٌ بِالتَّرْوِيطِ فَحُجَّ بِالْبَشْرِ ، إِذَا
تَوَسَّمَ مِنْ مِثَالِهَا شَمَائِلُهُ لِمِثَالِهَا أَنَّهُ سَيُعِيدُ دَوَائِبَهَا الْمَجِيدُ عَصْرَهُ
عَصْرَ النُّورِ الذَّهَبِيِّ ، فَتَقُولُ لَهُ

أَنْتَ شَبِيهٌ بِأَبِي لَسْتُ شَبِيهًا بِعَلِيٍّ

فَمِنْ جَذْبِهِ لِقَاؤُهُ الْخَاصُّ إِلَى الدِّينِ ، وَمَلَكَتْهُ اخْلَاقُهُ وَهَيْبَتُهُ حَتَّى
أَدَّتْ بِهِ إِلَى الرَّشْدِ رَسُولُ ابْنِ سَعْدٍ الْخَزِيمِيُّ الَّذِي أَرْسَلَهُ ابْنُ سَعْدٍ إِلَيْهِ ،
وَقَالَ لَهُ امْضِ إِلَى الْحُسَيْنِ ، وَقُلْ لَهُ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ، وَأَقْدَمَكَ
عَلَيْنَا ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ بِأَرْوَاحِ الْحُسَيْنِ فَنَادَاهُ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ أَتَعْرِفُونَ
هَذَا الرَّجُلَ ، فَقَالُوا هَذَا رَجُلٌ فِيهِ الْخَيْرُ لَا أَنَّهُ شَهِدَ هَذَا الْمَوْضِعَ ، فَقَالَ
سَلُوهُ مَا يُرِيدُ ، فَقَالَ أُرِيدُ الدَّخُولَ عَلَى الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ زُهِرٌ أَلَيْسَ سَلَا
وَادْخُلْ ، فَقَالَ حُبًّا وَكِرَامَةً ، ثُمَّ أَلْقَى سِلَاحَهُ وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَبَلَ
يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ ، فَقَالَ يَا مَوْلَايَ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ، وَأَقْدَمَكَ
عَلَيْنَا ، فَقَالَ كُنْتُ كَمَا تَبْلُوكَ هُمُ الْيَوْمَ مِنْ خَوَاصِّ ابْنِ زِيَادٍ

فقال ارجع الى صاحبك وأخبره بذلك ، فقال يا مولاي من الذي
يختار النار على الجنة ، فوالله ما أفادتك حتى ألقى هامي بين يديك
فقال له الحسين واصلك الله كما واصلتنا بنفسك ، ثم أقام
عنده حتى قتل بين يديه ، فإن الله لما أراد هدايته ساق له التوفيق
بأن يحظى هذه الخطوة الخاصة ببقاء سيد الشهداء ، وإذا أراد الله
شيئاً يترأسبابه ، ولولم يوفق للفائنه لم يتضى بنور الرشيد الهدى
إلا ما شاء الله .

السابع ، إننا والله نجب كثر كيف لم يستول الخوف على أولئك
الذين ينتدبون لمبارزته بأحاديهم ، وهم يرون الجيش بكامله قد عجز
عن مقاومته ، فضلاً عن شركائهم في المبارزة الذين تقدمهم ،
فقتلوا بين أيديهم ، وبهلم البس لهم بصائر ولا ابصار .
هم اجتمعوا فاعياهم فأتى تقوم له مبارزة الرجال

ألم تر الشجعان تمهقرون مصرعه كلما أقدمت على ذبحه وهو صريع لا
حراك به ، ولكن ما فتح عينه في وجه أحدهم إلا ارتعدت فرائضه
ودمى لسيف من يده جنباً وخوراً ، وولى هارباً يعتذر لمن لقيه أنه
قد فتح عينه في وجهي ، فاشبهتها عيني جد رسول الله صلى الله عليه

صريعاً يجين شجعاناً	فما أجلت الحرب عن مثله
يختطف الرعب لوانها	صريعاً متى غابت الكأ
كرأت عنبه إذا مارنا	وهو فتى تغيبه عن سيفه

(التاسع، نُقِلَ عن ذين العابدین أَنَّهُ كَانَ بِرَى أَبَاهُ أَرْوَاحُ الْعَالَمِ
 فِدَاهُ بِكَفِّ بَأْسِهِ فِي الْحَرْبِ عَنِ الْكَثِيرِ مِمَّنْ يَعْترضُ لَهُ فِي الْقِتَالِ يُقصدُ
 غَيْرَهُ فَيَقْتُلُهُ ، فَيَعجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا الْحَكِيمُ مَنْ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا ،
 وَلَمَّا رَجَعَتْ لَهُ الْأَمَامَةُ وَعَصَبَهُ اللَّهُ بِتَاجِ الْخِلَافَةِ ، وَتَحَلَّ عَهْدًا لِلَّهِ
 عِلْمَ السِّرِّ فِي ذَلِكَ ، وَانَّ الَّذِينَ كَفَّتْ بُؤُهُ بِأَسْهٍ عَنْهُمْ كَانَ فِي أَصْلَابِهِمْ
 وَلَوْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَدَائِعُ سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ فَيَتَحِيلُونَ مَوَدَّةَهُمْ
 وَيُخْشَرُونَ مَعَهُمْ ، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقْصُدُهُمْ بِسَيْفِهِ فَيَقْتُلُهُمْ ، نَعَمْ
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ نَقُولُ فَاَلْمُبَارِزُ لِلْحُسَيْنِ إِنْ
 رَأَى فِي صُلْبِهِ وَدِيعَتَهُ هَدَاهُ وَكُنِيَ ضَرْبَتُهُ الَّتِي جَاءَ مُتَسَلِّمًا لَهَا وَمَنْ
 عَلَيْهِ بِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَأْتِ التَّارِيخُ لِوَاحِدٍ مِنْ مُبَارَازِهِ مِنْ
 هَذَا الْقَبِيلِ ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْحَمَلَةِ الْكَلْبَةِ وَهُوَ رَقْلَ سَيْفِهِ فِي
 رِقَابِ الْجَيْشِ وَجَهْرَةَ الْعَسْكَرِ رَ يَوْمَ نَبْطِشِ الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى إِذَا ضَمَّقُونَ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُبَارِزُ فِي صُلْبِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَتَكَلَّفِ الْحُسَيْنُ طَلَبَهُ ،
 بَلْ يَكُونُ هُوَ الَّذِي طَلَبَ الْقَتْلَ بِسَيْفِ الْحُسَيْنِ ، وَغَيْرُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ
 كَالْمُسَالِمِ الطَّالِبِ لِلْحَيَاةِ ، وَقَدْ مَهَّدَ اللَّهُ مَجْدَهُ قَبْلَهُ قَاعَةَ الْجُنُوحِ لِلسَّلَامِ
 مِمَّا جَنَحَ لَهَا الْعَدُوُّ ، وَلَوْ كَانَ الظُّفْرُ لَهُ عَلَى عَدُوِّهِ فَأَوْحَى إِلَيْهِ (وَإِنْ جَنَحُوا
 لِلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

(التاسع، أَنَّ الْمُبَارَاةَ تَدْعُو إِلَى طَوْلِ الْعُمُرِ فِي الْحَيَاةِ ، وَطَوْلِ الْعُمُرِ
 فِي طَاعَةِ اللَّهِ مِنْ أَمْثَالِ الْحُسَيْنِ مَجْبُوبٌ ، إِذْ فِيهِ تَرْتَفِعُ الدَّرَجَاتُ

وَتَضَاعَفَ الْحَسَنَاتُ ، لِأَنَّهُ إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَالذُّنُوبُ
مَزْدَعَةُ الْآخِرَةِ ، وَكَلَّمَا كَثُرَ الزَّرْعُ الطَّيِّبُ زَادَتْ بِهَا جُ صَاحِبِهِ وَتَضَاعَفَ
سُرُورُ مُجْتَنِبِهِ ، وَلَقَدْ مَاتَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ حَامِلِ الرِّسَالَةِ
الْمَخَالِدَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَقَاسُوهُ فِي الثَّوَابِ بِرَجُلٍ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَهُ
بِسِتِينَ ، فَلَمْ يَرْتَضِ النَّبِيُّ هَذَا الْقِيَاسَ مِنْهُمْ ، بَلْ قَالَ لَهُمْ فَأَيْنَ عِبَادُ
هَذِهِ السَّنِينَ الَّتِي تَأْخُرُ بِهَا عَنْ صَاحِبِهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْحَقَّ وَالْأَمْسَ
وَالْمَلَائِكَةَ لَمْ يُحْصُوا ثَوَابَ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِ أَبِيهِ لَيْلَةً مَبْدَتْهُ عَلَى فِرَاشِ
رَسُولِ اللَّهِ ، فَكَيْفَ يُحْصَى ثَوَابُ الْحُسَيْنِ فِي أَنْفَاسِهِ الَّتِي مَدَّدَ هُنَا
الْمُبَادَرَةَ ، وَهُوَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَهْجُو بِنَفْسِهِ دِينَ رَسُولِ اللَّهِ .
(الْعَاشِرُ) لَعَلَّ الْحُسَيْنَ إِذَا دَهَضَ هَذِهِ الْمَاهِلَةَ أَنْ يَثُوبَ الْقَوْمُ
لِلرَّشْدِ وَيَسْلُكُوا مَعَهُ سَنَنَ الْهُدَى ، كَلَّمَا طَالَ دُعَاؤُهُ لَهُمْ ، فَإِنَّ
النُّفُوسَ السَّامِيَةَ لَا تَقْطَعُ حِبَالَ أَمَلِهَا الَّتِي تَرْبُطُهَا بِمَنَاجِ دَعْوَاهَا إِلَى إِخْرَاجِ
حُدُودِ الْأَمْكَانِ ، وَهُوَ ابْنُ مَنْ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ الْعَذَابُ ، وَقَدْ أَدَا وَتَحْمِيلَ
الْإِنْتِقَامِ وَالنَّارِ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ وَإِرَادُوا قَتْلَهُ (دَعْوَى وَفَوْعَى فَالْهَمْ
لَا يَعْلَمُونَ) فَشَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُ وَحَقَّقَ لَهُ أَمَلَهُ ، وَإِذَا بَاوَلَتْكَ الْأَعْدَاءُ
الْأَلِيلَةُ الَّذِينَ كَانُوا بِحَرِصُونَ عَلَى قَتْلِهِ أَشَدَّ الْحَرِصِ يَقْدُونَ أَنْفُسَهُمْ
دُونَ جَسَدِهِ وَدِمَائِهِمْ وَمُهْجَتِهِمْ دُونَ دِينِهِ الْحَقِّ وَمَبْدَأِ الْمُقَدَّسِ ،
كَأَنَّ الْحُسَيْنَ أَرَادَ خُتَا فِدَاهُ إِذَا دَوَّلَ الْأَمَلَاءُ وَالْأَسْتَدْرَاجَ لِمَنْ أَصَمَّ اللَّهُ
سَمْعَهُ وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ ، فَلَمْ يُفْلِحْ وَلَمْ يُصْغِ لِنِدَاءِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ،

كما قال تعالى (سَنَسُدَّ رِجْلَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَمْلِي لَهُمْ أَنْ كَهْدَيْتِهِمْ)
(الحادي عشر) لَعَلَّ هَذِهِ الْمَاهِلَةَ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدَدَ الْمَوْعُودَ بِهِ مِنْ
أَطْرَافِ الْمَمْلَكَةِ الْأِسْلَامِيَّةِ ، لِيَفُوزَ وَابْنُصْرَتِهِ ، وَلِيَحْظُرُوا الْخُطُوبَةَ السَّعِيدَةَ
بِالْإِلْتِفَافِ تَحْتَ رَايَتِهِ ، كَابْنِ مَسْعُودٍ النَّهْشَلِيِّ وَجَيْشِهِ الْكَهْفِ الْبَصْرِيِّ
وَكُلِّ مَنْ سَتَبْلُغُهُ دَعْوَتُهُ الَّتِي بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَمَنْ
يُذَرِّبُنَا أَنَّهُ بَلَغَهُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ فِي ظَرْفِ هَذِهِ الْمَاهِلَةِ وَالتَّائِي ، كَسَعِيدِ
الْبَصْرِيِّ التَّمِيمِيِّ - إِنْ صَحَّحَتْ رَوَايَتُهُ - وَكَأَنَّ ابْنَ زِيَادٍ وَقَائِدَهُ ابْنَ
سَعْدٍ قَدَادَكَ غَرَضُهُ مِنْ طَلَبِ الْمَاهِلَةِ وَالتَّائِي بِكُلِّ وَجْهِ ، فَنَاقِضَاهُ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، حَتَّى اسْتَحَثَّ ابْنَ زِيَادٍ قَائِدًا عَلَى مُنَاجَزَتِهِ الْحَرْبَ ، إِذَا
الْعَجَلَةُ فُرْصَةُ الْعِجْزَةِ ، وَأَرَادَ ابْنُ سَعْدٍ تَقْيِذَ أَمْرِهِ عَصْرًا لِيَوْمِ
التَّاسِعِ ، وَلَمَّا طَلَبَ الْحُسَيْنُ عَلَى يَدِ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ أَنْ يُوجِّهُهُمْ تِلْكَ
الْعَشِيَّةَ ، لِيُصَلُّوا الرِّهْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَمْ يُجِبْ ابْنُ سَعْدٍ لَمْ إِلَّا بَعْدَ
جُهْدٍ جَهْدٍ ، وَبَعْدَ أَنْ تَوَجَّهَ لَهُ رُؤَسَاءُ عَسْكَرِهِ ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ
شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ ، فَأَجَابَ دَائِعًا ، وَلَكِنَّهُ زَادَ عَلَى أَمْرِهِ فِي الظَّهِينِ
بِلَّةً وَلَمْ يَخْشَ سُبَّةَ الذَّهْرِ وَعَادًا لِأَبَدٍ ، فَخَدَّرَ وَفَجَّرَ وَنَقَضَ عَهْدَهُ فِي
إِعْطَائِهِ لِلْحُسَيْنِ قَمَّ حَقَّ الْإِبْرَازِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ إِعْطَاؤُهُ حَتَّى عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ وَ
هَجَّتِهَا ، فَأَمَرَ بِالْجَيْشِ بِأَسْرِهِ أَنْ يَقْسِمُوا قِيمَتَهُ ، لِيَفْتَرِقَ عَلَيْهِ
ثَلَاثُونَ أَلْفًا ، فِرْقَةٌ بِالنِّهَامِ ، وَفِرْقَةٌ بِالسَّهَوِ ، وَفِرْقَةٌ بِالزِّيَاجِ
وَفِرْقَةٌ بِالْحِجَادَةِ ، وَارْدَفَهُمْ بِالْقِسْمِ الثَّانِي ، وَهُوَ الْكَثْرَةُ الْمَاهِلَةُ

فَاخَاطَا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

فَكَانَ إِذَا أَصَابَتْهُ سِهَامٌ تَكَثَّرَ لِتِصَالِ

دَابُّهُ الذَّبُّ إِلَى أَنْ شَبَّ الْقَلْبُ الْإِوَاءُ وَحَكِي جُثْمَانُهُ الْقُنْفُذَ مِنْ رِشْقِ السِّهَامِ

وَتَوَالِي الطَّعْنِ الضَّرْبُ عَلَى اللَّبْثِ لِهَمًّا وَعَرَاهٍ مِنْ تَرْفِ الدِّمِ ضَعْفُ السَّاعِدِ

حَتَّى انْغَمَى عَلَيْهِ - وَاسْتَبَدَّاهُ - مِنْ كَثْرَةِ تَرْفِ الدِّمَاءِ ، فَأَرَادَ ابْنُ الْحَوْثِ

أَنْ يَخْتَبِرَهُ أَحْيًى هَوَامِ مَيْتٍ ، فَأَخَذَ حَجَرًا مِنَ الْأَرْضِ ، فَلَاخَ لَهُ ضِيَاءُ

جِهَتِهِ كَالْمِصْبَاحِ فِي ظُلْمَةِ النَّعْجِ وَلَيْلِ الْقَتَامِ ، لِأَنَّهَا مَوْضِعُ شِفَاهِ

الرَّسُولِ إِذَا قَبَّلَهُ ، فَصَكَّةٌ فِيهَا - شَلَّتْ يَمِينَهُ وَلَحِقَتْهَا شِمَالُهُ - أَرَأَيْتَ

رُجَاةَ الْمِصْبَاحِ إِذَا صَكَّهَا الْحَجَرُ الصَّلِيبُ فَاغْتَبَاهُ - بِأَبِي هَوْدَاقِي -

مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ ، وَإِذَا بِالْدِّمِ يُلْفِي حِجَابًا كَثِيفًا أَحْمَرَ نَبْتَهُ وَبَهْرَ

حُرْمِهِ ، فَرَفَعَ ثَوْبَهُ لِيَمْسَحَ الدَّمَ عَنْ جِهَتِهِ وَيُحِيطَ حُرْمَهُ بِعَيْنِ

رِعَايَتِهِ ، وَعِنْدَهَا سَطَعَ لِسَانُ بِنِ الْإِنْسِ الْتَحَنَّى بِبَاضِ الْمَوْضِعِ الثَّانِي

لِتَقْبِيلِ الرَّسُولِ مِنْ صَدْرِ الْحُسَيْنِ ، فَمَكَنَ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ الْمَشُومَةَ

سَهْمًا أَصَابَ قَلْبَ الرَّسُولِ وَخَرَقَ فَوَادَ الْوَصِيِّ الْمُرْتَضَى وَالزَّهْرَاءِ الْبَتُولِ ،

وَكَانَ مُحَدِّدًا مَسْمُومًا ذَاتِ ثَلَاثِ شُعَبٍ .

فَانْبَرَتْ نَبْلَةٌ فَشَلَّتْ يَدَ رَجِسٍ . . . دَمَاهَا وَكَفَّ عِلْجَ بَرَاهِمِهَا

هَوَى الْأَخْشَبُ الْأَشْمُ ، فَمَا جَنَّتْ نُقْطَةُ الْكُونِ أَرْضُهَا وَسَمَاهَا

وَمَكَنَ فِي حَشَاهُ السَّهْمَ رَجِسٌ

كَأَنَّ بِهِ دَمَى قَلْبِ الْوُجُودِ

وَاحْذَبْنُوا مِثَّةَ يَبَّارِ ذُوتِ مِِنْ جَسَدِ الْحُسَيْنِ ؓ الْمَوَاضِعَ الْخَاصَّةَ
لِتَقْبِلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَكَنَ شِمْرُ سَيْفِهِ فِي مَنْحَرِ الْحُسَيْنِ
بَعْدَ أَنْ تَرَبَّعَ عَلَى صَدْرِهِ الْمُعْظِمِ (وَمَا هُوَ صَدْرٌ بَلْ خِزَانَةٌ نُوحِيْدٌ)
وَقَرَعَ يَزِيدُ بِمِخْصَرَتِهِ ثَغَرَ الْحُسَيْنِ الَّذِي طَالَمَا كَانَ يَتَرَشَّفُهُ الرَّسُولُ
وَمِمْصُ لُعَابِهِ بِفِيهِ ، وَجَاءَ مَرْوَانُ يُرِيحُ أَعْطَافَهُ وَيُثِمَّتُ بِهِ ، إِذْ لَمْ
يَقْبَلْ مَشُورَتَهُ فِي أَوَّلِ بَيْعَةِ يَزِيدَ ، فَيَقُولُ فَضَّلَ اللَّهُ فَاهُ - وَهُوَ
يُقَلِّبُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِيَدَيْهِ - أَلَا شَلَّتْ يَدَاهُ -
يَا حَبَّذَا بَرْدُكَ فِي الْيَدَيْنِ وَلَوْ نَكَ الْأَحْمَرُ فِي الْحَدَثَيْنِ

كَأَنَّمَا حُفَّتْ بَوْدَدَتُهُنَّ بِهٖ
شَفِيتُ صَدْرِي مِنْ رَمِ الْحُسَيْنِ



﴿ لما ذأيا مريسيوف أن تاخذه ﴾

إِنْ كَانَ دَهْنٌ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمِ إِلَّا بِقَتْلِي يَا سَيُوفُ خُذْنِي
هَذَا الْبَيْتُ يُنْشَدُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ عَنْ لِسَانِ الْحُسَيْنِ ، ظَنًّا
مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ أَنْشَأَهُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَقَدْ حَفِظَهُ مِنْ كَثَرَةِ تَرْدَادِ انْشَاءِ
حَتَّى لِنِسَاءٍ فِي مَقَاصِرِهَا ، وَالْأَطْفَالِ فِي مَلَاعِبِهَا ، فَأُتْلِعَ الْمُعْتَرِضُ
رَقَبَتَهُ صَارِخًا كَيْفَ جَازَ لِلْحُسَيْنِ أَنْ يَأْمُرَ السُّيُوفَ ، وَيُرَادُّ بِهَا مُطْلَقُ
السِّلَاحِ - وَالسُّيُوفُ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ - أَنْ تَأْخُذَهُ فَيُلْقِي بِهَا إِلَى التَّهْلُكَةِ
مَعَ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِ الدَّفْعُ عَنْ نَفْسِهِ مَا امْكَنَ الدَّفْعُ عَنْهَا ، وَأَنْ
لَا يُحِبَّ لَهَا طَرَفَةٌ عَيْنٍ تَلْفًا ، وَلَا كَانَ جَانِيًا عَلَيْهَا وَقَاتِلًا لَهَا ، وَقَاتِلُ
نَفْسِهِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، إِذَا سَبَبُ أَقْوَى مِنَ الْمُبَاشِرِ .

قُلْنَا سَمِعْنَا فِي عِلْمِ الْبَيَّانِ سَبَبَ الْمَجَازِ فِي الْمَجَازِ ، وَسَمِعْنَا فِي
هَذَا الْأَعْتَرِاضِ سَبَبَ الْغَلَطِ فِي الْغَلَطِ ، فَإِنْ هَذَا الْبَيْتُ لَمْ تَأْتِ
رِوَايَةٌ وَلَوْ ضَعِيفَةٌ أَنَّهُ مِنْ إِنْشَاءِ الْحُسَيْنِ ، بَلْ وَلَا مِنْ إِنْشَاءِهِ ، وَ
أَنَّهُ لَغَيْرِهِ فَاسْتَشْهَدْ بِهِ وَإِنَّمَا قَالَ مِنْ لِسَانِهِ الشَّاعِرُ الشَّهِيرُ الشَّيْخُ مُحْسِنُ
أَبُو الْحَبِّ الْحَاثِرِيُّ الْمُتَوَفَّى ٣٥٠ هـ فِي ضَمَنِ قَصِيدَةٍ لَهُ تَرْتِيبُهَا الْحُسَيْنِ ،
وَمَا أَكْثَرَ الْقَصَائِدَ الَّتِي اشْتَهَرَ مِنْهَا الْبَيْتُ الْوَاحِدُ وَالْبَيَّانُ فَقَطْ .

وَقَدْ يُفْضَلُ الْبَيْتُ الْبَلِغُ قَصِيدَةً

مُطَوَّلَةً أَلْفَاظٍ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ

وبعد شهرته الطائلة اشتبهه الرأي العام فنسبه الى الحسين ،
 فما ذنب الحسين يا معشر المسلمين ، فأضيفوه إن كنتم لأنفسكم
 منصفين ، هذامع أن الشاعر إذا نشأه عن لسان حال الحسين ، لم
 يرد الحقيقة كما يترأى من حاق الألفاظ حسب وضعها الأفرادى أو
 التركيبى ، بل راد بقوله (باسفوف خذني) الكناية عن توطين
 الحسين نفسه أن تسيل على ظبي السيوف وأطراف الرماح في وطئ المعركة
 حماية لدين جده المصطفى وزياداً عن خوصيه الأقدس أن تقدمه أبداً
 الاستبداد الهزدي والظلم الأموي ، ولسان حاله ينشد قول جده
 الأعلى عبد المطلب بن هاشم عليه السلام .

لَنَا نَفُوسٌ لِنَبِيلِ الْمَجْدِ عَاشِقَةٌ وَلَوْ سَلَّتْ أَسَلْنَا مَا عَلَى الْأَسَلِ
 وهذا المعنى الكنا في الذي ذكرناه مساوياً لقول السيد جعفر الحلي
 في هزبه لعم

قَدْ أَصْبَحَ الدِّينُ مِنْهُ يَسْتَكِي سَقْمًا وَمَا إِلَى حَدِّ غَيْرِ الْحُسَيْنِ شَكَا
 فَمَا رَأَى لِيَسْبُطَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ شِفَا إِلَّا إِذَا دَمُهُ فِي كَرْبَلَا سَفِكَا
 نَفْسِي الْفِدَاءُ لِفَادِ شَرِّعٍ وَالِدِ بِنَفْسِيهِ وَبِأَهْلِيهِ وَمَا مَلَكَا
 وقد نظمت هذا المعنى بعد أن كسوته حلة الاستعارة فقلت في الحسين ،
 ضحى بهجته ليسقى دوحه للذين هددوها العدو وكادها
 وسخاها ذبها ليرقى شعله
 للرشد قد دام العدى إخمادها

وَأِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ قَوْلَهُ (يَاسُيُوفُ خُذْ بَنِي) جَارِبًا عَلَى الْحَقِيقَةِ
فَلْيَكُنْ مِنْ خَيَالِ الشَّاعِرِ ، وَلِلشُّعْرَاءِ خَيَالٌ وَاسِعٌ الْاَفُقُ مُمْتَدُّ
الْأَطْرَافِ وَالنَّوَاحِي ، لَا تُؤْخَذُ عَلَيْهِمُ الدِّقَّةُ فِيهِ ، وَلَا يُحَاسِبُونَ
عَلَيْهِ حِسَابًا عَسِيرًا ، وَلَا يُنْشَرُّهُمْ فِي دَنِيَاهُمْ كَمَا يَقُولُونَ
فِيهِ (مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)
أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قِيلَ فِيهِمْ (الشُّعْرَاءُ أُمَرَاءُ الْكَلَامِ يَسُوعُ لَهُمْ مَا لَا يَسُوعُ
لِغَيْرِهِمْ) ، وَكَلَّمَا كَانَ خَيَالُ الشَّاعِرِ وَاسِعًا بَحِثُ يَجْعَلُ الْأَشْيَاءَ
الْمَوْهُومَةَ حَقَائِقَ رَاضَةً ، بَلْ أَشْبَاهًا مَائِلَةً لِلْعِبَانِ كَانَ أَوْ قَعً
فِي النُّفُوسِ أَشَدَّ قَبُولًا فِي الْأَذْوَانِ ، وَانْظُرْ إِلَى عَنَتَةِ الشَّاعِرِ
الْفَخْلِ كَيْفَ يَقُولُ لِمَحْبُوبَتِهِ عَبْلَةَ بَنَتْ عَمِّهِ مَالِكٌ فِي مُعَلَّقَتِهِ تَشْبَهُ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ فِي الرِّمَاحِ نَوَاحِلُ مَنِي ، وَبِضْأٍ لَهْدٍ تَقْطُرُ مِنْ بِي
وَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لَأَهْلًا لَعَنَ كِبَارِي تَعْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ
وَفِي ظَنِّي أَنَّ خَيْرًا مِنْهُ قَوْلِي فِي خِطَابِ بَطْلٍ فَضَّتِنَا وَبَطْلٍ الْأَسْلَامِ
وَالْعَرَبِ ، شَهِيدِ الْحَقِّ وَالذِّهْنِ ، وَصَرِيحِ الْأَبَاءِ وَالْعَظَمَةِ
وَضِئْتُ بِأَنْ تَنَا مَبَكَّ الْمَوَاضِي وَلَيْسَ يَكُونُ بَيْنَكُمْ حِجَابُ
هِيَ الْأَقْلَامُ لِلْأَسْلَامِ خَطَّتْ قَوَانِينًا وَأَنْتَ لَهَا كِتَابُ
وَمِنْ هُنَا أَعَدْتُ الْكُرَّةَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَمَّا أَعْجَبَنِي ، فَقُلْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ
صَبَرْتُ عَلَى تِلْكَ الْخُطُوبِ لِأَهْلًا عَلَى مَجْدِكَ السَّامِي لِأَيْلِ نَهْدِ
تَرَى لِبِضْأٍ قَلَامًا وَجْهًا مَصْحَفُ مُحَرَّرُ الْأَسْلَامِ فِيهِ الْقَوَاعِدُ

ولعلك تقول هذا الكلام كله خيال في خيال ، ولسنا الآن
بصد الشعر والشعراء ولا في بيان المذهب الكلامي الذي
يبحث عنه في علم البديع لننظر من كان المجلي في هذه الحلبه و
من ياترى يكون المصلي ، بل كأن هذا الشاعر ان ثبت أن هذا
البيت له يضرب على وتر وينظم رواية جاءت في هذا المعنى ،
ليس لها في التاريخ الصريح عين ولا أثر من أن السهوف والرماح
كانت تمر على الحسين ، فتسلم عليه ولا تعمل في جسد شيئا ،
حتى أمرها بأن تعمل في جسد وتأخذ منه مأخذها ، فأخذته
من كل جانب ومكان ، قلنا إن كانت هذه الرواية مكذوبة
على الحسين فما ذنب الحسين ، وقد كذب الناس على جسد
الحسين بل رب الحسين ، فقال أبو الحسين .

قد قيل إن الآله ذو ولدٍ وقيل إن الرسول قد كنا

لم يسلم الله والرسول معا من افتراء الودى فكيف أنا

وإن كانت صادقة فإنها تحقق لنا بوضوح أن في هذه الهضبة أسراراً
لا تحيط نفوسنا بكنهها ، وإن بلغت رتبة العقول ، لا تفوق
المحسوس والمعقول ، وقد اقترنت بقربة تجعلنا نؤمن بذلك
كل الإيمان أن قد سلمت السهوف والرماح والسهام على الحسين ،
ولم تعمل في جسد إلا بعد ذنه لها ، مراغماً لأنف الطبيعة وخرقاً
لنأموس العادة ، وإذا خرق حكم الطبيعة ونأموس العادة ،

لِأَنَّهُ فَوْقُ مُسْتَوَى الْبَشَرِ — وَهُوَ خِلَافُ فَرْضِ الْبَحْثِ — فَلِمَ لَا يَكُونُ
لَهُ حُكْمٌ خَاصٌّ فِيهِ بِأَنْ يُحْتَمَ عَلَيْهِ وَاجِبُهُ الدِّينِيُّ الْأَذَنَ لِلْسُّيُوفِ بِأَنْ
تَعْمَلَ فِي جَسَدِهِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ (أَفْكُومِيُونَ بَعْضُ الْكُتَّابِ
وَتَكْفُرُونَ بَعْضُ) وَنَقُولُ فِي مَقَامِ الْأَثْبَاتِ إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَبِرَ
الرِّوَايَةَ صَادِقَةً إِذْ كَانَتْ مَرْوِيَّةً وَلَا مَانِعَ مِنْ قَبُولِهَا ، لِأَنَّا نَزَوَّي الْكَثِيرَ
مِنْ نَظَائِرِهَا وَأَمْثَالِهَا كِرَوَايَةِ تَسْلِيمِ الْحِجَارَةِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالْوَصِيِّ الْمُرْتَضَى
إِذَا رَمَاهُمَا بِهَا عَتَاةُ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ الظُّرُوفِ ذَلِكَ وَضَرَبَهُ
أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ يَوْمَ مَا أُخْرِجَ بِجَرٍّ ، وَهُوَ سَاجِدٌ لَوَجْهِهِ اللَّهُ فَلَصِقَ الْحَجَرُ
بِيَدِهِ ، وَكَانَ عِبْرَةً لِلنَّاطِرِينَ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي ذَلِكَ مِنْ قَصِيدَةٍ

يَمْدَحُ بِهَا ابْنَ أَخِيهِ

أَفَقُوا بَنِي عَمِينَ وَأَنْتَهُمُ	عَنِ الْغَيِّ مِنْ بَعْضِ الْمَنْطُونِ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فِي أَعْرَافِهِ	الْإِنْفَاقِ
بَكْفٍ الَّذِي قَامَ مِنْ خُبْنِهِ	عَجَائِبُ فِي الْحَجَرِ الْمُلَصَّقِ
فَأَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي كَفِّهِ	إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي
	عَلَى رَغْمَةِ الْخَائِنِ الْأَخِي

وَضَرَبَهُ يَوْمَ مَا أُخْرِجَ ، وَهُوَ عَلَى الصَّفَا يُبَيِّرُ بَدَنَ اللَّهِ ، وَيَضْرِبُ لَهُمُ الْأَمْثَالَ
فَأَدْمَى جِهَتَهُ الشَّرِيفَةَ وَتَبِعَهُ غَيْرُهُ مِنْ طَوَائِفِ قُرَيْشٍ وَضَخَّ بِالْحِجَارَةِ ظُفُفًا
خَبَرُ قَتْلِهِ إِلَى وَزِيرِهِ عَلِيِّ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَخَدِمَتِ امْرَأَتُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَكَذَا
لَمَّا خَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ ، وَلَمْ يَبْجِ دَعْوَتُهُ فِيهَا وَشَوَابُهُ أَحْدَاثَهُمْ صِبْيَانَهُمْ
فَوَقَفُوا فِي طَرِيقِهِ سِمَاطِينَ ، وَكَلَّمَا دَفَعَ رِجْلَهُ أَوْ وَضَعَهَا ضَرْبَهُ أَحَدُهُمْ

بالحجر ، حتى خرج من الطائف وساقاه تشبّان دماً ، والله في
صفوته حكمة بالغة وتدبير هو أعلم بمصالحته .

فطوّرا تراهم ظافرين وتارة ^{بهم من عداهم ينشأ لناب وظهر}
وتشفع رواية تسليم الحجارة رواية تسليم النخل الصبحاني عليهما ، كلما
تشرفت بروؤيتهما ، ومن هنا اختص هذا النوع من النخل بهذا الاسم الى
يوم الناس هذا ، عليك بخطبة أمير المؤمنين المعروفة بالقاصعة
المروية في كتاب فيج بلاغته في تسليم الشجرة بلسان الحال اعترافها
للنبي بالرسالة وللوصي بالولاية ، حين قلعها وإتيانها تحذراً لارض
خذاً ، ووضعها غصنها الأعلى على رأس النبي الكريم ، وبعض غصنها
على منكب وصيه النبا العظيم ، وانشقاقها كأمره والبناء عليها و
رجوعها الى موضعها كلما اقترح عليه ذلك قرش ، الى كثير من روايات تسبيح
الحصى ، وانطاق الجمادات ، وخطاب الوحوش في الفلا وكلام العجاوات ، و
دونك الكتب المعدة لذكر الفضائل والمعجزات الخارقة للعادة مما لا تحصى
كثرة ولا يأتني عليها قلم البيان ، والقرآن فوق الكل يُنادي بانشقاق القمر
لحبيب المصطفى ، وانفجار العيون من الحجر حيث ضربه بالعصا كلها مومي
واحياء الموتى على أثر دعاء روحه عيسى (ولا يشفعون لأحدٍ إلا من بعدن
ياذن الله لمن يشاء ويرضى)

ونعود الى الحسين في قوطين نفسه على الذبح قرباناً لدين الحق ومبدئ
المقدس فنقول ما كان بذعاً من سلفه الكريم ، فقد قرب جدّه

اسْمَاعِيلُ الذَّبِيحُ نَفْسَهُ لِرَبِّهِ وَأَسْلَمَهَا لِلذَّبِيحِ وَفَاءً لِنَذْرَائِيهِ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ ،
فَقَبَّلَ اللَّهُ قُرْبَانَهُ وَفَدَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ، وَكَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ
نَذَرَ أَبُوهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَنَّ ذَرْقَهُ اللَّهُ عَشْرَةَ بَنِينَ لِيَذَّيْبَ أَحَدَهُمْ قُرْبَانًا
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، فَلَمَّا أَجَالَ لِقِدَاحٍ وَخَرَجَ سَهْمُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الذَّبِيحِ لَمْ يَمْلِكَا
الْوَلَدَ الثَّابِتُ ، وَلَمْ تَأْخُذِ الشَّيْخَةُ الْوَالِدِيَّةُ زَافَةً وَلَا رَحْمَةً دُونَ تَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ
وَأِدَارَتِهِ فِيهِ حَتَّى فَدَاهُ اللَّهُ مِنَ الذَّبِيحِ كَمَا فَدَى جَدَّهُ اسْمَاعِيلُ مِنْ قَبْلِ الْكَرَامَا
لِنُورِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ، حَيْثُ خَلَّلَ صُلْبَهُمَا وَتَأَلَّقَ ضَبَاؤُهُ فِي أَسَارِ رِيحَيْهِمَا ،
لِيَفْخَرَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَلَهُ الْفَخْرُ وَالشَّرَفُ فَيَقُولُ (أَنَا بَيْنُ الذَّبِيحَيْنِ) .

وَجَاءَ الْمَرْتَضَى فَأَعَادَ تَارِيخَهُمَا الْمَجِيدَ كَأَحْسَنِ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْعَقْلُ وَاتَّمَّ مَا
يَقْتَضِيهِ لَهُ الْمَجْدُ فَقَدَّاسَ أَبَوَاهُ نَفْسَهُمَا لِلذَّبِيحِ بِمَذْبُوحَةٍ وَاحِدَةٍ بِكَفِّ أَبَوَيْهِمَا
وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا أَرَأَفُ النَّاسِ بِمَا ، وَأَمَّا امْرَأَتُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدَّاسَ نَفْسَهُ لِلذَّبِيحِ
فِي مَبِيدِهِ عَلَى فِرَاشِ الرَّسُولِ إِذْ بَاتَ يَقْبِضُ شَرَّ الْأَعْدَاءِ الْفِئَةِ الْمُنتَحِبَةِ مِنْ
جَمِيعِ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ قُرْآنًا يُنْزِلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ شُكْرًا نَالِ سَعْيِهِ
وَتَوْفِيهَا بِفَضْلِهِ وَعَظَمِيَّةٍ (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ بَشَّرَ نَفْسَهُ أَبْغَاءَ مَرْضَاهِ
اللَّهُ وَاللَّهُ رَوْفٌ بِالْعِبَادِ) أَجَلَ لِقَدَرَاتِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ هَذَا الْعَبْدُ
الْكَرِيمُ الْمُتْقَادِ لِأَمْرِهِ ، إِذْ جَعَلَهُ آدَاءً لِمَكْرِهِ بِأَعْدَائِهِ فَالْقَى عَلَيْهِ شَبَّةَ
حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى ، وَقَدْ مَكْرُوا بِهِ لِيَضْرِبُوهُ لِسُيُوفِهِمْ ضَرْبَةً وَاحِدَةً فَنُصِغَ
دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا (وَهُمْ كُفَرُوا وَهُمْ كُفَرُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) وَنَضَرُ
اللَّهُ بُولِيهِ (إِذَا خَرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) ثُمَّ رَفَعَ

شَبَّهَ الْمُصْطَفَى عَنْهُ ، وَقَدْ أَزِفَ لِأَجْلِ الْمَضْرُوبِ لَهْجُومِهِمْ عَلَيْهِ فِي الدَّارِ وَ
ضَرْبِهِمْ لَهُ بِسُوءِ فِهْمِ الْمَحْدُودَةِ السِّفَارِ ، وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ نَفْسٍ مِنْ
أَنْفَاسِهِ فِي لَيْلَتِهِ تِلْكَ مَا يَعْجَزُ الْأَنْشُ وَالْجِنَّ بِلِ الْمَلَائِكَةِ عَنْ إِحْصَاءِ
ثَوَابِهِ ، فَأَرْغَمَ اللَّهُ أَنَا هُمْ وَمَدَّدَ لَهُ فِي أَجَلِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لِكُلِّ سَنَةٍ سَنَةً
لِضَاعِفٍ لَهُ الثَّوَابَ بَعْدَ أَنْفَاسِ تِلْكَ السَّنِينَ فَقَدْ أَنْفَقَ أَنْفَاسَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى تَشَاكُلِهَا الَّتِي أَنْفَقَهَا لِبَيْتِهِ مَبْدِيهِ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ،
فَقَدْ ظَلَّ دَائِبًا فِي الْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَرَفَعَ قَوَاعِدَ الدِّينِ بِجِهَادِهِ
وَصَبْرِهِ وَعِبَادَتِهِ وَزُهْدِهِ وَبَثَّ عُلُومِهِ الَّتِي وَرِثَهَا مِنْ مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَكَانَ
لَهَا بَابًا كَمَا قَالَ (أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا)

إِنَّمَا الْمُصْطَفَى مَدِينَةُ عِلْمٍ وَهُوَ الْبَابُ مِنْ آثَانِهَا هَا
ثُمَّ خَتَمَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي لَا زَالَ يَتَوْنُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ مُنْذُ مَبْدِيهِ بِالْفِرَاشِ
بَلْ قَبْلَهُ عَلَيْهَا فَقُتِلَ بِسَيْفِ عَدُوِّ اللَّهِ ابْنِ مُلْجَمٍ صَائِمًا لِرَبِّهِ وَسَطًا مُحْرَابٍ
صَلَاتِهِ فِي أَحَبِّ بُيُوتِهِ الْبَيْتِ .

إِذَنْ فَايُ عَجَبٌ يَكُونُ مِنَ الْحُسَيْنِ إِذَا كَانَ الرَّابِعُ مِنْ نَوْعِهِ ، فَقَرَّبَ أَقْرَبًا
قَرَابَتَهُ الْعَزِيزَةَ مِنْ صِفْوَةِ أَنْصَارِهِ وَأَطَابِبِ فَصِيلَتِهِ ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ
تِلْكَ الْقَرَابِينَ مِنْهُ قَبُولًا حَسَنًا فَأَكَلَتْهُمْ نَارُ الْوَعْنِ بَعْدَ نَارِ الظَّمَا
نَارُ الْوَعْنِ أَكَلَتْ نُفُوسَهُمُ الَّتِي قَدْ قَرَّبُوهَا إِيْمَانًا شَرِبَانِ

ثُمَّ لَمْ يَكْفِهِ ذَلِكَ حَتَّى قَرَّبَ بِطِفْلِهِ الرُّضِيعَ بَعْدَ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ ، وَالْوَلَدُ قِطْعَةٌ
مِنَ الْكَبْدِ بَلِ الْكَبْدُ كُلُّهُ ، وَلَمْ تَقْنَعْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ حَتَّى أَكْمَلَ قُرْبَانَهُ بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ

وَمِثْلِهِ اللَّطِيفُ فَقَدَّمَهُ طَعْمَةً لِلْسُّهُوفِ وَمَنْهَلًا لِلزَّوْجِاحِ وَمُنْتَصَلًا لِلتَّهَامِ
وَمَوْطِنًا لِلخَبِيلِ ، وَمَا كَفَاهُ ذَلِكَ دُونَ أَنْ قَدَّمَ سُلْطَانَ الْجَسَدِ الْمَذْبُورِ لِمَلِكِهِ
الْجَسِيمِ قَلْبَهُ الظَّاهِرَ الزَّكَى فَأَكَلَتْهُ - قَرِينَةً لِلْقَبُولِ - نَارُ الْحَزَنِ وَنَارُ فَقْدِ
الْأَحْبَابِ وَالْأَلِ ، وَنَادَا الظَّمَا وَنَادَا السَّهْمِ ذِي الشَّعْبِ لثَلَاثٍ نَادَا السِّمِّ الَّذِي
نَفَثَهُ بِهِ وَكَانَ كَامِنًا فِيهِ

إِبَاهِ يَا قَلْبَهُ الزَّكَى الَّذِي مَا ... ذَالٌ لِلْعَطْفِ مَوْضِعًا وَالسَّلَامِ

كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي الظُّفُوفِ مَحَلًّا لِلرَّزَايَا وَاللِّخْطُوبِ الْعِظَامِ

هَذَا وَالشَّمْسُ تُرْسِلُ أَشْعَتَهَا وَخَرَادَتُهَا الْوَقَاجَةَ وَنِيرَانُهَا الْمُلْهَبَةَ لِنَصْرِهَا خَدَّ
الشَّرِيفِ وَتَحْيِي النَّصَالِ الْمُنْكَسِرَةَ فِي جَسَدِهِ ، وَتَذِيبُ الدِّمَاءَ الْمُبْجِدَةَ مِنْ جُرَاحَاتِهَا
الَّتِي لَا تُهْتَمُّ ، وَتَضَاعِفُ حَرَارَةَ السَّمُومِ لِنَصْرِهَا الرَّمْلَ الَّذِي تَحْتَهُ وَسَادَاتُهَا
الْوَضِئِي وَمِثْلُهَا الْجَسَدِ الْجَرِيمِ فَيَقْلُبُ عَلَيْهِ فِتْرَةَ الْإِتِهَامِ زُكُورًا سَبْدِيهِ
الْمُؤَدِّعِ وَالسُّهُوفِ وَلُوجًا بِجُرَاحَاتِهِ الْمُسْتَغْرِقَةِ لِحَوَارِجِهِ ، أَتَرَاهُ أَكْتَفَى مِنْ نَفْسِهِ
بِهَذَا كُلِّهِ مِنْ خِدْمَةِ مَوْلَاهُ - وَبَعْضُ هَذَا لَا تُقَاوِمُهُ الْجَبَالُ - بَلْ بَقِيَ
فِي ضَرَاغَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَابْتِهَالِهِ وَلِسَانُ حَالِهِ هَنِيفٌ قَائِلًا فَبِرُّنْ صَدَاهُ

فِي مَسْمَعِ التَّارِيخِ وَالْأَبَدِ

تَرَكْتُ الْخَلْقَ طَرَفًا فِي مَوَاقِ وَأَيْمَنْتُ لِعِبَالٍ لِكَيْ آدَاكَ

فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ رُبًّا لِمَا مَالَ الْفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَ

حَتَّى جَادَ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدَّمَ بِهَا ضَمِيَّةً لِدِينِ رَسُولِ اللَّهِ (وَأَلْجُودُ
بِالنَّفْسِ اقْصَى غَايَةِ الْجُودِ) فَلَمْ يَتَلَكَّأْ وَلَمْ يَنْجُلْ بِصَدْرِهِ الَّذِي حَوَى الْعُلُومَ الْأَمَّيَّةَ

أَنْ يَرْقَاهُ شِمْرٌ مَرْتَبَعًا عَلَيْهِ وَلَمْ يَضِيقْ بِنَحْرِهِ الَّذِي كَانَ يَتَرَشَّفُهُ رَسُولُ اللَّهِ
فِيهِ تَرَاوَدَ جَاهُ بَسِيفِهِ وَكَلَّمَا قَطَعَ وَدَجًّا مِنْهَا نَادَى وَاجِدًا وَاحْمَدًا وَأَبَاهُ
وَأَعْلِيَاهُ ، يُرِيدُ هَلُمَّ وَانْظُرْ إِنِّي كَيْفَ ضَحَبْتُ بِنَفْسِي فَدَبَّتْ حَيَاتِي الْغَالِيَةُ
لِيَدِينِكَا الَّذِي شَرَكْتُمَا فِي رَفْعِ قَوَاعِدِهِ حَتَّى قَطَعَ رَأْسَهُ وَرَفَعَهُ عَلَى قَنَازٍ طَوِيلَةٍ
لِوَاءٍ لِدِينِ جَدِّهِ الْمُصْطَفَى ، وَالْأَوَّلُ لَمْ يَفِدْ نَفْسَهُ فَمَا تَنْظُرُ .

أَمِثْلُ حُسَيْنٍ يَرْكَبُ الشِّمْرَ صَدْدُ وَمَا هُوَ صَدْدٌ بَلْ خِزَانَةٌ تَوْحِيدِ
أَمِثْلُ حُسَيْنٍ يَقْطَعُ الشِّمْرَ رَأْسَهُ وَرَفَعَهُ مِنْ فَوْقِ اسْمَرٍ أَمْلُودِ
يَقُولُ الشَّاعِرُ (وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ قَصِي غَايَةِ الْجُودِ) وَلَكِنَّ الْحُسَيْنَ تَجَاوَزَ
فِي جُودِهِ الْغَايَةَ ، وَلَمْ يَنْتَهِ كَرَمُهُ الْعَبْقَرِيُّ إِلَى هَايَةٍ ، حَتَّى أَتَمَّ هَضْمَهُ
وَكُلَّهَا جُودًا وَكَرَمًا ، وَاکْمَلَ سِيرَتَهُ وَكُلَّهَا مَجْدًا وَشَمًّا ، بِأَنْ قَدَّمَ سِنَاءَهُ لِقَدْرِ
السَّبَابِ وَأَطْفَالَهُ لِهَوَانِ الْأَسْرِ بَعْدَ خَشَةِ الْبَيْتِ كَمَا خَاطَبْنَاهُ فِي بَعْضِ مَقَالِدِ
بَعْدَ قَتْلِهِ فَقُلْنَا

وَلَمْ تَقْنَعْ بِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى قَصَى مِنْ فِعْلِكَ الْعَجَبُ الْعَجَابُ
وَقَدْ اكْمَلْتَ سِيرَتَكَ الْمَعْلَى بِأَسْرِ ذَوِيكَ تَحْمِلُهَا الصَّبَابُ
أَحَقَّ نِلِكَ زَيْنَبُ الْبَنَامِ تُفَضُّ إِلَى الشَّامِ بِهَا الرِّكَامُ
أَحَقَّ نِلِكَ زَيْنَبُ الْآيَامِ حَوَاسِرَ مَا لِأَوْجِهَيْهَا نِقَابُ

بِمَنْ أَلْجَأَ الْأَوَّلَ مِنْ كُنَانَا (سَيِّدَا الْحُسَيْنِ) وَبَنَى الْجُرْأَتِ الْخَالِجَةِ انْشَاءً اللَّهُ عَلَى يَدِ مُؤَلِّفِهَا لَا فَلَاحُ الْخَالِجَةِ
وَالْمُنْعَطَشِ لِقَبْرِ بَدْرِ السُّجَا عَبْدِ الْعَظِيمِ الرَّسْعِيِّ حَامِدًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمُصَلِّيًا عَلَى نَبِيِّ مُحَمَّدٍ
٢٨ (وَلِذَا تَطَاهَرْنَا بِالْمَعْصُومِ الْمَظْلُومِ كُنَّا قَدْ لَقِيتُمَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْفَضْلِ النَّصِيرِ بَابِي الْخَالِجَةِ) ١٣

الحسين

الحجز والشان

كلمات مباحث على شاكلة الجوال
تعلق - غالباً - بما وقع بعد شهادته عليه

أعدّها في خبرة لعقبا

أقن عباده عن وعلا وأثرهم جربنا وزللا المذنب الأثيم التراجي رحمة ربه الكريم

الحاج الشيخ عبد العظيم الرجبى

طبع في طهران ١٣٢٨

حقون الطبع محفوظة للمؤلف
وقد أشكره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الحكيم المحيّد ، المبدئ المعبد ، ذي العرش المجيد ، الفعّال لما يُريد ، وافضل صلاته وسلامه على محمد وآله ركن دينه الشهداء الذين اختارهم ليجعلهم شهابه العنيد ، ليرجم كل شيطان مرید ، حتى أحق بهم الحق وازمق بهم الباطل ، وما يُبدئ الباطل وما يعبد ، ولعنة الله على أعدائهم الذين استفتحوا وخاب كل جبار عنيد ، من الآن الى يوم الوعيد ، وبعد فان هذا هو الجزء الثاني من كتابنا (سُبْحَانَ الْحُسَيْنِ) وهو يتعلق غالباً بما بعد شهادته ارواحنا فداه ، وانا اسأل الله ان يصول لقلم فيه عن الخطل ، ويسد دني في القول والعمل ، فأني ان ضللت عن القصد فمن نفسي لا مآثر بالسوء ، وإن اهتديت فبما رحمه من الله لا مآمول للخير غيره ولا مسؤل رحمة سواه ، للجاني الأثم الراجي عفو ربه الكريم ، الغفور الرحيم المؤلف عبد العظيم الربيعي

أَشْنَاءُ نَهْضَةِ الْكَرِيمَةِ

جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ بِمُعْجَزَتِهِ الْخَالِدَةِ ،
بِلِ مُعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَدَعَا النَّاسَ كَافَّةً لِلْإِيمَانِ
بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَخَلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْإِنْدَادِ ، فَانْهَاجَ خَلْقٌ مُثَلَّمٌ رَوْنَهُ
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ، وَلَكِنْ مُحَمَّدًا لَمْ يُبْعَثْ لِصِنْفٍ خَاصٍ
مِنَ النَّاسِ - هُوَ صِنْفُ الْبُلْغَاءِ الَّذِينَ يَسْتَمِيعُونَ الْقَوْلَ فَتَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ - لِيَكُونَ الْقُرْآنُ وَحْدَهُ كَفِيلًا بِنَجَاحِ دَعْوَتِهِ وَافْتِبَاءً بِأَدَاءِ
مِهْمَتِهِ ، وَإِنَّمَا بُعِثَ لِلنَّاسِ كَافَّةً ، وَهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْمَدَادِ
وَالْأَحْيَاسِ أَعْظَمَ مِنْ اخْتِلَافِ مَعَادِنِ الْأَرْضِ فِي مَنَافِعِهَا وَخَوَاصِهَا
وَأَثْمَانِهَا فَأَمِنَ التَّرَابُ مِنَ الذَّهَبِ ، وَأَمِنَ الذَّهَبُ مِنَ الْكَسْرِ ،
وَلِضَبِيقِ خُنَاقِ الْأَلْفَاظِ عَنْ تَأْدِيبَةِ الْمَعَانِي بِكُفْهِهَا جَاءَ الْحَدِيثُ ،
رَأَى النَّاسُ مَعَادِنَ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ الْفَضَّةِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ

نَظَرْنَا هَذَا الْمَعْنَى

إِنَّمَا النَّاسُ إِنْ نَظَرْتَ مَعَادِنَ فَرْقَهَا فِي تَفَاضُلِ مُتَبَاهِنَ

نَعَمْ كَانَ النَّاسُ فِي التَّصَدِيقِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ عَلَى أَصْنَافٍ شَتَّى ، فَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَنْتَظِرُ رِسَالَتَهُ لِمَا وَعَاهُ قَبْلُهَا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ الْأُولَى وَالْأَوَّلِيَّاتِ
الَّتِي سَبَقَتْ الدَّعْوَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ وَأَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ بِمَجْرَدِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ إِذْ رَأَى بُرْهَانَهَا بِمَا شَهِدَ جَنبًا إِلَى جَنْبٍ ،

بَلْ يَتَقَدَّمُهَا تَقَدُّمُ الْعِلَّةِ لِلْمَعْلُولِ كَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَحَدِيثُهَا بَدَتْ خُوبِلِدِيَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُنَاكَ قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ
لَمْ يُؤْمِنُوا إِلَّا بَعْدَ أَنْ شَاهَدُوا الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةَ الْخَارِقَةَ لِلْعَادَةِ ، وَ
هُمْ أَحْسَنُ كَثَرًا مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَوْ جِئَتْهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ ، وَلَمْ يَذْعَبُوا إِلَّا لِآيَةِ
السَّيْفِ نَعَمَ وَجَلَالِ اللَّهِ .

عَصَتْ أَمْرَهُ لَمَّا دَعَاَهَا إِلَى الْهُدَى وَجَاءَتْ لِأَمْرِ السَّيْفِ تَقَادُطُهَا
وَالسَّيْفِ أَعْظَمُ قَائِدٍ ، كَمِ أُمَّةٍ عَدَلَتْ عَنِ التَّهْجِ الْقَوِيمِ فَقَادَهَا
صَحِيحٌ أَنَّ الصَّنْفَ الْكَبِيرَ الْأَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ انْصَاعُوا لِهَذِهِ الْمُعْجَزَةِ
الْكُبْرَى (وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا) وَلَكِنَّا نَقُولُ إِنَّ
مُحَمَّدًا قَدْ رُسِلَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُحَرِّسٍ الْعَشْرَةَ الْعُقُولَ ، فَلَمْ
يُجَاجِجْ مُحَمَّدٌ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ لِتِلَاوَةِ آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَ
أُرْسِلَ إِلَى الْبَدْوِيِّ الْمُتَوَحِّشِ الَّذِي يَكَادُ يُلْحَقُ بِالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ ،
فَهَلْ تَرَى مُحَمَّدًا يَدْعُوهُ لِلْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَخَلَعَ مَا وَجَدَ عَلَيْهِ إِبَاءَهُ
وَاقْتَدَاءَ الْخَلْفِ عَلَى آثَارِ السَّلَفِ مِنْ سُنَّةِ الْبَشَرِ - بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ
فَيَكُونُ (كَوَقْدِ الشَّمْعِ فِي بَيْتِ لَيْعِبَانٍ) فَهَلْ مَنَنْتَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الدِّعَاءُ
الْكُبْرَى وَالْمُعْجَزَةُ هِيَ الدِّعَاءُ الثَّانِيَةُ الَّتِي بَنَى مُحَمَّدٌ عَلَيْهَا دَعْوَتَهُ ،
وَكَانَ سِلَاحَهُ الَّذِينَ زَوَّدَهَا أُمَّتَهُ لَتُدْفَعَ بِهِمَا مَنْ أَرَادَ سُوءَ بَرَسَالَتِهِ
أَوْ غَائِلَةً بِإِنْكَارِ نُبُوَّتِهِ ، لَتُطْرَدَ مَعَ الْأَجْبَالِ وَالْقُرُونِ ، حَتَّى تُبَدَلَ
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ بِقَوْمِ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَمَا هُوَ الْوَجْهُ لِأَنَّهُ

* اثناء فضته الكريمة * (٥) .

صدور المعجزات عنه ، وما هو السبب الذي حدا بالذكور (هيكل) واخوته من كتاب المسلمين للمجيد بفضائل بني المسلمين دون إخوانه من رسل الله السابقين ، بدعوى أن الله زوده بمعجزة المعجزات وأن كتاب سيرته من النصارى يستحقون بعقول كتاب سيرة محمد من المسلمين إذا ذكروا له إحدى المعجزات ، كجبهة نبتت على فم الغار ، وحمامة احتضنت بيضها ، وعنكبوت أحكت نسجها ، ونحو ذلك مما تجرى به العادة في دائم الأوقات .

يا حضرة الذكور هيكل إنك ما صنعت شيئاً ، فقد أغضبت أهل ملتك المسلمين عليك ولئن رضيت عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وحتى تقول إن عيسى بن الله أو هو واحد ثلاثة ، أو الآلهة مركبة من ثلاثة آقائهم ، والقرآن يقول (لا تقولوا ثلاثة انتهوا إيماناً هو آله واحد)

آلهة مركبة ، ما سمعنا بالله لذاته أجزاء ، وحتى تهذي بما لا تفهم ، وتطعن بما لا تتصور ولا تعلم ، فيقول الواحد ثلاثة أو اثنين والثلاثة أو الاثنين واحد ، والغلط في هذا الحساب يعرفه حتى البهائم فضلاً عن جبال الناس فكيف اجتهدت أن ترضي من هذه عقيدته ، وكيف أنت بقول من هذه زعمته ، وتركت معجزة المعجزات الذي يصريح بالمحمد وسلفه من رسل ربه من المعجزات (اقتربت الساعة وأنشأ لقمر وإن رواية عريضوا ويقولوا سحر مستمر)

أَمْ كَيْفَ ضَرَبْتَ عُرْضَ الْحَاظِ بِالْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ فِي فِضَائِلِ مُحَمَّدٍ ،
وَقَدْ رَوَاهَا الْأَثْبَاتُ عِنْدَكَ ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَى دَوَائِبِهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ
مَّا عَدَّ إِثْبَاتِ الْمُعْجَزَةِ لِمُحَمَّدٍ (أَقْتُمُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ)

وَأكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكِتَابَ مِنَ النَّصَارَى فَفَكَّرُوا فِي أَنْ يَدَّسُوا
لَنَا السَّمَّ بِالْعَسَلِ ، فَقَطَّاهُمْ وَابَا كِبَارِ سَهْرَةَ مُحَمَّدٍ سَبْرًا بِغَوَارِهَا ، وَ
كَشَفُوا مِنْ أَسْرَارِهَا الْعَظِيمَةَ أَثْنَاءَ تَحْقِيقِهِمْ لَهَا مَا دَعَا الْمُسْلِمِينَ لِلْأَقْبَالِ
عَلَيْهِمْ ، وَقَبُولِ هَذَا التَّحْقِيقِ الدَّقِيقِ مِنْهُمْ ، لِأَنَّ الْحَقَّ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ
أَيُّمَا وَجَدَهُ تَبِعَهُ وَفَكَّرُوا أَنَّ لِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ - كَمَا ذَكَرْنَا - دِعَايَتَيْنِ فِي
الْإِحْتِجَاجِ عَلَى حَدُوثِ رِسَالَتِهِ وَإِطْرَادِهَا الْقُرْآنَ وَالْمُعْجَزَةَ ، فَبَدَّوْا
بِالدِّعَايَةِ الصَّغِيرَى لِيَهْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ وَضَعُوا مُعَاوِلَ
الْمُسْلِمِينَ لِهَدْمِهَا مَعَ مُعَاوِلِهِمْ ، فَإِذَا بَنَحُوا وَاسْتَرَاخُوا مِنْ هَذِهِ فَكَّرُوا
فِي هَدْمِ الدِّعَايَةِ الْكَبِيرَى ، بَلْ هِيَ تَهْدِمُ بِذَاتِهَا وَبِضَعْفِ جَانِبِهَا
مَعَ أُخْتِهَا ، فَإِنَّهُمَا كَرِجَلَيْ نَعَامَةٍ ، أَوْ كَمَا يَقُولُ الْعَرَبُ فِي أَمْثَالِهِمْ
عَنْ لِسَانِ الثَّوْرِ الْأَمْرِ - حَيْثُ ارَادَ الْأَسَدُ أَكْلَهُ بَعْدَ أَكْلِ قَرِينِهِ الْأَبْيَضِ
بِإِذْنِهِ - أَكَلْتُ مِنْ يَوْمٍ أَكَلِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضُ) فَلْيَتَنَبَّهُ لَذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ
وَلَا يَكُونُوا كَالْبَاحِثِ مِنْ حَتْفِهِ بِظُلْفِهِ ، وَاللَّهُ هُدًى مَنْ يَشَاءُ إِلَى
سَوَاءِ السَّبِيلِ .

أَمَّا الشَّيْعَةُ فَيَقُومُ احْتِجَاجُهُمْ عَلَى خِلَافَةِ عَلِيِّ وَبَنِيهِ بَعْدَ النَّبِيِّ

على هاتين القاعدتين أيضاً (الأولى) النص من النبي عَنِ اللَّهِ لَعَنَّا
 أَوْصِيَهُ الْأَمَامِ السَّابِقِ عَلَى الْلاحِقِ تَاكِيداً لِّلْوَصِيَةِ الْعَامَّةِ عَنِ النَّبِيِّ
 فِي قَوْلِهِ (الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً) ، بَلِ الْخَاصَّةِ كَمَا حُتِّ
 عَنْهُ بَعْضُ الْأَخْبَارِ بَعْدَهُمْ وَتَسْمِيَتِهِمْ ، وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى مَآءِ
 عَصْرٍ نَا الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ وَذِكْرِ غَيْبِهِ وَقِيَامِهِ وَلَوْلَمْ يَتَّ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا
 يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ (الثَّانِيَةُ) الْمُعْجَزَةُ وَقَدْ يَخْتَصُّ
 اسْمُ الْمُعْجَزَةِ بِخَرْقِ الْعَادَةِ لِلنَّبِيِّ الْكَرَامَةِ لِلْوَلِيِّ وَمِنْهَا خَوَارِقُ الْعَامَّةِ
 لِلْأَئِمَّةِ ، وَعَلَى كُلِّ فَنٍّ أَنَّ اللَّهَ خَرَقَ الْعَادَةَ مُعْجَزَةً لِأَنْبِيَائِهِ وَكَرَامَةً
 لِأَوْلِيَائِهِ ، وَقَدْ نَقَلْتُ لَنَا عَنْ طَرِيقِ التَّوَاتُرِ ، وَهُوَ مِنْ أَصُولِ الْبُرْهَانِيَّةِ
 فَضْلاً عَنْ الْأَحْيَاءِ الَّتِي قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اعْتِبَارِهَا وَسَطَعَ الْبُرْهَانُ عَلَى قَبُولِهَا
 وَقَدْ جَرَى لِلْحُسَيْنِ فِي غُضُونِ هُضِيَّتِهِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَةِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ
 الَّذِي لَا يُحِيطُ بِهِ قَلَمُ الْأَحْصَاءِ ، بَلْ جَرَى لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ إِمَاماً
 قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ وَقَرَأَ الْوَحْيَ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ ، وَكَانَ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيُجِدُّهُ فِي بَطْنِ
 أُمِّهِ ، وَتَكَلَّمَ كَعَهْسِي فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ، وَمَسَحَ دَرَدَائِلُ وَفَطَرَسُ بِمَهْدِهِ
 أَنْفُسُهُمَا فَرَدَّ اللَّهُ طَلِبَهُمَا أَجْمَعَتَهُمَا ، وَعَادَا إِلَى مَكَانِهِمَا مِنْ صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ
 وَعُرِفَا بِعَتِيقِي الْحُسَيْنِ وَافْتَخَرَا بِذَلِكَ ، وَكَمْ دَعَا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فَلَمْ يَرُدَّهُ
 دُعَاءٌ ، كَمَا دَعَا عَلَى جُبَيْرَةِ الْكَلْبِيِّ فَجَزَّهَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي أَوْقَدَتْ فِي
 الْخَنْدَقِ الْمُحِيطِ بِجَنَّتِهِ ، وَهَدَى اللَّهُ بِذَلِكَ مَرْوَانَ بْنَ وَائِلٍ ، فَجَعَّ
 عَنْ قَتَالِهِمْ وَلَمْ يَسْمَعْ وَاعِيَتَهُمْ ، وَاخْتَبَرَ عَنِ الْأُمُورِ الْمَغِيبَةِ وَمِنْهَا ۞

شهادته فكانت كما قال ، واستنبط الماء من الأرض بغرس أصابعه
فيها ، فتجرت عيوننا من بين أصابعه ومن إهاميه وراحة كفيه ،
وَأَرَى أَصْحَابَهُ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُمْ فِي قَيْدِ الْحَبَاةِ ، وَرَأَى ابْنَ
سَعْدٍ شِدَّةَ بَأْسِهِ فِي الْقِتَالِ وَرِبَاطَةَ جَاشِهِ فِي الْجِهَادِ ، وَقَدَّمَ
فَرِيدًا لَاطِهَرَلَهُ مِنْ أَنْصَارِهِ وَفَضِيلَتِهِ ، وَأَحَاطَتْ بِقَلْبِهِ الْخُطُوبُ
وَالْمَصَائِبُ أَحَاطَةَ الْجُنُودِ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَكَانُوا يَشُدُّونَ عَلَيْهِ
وَهُمْ كَالْجَرَادِ الْمُنْتَشِرِ ، فَيَشُدُّ عَلَيْهَا فَيَنْكَشِفُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَنْكَشَافَ
الْمِعْزَى مِنَ الذَّبِّ

فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ لَهُ فِي الْقِتَاءِ نَظِيرًا وَلَا أُذُنٌ سَامِعَةً
لِذَلِكَ وَهَيْمَ - وَبِحَقِّ لَهُ ذَلِكَ - فَنَادَاهُ يَاحُسَيْنُ أَتَقَاتِلُنَا بِالْقُوَّةِ اللَّاهُوتِ
- وَيُرِيدُ بِهَا الْمَجْزَةَ - فَأَجَابَهُ لَا بَلْ بِالْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ، ثُمَّ أَدَاهُ الْمَجْزَةَ
حَيْثُ مَدَّ سَهْفَهُ فَأَحَاطَ بِرِقَابِ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ بِحَيْثُ لَوَّجَذَبَهُ إِلَيْهِ لَمْ يَبْقَ
مِنْهُمْ رَأْسٌ عَلَى جَسَدٍ ، ثُمَّ انْتَرَعَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ ، وَعَادَ
يُقَاتِلُهُمْ بِالْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ .

وَلَعَلَّ الْمُعْتَرِضَ يَقُولُ إِذَا كَانَ لِلْحُسَيْنِ هَذِهِ الْمُعْجَزَاتُ كُلُّهَا ، وَهَذِهِ
الْقُدْرَةُ الْكَافِيَةُ فَمَا بَالُهُ يَسْتَعِجِدُ النَّاسَ لِيُضْرَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَمَا
بَالُهُ يُدَلِّي بِمِنْ أَعْدَائِهِ أَعْظَمَ الْمَصَائِبِ ، وَيَتَكَبَّدُ فِي فَضْطِهِ أَنْوَاعَ
الشَّدَائِدِ ، فَجُيِبَ بِمَا أَجَابَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْغَةَ الْمُرْسَلُ مِنْ قِبَلِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُتَوَقِّسِ عَظِيمِ الْقَبْطِ فِي مِصْرَ وَالْأَسْكَندَرِيَّةِ ،

* اِثْنَاءَ فَضْلِهِ الْكَرِيمِ * (٩) ٥

حَيْثُ قَالَ لَهُ (مَا مَنَعَهُ) إِنْ كَانَ نَبِيًّا أَنْ يَدْعُو عَلَى مَنْ خَالَفَهُ أَنْ
 يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ) فَقَالَ لَهُ حَاطِبٌ أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَرْثَمٍ
 رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَا لَهُ حَيْثُ أَخَذَهُ قَوْمُهُ فَأَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ أَنْ لَا يَكُونَ
 دَعَا عَلَيْهِمْ ، قَالَ (أَحْسَنْتَ ، أَنْتَ حَكِيمٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ حَكِيمٍ)
 وَلَوْ انْصَفَ نَفْسَهُ لَقَالَ لَهُ أَنْتَ حَكِيمٌ ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ كَرِيمٍ ، عَلَى
 رَبِّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ ، وَشَمِلَتْ عِيَالُ الْحُسَيْنِ مِنْ لَدُنْهِ نَفْحَةٌ
 قُدْسِيَّةٌ ، فَظَهَرَتْ لَهُمْ الْكَرَامَاتُ الْبَاهِرَةُ أَثْنَاءَ سَبْرِهِمْ إِلَى الْكُوفَةِ
 وَالشَّامِ لَا سَهْمًا شَقِيقَةً فَجَدَ زَيْنَبُ الْكُبْرَى ، وَانْتَهَى أَرْبَعُ يَوْمَاتٍ
 النَّفْحَةُ وَعَبِيرُ ذَلِكَ الْعَبْقِ الْفَبَاحُ الشَّذِي إِلَى جَارِئَتِهِمْ فَضَّةُ الَّتِي
 صَامَتْ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَلِيًّا لَهَا ، وَلَمْ يُفْطِرُوا إِلَّا عَلَى الْمَاءِ
 الْقَرَّاحِ (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ، وَيُطِيعُونَ
 الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) فَقَدْ دَعَتْ اللَّهَ عَلَى
 الْعُسْكَرِ لَمَّا كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّضِيعِ فِي الْخَيْمَةِ ظَنًّا مِنْهَا
 أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ سَقَوْهُ الْمَاءَ عَلَى بَدَائِبِهِ فَرَقَدُوا نَامَ ، وَلِذَا بِهِ مَذْبُوحًا
 مِنَ الْوَرْدِ إِلَى الْوَرْدِ بِسَبِّهِمْ لَا يَزَالُ مُشْكُوكًا فِي مَخْرِهِ فَنَفِدَ صَبْرُهَا وَ
 جَاشَ بِالْغَيْظِ صَدْرُهَا وَدَعَتْ اللَّهَ عَلَيْهِمْ عَنْ قَلْبٍ مُحْزَنٍ وَفُؤَادٍ مَكْرُومٍ
 فَتَدَلَّى عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنَ الْعَدْلِ الْحَكِيمِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَمْسَسَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
 فَتَلَقَاهُ رَحْمَةُ اللَّهِ الْوَاسِعَةُ وَرَدَّهُ رَدًّا جَمِيلًا ، وَانْدَحَرَتْ مَعْجَزَةُ
 فَضَّةَ بِغِلَظَتِهَا وَفَظَاظِطِهَا أَمَامَ مُعْجَزَةِ الْحُسَيْنِ بِرَحْمَتِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ

المعجزة فرعٌ وهذه الاصل ، والاصل أقوى من فروعه ، وخطبت
 الأسد وأمرته بحراسة جسد سيدها الحسين ، ففعل ، اقتداءً
 بالأسد الذي ركبته سفينة من شقة بعبدية ، فنجاعليه ، لآفته
 خادم رسول الله ، وذلك حين جاء ابن سعداً مرابن زباد أن يعاود
 جسد الحسين بشقه في سنايك الخبول ، حتى يذوب ويضمحل ، و
 لا يبقى له عاب ولا اثر ، ولم يكفرهم تحطيمه وتكسر عظامه للمراة الأولى
 فمنعهم من ذلك الأسد ، واستأذنت فضة سيدها زينت ،
 بأن تدعو الله لنزل مائدة من السماء يسد بها رمق يتامى الحسين ،
 وقد راقهم يتضورون جوعاً ، فأطعمهم الله بجفنة ثريد يفوح منها
 الدخان ، كسيدتها الزهراء في عهد أبيها المصطفى ص فسالها
 بعلمها الوصي رآني لك هذا ، قالت هو من عند الله فقرضها أبوها
 رسول الله بقوله (الحمد لله الذي رزقني بنتاً كريم ابنة عمران
 كلما دخل عليها ذكر باب الحراب وجد عندها رزقا قال يا كريم
 آني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير
 حساب)

واستمر الحسين يجلو البراهين ويأني بالمعجزات المخارقات
 حتى أطردت له بعد قتله فقد سطر في بعض منازل من رأسه نور
 وضياء حتى لحق بعنان السماء ، وتكلم - كما قبل - في سبعين صغاً
 هدى الله بذلك من هدى ، وأدار عينه بتفقد عباله فافتقد

* اثْنَاءَ فَضْلِهِ الْكَرِيمَةِ * (١١) .

أَحَدِي بَنَاتِهِ ، فلم يُزَاهِلْ دَمْعُهُ مَوْضِعَهُ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَى قَلْعِهِ الْعَسْكَرُ
 بِأَسْرِهِ ، حَتَّى يَطْلُبُوهَا فَوْجِدُوهَا وَجَاهُوا بِهَا ، وَدَعَا فِي بَعْضِهَا عَلَى
 حَامِلِهِ ، فَأَنْزَلَهُ مِنْ دَمْعِهِ ، وَأَخَذَ عَدُوُّ اللَّهِ بِضِرْبِهِ بِسَوْطِهِ ضَرْبًا
 شَدِيدًا ، أَلَا شَلَّتْ يَدَاهُ ، وَنَطَقَ بِالْقُرْآنِ إِعْلَانًا بِأَنَّهُ قُتِلَ لِأَحْيَاءِ
 الْقُرْآنِ (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا
 عَجَبًا) وَلَنْ شَارَكَهُ بِحَيٍّ فَتَكَلَّمَ رَأْسُهُ بَعْدَ قَطْعِهِ مَعَ جَبَّارٍ ذَمَانِهِ
 نَاهِيًا لَهُ عَنْ ادِّيكَابِ الْمُنْكَرِ ، قَائِلًا لَهُ لَا تَفْعَلْ إِنَّهَا الْمَلِكُ ، فَلَعَمْرِي إِنَّهُ لَمْ
 يُشَارِكْهُ أَحَدٌ فِي تَكَلُّمِ جَسَدِ الْمَرْضُوضِ الْجَرِيحِ ، وَخُرُوجِ الْكَلَامِ مِنْ مَخْرَجِ
 الْمَخُورِ الْقَطِيعِ ، وَرثَاؤِ نَفْسِهِ لِشَيْعَتِهِ الْمُتَوَدِّعِينَ بِهِ عَلَى لِسَانِ بَنِيهِ سُكْبَةً
 وَعَرَضِ مَظْلُومِيَّتِهِ عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ الظُّلْمِ ، طَالِبًا مِنْهُمْ دَوَامَ ذِكْرِهِ وَالْبُكَاءِ لِكُلِّ
 وَاحِدٍ مِنَ الْخُطُوبِ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، وَالظُّلَامَاتِ الَّتِي فَاجَأَتْهُ ، فَذَكَرُوا
 عَطَشَهُ الَّذِي قَاسَاهُ عِنْدَ شَرْهِمِ عَذَابِ الْمَاءِ الزَّلَالِ ، وَلَا يَنْسَوْنَ غُرْبَتَهُ
 وَقَتْلَهُ مَا بَيْنَ مُتَّصِلِ السُّهُوفِ وَمُشْجَرِ الرِّمَاجِ وَمُسْتَبَكِّ السِّتْهَامِ ، إِذَا سَمِعُوا
 بِغَرِيبٍ أَوْ قَتِيلٍ ، وَيَجْعَلُونَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ رَضَّ جَسَدِ الْجَرِيحِ بِجَوَافِرِ الْخَبُولِ
 الْأَعْوَجِيَّةِ ، وَيُصْغَوْنَ بِأَذَانِ قُلُوبِهِمْ لِكَلِمَةِ ذَيْنِ الْعَابِدِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ
 رَكْنَتُ نَائِمًا فِي الْخَيْمَةِ ، وَأَنَا أَسْمَعُ تَكْسِيرَ عِظَامِ أَبِي بِجَوَافِرِ الْخَبُولِ (
 ثُمَّ يَعُودُ آرُوحًا فَيَدَاهُ ، فَيَتَمَنَّى حُضُورَ شَيْعَتِهِ مَنْ وَلَدَ وَمَنْ لَمْ يُولَدْ فِي
 يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، فَيَسْتَرْعِي لِنَفْسِهِمْ وَيَسْتَعْبِرُ أَنْظَارَهُمْ ، لِيُشَارِكُوهُ
 فِي كَارِثَتِهِ الْوَحِيدَةِ ، وَيُسَاهِمُوهُ فِي الْحُزَنِ عَلَى مُصِيبَتِهِ الْعَظِيمِ

الغريبه ، ألا وهي ذبج طفله الرضيع على صدره الحزين الحنون
بسهم ذي ثلاث شعب مسموم ، بعد أن استسقى له ، فأبوان
برحموه ، كما تقتضيه طبائع البشر من رحمة الاطفال .

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني أو سمعتم بقبيل أو شهيد فاندبوني
فانا السبط الذي من غير جرم قتلوني وبجروا الخيل بعد القتل عمداً سجنوني
ليتكم في يوم عاشوراء جميعاً تنظروني كيف استسقى لطفلي فأبوان برحموني
وسقوه سهم نعي عوض الماء المعين

لبيك أبا عبد الله ، لبيك يا ابن رسول الله ، لبيك داعي الله ،
إن كان لم ينجك بدني عند استغاثتك ، وليا في عند استنصار
فقد أجابك قلبي بحرقة الحزن والأسى ، وسمعي بالأصغاء لصوتك
المدوي صده في أجواء القرون والأجيال ، وبصري بالبكاء على ما
أصابك ، وهتان الذموع على ما لحقتك أبا عبد الله - سدي
تبكيت عيني لأجل مشوبة لكما عيني لأجلك باكبه
تبطل منكم كرباً بدم ، ولا تبطل مني بالدموع الجارية



« وَالْبَدْءُ بِهِ مِنْ قَبْلِ الْحَقِّ »

يَقُولُ الْمُعْتَرِضُ مَبَّ أَنْ الْحُسَيْنَ وَرِثَ جَدَّهُ رَسُولَ اللَّهِ فِي إِجْرَاءِ الْمُعْجَزَاتِ
الْمَخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ عَلَى يَدَيْهِ ، أَوْ وَرِثَ أَبَاهُ الْوَصِيَّ وَقَدْ وَرِثَهَا الْوَصِيُّ

عَنِ النَّبِيِّ

وَبِمَا دَمَلُ عَالِجٍ يَوْمَ مَعْصِيٍّ لَمْ يَصْنُ عَنْ دَمَالِهِ الْأَحْصَاءُ
وَقَضَبُ الْأَرْقَامِ عَنْ خَادِقِيٍّ لَكَ يَا مَنْ الْبَدِ رَدَّتْ ذِكَا

فَهَلْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَجْرِيَ لَهُ حَتَّى الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ ، كِنْدَانُهُ
مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ ، أَوْ نَزُولُ الصَّحِيفَةِ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ ،
الْبَسْتُ هَذِهِ خَاصَّةَ الْأَنْبِيَاءِ ، كَمَا عَرَفَ الْمُتَكَلِّمُونَ النَّبِيَّ بِأَنَّهُ الْإِنْسَانُ
الْمُبْلَغُ عَنْ اللَّهِ بِغَيْرِ وَاسْطَةِ الْبَشَرِ ، أَيْ بِوَسْطَةِ الْمَلَائِكَةِ (وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحَبًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا
فَيُوحِيْ بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ) ، وَأَمَّا الْأَمَامُ فَهُوَ الْإِنْسَانُ
الْمُبْلَغُ عَنْ اللَّهِ بِوَسْطَةِ الْبَشَرِ أَيْ النَّبِيِّ الَّذِي هُوَ وَصِيُّ عَنْهُ ، فَهَلْ
يَدَّعِي مَنْ يَرَوِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ نَبِيًّا ، وَقَدْ خَمَّ اللَّهُ
الْأَنْبِيَاءَ بِجَدِّهِ مُحَمَّدٍ الْقَاتِلِ لِأَبْنَيْ بَعْدِي ، وَجُوبُ قَتْلِ مُدَّعِيِ النُّبُوَّةِ
بَعْدَ مُحَمَّدٍ مِنْ ضَرُورَاتِ الْإِسْلَامِ ، وَبِنُؤَامِيَّةٍ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ خَارِجِيًّا
فَقَتَلُوهُ ، وَلَمْ يَدَّعُوا أَنَّهُ قَدْ دَّعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَ جَدِّ خَالَتِهِمِ النَّبِيِّ وَتَمَامُ

عِدَّةُ الْمُرْسَلِينَ ؟

قلنا أمّا البدء الصادق من قبل الله بواسطة الملائكة ، فلا
يختص بالأنبياء والرسل إلا إذا كان لتبليغ شريعة أو أحكام شريعة
ألم ترّ التعريف للنبي يقول (هو المبلغ عن الله بغير واسطة البشر)
إمّا إذا كانت عمومية كقوله (يا أبناء العشرين جدّوا واجتهدوا)
وكقوله في الحديث القدسي (عبدي خيري إليك نازل وشرك
إلي صاعد) ونحو ذلك مما لا يتناول الأخصاء ، فليست هذه
خاصة بالأنبياء ، ولا كئناكلنا أنبياء لأنّ الله ملكا بنا دي بنا كل يوم
فضلا عن الملائكة التي تنادي كل جمعة كما قال الشاعر ؛
له ملكٌ بنا دي كل يوم لدو للموتِ وأبناو الخراب

وهكذا إذا كان البدء خاصا بشخص لأمره الشخصية ، دون تبليغ
الناس الأحكام الشرعية عن ربيهم ، فهذه مريم ابنة عمران ،
نادىها الملائكة عن الله جلّ جلاله (يا مريم إن الله يُبشرك بكلمة
مُنيه) المسبح عيسى بن مريم) ولهذا خاطب الله في الجواب بدون
واسطة ، فقالت (ربّ أنى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشر) ومريم
ابنة عمران لم تخرط في سلك الأنبياء ، وكانت من القانتين لا
من المرسلين ، فإنّ الله لم يبعث نبيا قط أنثى كما يقول شاعر المسلمين
في قصيدته التي نظم بها عفاؤ المسلمين

ولم يبعث نبيا قط أنثى ولا عبدا فحاذر عن جدالي

وإذا خاطبت الملائكة مريم ابنة عمران وجاءت لها برزق من موائد

* وَالنِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ * (١٥) .

الْجَنَان (كَلَّمَادَ خَلَّ عَلَيْهَا ذِكْرُهَا بِالْحَرَابِ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ
 يَا مَرْيَمُ أَتَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ
 يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وَإِذَا كَانَتْ فَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مِنْ مَرْيَمَ
 ابْنَةِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ كَافَّةً ، وَ
 اصْطَفَى اللَّهُ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ عَلَى نِسَاءِ عَالَمِهَا خَاصَّةً ، كَمَا ثَبَتَ
 لَدُنَّهَا ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهَا الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ الَّذِي لَا يُجَابِي أَحَدًا وَلَوْ كَانَ
 بَصْعَةً مِنْهُ ، وَلَا يَقُولُ عَلَى اللَّهِ بَعْضُ الْأَفَاوِيلِ ، كَانَ لِرَأْمَا عَلَيْنَا أَنْ
 نُصَدِّقَ الْأَخْبَارَ الْقَائِلَةَ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ نَادَتْ فَاطِمَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فِي
 مِحْرَابِهَا ، وَتَقْبَلُ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ بِزُورٍ لِمَلَائِكَةِ بَرْدِيقٍ مِنْ مَوَائِدِ
 الْجَنَّةِ ، وَبِمُقْتَضَى أَنْ حُكِمَ الْأَمْثَالُ فِيمَا يَجُوزُ وَمَا لَا يَجُوزُ وَاحِدٌ تَخَرُّطُ
 الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةُ بِنِدَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِلْحُسَيْنِ وَأَبِي الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ
 كُلُّهَا فِي سِلْكِ الْقَبُولِ ، وَلَا يَلْزِمُنَا الْقَوْلُ بِنُبُوَّةِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، كَرَّمَ
 ابْنَةُ عِمْرَانَ فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالصِّدِّيقِينَ ، وَلَمْ تَكُنْ
 مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَكَانُوا هُمْ سَادَةُ الصَّادِقِينَ ، وَتُخْبِتُ
 الصِّدِّيقِينَ ، وَكَانَ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ هُوَ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ،
 هَذَا وَدُبَّهَا نُودِيَ بَعْضُ الْبَشَرِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ ، بِوَاسِطَةِ هَاتِفٍ
 لَا يُدْرِي مِنَ الْجِنِّ هُوَ أَمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، أَمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، كَمَا جَاءَ
 فِي الرِّوَايَةِ أَنَّ الْحُرَّمَاتِ نَابَ عَلَى بَدَنِ الْحُسَيْنِ عَ ذَكَرَ أَنْ هَاتِفًا
 هَتَفَ بِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِهِ (أَبْشِرْ يَا حُرَّ بِالْجَنَّةِ) فَالْتَفَتَ

إِلَى خَلْفِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا ، فَظَنَّ أَنَّ الْهَاقِيفَ بِهِ إِبْلِيسُ ،
لَأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ الْحُسَيْنَ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَ
كَانَ هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَبَشَّرَهُ الْحُسَيْنُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الْخَضِرُ بْنُ
مَلَكَانَ ، بَشَّرَهُ بِمَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنَ الْأَسْتِشْهَادِ بَيْنَ
يَدَيْ الْحُسَيْنِ ، وَهَكَذَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالسَّعَادَةِ فَاسْتَشْهَدَ بَيْنَ
يَدَيْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ ، وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الَّتِي رَوَاهَا الدَّيْبَنْدِيُّ فِي
أَسْرَارِ شَهَادَتِهِ ، أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْحُسَيْنُ وَحْدَتَهُ وَقَتْلَ أَنْصَارِهِ وَ
أَطْفَالِهِ ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَبْدَانِ ، وَبَقِيَ وَاقِفًا مُتَحَبِّرًا يَنْظُرُ إِلَى أَخُوهِ
وَأَوْلَادِهِ وَبَنِي أَخِيهِ وَبَنِي عَمِّهِ صَرَخَى مُقْتَوْلِينَ مُجْدَلِينَ ، وَمَرَّةً
يَنْظُرُ إِلَى غُرَبَائِهِ وَوَحْدَتِهِ وَانْفِرَادِهِ ، وَمَرَّةً يَنْظُرُ إِلَى لَشَاءٍ وَ
غُرَبَائِهِمْ وَوَحْدَتِهِمْ وَعَطَشِهِمْ وَمَا يَرْجِعُنَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْرِ وَالذِّلِّ
وَمَرَّةً يَنْظُرُ إِلَى شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَتَضَمُّمِهِمْ عَلَى قَتْلِهِ ، فَنَادَى بِصَوْتٍ
عَالٍ حَزِينٍ ، أُمَامِينَ نَاصِرِينَ نَصْرُنَا أُمَامِينَ مُغِيثِينَ بُغِيثُنَا ، هَلْ
مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ اللَّهَ فِينَا ، أُمَامِينَ ذَابَ بِذُبِّ عَنْ حُرْمِ رَسُولِ
اللَّهِ ، فَلَمَّا نَادَى هَذَا التِّدَاءَ تَزَلْزَلَتْ أَدْكَانُ الْعَرْشِ وَقَامَتْهُ ،
وَبَكَتِ السَّمَوَاتُ وَضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَاضْطَرَبَتِ الْأَرْضُ ، فَقَالُوا
بِاجْتِمَاعِهِمْ يَا رَبَّنَا هَذَا حَبِيبُكَ وَقُرَّةُ عَيْنِ حَبِيبِكَ ، فَأَذِنَ لَنَا
بِالنُّصْرَةِ ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِذْ وَقَعَتْ صَحِيفَةٌ قَدْ نَزَلَتْ مِنَ
السَّمَاءِ فِي يَدِهِ الشَّرِيفَةِ ، فَلَمَّا فَتَحَهَا وَنَظَرَ فِيهَا إِذَا هِيَ هُوَ الْعَهْدُ

* والنداءُ بدينٍ قبل الحقِّ * (١٢) .

المأخوذُ عليه بالشهادة قبل خلق الخلق في هذه الدنيا ، فلما
نظروا إلى ظهور تلك الضعيفة ، فإذا هو مكتوبٌ فيه بخط واضح
جَلِيّ (يا حَسَنُ مَنْ مَاحَمُنَا عَلَيْكَ الْمَوْتُ ، وَمَا الزَّمَانُ عَلَيْكَ
الشَّهَادَةُ ، فَلكَ الْخَبَارُ وَلَا يَنْقُصُ حُظُّكَ عِنْدَنَا ، فَإِنْ شِئْتَ
أَنْ تُصْرِفَ عَنْكَ هَذِهِ الْبَلْبَةُ ، فَاعْلَمْ أَنَا قَدْ جَعَلْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ كُلَّهُمْ فِي حُكْمِكَ ، فَأَمْرُهُمْ بِمَا تُرِيدُ
مِنْ إِهْلَاكِ هَذِهِ الْكَفَرَةِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) وَإِذَا بِالْمَلَائِكَةِ قَدْ مَلَأُوا بَيْنَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، بِأَيْدِيهِمْ حِرَابٌ مِنَ النَّارِ ، يَنْتَظِرُونَ
لِحُكْمِ الْحُسَيْنِ وَأَمْرِهِ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ ، مِنْ إِعْدَامِ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةِ ،
فَلَمَّا عَرَفَ مَضمُونُ الْكِتَابِ ، وَمَا فِي تِلْكَ الصَّحْفَةِ رَفَعَهَا
إِلَى السَّمَاءِ وَرَمَى بِهَا إِلَهِهَا ، وَقَالَ إِلَهِي سَيِّدِي وَدِدْتُ أَنْ أُقْتَلَ
وَأُحِبَّ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي طَاعَتِكَ وَمَحَبَّتِكَ ، سَيِّمًا إِذَا كَانَ
فِي قَتْلِي نَصْرَةٌ دِينِكَ ، وَإِحْبَاءُ أَمْرِكَ ، وَحِفْظُ نَامُوسِ شَرْعِكَ
شَمَرًا لِي قَدْ سَمِعْتُ الْحَيَاةَ بَعْدَ قَتْلِ الْأَحِبَّةِ وَقَتْلِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمْ يَأْذِنْ لِلْمَلَائِكَةِ بِشَيْءٍ ، وَبِأَشْرَ الْحَزَنِ
بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَذَلِكَ نَحْوُ الْقَوْمِ ، فَلَمَّا فِي الْجَوَابِ عَنْهَا وَجْهٌ
(الْأَوَّلُ) إِذَا شَاءَ الْمُعْتَرِضُ رَدَّهَا ، زَعَمًا مِنْهُ أَنَّ رِوَايَتَهَا
مُرْسَلَةٌ أَوْ لَوْجُهُ آخَرٌ فَلْيُرَدِّهَا فَلَنْ يُضَرَّ نَارُ دُهَا شَيْئًا ، وَلَنْ
يُضَرَّ الْحُسَيْنُ فِي عَظْمَتِهِ ، وَجَبَلِ الذِّكْرِ فِي إِحْدُوثِهِ يُضَضِّهِ

قَيْدَ شَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَرَاوَهَا (إِنَّ بِكَ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ)
وَالْعَهْدَةُ عَلَى النَّاqِلِ .

(الثَّانِي) ، إِذَا كَانَتْ مَرْوِيَّةً وَهِيَ مُكَنَّةٌ ، وَوَضَعَ الْأَخْبَارُ
لِلصِّدِّيقِ ، وَأَمَّا الْكَذِبُ فَاحْتِمَالٌ عَقْلِيٌّ لَا يُصَادِقُ إِلَيْهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ
فَمَا الْمَانِعُ مِنْ تَصَدِيقِهَا ، وَقَدْ قَالَ الرَّئِيسُ بْنُ سَهْبٍ (كُلَّمَا قَرَعَ
سَمْعَكَ مِنْ غُرَابِ الْأُمُورِ فَذَرَّهُ فِي بُقْعَةِ الْأَمْكَانِ ، حَتَّى يَذُودَكَ
عَنْهُ سَاطِعُ الْبُرْهَانِ) ، وَنَظَّمْتُ أَنَا ذَلِكَ فَقُلْتُ ،

مَا قَدْ سَمِعْتَ مِنَ الْعَجَائِبِ فَاحْفَظْ فِيهِ وَذَرِّهُ بِبُقْعَةِ الْأَمْكَانِ

وَتَرَوْهُ بَيِّنَ قَبُولِهِ أَوْ دَرِّهِ حَتَّى يَذُودَكَ سَاطِعُ الْبُرْهَانِ

أَمَّا كَوْنُ الصَّحِيفِ خَاصَّةً بِالْأَنْبِيَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِنَّ هَذَا لَفِي
الصَّحِيفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) فَقَدْ ذَكَرْنَا الْجَوَابَ عَنْهُ فِي
بَدَأِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَشْخَاصِ الْأَوْلِيَاءِ
كَرِّيمِ ابْنَةِ عِمْرَانَ ، فَلَيْسَ هَذَا بِوَجْهِ سَاطِعِ الْبُرْهَانِ لِيَكُونَ صَالِحًا
لِرَدِّ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَمْكَانِ ، وَدَدْنَا أَنْ نَبْغِي دَلِيلَ مَرْدُودٍ عَلَى
صَاحِبِهِ وَمَضْرُوبٍ بِهِ وَجْهَهُ ، هَذَا مَعَ أَنَّهُ رُوِيَ لَنَا أَنَّ الْكَثِيرَ
مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِأَمَانَتِهِمْ فَضلاً عَنْ بُتُوهِمْ وَتَدْوِينِهِمْ
فَوَدَّوْا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَكُتِبَتْ لَهُمْ صُحُفٌ مِنْ لَدُنْهِ بِأُمُورِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ
بِمَا لَوَدُّنَا اسْتِقْصَاءَهُ لَخَرَجْنَا عَنْ مَوْضُوعِ الْكِتَابِ ، فَمِنْهُمْ الشَّهِيدُ
الْأَوَّلُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ الْعَامِلِيُّ ، فَإِنَّهُ - كَمَا يُحْكِي عَنْهُ -

* والنداء بدين قبل الحق * (١٩) .

لما سُبْحَنَ وظلم وتمادى به الأمر ضاق صدره ، فوضع تحت رأسه رُقعة كتب فيها (رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ) ولما فُتِحَتْ صباها وجدا لجواب مكتوبا يُلَوِّدُ عائته (إِنْ كُنْتُ عَبْدِي فَأُصْطَبِرْ)
 (الثالث ، لعل المراد بالصحيفة احساس النفس ذات وجهت إلى الملأ الأعلى وكادت تتصل بعالمها الأول عالم المجردات ، وتخرج من هذا العالم الكثيف عالم المادة والضورة ، فانها تكون لها حينذاك قوة عظيمة ، تحدث منها انفعالات وتأثيرات ، واطلاع على ما في العالم الأرفع ، كعلم الغيبات ، ومن ذلك المناسبات الصادقة وامثالها ،

(الرابع ، لعل الرواية أزدت - ولومن باب المجاز - ما نتميه الآن صوت الضمير ، وقد بُدِئَ بالهاجس في سائر البشر وهو من الجن ، والمَلَكُ المُسَدِّدُ لكل مأمٍ من الأئمة ، فانهم يفوقون البشر بهذا الملك المسدِّد ، زيادة على الملائكة الحافظين لحياة الشخص عن الهلاك أو لأعماله في صحيفته التي يلقاها يوم حشره ونشره ، وهم يتعاقبون عليه في الليل والنهار (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) وهذا الوجه يكون جوابا حقيقيا عن الاعتراض الأول اعتراض النداء بالحسين ،

(الخامس ، من الجائز أن يراد بالصحيفة النازلة على الحسين من السماء بهذا الأمر الخاص هو صحيفته الخاصة دون غيره من الأئمة

التي تلقاها عن جدّه ، فقد روينا أنّه نزلت على النبيّ
 اثنتا عشر صحيفة على عدد أوصيائه ، وكانت محتومة
 بخواتيم من ذهب لم تمسها نادر ، بل قال لها الجليل كوني فكانت
 فدفعها النبيّ كلّها لأول أوصيائه ، وأشهد عليه ملائكة ربه
 ومكذا أخذ الإمام السابق يدفع سائرهن إلى الإمام اللاجئ ،
 فكل إمام منهم يفتح صحيفته فيعمل بما أمره فيها ، لأنّه مطابق لقتض
 حاله ومُناسب لإعتبار زمانه (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)
 وعساك تقول ما فتح الحسين صحيفته عند ما أذا بالخروج
 إلى الكوفة ، فوجد نفسه فيها مأموراً بالحرب القتال ، فقد
 اكملت له العدة التي يحب على الإمام النهوض بها في وجه الظلم
 وهي أربعون رجلاً فقد نيف أصحابه على السبعين ، بل في
 بعض الأخبار أنّهم كانوا عِدّة أصحاب بدر ثلثمائة وثلاثة
 عشر رجلاً ،

ولكنّا نقول بلى فتح الإمام صحيفته هناك ، ولكن أكثر
 كلام العرب كنايات ومجازات في مفردات ألفاظهم ومركبات
 جملهم ومخاويرهم ، فيجوز أن يكون نزولها يوم الطف وفتح
 لها وقراءتها كلّ مجازاً عما كان في المدينة ، لكنّه رأى فيها
 نفسه مأموراً بالخروج إلى الكوفة ، والقتال في سبيل الله مُحتمل
 عليه لا رخصة فيه ، حتى إذا خلا ظهره من ظهير ، وساعده

❖ وَالْبِدْءُ بِدْرٍ مِنْ قَبْلِ الْحَقِّ ❖ (٢١) .

مُسَاعِدٍ وَنَصِيرٍ ، كَانَ مُرْخَصًا فِي الْقِتَالِ وَوَضِعَ أَوْزَارُ الْحَرْبِ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِنْ شَاءَ التَّطَوُّعُ بِنَفْسِهِ وَ
الْإِسْتِثْنَاءُ وَالتَّضَمُّعُ فِي سَبِيلِ مُبْدِئِهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَاللَّهُ
يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ،

وَهُنَاكَ وَجْهٌ آخَرٌ لِفَتْحِهَا مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ الطَّفِّ بَعْدَ
فَتْحِهَا فِي مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ ، بَغَيْرِ تَجَوُّزٍ وَلَا كِنَايَةٍ إِذْ لَعَلَّهَا كَانَتْ
صَحِيفَةً مُحَوَّاثَاتٍ ، وَلِلَّهِ الْبِدْءُ فِي عِبَادِهِ ، وَمَا أَمَّنَ بِاللَّهِ
مَنْ لَمْ يُثَبِّتْ لَهُ الْبِدْءَ ، وَهَذَا كِنَايَةٌ الْكَرِيمِ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ
رَبِّمُجَوِّدًا مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (فَوَجَدَ الْحُسَيْنُ
نَفْسَهُ مُرْخَصًا فِي تَرْكِ الْقِتَالِ ، لِصَلَحَةِ اقْتِضَائِهَا ذَلِكَ لَظْفُ
الْعَصِيبِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مَأْمُورًا بِهِ أَمْرًا لَاهُودًا فِيهِ ، لَوْ جُودَ
الْأَنْصَارِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَبِيهِ (وَلَوْلَا قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ لَا لَقَبْتُ
حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَسَقَيْتُ أَخْرَمًا بِكَأْسِ أَوْلَهَا)

(السادس) ، ذَكَرْنَا أَنَّ أَكْثَرَ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ ، وَ
الرِّوَايَةُ الَّتِي تَذَكَّرُ الضَّمِيرَ لَمْ تُذَكَّرْ لَنَا قَطْرُهَا وَلَا سَمَكُهَا ، وَلَا لَوْ
مِدَادُهَا ، وَلَا صُورَةُ حُرُوفِهَا أَكُوفِيَّةٌ هِيَ أَمْ فَارَسِيَّةٌ أَمْ غَيْرُهَا مِمَّا
اصْطَلَحَ عَلَيْهِ سَائِرُ الْأُمَمِ فِي وَضْعِ صُورِ حُرُوفِهِمْ ، نَعَمْ ذَكَرْتُ أَنَّهَا
بِمَنْطِقٍ وَاضِحٍ جَلِيٍّ فَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - اسْتِنْبَاطُ حِكْمِ
الشَّارِعِ عَلَيْهِ هَذَا التَّنْبِيهُ ، فَعُبِّرَتْ الرِّوَايَةُ عَنْ الْحُكْمِ وَالنَّتِيجَةِ

(١) الطَّوَادَةُ : نَقَالَ عَلَى الْمَحَابَّةِ وَالرَّفَقِ وَاللِّينِ وَالرَّخَصَةِ وَغَيْرِهَا

بفتح الصحيفة توسعاً في التعبير ، وأخذت الغاية وتركزت
 المبادئ ، وأما الحروف فلنكن مواد التركيب ومقدمات
 النتيجة ، كما فسّر الحكاء أمثال قوله تعالى (ن وَالْقَلَمِ وَمَا
 يَسْطُرُونَ) فزعموا أن القلم مشيئة الله وإرادته التكوينية ،
 والسطر هو التفاعل والاقترانات ، لتتم صحيفة الخلق ، وقد
 نظّموا هذه الصحيفة سلسلة حروف ألقوها إلى تسعة وعشرين
 عدداً للحروف الهجائية ، من العقل الأول إلى المواليد الثلاثة المعنوية
 والنبات والحيوان ، ولا يزيدان بعد عن ذهن العرف بتفصيلها
 وترتيبها ، إذن فالحروف معانٍ كلية لكل ما يترتب منه كل
 شيء مجسّم ، ومنها الحروف الهجائية التي تترتب منها النظم
 الكلام ، فها هي الحروف التي رتبت للحسين حكم ذلك الظرف ،
 نعم لقد أشارت الرواية أن حروفه كانت كشرة من عرْبته
 وعطشه ووحدته وثلاثين ألفاً من الأعداء يزدلفون لقتاله
 ويحرقون على قتله ، وكان مدادهم أشهب ، لاقهم
 غاصون بالسلاح لحربه مدحجون بالحديد لقتاله ، وهنا
 حروف مدادها السواد ، ألا وهي نساؤه الغريات الثلاث
 هذه تنادي إلى ابن ياحانا ، وتلك تصيح إلى ابن يارجانا ، و
 أعظمهن أخته العقيلة زينب الكبرى ، وابنته الوالدة سكبنة
 التي حلقن على رأسها طبر البتيم ، وشمّلتها وحشة ذله ، فطلبت

مِنْهُ أَنْ يَمْسَحَ عَلَى رَأْسِهَا مَسْحَ الْبَنَامِ ، وَهُنَاكَ حُرُوفٌ مَدَّهَا
 الْحُمْرَةُ ، وَهِيَ الَّتِي سَمَّيْنَا الْحَيَاةَ حِينَ قَرَأَهَا وَعَافَ الْعُرْحَيْنِ نَافِلَهَا
 وَتَلَاهَا ، وَهُمْ أَنْصَارُهُ الصَّيْدُ الْبَوَاسِلُ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الْأَمْجَادُ
 الْأَمْثَلُ حَيْثُ رَأَى أَجْسَادَهُمْ بِالْدَمِ مَشْكُولَةً ، وَجُثَثُهُمْ بِالسَّيْرِ
 وَالرِّمَاحِ مُعْجَمَةً ، هَذَا مَكْبُوتٌ عَلَى وَجْهِهِ ، وَهَذَا مَلْفَى عَلَى
 بَيْتِهِ ، وَذَاكَ عَلَى بَسَارِهِ ، فَوَقَفَ بَيْنَهُمْ كَالطَّهْرِ الْمُنْكَسِرَةِ
 أَجْنَحَتُهُ ، لِذَلِكَ رَمَى صَحْفَةَ الْحَيَاةِ ، وَاشْتَاقَ لِأَجْلِ اللَّحَاثِ
 فِيهِمْ إِلَى الْمَنَاتِ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ يَجْمَعُ شَمْلَهُ الْمُتَبَدِّدَ ، وَيَنْظُمُ عَقْدَهُ
 الْمُنْفَرَطَ ، فَمَاذَا بَصَنَعُ بِالنَّصْرِ بَعْدَهُمْ ، وَأَيُّ فَائِدَةٍ لِلنَّظَرِ بَعْدِهِ ،
 وَهُوَ بَعْدَ بَنِي بَعْدَهُمْ ، فَرَدَّ النَّصْرَ وَلَمْ يَحْفِلْ بِمُورِدِهِ حَيْثُ جَاءَهُ فِي

ذَلِكَ الظَّرْفُ الْمَكْرِبُ الْمَشْبِيُّ

وَأَقْبَلَ النَّصْرُ بِسَعْيِ نَحْوِهِ مَجْلًا	مَسْعَى غُلَامٍ إِلَى مَوْلَاهُ مُبْدِرٍ
فَاصْدُ النَّصْرَ لَمْ يَحْفِلْ بِمُورِدِهِ	فَصَارَ حَبْرَانِ بَيْنَ الْيُورِدِ وَالصَّدِّ



(وَنَحُونُهُمَا فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ)

تَقُولُ الرِّوَايَةُ لَنَا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ - وَكَانَ ذَلِكَ فِي
أَيَّامِ لَبَّاءِ إِلَى الْحَبَانِ - وَافَقَ مَوْتَهُ كُسُوفُ الشَّمْسِ ، فَرَأَى الْمُسْلِمُونَ
فِي ذَلِكَ مُعْجَزَةً ، وَقَالُوا إِنَّمَا كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ ابْنِ نَبِيِّنَا ، وَ
أَنْتَ هِيَ كَلَامُهُمْ إِلَى أُذُنِ الرَّسُولِ ، فَلَمْ يَقْرَأْ لَهُمْ هَذَا الْأَعْتِقَادَ ،
وَلَمْ يَكُنْ عَنْ إِنْكَارِهِ ، وَحُبِّ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ قَدْ بَرَضَهَا بِأَنْ
يُمَدَّحَ بِمَا لَيْسَ فِيهَا ، وَدُبَّامَلِكِ الْحَزْنِ وَالْأَسَى فَوَادَّ الْمَصَابِ ،
فَوَجَدَ بِهَذَا التَّعْظِيمِ لَهُ أَوْ لِفَقْدِهِ سَلَوَةً يُخَفِّفُ بِهَا بَعْضَ وَجْدِ وَالْمَلِ
غَيْرَ أَنَّ النَّبِيَّ يَقُولُ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ وَالْوَالِدَيْنِ ، وَحَاشَا أَنْ
يُقَرَّ الْمُنْكَرُ طَرَفَةً عَيْنٍ ، فَقَدْ جَمَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَذَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ
وَحَظَبَهُمْ قَائِلًا (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا
يُخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ لَّا لِحَبَانِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْرَعُوا إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ بِالصَّلَاةِ)

فَلَمَّا عَرِضَ أَنْ يَقُولَ مَا بَالُ الشَّيْعَةِ هَكَذَا يَكْذِبُونَ عَلَى الْحُسَيْنِ ،
وَيَرَوْنَ أَنَّ الشَّمْسَ انْكَسَفَتْ لِمَوْتِهِ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ ،
وُخْصِفَ الْقَمَرُ لِأَجَلِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْهُ ، وَهَبَّتْ
رِيحٌ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا وَتُرَابًا أَحْمَرَ ، وَلَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ
وَلَمْ يَجِدْ تَحْتَهُ دَمٌ عَبِيطٌ أَوْ طَرِيٌّ ، وَلَمْ تَكُنِ الْحُمْرَةُ الَّتِي تُرَى بَعْدَ

غروب الشمس موجودة ، وإنما وجدت يوم قتل الحسين واستمر
الى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ، ونحو ذلك مما لا
يرتضيه عقل ولم يقم عليه برهان ، ولكن فرط الحب يخرج
بالحب الى الغلو في حبيب فضلا عن المبالغة والاعتراف ،
نقول فاذا اعتقدت انها من اكاذيب الشيعة ، فعلى الكاذب
كذبه يوم تجزي كل نفس بما تسعى ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
فتوجيه الاعتراض عليهم لا على حبيبهم كما تزعم (ولا تزروا زرة
وزرا أخرى) على ان الكثير من هذه الروايات لم يختص بها الشيعة
لجنتهم للحسين بل رواها اكابر المورخين من غيرهم كما بن حجر في
صواعيقه ، والمقرئ في خطبه ، وابن سعد في طبقاته و
ابن الجوزي وسبطه في تذكروته ، والثعالبي في تفسيره و
غيرهم ، والان فان شئت فاجعل ذلك لجنتهم للحسين ،
وان شئت فاجعله لبغضهم ، وعلل ابو الفرج حدوث الحرة
في كتاب التبصرة انه لما كان الغضب ان يجر وجهه عند الغضب
فيستدل بذلك على غضبه وانه امارة السخط والله تعالى
ليس مجيب ، فظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحجرة
الافق ، وذلك دليل على عظيم الجناية ، اما الشيعة فلم
يزيدوا على نقلها تاركين لها في سبيلها من الصحة او الرد كغيرها
من امثالها ، وذكر بعضهم ان الحرة الحادثة في قتل الحسين ،

حُمْرَةٌ أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي تَحْدُثُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَهُمَا مُتَفَاوِئَتَانِ بِالشَّدَةِ وَالضَّعْفِ ، فَإِنَّ الْحَادِثَةَ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ ، وَذَكَرَ هَا مِنْهُمْ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ رِضَا الْأَزْدِيُّ نَوَّارَ اللَّهِ مَضْبِجَهُ ، فَقَالَ

سَلْ كَرِيلاً مَاذَا جَرَى يَوْمَ كَرِيلاً مُصَابٌ مِثْلِي الْأَفْلَاكُ تَذَكَّرُوْعِدْ
وَأَنْتِ وَنِلَافُ حُمْرَةٍ فِي جَبِيْهَا إِلَى الْآنَ مِنْ ذَاكَ الْجَوَى الْمُتَقَدِّ
وَمَا ظَهَرَتْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ الْأَوَّلِ لِأَيِّهِ وَلَمْ تَعْرِفْ قَدِيمًا وَتَعْهَدِ
وَلَوْ جَلَّ رُؤُؤُ فِي النَّبِيِّينَ مِثْلَهُ لَبَانَتْ ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لِمَهْدِ

وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي مُطِرَتْهُ السَّمَاءُ فَيُرْوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ فِي الرَّحْبَةِ وَهُوَ يَتَلَوُّ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ الْآيَةُ ، فَخَرَجَ الْحُسَيْنُ مِنْ بَعْضِ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَمَا إِنَّ هَذَا سَيُقْتَلُ وَتَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ تَقَابُ هَذَا الْبُكَاءِ مِنَ السَّمَاءِ بِأَنَّهَُا أَمْطَرَتْ دَمًا وَتُرَابًا أَحْمَرَ ، وَأَنَّهَُا اسْوَدَّتْ أَوْ احْتَرَتْ أَوْ صَبَّتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، أَوْ ظَهَرَتْ الْكَوَاكِبُ فَهَذَا وَاشْتَبَكَتْ ، وَتَجَدُّ صَحَّةٌ قَوْلِنَا إِذَا دَا جَعَتْ مَظْنَةً هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي كُتُبِ الْفَرِيقَيْنِ ، فَإِنْ شِئْتَ حِينَئِذٍ فَاقْبَلْهَا وَإِنْ شِئْتَ فَرُدَّهَا ، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَى لَكَ وَالْأُخْرَى بِكَ أَنْ تَقُولَ كَمَا قَالَ الْكَوَاذِرُ

بَكَتِ السَّمَاءُ دَمًا وَلَمْ تَبْرُدْ بِهِ كَيْدٌ ، وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ عُبُوتُ

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهُ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ فَيَدْعُمُ رِوَايَاتُهُ مَا يُنْقَلُ لَنَا
مُتَوَاتِرًا كَوُجُودِ الْهِنْدِ فِي اعْتِقَادِنَا أَنَّ فِيهِ حَتَّى الْآنَ أَشْجَارًا كَالْيَدِ
تُمْطِرُ الدَّمَ الْعَبِيْطَ مِنْ أَوْرَاقِهَا مِنْ أَوَّلِ غُرُوبِ شَمْسِ لَيْلَةِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ
إِلَى زَوَالِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوَّلِي غُرُوبِهَا ، وَيُوجَدُ فِي غَيْرِهَا الْكَثْرُ
مِنْ أَمْثَالِ هَذَا ، فَإِنْ قَدِ الْمَعْتَرِضُ أَنْ يَرُدَّ الْمَتَوَاتِرَاتِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّا
نُنْكِرُ أَمَامَهُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ مَنَادِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ ، وَإِلَّا كَانَتْ
بِأَوِّهِ تَجَرُّوبًا وَنَا لَا تَجَرُّ (سُبْحَانَكَ هَذَا إِنَّكَ عَظِيمٌ)
أَمَّا كَسُوفُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي مُقَابَلَةِ خُطْبَةِ النَّبِيِّ الْإِنْفَةِ الذِّكْرِ
فَلَنَا فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ جُوهٌ

(الْأَوَّلُ) ، أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَقَدْ رَوَيْ لَنَا ذَلِكَ ،
وَهُوَ مُمْكِنٌ ذَاتًا وَإِنْ امْتَنَعَ عَادَةً ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الْعَادَةِ ، وَسَنَتَكَلِّمُ
عَمَّا يَتَوَهَّمُ مَا نَعْبَثُهُ فِي الْوَجْهِ الْأَيْ

(الْقَائِي) ، أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ خُطْبَةِ النَّبِيِّ ، وَبَيْنَ مَا
رَوَيْنَا مِنْ انْكَسَافِهَا لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ ، فَإِنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ اللَّتَيْنِ
أَجْرَى اللَّهُ فِيهِمَا عَادَتَهُ فِي عِبَادِهِ لَا يُسْتَبَانَ لِلَّهِ غَضَبًا ، بَلْ رَضِيَ
اللَّهُ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا تَرْبِيَانِ خَلْقَهُ مَعْرِفَةً بِهِ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي
الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ (كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ ،
فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرَفَ) فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَغَيْرَهُمَا
مِنْ طَوَارِيئِ النُّفُوسِ كُلِّهَا مِنْ أَثَارِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى مَحْبُوبَةٌ لِلَّهِ ، لِأَنَّهُمَا

تَزِيدُ الْخَلْقَ مَعْرِفَةً بِهِ ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ
 أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) وَقَدْ نَبَّهَهُمْ فِي كِتَابِهِ التَّوْحِيدِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ
 فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْهُ أَنْ يَتَفَكَّرُوا أَعْمَقَ التَّفَكُّرِ ، فِي كِتَابِهِ الْإِنْفِصِي
 وَالْإِفَانِي لِيَزِدَادُوا بَصِيرَةً بِهِ ، وَيَقْطَعُوا الْبَهْكَاءَ مِنْ مَرَاجِلِ مَعْرِفَتِهِ
 (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْإِفَانِ) وَأَمَّا بِمِثْلِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ
 فَهُوَ جَبُّ غَضَبِهِ الشَّدِيدِ الْعَظِيمِ (وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ الْجَلِيمِ)
 وَلَقَدْ أَخْبَرَ الْحُسَيْنُ نَفْسَهُ - وَلَمْ يَعْرِفْ بِمُحَابَاةٍ لَهَا - عَنْ مَبْلَغِ
 غَضَبِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِقَتْلِهِ ، حَيْثُ ضَرَبَ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ
 بِيَدِهِ ، حِينَ تَحَقَّقَ أَنَّ الْأُمَّةَ فَايَلَتْهُ لَامُحَالَةً ، وَقَالَ (ائْتَدَ
 غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا ، وَائْتَدَ غَضَبُهُ عَلَى
 النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ ، وَائْتَدَ غَضَبُهُ عَلَى الْمُجُوسِ
 إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَنَهْ ، وَائْتَدَ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ
 عَلَى قَتْلِ ابْنِ بَنِي نَبِيِّهِمْ)

وَلَعَلَّ الْمَعْرِضَ يَقُولُ هَبْ أَنَّ اللَّهَ غَضِبَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ .
 بِاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهَا عَلَى قَتْلِ ابْنِ بَنِي نَبِيِّهَا ، كَمَا غَضِبَ عَلَى النَّصَارَى
 وَالْيَهُودِ وَالْمُجُوسِ ، فَمَا ذَنْبُ الْمُسْكِينِ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِيُنْقِمَ مِنْهُمَا
 بِالْكُفْرِ وَبِأَخْذِهِمَا بِذَنْبٍ غَيْرِهَا مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ ، وَهُوَ الْقَاتِلُ
 (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) وَلَكِنَّا نَقُولُ فِي جَوَابِهِ خَفِضْ عَلَيْكَ فَلَيْسَ
 كُفْرُهُمَا تَعْذِيبًا لَهَا بِفِعْلِ غَيْرِهَا لِيُنْشِدَ بِلِسَانِهَا ،

* ونحوها في قتل الحسين * (٢٩) *

عبرنا حتى وأنا المعاقب فيكم فكانني سبابة المتدبر
وهاهما ينخسفان يوم القيامة كما قال تعالى (وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر) ولا ذنب لهما ليؤاخذهما الله به
بالأنخفاف ، بل العلة في ذلك أن آثار غضب الله تظهر في مخلوقاته
التي هي إيات وجوده وبيئات قدرته واثار غضبه وأورحمته ،
(فانظر إلى آثار رحمة الله) وقد رؤينا أنه إذا كثرت ذنوب بني
آدم أَرَادَ اللهُ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ نَفْسَهُ لِيُنْزِعُوا عَنْ ذُنُوبِهِمْ خَشْيَةً بِأَسِئَةٍ
وخيفة أخذه فإن أخذوا أَلِيمٌ شَدِيدٌ ، فنخسفان بأن يغيبهما في
بحر الظلمة ، ولعل المراد بها الظلمة المعنوية للذنوب التي تكون جزء
الأسباب لغيبهما في بحر الظلمة الحقيقية ، أعني مخروطة ظل
الأرض ، على ما سبأني ، وبدل على ما قلنا دلالة واضحة
قوله تعالى في توبيخ من قالوا إن الله اتخذ ولداً (وقالوا اتخذ الرحمن
ولداً ، لقد جئتم شيئا إداً ، تكاد السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ-
تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)
وإذا كان الحسين قد جعل غضب الله على هؤلاء مسأواً بغضبه
على أمة اجتمعت كلمتها على قتل ابن بنت نبيها فقد قارب أن تتفطر
السَّمَوَاتُ غَضَبًا لِقَتْلِهِ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ، ولكن هذه
الأمور أمكنت إمكاناً قريباً من الوقوع فكادت توجد ، ولكنها
لما لم تجب لم توجد ، وكان الخسوف في إمكانه أقرب استعداداً

للعُجُوبِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأُيُومِ الشَّرِيفَةِ لِأَنَّهُ يَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ لِذُنُوبِ بَنِي آدَمَ الْعَادِيَةِ ، وَلَكِنَّهُ وَجِبَ لِقَتْلِ الْحَسَنِ لِأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ فِي قَتْلِهِ أَعْظَمُ وَالْمُمْكِنُ إِذَا وَجِبَتْ جِدَّةٌ بَلْ وَجِدَتْ هَذَا الْخُسُوفُ خَرَقًا لِلْعَادَةِ ، فَقَدْ كُسِفَتِ الشَّمْسُ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ وَخِيفَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ ، لِأَنَّ الذَّنْبَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْخُسُوفِ خَارِجٌ عَنِ الْعَادَةِ ،

وَيَتَّبَعُهُ الْمُعْتَرِضُ فَيَأْخُذُ مِنْ جَوَابِنَا هَذَا اعْتِرَاضًا فَيَقُولُ ، أَلَمْ يَقَرَّرْ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْهَيْئَةِ وَالنَّجُومِ أَنَّ الْقَمَرَ لَا يَخْسَفُ قَتَ التَّرْبِيعِ ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خُسُوفُهُ فِي أَحَدَى اللَّيَالِي الْبَيْضِ ، لِأَنَّهَا لَيَالِي كَمَالِهِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ وَالرَّابِعَةَ عَشْرَةَ وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ، وَلِذَا مَثَلُ الْمُنَظِّقِ لِلضَّرُورَةِ بِقَوْلِهِمْ رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنَ الْقَمَرِ يَخْسَفُ وَقَتَ التَّرْبِيعِ بِالضَّرُورَةِ وَهَكَذَا يَقَرَّرُ عِنْدَهُمْ أَنَّ الشَّمْسَ لَا تَكْسَفُ إِلَّا فِي أَيَّامِ لَيَالِي الْحَادِيَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَالتَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ وَالتَّلَاثِيَةِ ، وَذَلِكَ لِمَا عُلِّلَ وَابَهُ الْخُسُوفُ مِنْ أَنَّ الْقَمَرَ يَدْخُلُ فِي مَخْرُوطِ ظِلِّ الْأَرْضِ ، حَيْثُ تَكُونُ الشَّمْسُ تَحْتَ الْأَرْضِ مُقَابِلَةً لَهُ ، وَالْمُقَابِلَةُ لَا تَوْجِدُ فِي وَقْتِ التَّرْبِيعِ بَبَدَاهَةِ الْعَقْلِ ، وَعُلِّلَ أَيْضًا الشَّمْسُ بِأَنَّ الْقَمَرَ يَكُونُ فِي خَطِّ مَجْرَاهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَبِمَا أَنَّ فَلَكَهُ تَحْتَ فَلَكِهَا إِذَا هُوَ أَقْرَبُ الْأَفْلَاقِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَفَلَكُهَا فِي الرَّابِعِ أَوْسَطِ الْأَفْلَاقِ ، فَإِذَا صَارَتْ تَحْتَهَا حَالُ بَيْنَا وَبَيْنَهَا ، وَلَا يَتَّفِقُ لَهَا هَذَا إِلَّا فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ ، بِصُرُودَةِ الْوُجُودَانِ ، وَنُظُمِ إِلَى

هَذِهِ الْمَقْدَمَةُ كَبْرَى صَادِقَةٌ ، وَهِيَ أَنَّ اقْوَالَ أَصْحَابِ كُلِّ فِرْتٍ
تُؤْخَذُ عَنْهُمْ مِنْ بَابِ إِدْسَالِ الْمُسْلِمَاتِ ، وَهِيَ مِنْ أُصُولِ الْبُرْهَانِيَّاتِ
غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ لَهُ نَعَمْ ، وَلَكِنَّا نَعَارِضُكَ بِسِلَاحِكَ الَّذِي بِهِ تَصُولُ
وَذَلِكَ مَا تَقَرَّرَ فِي أُصُولِ الْعَقَائِدِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
وَلَهُ خَرَقُ الْعَادَةِ إِذَا شَاءَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَجْرَى لِعَادَةٍ فِي الْأَشْيَاءِ ،
وَقَدْ سَلَبَ الْحَرَارَةَ عَنْ نَارِ التَّمْرُودِ لئَلَّا تَحْرِقَ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَ
هَذَا مَعْنَى الْمُعْجَزَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهَا تَصُدُّ لِلنَّبِيِّ وَالْوَلِيِّ ، وَإِنْ رَغِمَ
أَنْفُ الطَّبِيعَةِ وَأَنْفُ الشَّيْءِ الْغَالِي ، فَتُخَذُّ هَذَا مِنْ بَابِ إِدْسَالِ
الْمُسْلِمَاتِ ، فَإِنَّهَا مِنْ أُصُولِ الْبُرْهَانِيَّاتِ ، أَمَّا الْفَلَكَائُونَ فَلَا
يَرْضَوْنَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ قَامَ الْبُرْهَانُ وَالذَّلِيلُ عَلَى وَقْعِهَا ، وَلَا أَدَلَّ
عَلَى الْأَمْكَانِ مِنَ الْوُقُوعِ ، كَعُرُوجِ النَّبِيِّ بِجَنِّهِ الشَّرِيفِ الْمَادِي ،
وَهُمْ يَقُولُونَ الْفَلَكَ لَا يَقْبَلُ الْخَرَقَ وَلَا الْإِلْتِمَامَ وَانْشَقَّ لَهُ الْقَمَرُ وَقَدْ
صَرَّحَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ ، وَرُدَّتِ الشَّمْسُ لِبُوشَعِ بْنِ نُؤُنَ وَصِيِّ
مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَلَوْ صِيَّ مُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ وَفِي
حَدِيثٍ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، وَفِي آخِرِ أَكْثَرِ مَنْ ذَلِكَ ، قَالَ ابْنُ أَبِي
الْمَحْدِيْدِ الْمُعْتَزِلِيُّ شَارِحُ هَجِّ الْبَلَاغَةِ فِي إِحْدَى قِصَصَاتِهِ

الْعُلُوبَاتِ السَّبْعِ

إِنْ كَانَ يَوْشَعُ رَدَّ يَوْحَى مَرَّةً فَلَهُ اثْنَتَانِ فِي حَدِيثٍ أَرْبَعٍ

أَمَّا إِذَا قُلْتَ إِنَّ اللَّهَ أَبِي أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابِهَا وَإِنْ كَانَ

له قَسْرُطِبَا بِعِهَا الَّتِي رَكِبَهَا فِيهَا ، وَدَعَّ مَا قَالُوا فِي اسْبَابِ
 انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَمَا تَكْلَفُوهُ مِنْ أَنْ ذَلِكَ كَانَ تَصَرُّفًا فِي الْمَادَّةِ وَالصُّوَرِ
 وَلَكِنْ هَلْ لِهَذَا الْخُسُوفِ وَالْكَسُوفِ سَبَبٌ نَتَعَقَّلُهُ وَتَرْضَى بِهِ مَا لَمْ
 نُسْنِدْهُ إِلَى صِرْفِ الْقُدْرَةِ فَحَسْبُ وَمَحْضِ التَّسْلِيمِ لِلْأَمْكَانِ فَقَطْ ،
 قَلْنَا نَعْمَ هَذَا أَوَّلُ لُجُوهٍ وَأَوَّلَاهَا بِالْقَبُولِ وَالْإِذْغَانِ
 (وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ خُطِبَ عَمْرَى)

وَهُنَاكَ سَبَبٌ ثَانِي وَهُوَ مَا وَرَدَ أَنَّ الْأَفْلَكَ وَقَفَتْ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ،
 وَتَعَطَّلَتْ عَنْ سَبْرِهَا الْعَادِيِّ ، وَلَعَلَّ السَّيِّدَ جَعْفَرَ الْحَلِّيَّ إِشَارَ
 إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ بِقَوْلِهِ

اللَّهُ أَيُّ يَوْمٍ فِي كَرْبَلَا سِفْكَا لَمْ يَحْرِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى وَقَفَ الْفَلَكَ
 وَإِذَا وَقَفَ الْفَلَكَ عِنْدَ جَرَبَانَ دِمِ الْحُسَيْنِ حَبْرَةً وَحُزْنًا ، وَتَعَرَّقَ
 عَنْ مَسِيرِهِ وَهَنَا وَوَجُومًا ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِهِ أَغْذٍ
 فِي الْمَسِيرِ هَرَبًا مِنْ أَعْيَالِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَفَرَقًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَاسْتِنَا
 لِمَخْرُوجِهِمْ عَلَى الدِّينِ ، وَابْتِدَاءُ هُمْ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ نَعْمَ وَدَبِكِ
 (لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ دُعْبَا) ، وَإِذَا جَرَتْ
 حَرَكَاتُهُ وَسَكَنَاتُهُ عَلَى هَذِهِ الشَّكْلَةِ مِنْ سُرْعَةِ الْهُرُوبِ فِرَارًا طَوْرًا ،
 وَطَوَّلِ الْمَكْثِ وَاللُّبْثِ حَبْرَةً طَوْرًا آخَرَ ، فَضِيعَ الْقَمَرِ تَحْتَ خَطِّ مَسِيرِ
 الشَّمْسِ فَهَارًا إِنْ أَرَدَتْ ، وَاجْعَلِ الشَّمْسَ مُقَابِلَةً لِلْقَمَرِ لَيْلَةَ الْحَادِيَةِ
 عَشْرَةَ إِنْ شِئْتَ ، لِيَكُونَ الْخُسُوفُ وَالْكَسُوفُ صَادِدَيْنِ عَنْ سَبَبِيهِمَا

(١) أَغْذَى فِي السَّهْرِ : أَسْرَعَ فِيهِ ، وَالْفَرَقَ : الْخَوْفَ

* وَمَحْوُهَا فِي قَبْلِ الْحُسَيْنِ * (٣٣) .

الْعَادِي كَمَا يَقْتَضِيهِ دَائِي هَلِ الْفَنَ ،
 وَسَبَبُ ثَالِثٌ لَعَلَّكَ تُؤْمِنُ بِهِ كُلُّ الْأَهْمَانِ وَهُوَ مَا دَوَاهِ الْمُتَجَبُّونَ ،
 أَنْفُسُهُمْ أَنَّ الْقَمَرَ خُسِيفَ فِي وَقْتِ التَّرْبِيعِ ، وَالشَّمْسُ كُسِفَتْ فِي
 مُنْتَصَفِ الشَّهْرِ فِي زَمَانِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، فَضَا يَقْتَتِمُ هَذِهِ الْحَادِثَةُ
 وَكَذَبَتْ أُحْدُوثَتَهُمْ ، فَمَا لِبِشْوَانٍ عَلَّلُوا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ بَيْنَ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَوَاكِبَ سَوْدَاءَ ، وَهِيَ سَبَّارَةٌ لَا تُدْرِكُهَا الْأَبْصَارُ
 لِفَرْطِ بُعْدِهَا عَنِ الْأَنْظَارِ ، غَيْرَ أَنَّا حَجَبَتِ النَّيِّرُ عَنْ أَبْصَارِ أَهْلِ
 الْأَرْضِ لِمُضَادَفَةِ وَقُوعِهَا تَحْتَ خَطِّ مَسِيرِهَا ، فَكَانَ كَسُوفًا وَ
 خُسُوفًا لَهَا غَيْرَ عَادِيَّتَيْنِ ، وَلَكِنَّمَا مُسْتَبَيَّانِ بِسَبَبٍ مَعْضُولٍ ، إِذْ
 فَلَمَّا ذَانِ تَبَعِدَا أَنْ يَكُونَ الزَّمَانُ الْمَطَاوِلُ ، أَوْ بِالْأُخْرَى هَوَا
 الْمَخْطَبِ الْفَطِيحِ التَّائِلِ ، أَعَادَ الْكَوْزَةَ وَجَاءَ بِتِلْكَ الْمُضَادَفَةِ
 فَصَارَتْ هَذِهِ الْكَوَاكِبُ تَحْتَ خَطِّ مَسِيرِ الشَّمْسِ نَهَارًا وَتَحْتَ
 خَطِّ مَسِيرِ الْقَمَرِ لَيْلًا ،

(الرَّوْجَةُ الثَّالِثُ) أَيْهَا الْمُعْتَزُّ الْكَرِيمُ ، إِنَّ أَبَيْتَ رُكُوبَ
 جَادَةِ الْحَقِيقَةِ بِحُلِّ كُلِّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، فَتَعَالَوْا إِلَى
 كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، لِتَقْرَبَ الْمَسَافَةُ وَلَا تَوَاقِبْنَا وَلَا تَرَى
 بَيْنَكُمْ ، فَقَدْ قَلْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ بَابَ الْمَجَازِ وَاسِعٌ ، وَكَثُرَ كَلَامُ الْعَرَبِ
 خُصُوصًا فِي مُفْرَدَاتِ كَلَامِهِمْ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ ، فَلْنَجْعَلِ الْقَمْرَ وَجْهَ قَمَرِنِي هَاشِمِ
 أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ الَّذِي خَسَفَ رَأْسُهُ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَكُودٌ مِنْ ظَهْرِهِ

وَقَدْ قَطَعَتْ بِدَاهٍ ، فَوَقَعَ - بِأَبِي وَأُمِّي - مَنُكُوسًا عَلَى رَأْسِهِ الْمُنْخِيفِ
بِالْعَمَدِ ، فَصَلَا الْخُسُوفُ كُلُّهَا ، وَتَحَقَّقَ لِلْعِيَانِ مَرْتَبًا ، وَلَقَدْ كَانَ حُجَابُ
الْتَقَعِ وَمُلَاءَةُ الْقَسْطِ الشَّائِرِ فِي لَبْلِ الْحَرْبِ الْقِتَالِ قَدْ حُجِّبَا نُورَ الْقَمَرِ مُرَّةً
بَنِي هَاشِمٍ الَّذِي كَانَ يَسْتَمِدُّهُ مِنْ ضِيَاءِ شَمْسِ الْعَالَمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ
وَلَكِنَّهُ جَعَلَ اللَّوَاءَ الْخَافِقَ عَلَى رَأْسِهِ بِرِيحِ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ دَلِيلَ طُلُوعِهِ ،
وَشَارِدَ بَرُوعِهِ وَسُطُوعِهِ ، فَمَادَعَهُ الْاَوْقَدُ هَوَى ، فَعَلِمَ أَنَّ قَدْ تَرَجَّلَ
مِنْ ظَهْرِ جَوَادِهِ حَامِلُ اللَّوَا ، فَتَدَاعَتْ مِنْهُ الْأَوْدَانُ وَاهْدَتْ مِنْهُ الْقُوَى
غَيْرَ أَنَّهُ امْتَطَى صَهْوَةَ جَوَادِهِ ، وَقَصْدَ لِيهِ وَالْجَوَى مِلْؤُهُ فَوَادِهِ ، فَرَأَاهُ
بِتِلْكَ الْحَالَةِ الْمُشْجِيَةِ وَالصُّورَةِ الْمُحْزِنَةِ الْمُبْكِيَةِ ،

وَهُوَ عَلَيْهِ مَا هُنَا لِكَ قَائِلًا الْيَوْمَ بَانَ عَنِ لِمَامِي حُسَامُهَا
الْيَوْمَ نَامَتْ عَيْنِي بِكَ لَمْ تَمُتْ وَتَهَنَّدْتُ أُخْرَى فَعَزَمْنَا مَامُهَا
أَمَّا تَكْبِيلُ الرِّوَايَةِ بِأَنَّ خُسُوفَ الْقَمَرِ كَانَ لَيْلَةَ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ فَلَعَلَّهُ زِيَادَةُ
مِنَ الرَّاوِي ظَنَامُهُ أَنَّ الْقَمَرَ لَا يَنْخَسِفُ إِلَّا لَيْلًا ، فَالْحَفْظُ بِعِبَارَةٍ أَنَّ
الشَّمْسَ كَيْفَتْ فِي عَاشِرِ الْمَحْرَمِ هَذَا ، وَلَعَلَّكَ عَرَفْتَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا
شَمْسُ الْعَالَمِ وَذَكَاءُ أَفْقِ الدِّينِ وَالْهُدَى ، وَالنَّيِّرُ الْأَعْظَمُ فِي سَمَاءِ الْحَقِّ
وَالرِّشَادِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ ، فَلَقَدْ كُوِّرَتْ بِالرَّمَاكِ وَالسَّيْفِ ، بَعْدَ أَنْ
ابْتَدَأَ بِهَا بِصَفْحَةِ جَيْبِهَا الْخُسُوفَ ، فِي الْحَجَرِ الَّذِي صَلَّكَ جِهَتَهُ بِهِ بَوَا الْحُتُوفِ
شَمْسُ أَفْقِ الدِّينِ أَضْحَتْ فِي كَسُوفٍ بِالْهَوِ وَتَوَارَتْ عَنْ عَيْنِ النَّاسِ فِي أَرْضِ الطُّغَى
فَاَصَابَ الشَّمْسَ وَالْبَدَنُ كُسُوفٌ وَخُسُوفٌ لَكِنَّ الْأَفْقَ مُضِيئٌ بِسَنَادِ الْيُسُوفِ

(١) (وقاتوه ولوم خازم) *

الحسين وما أدراك ما الحسين ،

مرجبا بهذا الاسم الشريف المبارك ، وحبا لله ذكر هذا البطل
العظيم الخالد ، بهذا الاسم تشرح الصدود وترتاح النفوس و
تهدأ المشاعر ، وباستعراض فضيلة الكريمة والتأمل بما وقع
في غضوناتها يتجلى المجد بأجلى مظاهره ، ويبدو النبل محسوسا
بالعبان ويظهر الشرف ملموسا بالبد ، فقد جمعت إلى
نصرة الدين والهدى ، وإجلاء شريعة جد المصطفى إحياء
الآثار الكريمة ونصرة الأخلاق المحمّدية ، وإذهاق دوح المساه
والقضاء على نزوات الشرود وترعات النفوس الواطئة ، فهي
لأن تكون عبرة تشر على ضوئها عجالات الأجيال العرو
المنافرة أولى من أن تكون عبرة تسيل في مآقي الدهر حزنا و
جزعا لما أصابه في أثنائها من المآسي ، وما تكتب من جرأها
من القوادح ، فقد جاء نفسه بالعبرة مقدما لها على العبرة ،
في قوله (أنا قتل العبرة ، ثم قال ما ذكرت عند مؤمن ولا مؤمنة
إلا بكيا لمصابي) كما نفهم ذلك جليا من قراءة العبرة بكسر العين
كما هو المشهور من قراءة قها بفتح العين ، لأن الناس يسخر من التاكيد
وذكر معنيين خبر من ذكر معنى واحد ، ولقد ذكرنا

فِي تَضَاعُفٍ كُلَّمَا تَنَا الْأَيْقَةُ وَابْتِمَاحِثَنَا السَّالِفَةُ كَثِيرًا مِنْ
الْعِبَرِ الَّتِي فَطِنَّا لَهَا ، وَذَكَرْنَا أَنَّ مَا خَفِيَ عَلَيْنَا مِنْهَا أَجَلٌ أَكْثَرُ
وَلَعَلَّ طَوْلَ التَّعَمُّقِ فِي التَّفَكُّرِ بِهَا وَالتَّرَدُّدِ فِي سَبْرِ أَغْوَارِهَا يَكْشِفُ
لَنَا عَنِ الْكَثِيرِ مِنْ تِلْكَ الْكُوزِ الْمَدْفُونَةِ وَالْجَوَاهِرِ الْمَخْزُونَةِ ،
وَقَدْ خَاطَبَنَا اللَّهُ مِنْ قَبْلِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ
الْمُصَدِّقِ فَقَالَ - وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ - (وَمَا أُوتِيتُمْ
مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ، أَمَا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَتَّبِعَ سَبْرَتَهُ وَنَذْكُرَ
مَا يَتَضَحُّ لَنَا مِنْ نُبُلِهِ وَمَجْدِهِ نَسْتَجِنَ بِمَا الْحَدِيثُ وَخَرَجْنَا بِمَا
شُبْهَةٌ عَنْ مَوْضُوعِ الْكِتَابِ ، فَإِنَّ سَبْرَتَهُ كُلَّهَا نُبُلٌ وَمَجْدُ
وَحَبَاتُهُ كُلُّهَا فَضْلٌ وَكَرَمٌ وَأَنَاؤُهُ كُلُّهَا عِزَّةٌ وَشَمَمٌ ، فَهُوَ
السَّابِقُ الَّذِي لَا يُجَادَى ، وَالْفَذُّ الَّذِي لَا يُبَادَى ، تَضَيُّعُ
الْأَرْقَامِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضَائِلِهِ ، وَتَعْجُزُ الْأَلْفَاظِ عَنْ ذِكْرِ فَوَاضِلِهِ ،
فَمَا أَجَدَرْنَا أَنْ نُمَاطِبَهُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ ،

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ أَمْرِئٍ مُتَطَاوِلٍ مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا وَالَّذِي نُبُلًا طَوَّلُ
وَلَا بَلَغَ الْمُشُونُ فِي الْقَوْلِ غَايَةً مِنَ الْمَدْحِ إِلَّا وَالَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
وَلَقَدْ كَانَ قَاتِلُوهُ مَعَهُ عَلَى طَرَفِ نَقِيبِ (وَبُضْدِهَا تَتَبَرُّ
الْأَشْيَاءُ) : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ
مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) غَيْرَ أَنَّا نَذْكُرُكَ .

* وَفَانِلَوْ لَوِمْخَارُهُمْ *

هـ (٣٢) هـ

مَا يَحْتَمِلُهُ مَوْضُوعُ كِتَابِنَا ، وَنَأْتِي عَلَى تَفْصِيلِهِ فِي وَجْهِ
 (الْأَوَّلِ) ، أَنَّ الْحُسَيْنَ لَوْبَاعَ بَزْدِ أَوَّلِ مَا دَعَاهُ الْوَلِيدُ لِيُجِيبَهُ
 لَأَسْتَحْفَ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَازْدَرَوْا بِشَأْنِهِ ، وَقَتَلُوهُ تَبَعًا لِأَصْحَابِ
 أَبِيهِ الَّذِينَ قَتَلُوا أَيَّامَ صَلَاحِ مُعَاوِيَةَ ، بِلَا ذَنْبٍ وَلَا جُرْمٍ إِلَّا جَهَنَّمُ
 لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَصُغْفَرُهُمْ فِي جَنْبِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ الْقَائِمَةِ ،
 فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ يَتَحَقَّقَانِ لِمُحَالَةٍ فِي الْحُسَيْنِ ، فَمَا يَنْتَعَهُنَّ عَنْ قَبْلِهِ ،
 وَهَلْ يَكُونُ مَعْدُودًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ ، إِذَا أُلْقِيَ بِيَدِهِ
 إِلَى التَّهْلُكَةِ وَجَرَّبَ الْمَجْرَبَ وَأَعْطَى مِنْ نَفْسِهِ الدَّنْبَةَ ، قَبْلَ
 أَنْ يَسْبُرَ غُورَ الْأُمَّةِ ، وَهُوَ بِرَى الْأُمُورِ مُتَقِيَةً لِنُصْرَتِهِ ،
 لِأَنَّ النَّاسَ ضَا قُودَ رَعَا بِظُلْمِ مُعَاوِيَةَ ، وَحُجَّةِ الرَّأْيِ
 الْعَامِّ ، لِحُزْوِجِهِ عَنْ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ ، وَتَحْجِيهِ عَلَى
 قَوَاعِدِ الْإِنْسَانِيَةِ ، فَمَاتَ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْأَرْضِ عَاذٌ ،
 وَلَا فِي السَّمَاءِ نَاصِرٌ ، وَلَا يَشْكُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَزِيدَ الْقَا
 بِالْأَمْرِ جَدًّا بِبِهِ شَرُّ مِنْهُ بِمَرَاتِبَ إِذَا صَحَّ قَوْلُ الْقَائِلِ فِيهِمَا (بَعْضُ
 الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضٍ) ، وَمُعَاوِيَةُ نَفْسُهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْحُسَيْنَ
 لَا يَعْدِلُهُ أَحَدٌ بِبَزْدٍ ، وَمَنْ أَعْتَرَضَ لَشَكِّ فِي الْحُسَيْنِ مَعَ
 مُعَاوِيَةَ ، حَتَّى يُقَرَّنَ بِبَزْدٍ ، فَمَا بِالْحُسَيْنِ هَكَذَا يُبَادِرُ
 إِلَى هَذِهِ الْقِتْلَةِ الذَّلِيلَةِ ، بِبِدِّ هَذَا الْعَدُوِّ اللَّئِيمِ ، وَيُلْقِي
 بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، مِنْ دُونِ تَرِيثٍ ، وَمِنْ دُونِ تَحْرِيبَةٍ

لِلْأُمَّةِ الَّتِي طَالَمَا اسْتَفَزَتْ هِمَّتُهُ وَاسْتَشَارَتْ حَفِظَتُهُ ،
أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ الْخَلِيفَةِ الْهَالِكِ الْخَائِنِ الْجَائِرِ ، فَوَعَدَهَا بِالْأُجَابَةِ
عَنْدَ يَرِخِ اللَّهِ مِنْهُ الْأُمَّةُ لِأَنَّ صَلَاحَ الْحَسَنِ مَعَهُ يُحْتَمُّ عَلَيْهِ بِالْوَفَاءِ
وَإِنْ لَمْ يَفِ مُعَاوِيَةَ نَعَى لِلْحَسَنِ بِشَيْءٍ مِنْ شُرُوطِ الصُّلْحِ ، وَلَكِنْ
(كُلُّ بَعْثٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ) وَكُلُّ مُبْتَرَلٍ خُلِقَ لَهُ ، أَجَلٌ

مُحَسَّبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
(الثَّانِي) خَرَجَ الْحُسَيْنُ بِجَامَتِهِ وَفَصِيلَتِهِ وَعَائِلَتِهِ
الْكَرِيمَةِ عَنْ وَطَنِ جَدِّهِ وَمَسْقِطِ رَأْسِهِ لَسَلَا يُقْتَلُ غِيلَةً فَتَسْقُطَ
هَيْبَةُ الْمَدِينَةِ بِقَتْلِهِ لِامْحَالَةِ ، فَكَانَ فِي خُرُوجِهِ عَنِ الْمَدِينَةِ
الْمِثْلُ الْأَعْلَى لِلْحُرْمَةِ الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ ، وَكَانَ فِي مَسِيرِهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى
فِي الْعِزَّةِ وَالثَّمِيمِ وَالتَّضْمِيَةِ بِالنَّفْسِ دُونَ ادْتِكَابِ الدَّنِيَّةِ ،
حَيْثُ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ وَلَمْ يَتَنَكَّبْ عَنْهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْفَرِيقِ
كَاصْنَعِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَكُلِّ مَنْ يَخَافُ أَنْ يُدْرِكَهُ الطَّلِبُ ، لِأَنَّهُ لَا يُجَا
وَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمَّ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ،

سَرَتْ لَمْ تَتَنَكَّبْ عَنْ طَرِيقٍ لِغَيْرِهِ حِذَا الرَّدَى بَلْ بِالطَّرِيقِ الْمَطْرُوقِ
(الثَّالِثُ) دَخَلَ مَكَّةَ لِيَسْبِرَ غُورَ الْأُمَّةِ لِبَقِيَّتِهِمْ فِيهَا فِي أَمْنٍ
وَأَمَانٍ ، لِأَنَّهَا حَرَمُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ أَمِينًا وَيُخْتَفَى النَّاسُ
مِنْ حَوْلِهِ ، فَبَقِيَ فِي أَمَانِ الْحَرَمِ شَهْرَ شَعْبَانَ شَهْرَ رَمَضَانَ
وَشَهْرَ شَوَّالٍ ، ثُمَّ يَنْضَمُّ إِلَى ذَلِكَ أَمَانُ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ذِي الْقَعْدَةِ

وَذِي الْحِجَّةِ وَمُحَرَّمِ الْحَرَامِ ، وَفِي أَوْسَطِهَا يَجْتَمِعُ الْوُفُودُ
 يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِينَ ، وَفِيهِمْ أَهْلُ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ ، فَإِذَا
 اسْفَرَ هَذَا الْمُؤَمَّرُ الْأَسْلَافُ عَنْ سَلَامٍ حَمْدًا لِلَّهِ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ
 إِلَيْهِ ، وَإِذَا كَانَتْ النَّتِيجَةُ حَرْبًا وَقِتَالًا اسْتَعَدَّ لَذَلِكَ فِي
 مُحَرَّمٍ ، وَأَعَادَ نَارِيحَ مَلْحَمَةِ صِفِينَ فِي صَفِيرٍ (مَا أَشَبَّ لِلْبَلَاءِ
 بِالْبَارِحَةِ) وَجَاءَ بَنُو أُمَيَّةَ يَحْرِقُونَ النَّوَامِيسَ الدِّيْنِيَّةَ ، وَ
 يَخْرُجُونَ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَيُحْرِصُوا عَلَى قَتْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ
 مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ - فَوَإِذْ لَكَ
 بِالْحُسَيْنِ وَفَعَلُوهُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ - وَلَكِنَّ الْحُسَيْنَ كَانَ حَذَرُهُ
 مِنْ سُقُوطِ مَكَانَةِ الْكَعْبَةِ الْعَظْمَى بِقَتْلِهِ عِنْدَهَا أَعْظَمَ
 مِنْ حَذَرِهِ عَلَى سُقُوطِ هَيْبَةِ الْمَدِينَةِ ، فَتَرَكَ حِجَّتَهُ وَاحْلَمْنَاهُ
 بِعُمْرَةٍ مُفْرَدَةٍ ، وَخَرَجَ بَعْدَ مَا بَايَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَهُوَ
 فِي مَكَّةَ مِائَةً أَلْفًا وَهَزْبُودَنَ ، وَقَدْ هَاجَرَ جَدُّهُ قَبْلَهُ مِنْ هَذَا
 الْحَرَمِ بَعْدَ أَنْ بَايَعَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ سَبْعُونَ شَخْصًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
 وَفِيهِمْ أَعْرَافَانِ ،

(الْتَامِجُ) لَقَدْ إِذْ ذَادَ الْحُسَيْنُ بَصِيرَةً بِكُفْرِ بَنِي أُمَيَّةَ ،
 بَلْ يُتَحَقَّقُ فِي رَأْيِهِ أَنَّهُمْ شَرُّ مَكَانًا مِنْ كُفَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لِأَنَّهُمْ
 كَانُوا يَحْتَرِمُونَ الْحَرَمَ أَرْبَعَةَ قَرَابِيعَ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِ الْكَعْبَةِ ، فَلَا
 يَهْجُونَ حِمَامَهُ وَلَا يَهْلُونَ صَيْدَهُ ، وَلَا يَعْصِدُونَ شَجَرَهُ ،

وَرَحَى لِمَوْتِهِمْ قَاتِلَ أَبِيهِ وَآخِيهِ فِيهِ ، فَلَا تَعْرِضُ لَهُ
بِنَهْدِيٍّ فَضْلًا عَنِ الثَّأْرِ مِنْهُ ، وَبِنَوَامِيَّةٍ أَرَادُوا قَتْلَهُ وَلَوْ
وَحْدَهُ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ بَيْنَ الزُّكْرِ وَالْمَقَامِ ، وَفِي هَذِهِ
الْأَوْنَةِ بَايَعَتْهُ الْكَوْفَةُ عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهَا وَهِيَ ذَاتُ التَّجْدَةِ وَقُوَّةِ
الْبَطْشِ وَصَاحِبَةُ مَلْحَمَةٍ صِفِيٍّ وَالتَّهْرَوَانِ ، هَلْ يَكُونُ بَيْنَ
هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مَعْدُودًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِذَا تَرَكَ
الْتِهَافُ بِهِمْ لِمُعَارَضَةِ بَرِيدٍ الَّذِي عَرَفَهُ مِنْ قَبْلِ بَعْدِ وَقْتِهِ
لِدِينِ الْإِسْلَامِ وَعَدِمَ مُبَالَاتِهِ فِي الْخُرُوجِ عَنْ نَوَامِيهِ الرِّصْنَةِ
الْمُتَّقِنَةِ ، بَلْ قَلَّ أَكْثَرُ أَثَرِهِ بِخَرْقِ الْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمِنْهَا
بَعَثَهُ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ بِهَذِهِ الْقِتْلَةِ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ بِمِثْلِهَا أَحَدٌ ،
لَا جَرَمَ جَعَلَ الْحُسَيْنُ نَضْبَ عَيْنِهِ كَلَامَ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ إِذَا وَقَفَ مَوْقِفًا يُشْبِهُ مَوْقِفَ حَبِيبِهِ الْحُسَيْنِ ، وَ
كَأَنَّهُ يُضْرَبُ لَهُ مِثْلًا مِنْ صَمِيمِ الْجَهَادِ وَالْكَفْرِ (لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ
هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ، وَقَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَدْرِ إِلَّا
الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ) وَقَوْلُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ
(وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالصَّبُوعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدِيمِ ، حَتَّى يَأْتِيَ إِلَيْهَا
طَالِبُهَا ، وَتَجْتَلِيهَا وَاصْدُهَا ، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى
الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمَطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ ،
حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي) ،

(الخامس) ، اَلْتَقَى الْحُسَيْنُ بِالْحَزِزِ قُرْبَ ذِي جُشَمٍ فِي زُهْمَا
 اَلْفِ فَارِسٍ ، وَقَدْ اَدْرَكَهُمُ الْعَطَشُ وَكَادَ يَقْضِي عَلَيْهِمْ ،
 فَاَمْسَكَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِمْ حَبَاثَتَهُمْ ، اِذْ سَقَاهُمْ وَدَوَا قَهُمُ الْمَاءُ
 الْكَثِيرَ الَّذِي اَعَدَّ لَهُمْ اِذَا مَرَفَتَانَهُ اَنَّ يَسْتَقُوا قَبْلَ ذَلِكَ فَبَكَرُوا
 وَتَجَلَّى الْكَرْمُ وَحُسْنُ الْاُحْدُوْثَةِ فِي جَانِبِ الْحُسَيْنِ ، كَمَا ظَهَرَ
 اَللُّوْمُ وَقُبِحَ الْجَزَاءُ فِي الْفَرَبِيِّ الثَّانِي ، اِذْ جَعَّجُوا بِهِ وَاَرَادُوا
 اَنْ يَمْضُوا بِهِ اِلَى ابْنِ زِيَادٍ سِلْمًا ، لَكِنْ رَثَّ بِهِمُ الْحُرْتُدَاكُ هَذِهِ
 الْبَادِرَةَ بِتَوْبَةٍ تَصُوجُ ، وَقَتْلَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَهْمَانَةِ الرَّسُولِ ،
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَبَاءَ بِعَارِ الدَّهْرِ وَكَانَ الْمَثَلُ السَّوْءَ فِي قُبْحِ الْجَزَاءِ دُونَ
 النُّعْمَانِ فِي جَزَاءِ سَيْنَمَارَ ،

(السادس) ، اَرَادَ الْحُسَيْنُ مُمَاشَاةَ الْكُوْفَةِ ، فَطَلَبَ
 مِنْهُمْ لِمَا تَبَيَّنَ لَهُ غَدْرُهُمْ اَنْ يُلْقِيَ حَبْلَ الْأُمَّةِ عَلَى غَارِهَا مُتَعَبًا
 سُنُوحَ فُرْصَةٍ أُخْرَى ، فَبَرَجَّعَ اَدْرَاَجَهُ مِنْ حَبْثِ آتِي ، اَوْ
 بِأَنِّي تُغْرَامِيْنَ تُغَوِّرُ الْمُسْلِمِيْنَ ، فَيَكُونُ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا
 عَلَيْهِمْ (وَفِي الْأَرْضِ لِلْحَرِّ الْكَرِيمِ مَنَادُحُ) فَخَيَّرُوهُ - بِرِجْمِهِمْ -
 بَيْنَ خِصْلَتِي الضَّبْعِ ، إِمَّا اَنْ يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ يَزِيدَ وَابْنِ زِيَادٍ
 فَيَقْتُلَهُ شَرِّ قَتْلَةٍ وَأُخْرَى قِتْلَةٍ ، اَوْ يُؤْذِنَ بِالْحَرْبِ الْقِتَالِ
 طَنَّا مِنْهُمْ اَنَّهُ سَيَخْتَارُ الْأُولَى ، لَعَجَزَ عَنْ مُقَابَلَةِ جُيُوشِهِمْ
 الْوَافِرَةِ الْعَدَدِ ، بِفَيْتَةِ الْقَلِيلَةِ الْمُنْقَطِعِ عَنْهَا الْمَدَدُ ،

وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ، لِيُصَدِّقُوا قَوْلَهُ (كَمَنْ فِيْهِ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ
فِيْهِ كَثِيْرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ) ، وَقَوْلُهُ (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ)
فَوَجِبَ عَلَيْهِ الدِّفَاعُ عَنْ نَفْسِهِ مَا أَمَكَتْهُ الدَّفْعُ عَنْهَا ، وَ
أَرَاهُمْ تَصَدَّقُوا بِأَيِّ آيَةٍ أَوَّلَى ، حَيْثُ قَابَلَ جُوعَهُمُ الْوَفِيْرَةَ وَ
عَسَاكِرَهُمُ الْجَرَادَةَ بِأَنْصَارِهِ الْبَوَاسِلِ ، فَضَاقَتِ الْفِتْنَةُ الْكَثِيْرَةُ
ذُرْعًا بِالْفِتْنَةِ الْقَلِيْلَةِ ، ثُمَّ تَجَلَّتْ فِيْهِ عِزَّةُ اللَّهِ وَ
رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِيْنَ ،

وَتَجَلَّتْ هَبَّةُ اللَّهِ فِيْهِ
إِذْ رَمَى اللَّهُ بِهِ الْجَيْشَ اللَّهُمَّا
فَزَلَزَ الْأَرْضَ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ ، وَكَادَ يَقْضِيْ وَحْدَهُمْ غَلَبَهُمْ ،
حَتَّى صَرَخَ فِي مَسْمَعِ الذَّهْرِ فَأَخَذَتْ صُرْخَتُهُ نَدْوً فِيْ أُذُنِ
الْأَبَدِ ، وَتَنَاسَوْهَا أَجْوَاؤُهُ (لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَالْحَيَاةَ
مَعَ الظَّالِمِيْنَ إِلَّا بَرَمًا) ، فَمَاسَرَتُهُ الرَّجِيْعَ وَغَيْرَهَا أَوَّلَى مِنْهُ فِي
الْتِمَاسِ بِذُبْلِ الشَّرِيْعَةِ وَالتَّعَلُّقِ بِأَهْدَابِ الشَّرَفِ وَالْعَاطِفَةِ
فَقُتِلَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ فِي الْقَتْلِ ، بَعْدَ أَنْ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى أَهْلِ
الْكُفْرِ وَجَادَلَهُمْ بِأَتْيِهَا أَحْسَنُ ، وَدَعَمَ بِالْبَرَاهِيْنِ السَّاطِعَةِ
وَأَنَامَ بِالسُّلْطَانِ الْمُبِيْنِ ،

(السَّابِقُ) قَدَّمَ الْحُسَيْنَ طِفْلَهُ لِيَسْتَسْقِيَ لَهُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ
هِيَ الْأَسْلَامُ عَنْ قَتْلِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِيْنَ ، وَالْجَائِلِيَّةِ فِي خُرُوجِهَا
عَنْ سَنَنِ الْعَقْلِ وَالْوُجْدَانِ لَمْ تُتِجْ قَتْلُ الْأَطْفَالِ ، فَهُوَ الْمُبْرَدُ

لَبَنِي أُمِّيَّةَ فِي قَتْلِهِ ، إِذَا كَانَ الْمُعَارِضُ لِحُكْمِ بَزْدٍ مَهْدُودَ
الْدَّمِ وَيَلْزَمُ قَتْلَهُ فِي شَرِيعَتِهِمُ الْخَاصَّةِ وَعُرْفِهِمُ الَّذِي هُمْ أَسْوُ
فَلَيْسَ لِلطِّفْلِ الرُّضِيعِ اصْصَبُ مُشْرِكَةٍ فِي ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ طَلَبُ
الْمَاءِ لَهُ فَلْيَبْرِكُوا الْعَطَشَ بِقَتْلِهِ لِبَسْرٍ يَخْشَوْنَ الْخَافِ ابْنَهُ عَلَيْهِمْ ،
وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ قَدْ أَبْلَسُوا وَلَمْ يَنْتَحِلُوا لِأَنْفُسِهِمْ عُدْوَانًا بِجَاهِ قَتْلِهِمُ لِلرُّضِيعِ
بَلْ سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ خُسْرًا ،

(الثَّامِنُ) ، بَرَزَ لِلجَيْشِ أَنْصَارُ الْحُسَيْنِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ
أَوْ مَثَانِي بَعْدَ أَنْ صَنَعَتْ فِيهِمْ خُطْبُهُ وَخُطْبُ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ
حَضَرَ بَعْضُهُمْ حُرُوبَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَحَضَرَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ جِهَاتِ الْأَسْلَافِ
فَمَا بَالُ الْجَيْشِ بِقُضِيهِ وَقُضِيضِهِ وَعُدُوهِ وَعُدَّتُهُ بِمَجْلُ عَلَى الْوَاحِدِ
مِنْهُمْ أَوِ الْإِثْنَيْنِ ، وَهِيَ تَجْلِي الشَّجَاعَةِ وَعَدَمُ الْمُبَالَاةِ بِالْمَوْتِ
فِي أَجْلِ مَظَاهِيرِهَا فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ ، كَمَا يَنْكَشِفُ الْجُبْنَ وَالْخَوْفُ
وَسُوءُ الْأَحْدُوثِ فِي الْفَرِيقِ الْآخِرِ ، وَمَجْلُوهُ لَنَا التَّارِيخُ
رَأْيِي الْعَيْنِ ، وَجَاءَ دَوْرُ عَمِيدِهِمْ وَأَرْبَابِهِمْ جَنَانًا حُسَيْنِ الشَّجَاعَةِ
وَالْفُرُوسِيَّةِ ، فَنَبَّهَ بَنِي أُمِّيَّةَ عَلَى أَنَّ يُمِيطُوا هَذِهِ النُّقْطَةَ السَّوْدَاءَ
مِنْ جَبِينِ تَارِيخِ الْعَرَبِ ، فَكَأَنَّهُمْ آرَادُوا يُزِيلُوهَا ، وَإِذَا هُمْ
بَزِيدُوهَا ، فَقَدْ أَخْطَوْهُ حَقَّ الْإِرَارِ ، حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ
مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ سَبَّأٌ عَلَى جَبْهِهِمْ وَمَجْهُوهٌ تَبَاعًا ،
فَعَدَرُوا وَفَجَرُوا عُدْرَةً لَمْ يَبْصُورْهَا الْجَهْلُ ، وَلَمْ يَحْلُمْ بِهَا الْكُؤُومُ ،

١، الْحَقُّ الْخَافَا : أَخِي الْخَافَا (٢) ابْلَسُوا : انْكَسَرُوا فِي أَمْرِهِمْ وَتَحَيَّرُوا

افترقوا اربع فرق على رجل فريد ظنوا ان الخطوب قد اودت
 حد عزمه كلالا ، فراوها تزيده شحدا وصيقالا ، وزعموا ان
 الوحدة قد اودت من عزمه وقتت في عضده ، فوجدوها
 تضاعف قوته المعنوية وتزيد في بطشه وجلده ، يا للعجب العجيب
 يا لضجة الاخلاق والسنن العريضة ، تبعا للمناجح الدينية ،
 في جيش بني امية ، فناقضوه في هتافه ورجزه في جمهرتهم ،
 (الموت خير من ركوب العار) فوطنوا انفسهم على ذري الدهر
 وغار الابد ، واثروا السلامة من سيفه والتخلص من بأسه ،
 وان تحملوا غارها وشئارها ، لاسيما لما برز اليه البهمنان
 المعدان للشدايد المدخران للقاء الاقران ، فالحقهما باصحابها
 احدهما تمهيد بن قحطبة ، فقال يا ابن علي ائمتي الخصومة ،
 وقد قتل اولادك ومواليك وانت بعد تضرب بالسيف مع
 عشرين الفا ، فقال : انا جئت الى محاربتكم ام ائتتم جئت الى
 محاربي ، انا منعت الطريق عنكم ام ائتتم منعتموه عني ، وقد
 قتلتم اخوتي واولادي ، وليس بيني وبينكم الا السيف ، فقال
 اللعين فلا تكسر المقال ، فتقدم الي ، حتى ادى ما عندك
 فصاح الحسين صيحة عظيمة ، وسل السيف وضرب عنقه ،
 فابتعد رأسه عن جسده خمسين ذراعا ضربة لم تعهد في عرفهم و
 لم يجد لهم مثيها التاريخ ، فاضطرب العسكر على كثرته

وَعِنْدَهَا حَيٌّ فَادِسُّهُمُ الْآخِ يُزِيدُ الْآبِطِي ، وَصَاحَ
وَبَلَّكُمْ إِيَّاكُمْ مَجْزُومٌ عَنْ دَجَلٍ وَاحِدٍ وَتَفِرُونَ عَنْهُ ، ثُمَّ يَرْزُقُ
إِلَى الْأَمَامِ - وَكَانَ اللَّعِينُ شَهِيدًا بِالشَّجَاعَةِ - فَلَمَّا رَأَاهُ
الْعَسْكَرُ أَظْهَرُوا الْبَشَاشَةَ وَالشُّرُورَ ، وَعَلَقُوا بِهِ أَمَّا لَهُمْ
وَبَشَّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِالنَّجَاحِ ، فَصَاحَ بِهِ الْأَمَامُ أَلَا تَعْرِفُنِي ،
تَبَرُّزَ إِلَيَّ كَمَنْ لَا خَوْفَ لَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ ، وَسَلَّ سَيْفَهُ
عَلَى الْأَمَامِ ، فَسَبَقَهُ الْأَمَامُ وَضَرَبَ وَسَطَهُ بِالسَّيْفِ ،
فَقَذَاهُ نِصْفَيْنِ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ أَمْلَهُمْ مِنَ الظُّفْرِ بِهِ بِالْبِرَازِ ،
وَأِنْ تَمَادَى زَمَانُهُ ، وَعَظُمَتْ وَاشْتَهَرَتْ أَقْرَانُهُ ، وَجَعُوا
إِلَى طَبِيعَتِهِمْ فِي الْغَدْرِ ، وَشِئْنَتِهِمْ مِنْ عَدَمِ التَّمَلُّكِ بِالْعَهْدِ
فَانْتَرَقُوا عَلَيْهِ أَرْبَعَ فِرَقٍ ، كَمَا أَمَرَهُمْ قَائِدُهُمْ ابْنُ سَعْدٍ
فِرْقَةً بِالسُّبُوفِ ، وَفِرْقَةً بِالرِّمَاحِ ، وَفِرْقَةً بِالسِّهَامِ
وَفِرْقَةً بِالْحِجَادَةِ

فَرَقَ لِلْمَلَأِ الْأَعْلَى بِأَجْنَحَةٍ أَعْنَى الظُّبَى وَالْقَنَا وَالسَّهْمِ وَالْمَجْرَا
أَعْلَيْتُ أَيُّهَا الْمُحِبُّ ، مَا صَنَعْتُ هَذِهِ الْفِرَقَ بِمَوْلَاكَ الْحُسَيْنِ ،
أَمْ هَلْ تَسْتَطِيعُ سَمَاعَ أَفْطَعِهَا مِنْ مُثْلَيْهَا ، وَقَدْ فَانَكَ أَنْ
تَرَاهَا نُصَبَ عَلَيْهَا ، أَمَا مُثَلِّلُ الْحِجَادَةِ ، وَهُوَ حَجَرُ أَبِي
الْحَتُوفِ فَقَدْ وَقَعَ فِي جَبِينِ مَوْلَاكَ الْأَزْهَرِ ، حَيْثُ سَطَعَتْ
عَلَيْهِ دُرَّةُ تَاجِ الْخِلَافَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي عَصَبَهُ بِهِ مَوْلَا هُ

الجليل الأكبر ، وأما مثل التهام التي تركت جلده كالقنفذ
فقد وقع على قلبه الحزن العطشان وكان مثلًا مسمومًا ،
فكش على فؤاده ونفت السم فيه ، ولم يخرج إلا من قفا
بعد أن خرج معه منه الثلثان ، وأما مثل الزماح
فقد طعنه به سنان بن أنس النخعي فأرداه صريعًا بخور
بدميه ،

وجاء سنان طاعنًا بسنانه يرى أنه كان الهزبر المشجعًا
وعظم الله أجره ، وأحسن عزاك ، وبجز عليك أن
تمتع ما صنعه مثل السبوف بمولاك ، حيث أخذ شمر لعنه
يفري به أوداجه ويقطع بشفرته أوردته - واستيداه -
وقد تربع على صدره العظيم ، وداس برجله خزانة علم
الخلق العلم ،

وجاء الثمر يقطع منه مخرا
يعز على الكراوان ينظر ابنة
بماضي الحدم مصقول الحدبد
ذبيحا وشمر ابن الضبابي في الجاه

(مُقَدِّمٌ وَمُقَدِّمٌ بِهِ)

لَقَدْ هَضَّ الْكَثِيرُ مِنْ رِجَالِ الدَّهْرِ وَالْأَفْئَادِ الْمُصْلِحِينَ فِي
الْعَالَمِ ، فَبَثُّوا إِشَادَاتِهِمْ وَخَدَمُوا الْإِنْسَانِيَّةَ بِأَسْلَاحِهِمْ
وَعَالِيَهُمْ فِي الْأُمَمِ ، غَيْرَ مُبَالِغِينَ بِمَا يُهْدِدُهُمْ مِنَ
الْأَخْطَارِ وَلَا مُخْتَفِينَ بِمَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْكَوَارِثِ ، بَلْ مُسْتَسْهِلِينَ
الصَّعْبَ فِي سَبِيلِ نَشْرِ دَعْوَةِ الْأَصْلَاحِ فِي النَّاسِ وَالْقِيَامِ
بِمَهْمَّتِهِمُ الْوَاجِبَةِ فِي تَقْوِيمِ الْمَجْتَمَعِ وَالْأَخْذِ بِيَدِهِ إِلَى عُتْقَانِ
الْمَثَلِ الْعُلْيَا عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ ،

لَا تُسْهِلَنَّ الصَّعْبَ وَأَدْرِكِ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأُمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ
وَكَانَ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ وَمَفَاخِرِ الْأَجْيَالِ وَ
عُظَمَاءِ التَّارِيخِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ الَّذِينَ خَلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ خِلْعَةَ
السَّنِيَّةِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ (اللَّهُ يُصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ
النَّاسِ) وَفِي قَوْلِهِ (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) فَقَامُوا
بِوُظُفَتِهِمُ الْكَرِيمَةِ وَثَابَرُوا عَلَى بَعْثِ الْخَلْقِ مِنْ رَقَدَاتِهِ ، وَ
كَانَ ذَلِكَ هَدَفَهُمُ الْوَحِيدَ الَّذِي جَعَلُوهُ قُبَالَةً أَعْيُنِهِمْ ، فَلَمْ
يَرَوْا غَيْرَهُ ، وَلَمْ يُبْصِرُوا سِوَاهُ ، وَلَا تَطَلَّبُوا فِي قِصَصِهِمْ وَامْتِنَانِهِمْ
فِي أُمَمِهِمْ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، فَهَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُنَادِي بِأَعْلَى
صَوْتِهِ بِمَا لَاقَوْهُ مِنْ مَصَائِبِ حَيَاتِهِمْ ، مِنْ تَكْذِيبِهِمْ وَدَمِيمِهِمْ

وَحَاشَا لَهُمْ - بِالسَّحَرِ وَالْكَهَانَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْجُنُونِ ،
ثُمَّ عَقَبَ ذَلِكَ بِمَا أَكْرَمَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ مِنَ الْقَتْلِ عَلَى
يَدِ شِرَارِ أُمَّهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبُكُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)
(وَقَتْلَهُمُ الْآنِبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ بَنِي إِسْرَآئِيلَ
كَانُوا يَقْتُلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ سَبْعِينَ
نَبِيًّا ثُمَّ يَجْلِسُونَ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَيَتَقَلَّبُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَمَعَامِلِهِمْ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا وَدُبَّ مَا اقْتَضَتِ الْمَصْلَحَةُ الْإِلَهِيَّةُ
أَنْ يَكْفَ عَنْ بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ بِأَسِّ الْمُعْتَدِينَ مِنَ الْأُمَّةِ
وَيُنَجِّيَهُ مِنَ الْقَتْلِ نَجَاةً عَادِيَّةً إِذَا بَيَّأَنْ يَجْرِي الْأَشْيَاءُ إِلَّا
بِأَسْبَابِهَا ، أَوْ خَرَقًا لِنَامُوسِ الْعَادَةِ وَإِدْغَامًا لَأَنْفِ الطَّبِيعَةِ
وَهُوَ بَعْبَادِهِ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَلَمْ تَرَمَنْ صَدَعَ بِالرِّسَالَةِ مُعَزِّزًا
بِالْقُوَّةِ الْكَافِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ الْقَاهِرَةِ الْعَادِيَّةِ إِلَّا
أَقْلَ الْقَلِيلِ الْمُلْحَقَ بِالْفُرُوضِ النَّادِرَةِ ، أَمَّا سُلَيْمَانُ بْنُ
دَاوُدَ الَّذِي أُوْتِيَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَتَخَرَّ اللَّهُ
لَهُ مُلْكُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْحُجْنِ وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ غَدُوهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا
شَهْرٌ ، فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْمُعْجَزَةِ وَخَرْنِ الْعَادَةِ ،
وَلَكِنْ هَلَمْ الْخَطْبَ إِلَى سَيِّدِ بَنِي آدَمَ وَمَفْخَرَةِ الْعَالَمِ

نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبِ الْأَوَادَةِ الصَّادِقِ
 الْمَاضِيَةِ الَّتِي لَا يَتِيهَا الْقَدَرُ وَلَا يُعَارِضُهَا الْقَضَاءُ ، وَرَبِّ
 الْعِزِّمَةِ الْجَبَّارَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا سَيِّدًا وَلِيَّ الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
 فَقَدْ عَاشَ عَلَى مَا خَاطَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَتَّبِعُ مَا أَوْى وَعَائِلًا
 فَأَغْنَى ، وَإِذَا بِهِ يَصْدَعُ بِرِسَالَتِهِ الْعَامَّةِ عَلَى الصِّفَا وَ
 الْمَرُوءَةِ فِي مَوْسِمِ الْحَاجِّ ، وَكَانَ الْمُتَقِدِّينَ فِي زَمَانِهِ قُرَيْشٌ
 وَخَبَلَاءُ وَهَآلِكَ مَا ذَلِكُ مُنْذُ عَزَّتْ ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ صَمًّا ، فَهَبُّهُمْ
 بِمِلَّةٍ فِيهِ وَبَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَبَسْبُ أَصْنَآئِهِمْ
 وَيُسْفِيهِ عَلَى عِبَادَتِهَا أَحْلَامُهُمْ ، فَتَزَلَّتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ
 نَزُولَ الصَّاعِقَةِ مِنْ دُونِ إِنْذَارٍ ، وَفَاجَأَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ
 مِنَ الصَّادِقِ الْأَمِينِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُمْ بِالْفَقِيرِ الْبَيْتِمْ ،
 فَعَلَّتْ مَرَا جُلُ شَنَّآئِهِمْ عَلَيْهِ وَحَرِصُوا عَلَى قَتْلِهِ فَضْلًا عَنْ
 تَكْذِيبِهِمْ لِكُلِّ مَا أَوْثَرُوا مِنْ قُوَّةٍ ، وَبَذَلُوا فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ
 غَايَةَ جَدِّهِمْ وَجَهْدِهِمْ ، فَهَمْ يَقْتُلُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِرَارًا ،
 لَكِنَّ اللَّهَ بَعْصَمَهُ مِنْ كَيْدِهِمْ جَهَارًا ، فَأَحْتَمَلَ مِنْهُمْ الْأَذَى ، وَ
 صَابَرَهُمْ بِالْحِلْمِ وَالْإِنَافَةِ وَجَادَ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَتَكَبَّدَ
 الْمَشَاقَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَوْجِهَ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَإِذَا عَظُمَتِ الْغَايَةُ
 عِنْدَ النَّفْسِ هَانَتْ لَدَيْهَا الْمَقْدَمَاتُ مَهْمَا كَانَتْ عَظِيمَةً ،

فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ مُقَاوَمَتِهِ بِالْقُوَّةِ وَالْعَنْفِ لَجُّوا لِاسْتِمَالِهِ
 إِلَيْهِمْ بِالطَّيْعِ وَاللُّطْفِ ، فَوَعَدُوهُ أَنْ يَجْعُوَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
 مَا يَكُونُ بِهِ أَغْنَى أَهْلِ مَكَّةَ جَمِيعًا ، وَيُسَوِّدُوهُ عَلَى قِبَائِلِ
 قُرَيْشٍ كَأَنَّهُ ، إِنْ هُوَ تَرَكَ الدَّعْوَةَ إِلَى رَبِّهِ ، وَإِنْ لَمْ يَعْبُدْ
 مَعَهُمْ تِلْكَ الْحِجَارَةَ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا أَرْبَابُهُمْ ، فَرَفَضَ ذَلِكَ
 رَفَضًا بَاتًا لَا هَوَادَةَ فِيهِ ، وَأَجَابَهُمْ بِكَلِمَتِهِ الْخَالِدَةِ الَّتِي
 ضَرَبَ بِهَا مَثَلَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ ، وَصَدَّقَ الْعَزِيمَةَ فِي التَّمَسُّكِ
 بِالْمَبْدَأِ الْمُقَدَّسِ ، فَقَالَ (وَاللَّهِ لَوْ وَضَعْتُ الشَّمْسُ فِي يَمِينِي
 وَالْقَمَرُ فِي شِمَالِي عَلَى أَنْ أَتَرَكَ هَذَا الْأَمْرَ ، مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى
 يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ) فَشَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُ وَظَهَرَ عَلَى يَدِهِ
 أَمْرُهُ وَاتَّسَمَ دِينُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وَقَدْ عَادَ التَّارِيخُ
 نَفْسَهُ وَلَمْ يَمُضِ قَرْنٌ مِنَ الزَّمَنِ عَلَى تِلْكَ الرِّسَالَةِ الْكَرِيمَةِ ،
 فَرَأَى سُبُطَ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ دِينَ جَدِّهِ الَّذِي ضَحَّى بِمُهْجَتِهِ الْمَقْدُوسَةِ
 بِجَمَلَةِ عَالَمِ التَّكْوِينِ فِي سَبِيلِ عِلَاءِ كَلِمَتِهِ وَدَفَعَ مَنَارِهِ قَدْتَدَاوَلَتْهُ
 أَيْدِي الْأَحْفَادِ مِنْ أَعْدَائِهِ أَوَّلَ سِتْهِ هَلَالِهِ وَعِنْدَ مَا تَرَعَّرَعَ
 وَشَبَّتْ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ سَبَّحُوا نَسِيًا مَنْسِيًا وَتَغَفَرُوا مَعَالِمَهُ وَ
 تَنَدَّرِسُ أَثَارَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، يُوضِّحُ لَكَ ذَلِكَ
 قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَعَلَى الْأُسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بَلَّيْتَ الْأُمَّةَ
 بِوَالٍ مِثْلِي يُرِيدُ) فَهَلْ تَرَاهُ وَهُوَ وَارِثُ النَّبِيِّ ، وَحَامِلُ عَمَلِهِ

عَلَى أَنْ يَسْهَرَ عَلَى حَفِظِ دِينِ اللَّهِ بِكَتْفِي مِنْ نَفْسِهِ بِأَنْ
يُودِعَ دِينَ جَدِّهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لِيَمُوتَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ
يَرَى فِي نَفْسِهِ الْمَقْدَرَةَ عَلَى كَيْفِ عَادِيَةِ الْمُعْتَدِينَ ، إِذَنْ
فَقَدْ وَرِثَ يَزِيدُ أَبَا سُفْيَانَ فِي عِدَاوَتِهِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ ،
وَلَمْ يَرِثِ الْحُسَيْنُ مُحَمَّدًا بَارِي كِبَانِ الْإِسْلَامِ ، وَصَاحِبَ
الْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا سَيِّدَ أُولِي الْعِزْمِ مِنَ الرِّسَالِ
غَيْرِ مُدَافِعٍ ، وَوَاحِدًا أَبْطَالَ التَّارِيخِ وَمُعْظَمَاءِ الْكَوْنِ بِلَا
اسْتِثْنَاءٍ ، فَلَمْ يُسَوِّغْ لَهُ وَاجِبُهُ الذِّهْنِيُّ وَجَعْلَ سِيرَةِ مُحَمَّدٍ
وَعَلَى نَضَبِ عَيْنَيْهِ إِلَّا الْقِيَامَ بِكَيْفِ عَادِيَةِ الضَّلَالِ بِنَفْسِهِ
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ ، مَلَبِيًّا صَرِيحَ الْحَقِّ وَالْهُدَى ، غَيْرُ مُبَالٍ
أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ، مُتِمِّمًا سِيرَةَ جَدِّهِ وَمُقْتَدِلًا
بِهَذَا ، مُشَارِكًا لَهُ فِي جَنْسِ قَضَيْتِهِ وَفُصُولِهَا ، أَمَّا إِنَّهُ
قُتِلَ وَسَلَّمَهُ اللَّهُ جَدُّهُ مِنَ الْقَتْلِ ، بَعْدَ أَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ
مَرَارًا ، وَوَطَنَهَا عَلَيْهِ دَائِمًا ، فَلَيْسَ هَذَا بِفَضْلِ تَكْشُرْفِيهِ
الْأَنْوَاعُ بَلْ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَرَاهُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ لِعِبَادِهِ
وَهُوَ بَعْبَادِهِ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ،

وَقَدْ قُتِلَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، كَمَا قَضَى اللَّهُ
عَلَيْنَا ذَلِكَ فِي الذِّكْرِ الْمُبِينِ ، مُبَكِّتًا بِذَلِكَ عَلَى الْقَائِلِينَ
دُونَ الْمَقْتُولِينَ ، بَلْ كَثِيرًا مَا نَرَاهُ بِنُورِهِ بِذِكْرِ الْمَقْتُولِينَ فِي سَبِيلِهِ

وَيَمِيمُهُمْ بِالْأَوْسَمَةِ الْجَلِيلَةِ ، كَوَسَامِ الشَّهَدَاءِ ، وَيُبْرِئُهُمْ
مِنَ الْمَوْتِ ، وَانْمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)
فَتَمَى الْقَتْلُ فِي سَبِيلِهِ حَيَاةً حَيَاةً عِزٍّ وَشَرَفٍ ، حَيَاةً رُوحٍ
طَاهِرٍ وَذِكْرِ خَالِدٍ ، حَيَاةً مَثُوبَةً وَافِرَةً وَنَعِيمٍ مُقْبِمٍ ،
وَلَوْ كَانَ فِي الْقَتْلِ آيَةٌ غَضَّاضَةٌ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَرَفٌ
عَظِيمٌ لَأَشْطَرَطَ السَّلَامَةُ مِنْهُ لِلْجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، وَ
لَكُنَّ تَعَالَى قَالَ (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، مَنْ
أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ،
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

نَعَمْ اقْتَدَى الْحُسَيْنُ بِجَدِّهِ وَلَمْ يَأَلِ الْأَسْلَامَ نَصْرًا بِجَدِّهِ وَ
جَهْدِهِ ، وَدَفَضَ طَلَبَ امْتِنَانِهِ كَمَا دَفَضَ جَدُّهُ اقْتِرَاحَ قُرَيْشٍ ،
فَقَتِلَ الْحُسَيْنُ وَسَلَّمَهُ اللَّهُ جَدُّهُ مِنَ الْقَتْلِ بَعْدَ أَنْ وَطَنَ نَفْسَهُ
عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ اقْتِرَاحَ بَزِيدٍ عَلَى الْحُسَيْنِ كَانَ أَشَدَّ مِنْ اقْتِرَاحِ
سَلَفِهِ عَلَى جَدِّهِ الْحُسَيْنِ ، قُرَيْشٌ أَرَادُوا مِنَ النَّبِيِّ الْإِيْدُوعُوَالِي
عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدُّهُ ، وَأَنْ عَبْدَهُ هُوَ وَحَدُّهُ ، وَهُوَ دَوَّاهُ عَلَيْهِمْ ،
وَيَجْعُوَالَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يَكُونُ بِهِ أَغْنَى أَهْلَ مَكَّةَ ، وَبَزِيدُ

اقترح على الحسين أن ينزل على حكمه فامّا يدفعه لسرحون
ليقتله بعينه حنظلة أوجده عتبة ، أو خاله الوليد ،
أو يقتله قتلة أخرى هي شر من هذه وأخرى ، فمات
به نفسه القدسية فسمى الموت في سبيل العز والشرف
سعادة ، ورأى القتل في نصرة الدين والهدى شهادة ،
وأثرا للاستشهاد في سبيل المبدأ المقدس على الحياة مع الظالمين
فضلا عن القتل على الشاكلة التي ألقاها بهم مع أصحاب جده و
أبيه ، وكيف ينزع الحسين عن دعوته لدين جده طمعا
بحياة موهومة بمن عليه بها قوم أنذل أجلاف ، أو انتظارا
ليقتله ذليلا يعتقدونها على يدي أشرار جفاة ، وهو يرى جده
لا يتنازل عن دعوته بعد أن بذل له أجماد مكة وأشراقها و
أفلاذ كبدها ما بذلوا ، ولكنها البصائر تعي دون الأبصار ،
وتقدست ساحة النبي الكريم عن وصمة اعتراض المعترضين
واقفى أثره واقتدى بهداه سبطه المسدد وحفده الكريم
وأن تعجب من اعتراض القوم عليه فعجب عدم اعتراضهم
على من زعم اقتداءه به ، بل ترى تاريخ الإسلام والعرب سجل
مواقف الكثير من أباة الضم الذين هضوا في وجه السلطة القائمة
معتدين بالحسين بحسب إباة لهم للضم وانقيادهم على النزول على
الحسف ، وإن كانوا من وجهة تاريخهم في الدين قد خطوا

خَبَطَ عَشْوَاءَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ، أَمْثَالَ أَبْنَاءِ الزُّبَيْرِ وَ
شَبِيبِ الْخَارِجِيِّ وَقَطْرِ بْنِ الْفُجَاءَةِ ، وَقَدْ اعْتَرَفُوا
أَنْفُسَهُمْ بِتَقْدِيمِ الْحُسَيْنِ لَهُمْ وَتَفُوقِهِ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا
(مَا تَرَكَ الْحَسَنُ لِابْنِ حُرَّةٍ عُدْرًا) فَتَجَدُّ الْكَثِيرَ
مِنْ حَمَلَةِ الْأَقْلَامِ ، وَلَعَلَّ مِنْهُمْ الْمُعْتَرِضِينَ عَلَى فَضِيلَةِ
الْحُسَيْنِ بِتَشْدُقُونَ بِذِكْرِ مَوَاقِفِهِمْ وَيَعْجَبُونَ بِصَبْرِهِمْ وَ
ثَبَاتِهِمْ ، ذَائِعِينَ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ لِلْأَجْبَالِ الْمُتَأَخِّرَةِ
مَفَاخِرَ اسْلَافِهِمْ لِيَتَكُونَ لَهُمْ قَانُونًا يَعْمَلُونَ بِهِ ،
وَقَاعِدَةً كَرِيمَةً يَجْرُونَ عَلَيْهَا ، نَقُولُ فَمَا أَجَدَّ الْحُسَيْنُ
بِإِنْشَادِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَلِلَّهِ دَرْقَائِلُهُ ،

إِذَا مَفَاخِرِي اللَّائِي أَتِيَهُ بِهَا عُدَّتْ ذُنُوبًا فَقُلْ كَيْفَ اعْتَدْتُ
وَالْأَقْبَابُ الْقَوْمَ يَجْعَلُونَ مَفَاخِرَهُ حَسَنَاتٍ لِعَبْرَةِ سَيِّئَاتِهِ
لَهُ ، وَأَفْعَالُهُ مَكَارِمَ لَا وَلَيْكَ الْمُقْتَفِينَ كَمَا يَظُنُّونَ بِهِ ،
ذُنُوبًا لَهُ دُونَهُمْ ، فَهَلْ كَانَتْ لِاسْمِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
خُصُوصِيَّةٌ فِي الْأَعْتَرَا ضِ ، فَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ
بَعْدَ أَخِيهِ الْحَسَنِ وَأَبِيهِ عَلِيٍِّّ وَأُمِّهِ فَاطِمَةَ وَجَدِهِ مُحَمَّدٍ ،
فَإِنَّ أَسْمَاءَهُمْ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ
أَسْمَاءِ بَارِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، أَمْرُهُ فِي الْخَاصَّةِ فِي
الْأَعْتَرَا ضِ لِلْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ ، فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ

يُعْظِمُونَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ ، ومنها مُحَرَّمُ الْحَرَامِ ،
وَبَنَوُا مِيَةَ لَمْ تَرَعِ حُرْمَةَ شَهْرِهَا وَلَا حُرْمَةَ نَبِيِّهَا ،
فَقَتَلَتْ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، بَعْدَ مَا طَلَبُوا
قَتْلَهُ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ ،

قتلوا الحرام من الأئمة في الحرام من الشهور
وإن كان الذنب للأرض التي قتل فيها ، فإنها أرض مقدسة
ولولاها لما خلق الله مكة ولا بيتها العتيق ، وقد ظفرت
بدمه الذي نشأ من دم رسول الله ، وأريق فيها لوجه
الله ، فاكشمت به عرصاتها قبال كسوة الكعبة من
صنعة اليمن ،

يُهْنِكِ يَا كَرِبًا وَشَيْ ظَفِرَتْ بِهِ
حَوَتْ سِبْطَ عَرْشِ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ
من صنعة اليمن لا من صنعة اليمن
فكّل المعالي لها راجعه

﴿ حَسَبَ قُدْرَتِنَا الْبَشَرِيَّةِ ﴾

سَأَلَ سَائِلٌ عَنِ النُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ أَكَانَتْ جِهَادًا أَمْ دِفْعًا
 أَمْ هِيَ امْتِرَالَةٌ فَقُلْتُ لَهُ - عَلَى لَبْدِيهِةٍ - كَأَنَّكَ
 نَهَضْتَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ جِهَادًا ، وَلَكِنَّمَا رَجَعْتَ فِي الْآخِرِ
 الْأَمْرَ دِفْعًا ، وَالتَّفْصِيلُ لِمَا كُنْتُ أَجْمَلْتُهُ - أَنَّ نُهُضَةَ
 الْحُسَيْنِ كَانَ يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا قَانُونُ الْجِهَادِ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ
 بَايَعُوهُ فِي بَادِي الْأَمْرِ وَتَبَرَّعُوا بِوَعْدِهِمْ إِيَّاهُ بِالنَّصْرِ وَالْقِتَالِ
 بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى خِرْقَةٍ مِنْ دِمَائِهِمْ - وَهُمْ مَنْ هُمْ - فِي
 شِدَّةِ الْبَاسِ وَالصَّبْرِ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ وَصِدْقِ الْجَلَادَةِ فِي مِلْحَمَةِ
 صِفِّينَ وَوَأَقَعَةِ النَّهْرَوَانِ ، وَالْحُسَيْنُ وَإِنْ كَانَ مُحِبُّوًّا لِلذَّائِلِ
 وَمَرْمُوقًا لِمَعْنَاهُ ، وَلَكِنَّمَا شَدَّدُوا عَلَيْهِ الْأَسِيْقْرَاحَ وَلَمْ
 يُتْرَكُوا لَهُ عُذْرًا فِي عَدَمِ الْأَجَابَةِ بِأَنَّ مَعَالِمَ دِينِ جَدِّهِ قَدْ
 انْدَرَسَتْ ، وَآثَارُهُ قَدْ انْطَسَتْ ، فَبَنَاهُ مِنْهُ غَيْرَ غَافِلٍ
 وَاسْتَثَارُوا غَيْرَ قَاعِدٍ ، إِنَّهُ كَانَ يَرَى ذَلِكَ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ ،
 وَيَرَى شَرِيْعَةَ جَدِّهِ قَدْ انْطَحَتْ أَوْ كَادَتْ ، بِمَا أَحْدَثَتْهُ مُعَاوِيَةُ
 مِنَ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ ، تَكْمِلًا لِمَا مَهَّدَتْ لَهُ سَلَفُهُ الْغَاطِبُ ،
 فَعَادَ بِهَوَا الدِّينِ بِاسْمِ الدِّينِ وَيَقْتُلُ سَمَ مُحَمَّدٍ بِسَبِّ مُحَمَّدٍ ،
 أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي قَتَلَ حُجْرًا وَاصْحَابَهُ أَنْ لَمْ يَبْرُوا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

حَسْبُ دُنَا الْبَشَرِيَّةِ * (٥٧) .

وَسَيِّدِ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَكَانَ سَبُّهُ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ عِنْدَ مُعَايَنَةِ
مَنْ صَمِمَ الدِّينَ وَمِنْ الْفُرُوضِ الْوَاجِبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ،
وَقَدْ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ مَصْرَعَهُمْ وَقَتْلَهُمْ ظُلْمًا وَتَرْحَمَ عَلَيْهِمْ ،
كَأَنَّهُ قَتَلَ كَثِيرًا مِمَّنْ سِوَاهُمْ غِيْلَةً وَجَهْرًا بِإِتِّهَامِ قَتْلِهِمْ
لِعُثْمَانَ ، وَأَعْظَمَ مِنْ قَتْلِهِ لِأُولَئِكَ الْأَبْرِيَاءِ بَلْ قُلِ الصَّلَاةُ
الْآتِقْبَاءِ اِتِّخَاذُهُ سَبَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سُنَّةً لَا رُخْصَةَ فِي
تَرْكِهَا بَعْدَ الْخُطْبِ وَفِي الصَّلَوَاتِ ، وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ
أَنَّ مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّهِ وَالسَّابُّ لِلرَّسُولِ سَابُّ اللَّهِ ،
فَقَدْ عَاشَ مُعَاوِيَةُ طَبِيلَهُ عُمُرُهُ يَسُبُّ اللَّهَ جَهْرًا وَيَبْرَأُ مِنْهُ عَلَنًا
لِأَنَّ الشَّكْلَ الْأَوَّلَ بَدِهيُّ الْإِنْتِجَاجِ فَحَرِثَ ذَلِكَ حَتَّى الْبَهَائِمُ وَ
الْوَحُوشُ ، وَقَدْ قَالَ لَا أَتْرُكُ ذَلِكَ حَتَّى يَشِيبَ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ
وَيَهْرَمَ عَلَيْهِ الْكَبِيرُ - وَكَذَلِكَ فَعَلَ وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ
عَبَّاسٍ ، إِذْ وَقَفَ عَلَى قَوْمٍ يَسُبُّونَ عَلِيًّا ، فَأَخَذَ الْغَايَاتِ
وَتَرَكَ الْمَبَادِي ، إِذْ قَالَ ايُّكُمْ السَّابُّ لِلَّهِ ، ثُمَّ قَالَ ايُّكُمْ
السَّابُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْمَبَادِي ، إِذَا نَكُرُوا ^{لِنَتِجَةِ} النَّبِيِّ
بَنَاتًا ، فَقَالَ ايُّكُمْ السَّابُّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَحَقَّقَ لَهُمْ
عَنِ النَّبِيِّ أَنَّ مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّهِ ، وَمَنْ سَبَّهِ فَقَدْ
سَبَّ اللَّهَ ، إِذَنْ فَلَا مَعْنَى لَأَنْكَارِهِمْ سَبَّ اللَّهِ وَسَبَّ الرَّسُولِ ،
وَهُمْ يَسُبُّونَ عَلِيًّا وَمَالَنَا نَهْبِلُ الشَّوَاهِدَ عَلَى مَا نَدَّعِيهِ ،

وَهَذَا الْحُسَيْنُ مِنْ أُولَى جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَفَصْلِ الْمَخْطَابِ يَقُولُ
 فِي كِتَابِهِ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ (فَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
 نَبِيِّهِ فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدَامِيَّةٌ وَالْبِدْعَةُ قَدَا حِيثُ) هَذَا كُلُّهُ
 فِي زَمَانٍ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ كَانَ الْحَسَنُ عَقْدَ مَعَهُ صَلَاحًا لَمْ يَفِ
 مُعَاوِيَةَ بِشَيْءٍ مِنْ شُرُوطِهِ ، كَمَا قَالَ هُوَ بِنَفْسِهِ (أَلَا وَإِنِّي
 قَدْ اشْتَرَطْتُ لِلْحَسَنِ شُرُوطًا أَلَا وَأَنَا كُلُّهَا تَحْتَ قَدَمِي) وَلَكِنْ
 أَلْحَسَنَ وَأَخَاهُ قَامَا بِشُرُوطِهَا ، وَرَأَى السُّكُوتَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ
 أَجْحَى لِقَلَّةِ الْأَنْصَارِ كَسُكُوتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ نُزُولِ الْوَحْيِ
 إِلَى وَاقِعَةِ بَدْرٍ ، أَمَّا بَعْدَ هَلَاكِ مُعَاوِيَةَ وَبَعْدَ أَنْ تَرَجَعَ
 يَزِيدُ عَلَى عَرْشِ الْخِلَافَةِ - خِلَافَةِ الرَّسُولِ - وَهُوَ الْمَعْرُوفُ
 بِالْأَنْفِيسِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمُجُونِ بَيْنَ الْقُرُودِ وَالْفُهُودِ وَالْمُنُورِ وَالْفُجُورِ
 وَالْمُزَامِيرِ وَالْمَغْنِيَاتِ وَالْقِيَانِ وَالطَّنَابِيرِ ، وَقَدْ أَوْصَاهُ
 مُعَاوِيَةُ بِإِكْمَالِ الْعِلِّ وَإِتْمَامِ الْأَمْرِ ، وَأَنْ لَا يَبْقَى لِهَذَا الدِّينِ أَسْمًا
 وَلَا رَسْمًا ، وَتَجُوهَا هَلْ هَذَا الْبَيْتُ عَنْ جَدِّهِ الْأَرْضِ ، فَلَا
 يُبْقَى مِنْهُمْ شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَلَمْ يَسْعَ شَهِيدُ الْحَقِّ وَبَطْلُ الْأَسْلَافِ
 وَحَامِيَةُ الدِّينِ وَالْهُدَى أَنْ يَسْكُتَ عَنْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ،
 وَفِيهِ عِرْقٌ يُضْرَبُ وَنَفْسٌ تَتَرَدَّدُ ، وَهُوَ بَرِيٌّ دِينِ جَدِّهِ بِمَوْتِ
 ضَمِيَّةِ شَهَوَاتِ يَزِيدَ ، هَذَا وَاهْلُ الْكُوفَةِ ذُو الْمَنَعَةِ وَالْجَدَّةِ
 وَالْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ يَهَيِّبُونَ بِهِ أَنْ عَجَلَ قُدُومَكَ إِلَيْنَا ،

حَسْبُ قُدْرَتِنَا الْبَشَرِيَّةُ * (٥٩) *

فَلَيْسَ لَنَا إِمَامٌ غَيْرُكَ ، حَتَّى بَلَغَتْ كِبَاهُمُ عِنْدَهُ - فِي نُوبِ
مُتَفَرِّقَةٍ - اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ كِتَابٍ ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ فِيمَا كَتَبُوا
أَنَّ لَكَ فِي الْكُوفَةِ مِائَةُ أَلْفِ سَبْفٍ ، وَبَكْفِكَ أَنْ تَقْرَأَ
خُطْبَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَصْحَابِ الْحُرِّ فَإِنَّهُ طَبَقَ فِيهَا الْمَقْصِلَ
إِذْ قَالَ رَأَيْتُ النَّاسَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ رَأَى سُلْطَانًا
جَائِرًا مُسْتَحِيلًا لِحَرَامِ اللَّهِ ، نَاكِثًا عَهْدَهُ مُخَالَفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ
يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْأَثَمِ وَالْعُدْوَانِ ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ
وَلَا قَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ ، إِلَّا وَارِثَ
هُؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ ، وَ
أَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَعَطَلُوا الْحُدُودَ ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ ، وَ
أَحَلُّوا حَرَامَ اللَّهِ ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ ، وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ غَيْرٍ ،
وَقَدْ أَتَيْتُكُمْ كُتُبَكُمْ ، وَقَدِمْتُ عَلَى سُلُوكِكُمْ ، أَنْتُمْ لَا تُسْلِيُونِي
وَلَا تُتَخَذِلُونِي ، فَإِنْ تَمَّمْتُمْ عَلَى بَيْعَتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ ، فَأَنَا
الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، نَفْسِي مَعَ
أَنْفُسِكُمْ ، وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِكُمْ ، وَلَكُمْ فِي أَسْوَةٍ ، وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ ، وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ، فَلَعْنِي
مَا هِيَ لَكُمْ بُنْكَرٌ ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمٍ ،
فَالْمَغْرُورُ مِنْ اغْتِرَابِكُمْ فَخَطَمُ أَخْطَاكُمْ وَنَصِيبُكُمْ ضَبْعَتُمْ ، وَمَنْ
نَكَثَ فَأَمَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَسَيُغْنِي عَنْكُمْ وَالسَّلَامُ (

انْتَهَى الْحُسَيْنُ مِنْ خُطْبَتِهِ هَذِهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي شَيْءٍ
مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُعَارِضْهُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ فَقَرَاهِهَا إِلَّا
رُبُّهُمْ الْحُرَّالْيَاحِي ، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ مَا أَدْرِي مَا هَذِهِ الْكُتُبُ
الَّتِي تَذَكُرُ ، فَأَمَرَ الْحُسَيْنُ عَقَبَةَ بْنَ سَمْعَانَ ، فَأَخْرَجَ خُزَيْنَ
مَمْلُوكَيْنِ كُتُبًا ، وَسَكُوتُ الْحَرِّ وَغَيْرِهِ . عَنْ غَيْرِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ
تَقَرُّرُ لغيرِهَا وَتَصْدِيقٌ لَهُ بِكُلِّ مَا تَفَوَّهَ بِهِ . وَهُوَ الصَّادِقُ
الْأَمِينُ ، وَآمَنَ شَيْءٌ يُنْكِرُونَ مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ الشَّرِيفَةِ ،
أَيُنْكِرُونَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاتِرًا ،
لِأَنَّهُ فِي الْأُمُورِ السِّيَاسِيَةِ الَّتِي تَمَسُّ لَهَا الْحَاجَةُ كَثِيرًا ، أَمْ
يُنْكِرُونَ أَنَّ مَضْمُونَهُ يَنْطَبِقُ عَلَى بَرِيدٍ ، فَإِنَّ بَرِيدِي هَذِهِ
وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الْمُتَنَكَّرَاتِ اعْظَمُ وَاشْهَرُ ، أَمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ
لَيْسَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مَنْ
جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ غَيْرُهُ ، أَمْ يَمْجِدُونَ مُكَاتِبَتَهُمْ لَهُ فَهَذِهِ اثْنَا
عَشَرَ أَلْفَ شَاهِدٍ عَلَى دَعْوَاهُ (وَشُهُودُ كُلِّ قَضِيَّةٍ اثْنَانِ)
وَلَكِنْ أَتَدْرِي مَا كَانَ جَوَابُهُمْ عَلَى سُؤَالِهِ عَنْ تَمَسُّكِهِم بِبَيْعَتِهِ
لِيَجِبَ عَلَيْهِ النَّهْوضُ بِهُمْ لِحُجَّتِهَا دَعَاءُ الدِّينِ ، أَوْ نَكْبَتُهُمْ لَهَا وَ
لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ ، فَلَهُمْ سَوَابِقُ كَثِيرَةٌ مِثْلُهَا ، وَغَدَاثُ
بَابِيهِ وَأَخِيهِ وَابْنِ عَمَّتِهِ مُسْلِمٍ بَعْضُهَا اعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ ، نَعَمْ
لَقَدْ كَانَ جَوَابُ مُثْلِهِمْ وَعَمِيدُهُمُ الْحُرَّاشِدُ مِمَّا يَتَصَوَّرُهُ الْحُسَيْنُ

حَسْبُ قُدُنَا الْبَشَرِيَّةُ * (٦١) *

فِيهِمْ وَيَأْمُلُهُ بِهِمْ مِنَ الْغَدْرِ فَقَدْ جَابَهُ بِكُلِّ صَلَفٍ ،
وَهُمْ يَقِرُّونَ رَأْيَهُ (إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفَارِقَكَ إِذَا لَقَيْتُكَ
حَتَّى أَقْدِمَكَ الْكَوْفَةَ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ أَوْ أَمْضِيَ بِكَ وَبِإِصْحَابِكَ
إِلَيْهِ سِلْمًا)

يَا سُبْحَانَ اللَّهِ الْحُسَيْنَ يَقُودُهُ الْحُرُفِيُّ بِهَذَا ابْنِ زِيَادٍ
سِلْمًا بِالْفِ رَجُلٍ كَادَ الْعَطَشُ يَقْضِي عَلَيْهِمْ لَوْ لَمْ يَنْقِصْ الْحُسَيْنُ
الْمَاءَ وَمَعَهُ الْعَدَدُ وَالْعُدَّةُ وَالشِّدَّةُ وَالْبَاسُ وَالنَّفُوسُ
الْأَيُّةُ وَالْأَنْوَةُ الْحَيَّةُ ، لَقَدْ أَخْطَأَ سَهْمُ الْحُرِّ وَوَجَبَ
عَلَى الْحُسَيْنِ قَتْلُهُ وَقِتَالُ أَصْحَابِهِ كَمَا أَشَارَ بِذَلِكَ زُهَيْرٌ ،
وَلَكِنْ سَهْرَةُ الرَّسُولِ وَالْوَصِيِّ وَالزَّكِيِّ نُصِبَ عَلَيْهِنَ الْحُسَيْنُ ، وَ
هُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْدُوَ أَعْدَاؤُهُمْ بِالْقِتَالِ ، وَالْحُرُّ لَمْ يَبْدَأْ
بِالْقِتَالِ بَلْ أَخَذَ يُنَافِعُهُم بِالسِّبَاطِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ عَنْ
مُقَابِلَةِ سِبَاطِ الْمَاشِئِينَ بِهَا ، فَشَرَعَ لِلْفَرِيقَيْنِ طَرِيقًا
نَصْفًا كَانَتْ لَهُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ الْكَرِيمَةُ ، وَحَلَبَ حَلْبًا
كَانَ لَهُ شَطْرُهُ وَاقْتَطَفَ مِنْ بَذْرِ تِلْكَ الثَّمَرَةِ الْجَنَّةِ ، إِذْ
هَذَا اللَّهُ بَعْدَ بَضْعَةِ آيَاتِهِ ، وَقَتْلَ شَهِيدَايْنِ بَدِيٍّ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ
وَفَارَقُوهُ عَظِيمًا ،

إِلَى هُنَا كَانَتْ نَهْضَةُ الْحُسَيْنِ جَهَادًا إِذَا وَفَى أَهْلُ
الْكُوفَةِ بَبَيْعَتِهِ ، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ دُونَهُ كَمَا كَاتَبُوا وَحْيَا

إِذَا وَجَدَهُمْ عَلَى الْغَدْرِ الَّذِي أَلِفَهُ فِيهِمْ مَعَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ
 وَأَبْنِ عَمِّهِ ، وَقَدْ نَزَعَ عَنِ الْجِهَادِ لَمَّا رَأَى مُثْلَهُمُ الْحَرَّ
 عَلَى صِدْقِ الطَّاعَةِ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الَّذِينَ كَاتَبُوهُ ،
 وَرَأَى أَسْمَاءَهُمْ فِي صُحُفِهِ هُمْ جُلَسَاءُ ابْنِ زُبَايدٍ ، إِي
 خَاصَّتُهُ وَبَطَانَتُهُ وَعَهْبَةُ نَصْحِهِ ، فَأَرَادَ الْحَبَادَ بَأْنَ
 بِمُضِيِّ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ الطَّوِيلَةِ ، حَتَّى يَأْتِيَ ثَغْرًا
 مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَكُونُ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ،
 لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَهُ فِي الْكُوفَةِ مِائَةُ أَلْفٍ سَهْفٍ - كَمَا زَعَمُوا -
 فَقَدْ قَابَلَ أَبُوهُ جَيْشَ الشَّامِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ سَهْفٍ مِنْ هَذِهِ
 الْمِائَةِ ، وَقَدْ كَانُوا (سَبْعِينَ أَلْفًا رَاحِمًا وَنَابِلًا) كَمَا يَقُولُ
 مُعَاوِيَةُ ، فَأَخْضَعُوهُمْ وَكَادُوا يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ ، وَحَبِثُ
 أَلْفَاهُمْ عَلَى الْغَدْرِ إِرَادَانِ يَرْجِعَ عَنْهُمْ مِنْ حَبِثُ آتِي ، وَ
 كَانَ لَمْ يَكْبُوا لَهُ بَشْيٌ ، وَلَمْ يُجِبْهُمْ بَشْيٌ ، فَيَكُونُ مُحَايِدًا ، لَهُ عَمَلُهُ
 وَلَهُمْ عَمَلُهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ آتَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْقُوَّةَ وَظَنُّوا أَنَّهُ
 يَضْعَفُ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ ، وَلَا يَدَانِ يُجِيبُهُمْ عَلَى اقْتِرَاحِهِمْ
 كَائِنًا مَا كَانَ ، وَلَا سَهْمًا عِنْدَ مَا نَلَّحَقَتْ بِهِمُ الْعَسَاكِرُ
 فِي اسْرِعِ الْأَوْقَاتِ ، كَانُوا السَّيْلُ الْإِيَّيْ أَوْ كَوُكُوفٍ
 الْهَاطِلِينَ ، فَلَمْ تَقْنَعْ مِنْهُ بَيْعَةُ بَزْدٍ ، كَمَا اقْتَرَحَهَا
 عَلَيْهِ عَامِلُهُ الْوَلِيدُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَلَا بَأْنَ يَمْضُوا بِهِ وَ

(١) هُوَ السَّيْلُ الَّذِي يَأْتِي مِنْ حَبِثُ لَا يَذْرُكُ

بِأَصْحَابِهِ إِلَى ابْنِ زُبَّادٍ سَلَامًا ، كَمَا فَاجَأَهُ بِذَلِكَ الْحُرُّ
قَبْلَ أَيَّامِ بَسِيرَةٍ ، بَلْ طَلَبُوا عَلَيْهِ النُّزُولَ عَلَى حُكْمِ ابْنِ زُبَّادٍ
وَيَزِيدَ ، وَلَا شَكَّ عِنْدَهُ أَنَّهُ سَيُقْتَلُ إِذَا نَزَلَ عَلَى حُكْمِهِمْ
حَقِيرًا ذَلِيلًا ، فَوَجَبَ عَلَيْهِ الدِّفَاعُ عَنْ نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَذُرِّيَةِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَمَنْ قُتِلَ مُدَافِعًا
دُونَ مَظْلَمَةٍ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ قُتِلَ شَهِيدًا ، فَكَيْفَ إِذَا قُتِلَ
مُدَافِعًا عَنْ نَفْسِهِ ،

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ حَزِنَ أَعْمَقَ الْحُزْنِ عَلَى سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
- وَهُمْ أَصْحَابُ الرَّجِيعِ - حَيْثُ عَدَرَهُمْ بِنُوحْدَيْلٍ ،
فَظَهَرُوا الْإِسْلَامَ ، وَسَلَّوُا الرَّسُولَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ
مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَيُبَيِّنُ أَحْكَامَ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ،
فَاجَأَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَلَمَّا بَلَغُوا بِهِمْ إِلَى مَا هُمْ الرَّجِيعُ
عَدَرُوا بِهِمْ ، وَقَالُوا لَهُمْ (إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَزِيدُ قَتْلَكُمْ ، وَ
لَكِنَّا نَزِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَ
مِيثَاقُهُ أَلَّا نَقْتُلَكُمْ) يُرِيدُونَ أَنْكُمْ آمِنُونَ مِنَ الْقَتْلِ ،
بَلْ قَصَدْنَا أَنْ نَمُضِيَ بِكُمْ إِلَى مَكَّةَ فَتَجْعَلَكُمْ فِي أَسْرَائِلِهَا ،
لِيَدْفَعُوا لَهُمْ أَسْرَاهُمْ بِدَلَاغَتِهِمْ ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا لَا يَدَانِ
يَلِينَ لَهَا جَانِبًا وَتَعْمَلُ فِي فَكَاكِ أَسْرَاهُ ، فَامْتَعْصِ الْمُسْلِمُونَ
مِنْ ذَلِكَ وَأَثَرُوا أَنَّ يَمُوتُوا كَرَامًا عَلَى الْحَيَاةِ فِي ذِلَّةِ الْأَسْرِ ،

وَأَنْ يَلْبِسَ جَانِبُ نَبِيِّهِمْ لَأَعْدَائِهِ مِنْ أَجْلِهِمْ ، فَشَهَرُوا
سُيُوفَهُمْ وَقَاتَلُوا حَتَّى قَتِلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ ، وَوَصَلَ اثْنَا
إِلَى مَكَّةَ أَسِيرِينَ ، فَأَشْتَرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ زَيْدَ بْنَ
الدَّثِينَةَ ، وَدَفَعَهُ إِلَى عَبْدِ سَطَّاسٍ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيَّةَ
ابْنَ خَلْفٍ الَّذِي قَتَلَهُ بِلَالُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَصَلِبَ قَرِينُهُ
خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ فِي السَّعِيمِ ، فِي مَجْمَعٍ مِنَ الشَّامِيتينِ وَالْمُنَفِّرِينَ
وَهُنَا نَذَرُ الْمَثَلِ السَّارِبِينَ النَّاسِ (مَا أَشْبَهَ لِلْبَلَاءِ
بِالْبَارِحَةِ) اسْتَدْعَى هَذِبُلُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ لِيُرْشِدُوهُمْ
ثُمَّ غَدَرُوا بِهِمْ وَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَأْسِرُوا لِأَهْلِ مَكَّةَ أَعْدَاءَ
نَبِيِّهِمْ ، لَعَلَّه يَخْضَعُ لَهُمْ بَعْضُ الْخَضُوعِ ، وَاسْتَدْعَى أَهْلُ
الْكُوفَةِ الْحُسَيْنَ سِبْطَ الرَّسُولِ ، لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ ، وَلِيُقِيمَ عُمُودَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ ، ثُمَّ غَدَرُوا
بِهِ ، وَأَرَادُوا مِنْهُ التَّنْزُولَ عَلَى حُكْمِ زَيْدٍ وَعَامِلِهِ ابْنِ
مَرْجَانَةَ ، وَرَفَضَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ طَلِبَةَ هَذِبُلَ رَفْضًا
بَاطِلًا ، وَإِنْ عَلِمُوا بِسَلَامَتِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَتَلُوا لِأَسْمَاءِ الْأَسْرِ
عَلَى غَيْرِ حُسْبَاءِهِمْ ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَقْتَضِيهِ النَّوَائِيسُ الْعَرَبِيَّةُ
وَمَنْ يَكُونُ أَصْحَابُ الرَّجِيحِ فِي جَنْبِ الْحُسَيْنِ فِي تَمْسِكِهِمُ بِالْدِّينِ
وَأَنْقَاتِهِمْ عَنِ التَّنْزُولِ عَلَى الْخُسْفِ ، وَقَتْلِ سَطَّاسِ زَيْدِ بْنِ
الدَّثِينَةَ بِسَيْدِهِ أُمَيَّةَ ، وَصَلِبَ خُبَيْبٍ فِي مَجْمَعِ قُرَيْشٍ

وَأَنْ يَلْبِسَ جَانِبُ نَبِيِّهِمْ لَأَعْدَائِهِ مِنْ أَجْلِهِمْ ، فَشَهَرُوا
سُيُوفَهُمْ وَقَاتَلُوا حَتَّى قَتِلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ ، وَوَصَلَ اثْنَا
إِلَى مَكَّةَ أَسِيرِينَ ، فَأَشْتَرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ زَيْدَ بْنَ
الدَّثِينَةَ ، وَدَفَعَهُ إِلَى عَبْدِ سَطَّاسٍ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيَّةَ
ابْنَ خَلْفٍ الَّذِي قَتَلَهُ بِلَالُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَصَلِبَ قَرِينُهُ
خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ فِي السَّعِيمِ ، فِي مَجْمَعٍ مِنَ الشَّامِيتِينَ وَالْمُنْفِرِينَ
وَهُنَا نَذَرُ الْمَثَلِ السَّارِّ بَيْنَ النَّاسِ (مَا أَشْبَهَ لِلْبَلَّةِ
بِالْبَارِحَةِ) اسْتَدْعَى هَذِبُلُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ لِيُرْشِدُوهُمْ
ثُمَّ غَدَرُوا بِهِمْ وَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَأْسِرُوا لِأَهْلِ مَكَّةَ أَعْدَاءَ
نَبِيِّهِمْ ، لَعَلَّه يَخْضَعُ لَهُمْ بَعْضُ الْخَضُوعِ ، وَاسْتَدْعَى أَهْلُ
الْكُوفَةِ الْحُسَيْنَ سِبْطَ الرَّسُولِ ، لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ ، وَلِيُقِيمَ عُمُودَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ ، ثُمَّ غَدَرُوا
بِهِ ، وَأَرَادُوا مِنْهُ التَّنْزُولَ عَلَى حُكْمِ زَيْدٍ وَعَامِلِهِ ابْنِ
مَرْجَانَةَ ، وَرَفَضَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ طَلِبَةَ هَذِبُلَ رَفْضًا
بَاطِنًا ، وَإِنْ عَلِمُوا بِسَلَامَتِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَتَلُوا لِأَسْمَاءِ الْأَسْرِ
عَلَى غَيْرِ حُسْبَانِهِمْ ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَقْتَضِيهِ النَّوَائِيسُ الْعَرَبِيَّةُ
وَمَنْ يَكُونُ أَصْحَابُ الرَّجِيحِ فِي جَنْبِ الْحُسَيْنِ فِي تَسْكِينِهِم بِالْدِّينِ
وَأَنْقَتَهُمْ عَنِ التَّنْزُولِ عَلَى الْخُسْفِ ، وَقَتْلَ سَطَّاسِ زَيْدِ بْنِ
الدَّثِينَةَ بِسَيْدِهِ أُمَيَّةَ ، وَصَلِبَ خُبَيْبٍ فِي مَجْمَعِ قُرَيْشٍ

العَرَبُ الْأَتْحَاجُ الَّذِينَ يَتَحَلُّونَ أَثَامَ الْعَرَبِ إِنْ هُمْ خَرَقُوا
نَوَامِسَهُمْ وَنَقَضُوا مَنَاجِيَهُمْ ، فَاخْفَرُوا جَوَادِرَهُمْ وَقَتَلُوا
أُسَارَاهُمْ الْعُزْلَ مِنَ السِّلَاحِ وَقَدَّسُوا غَدَا ، وَبَعْدَ
أَنْ رَفَعُوهُ عَلَى خَشْبَتِهِ ضَرْبَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ بِأَرْبَعِينَ
سَهْفًا ، وَالنَّاسُ لَا مُنْكَرَ مِنْهُمْ وَلَا مُغْتَبِرَ ، وَالْمُعْتَرِضُ
يُرِيدَانِ يَسْتَأْسِرَ الْحُسَيْنَ بَلْ يَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ زُبَيْدٍ وَعَامِلِهِ
ابْنَ زِيَادٍ ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، أَوْ ابْنَ عُبَيْدٍ ، عَبْدَ بَنِي عِلَاجٍ
أَوْ ابْنَ أَبِيهِ ، كَمَا تَقُولُ عَائِشَةُ ، لِيَدْفَعَاهُ إِلَى دُرَيْدِ
مَوْلَى زُبَيْدٍ ، أَوْ سَرْحُونِ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ ، فَيَقْتُلَهُ بَعَثَهُ
حَنْظَلَةُ الَّذِي قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَوْ
يَصْلُبَهُ عَلَى خَشْبَةٍ فِي مَجْمَعِ الشَّامِيَتَيْنِ وَالْمُفَرَّجَيْنِ
مِنَ الشَّامِيَتَيْنِ ، وَعَلَّمَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ أَنَّهُ سَيَخْضَعُ
لِعَدُوِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ بَعْضَ الْخُضُوعِ ، فَرَفَضُوا ذَلِكَ
وَقَدَّمُوا أَنْفُسَهُمْ ضَحِيَّةَ عِزَّتِهِ بَعْدَ اللَّهِ ، وَ
عِزَّتِهِمْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَالْمُعْتَرِضُ يُرِيدُ مِنَ
الْحُسَيْنِ أَنْ يَقِفَ مَوْقِفَ الْمُتَفَرِّجِ ، وَهُوَ بَرِيءُ
زُبَيْدٍ بِقَتْلِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ دِينِهِ ، وَبِحُجُ
ذِكْرِهِ مِنْ حَبْرِ الْوُجُودِ بِحَقِّ مِلَّتِهِ وَإِطْفَاءِ سُرْجِ شَرِيعَتِهِ
مِنْ حِفَاطِ عَهْدِ اللَّهِ وَحَمَلَتِهِ ، فَمَا ذَكَرْنَا لَنَا وَنَحْنُ لِوَاحِدٍ

مِنْ نَبِيِّ الْأَنْسَانِ رَفَضًا لِلنُّزُولِ عَلَى الْخَسْفِ وَ
إِعْطَاءِ الدَّيْنَةِ ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ
وَهَذِهِ كَلِمَتُهُ الْكَرِيمَةُ تُشَعُّ مَعَ الْأَجْيَالِ ، وَتَخْلُدُ
فِي دُنْيَا الْأَبَاءِ وَالْعِظَمَةِ خُلُودًا لَشَمْسٍ وَالْقَمَرِ ،
رَلَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً ، وَالْحَيَاةَ مَعَ
الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا)

فَسَامَتْهُ بِرُكْبٍ أَحَدَانَتَيْنِ وَقَدَّصَرَتِ الْحَرْبُ سَنَا فَهَا
فَأَمَّا بِرِي مُدْعِنًا أَوْ تَمُوتُ نَفْسُ أَبِي الْعِزَّادِ عَا فَهَا
فَقَالَ لَهَا اعْتَصِمِي بِالْأَبَا فَنَفْسُ الْأَبِي وَمَا زَا فَهَا

إِذَا لَمْ تَجِدْ غَيْرَ لِبْسِ الْهَوَانِ
فَبِالْمَوْتِ تَنْزِعُ جُثْمًا فَهَا

فَأَثَرَانِ يَسْعَى إِلَى جَمْرَةِ الْوَعْنِ رَجُلٌ وَلَا يُعْطَى الْمَقَادَةَ عَنْ يَدِ
وَهَلْ كَيْفَ يَضْرَعُ وَهُوَ الْأَبِي وَهَلْ فِي الْأَبَا سَيَدُ ضَارِعَهُ



﴿ وَبَعْضُ الْفَوَائِدِ الَّتِي تَوْخَاهَا ﴾

يَقُولُ الْمُعْتَرِضُ مَا الَّذِي حَصَلَ لِلْحُسَيْنِ فِي هَضَّتِهِ ،
وَهَلْ هُوَ إِلَّا وَجُلُّ شَاغِبِ السُّلْطَةِ الْقَائِمَةِ ، وَقَدْ عَزَّه
أَهْلُ الْكُوفَةِ بِمَا كَتَبُوا إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ قَدْ جَرَّبَ غَدْرَهُمْ وَخِيَانَهُمْ
بِأَبِيهِ وَأَخْبِهِ فَأَكَلُوهَا بِخِيَانَتِهِمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَسْتَتِبْ لَهُ أَمْرٌ
خِلَافَتِهِ فِيهَا ، ثُمَّ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ إِذْ قَابَلَ ذَلِكَ الْجُمُوعَ
الْعَفِيفَةَ بِعَصَابَتِهِ الْقَلِيلَةِ ، فَلَمْ يَكْتِبْ لَهُ التَّصَرُّحُ حَتَّى قُتِلَ
وَأَصْحَابُهُ ، وَأَوْقَعَ عَائِلَتَهُ بِذَلِكَ الْأَسْرِ وَالسِّبَاءِ مِنْ بَعْدِهِ ،
تَتَصَفَّحُ الْبُلْدَانُ صُورَةَ بَسْمِهَا أَشْكَالَ بَارِزَةٍ بِذَلِكَ الْمَثَلِ
هَذَا مَبْلُغُ عِلْمِ النَّفُوسِ الضَّعِيفَةِ ، هَذَا مَا يَرَى أَيْ مِنَ النَّظَرِ
فِي التَّارِيخِ سَطْحِيًّا ، هَذَا مُنْتَهَى مَا يَتَحَبَّلُهُ أَرْبَابُ الْعُقُودِ
الْقَاصِرَةِ عَنِ التَّفَكُّرِ الْعَمِيقِ ، وَسَبْرِ الْحَقَائِقِ الْجَلِيلَةِ لَا
الْبُلُوغِ إِلَى أَغْوَارِهَا ، وَلَقَدْ ذَكَرْنَا فِي تَضَاعُفِ كَلِمَاتِنَا
السَّابِقَةِ كَثِيرًا مِنَ الْغَايَاتِ الَّتِي تَوْخَاهَا الْحُسَيْنُ ، وَ
كَانَتْ أَوَّلُ الْفِكْرِ فِي هَضَّتِهِ ، فَأَحْرَزَهَا فِي آخِرِ عَمَلِهِ بَلْ
ضَاعَهَا اللَّهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، زَبَادَةٌ عَلَى مَا أَمَلَ وَعِلَاوَةٌ
عَلَى مَا كَانَ يَحْسَبُ (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

فَلَوْ أَنَّ الْأُمُورَ وَاتَّتِ الْحُسَيْنَ ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ انْقِبَادِ
الْكُوفَةِ أَهْلَ الْمَنَعَةِ وَالْغَلَبَةِ عَلَى جُنُودِ الشَّامِ فِي مَلْحَمَةِ
صِفِّينَ ، بَلَّ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ - لَوْلَمْ يَخْدَعُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ -
لَا غَادَ الْحُسَيْنُ دِينَ جَدِّ غَضًا طَرِبًا ، بَعْدَ أَنْ أَخْلَقَتْهُ السَّيِّئَةُ
الْأَمَوِيَّةُ ، وَطَوَّحَتْ بِنَوَامِيسِهِ الْأَهْوَاءِ الْغَاشِمَةَ وَالْأَبْدِيَّ
الْأَثَمَةَ ، وَهَذَا مَا لَا يَجْدُ الْمُعْزُضُ لِانْكَارِهِ سَبِيلًا ،

أَمَّا إِذَا لَاحَظْنَا مَا وَقَعَ فِي خَارِجِ الْأَمْرِ مِنْ خِيَانَةِ الْكُوفَةِ
بِهِ ، وَقَتْلِهِ عَلَى يَدِهَا ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يُعْطِ الدِّينَةَ مِنْ نَفْسِهِ
فَنَزَلَ عَلَى حُكْمِ رَبِّدٍ لِيَقْتُلَهُ شَرِيقَلَةٌ وَأُخْرَى قَتَلَتْهُ ، وَ
يُمَثِّلُ بِهِ أَقْبَحَ مُثَلَّةٍ ، وَلِبْسُومُهُ الْخَسْفَ وَالْهَوَانَ وَالذَّلَّةَ ،
فَنَقُولُ لَقَدْ بَلَغَ الْحُسَيْنُ وَاللَّهُ مَا أَرَادَ مِنْ نُصْرَةِ دِينِ جَدِّهِ
الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعَهْدَ لِنُصْرَتِهِ وَلَا يَجْذُلْنَهُ ، وَالْأَلَا
كَانَ - وَحَاشَاهُ - ظَالِمًا ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى (لَا يَنَالُ
عَهْدِي الظَّالِمِينَ) وَقَدْ سَجَّلَ التَّارِيخُ لِلْكَثِيرِ مِنْ ذَوِي النُّفُوسِ
الْكَبِيرَةِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْغَايَةَ فِي أَعْمَالِهِمْ إِلَّا بِتَضْحِيَةِ نَفْسِهِمْ
وَقَرَّتْ عُيُوسُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الْخَالِدَةِ الْأَبَدِيَّةِ بِذَبْلِ طَلِبَائِهِمْ وَ
إِورَالِ أَمَائِهِمْ مِنْ هِدَايَةِ الْخَلْقِ وَتَوْجِيهِهِمْ إِلَى وَجْهِ الْحَقِّ ، وَ
هَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - فَوْقَ الْكُلِّ - يَذْكُرُ نُوطِينَ الْأَنْبِيَاءِ نَفْسَهُمْ
عَلَى الْقَتْلِ فَيَشْكُرُهُ لَهُمْ ، سَوَاءً قَتَلُوا كَمَا أَرَادَ أَمْهُمْ ذَلِكَ أَوْ نَجَّاهُمْ اللَّهُ

* وَبَعْضُ الْفَوَائِدِ الَّتِي تَوْخَاهَا * (٦٩) *

مِنْ كَبْدِهِمْ كَحُلْبِهِ ابْرَاهِيمَ الَّذِي نَجَّاهُ بِلُطْفِهِ مِنْ نَارِ التَّمْرُودِ
 فَتَرًا لِلطَّبِيعَةِ وَقَسْرًا لِلْعَادَةِ ، وَكَأَفْضَلِ أَنْبِيَائِهِ لَدَّبَهُ وَ
 أَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٍ ، فَقَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ
 عَلَى الْقَتْلِ ، وَلَمْ يَشْكُ فِي قَتْلِهِ مِنْ سَمْعِ صَبْحَةِ إِبْلِيسَ فِي وَقْعَةِ
 أَحَدٍ ، لِأَنَّ الْأُمُورَ مُوَاتِبَةٌ عَلَى قَتْلِهِ ، وَنَجَاتَهُ لُطْفُ
 مِنْ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ بِحُسْبَانِ أَحَدٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَسْفَ الْأَنْبِيَاءِ
 عَلَى أُمَمِهِمُ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِدَعْوَةِ أَنْبِيَائِهِمْ ، فَأَصْبَحُوا
 خَامِدِينَ كَقَوْمِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ
 وَدُعَاةَ الْأَصْلَاحِ كُلَّهُمْ ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي التَّبَيُّهِ وَوَقَعَ الْأَمْرُ
 لَكُمْ فِي يَدِ الْأَمْرِ مُوْطِنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْقَتْلِ ، وَنَجَاحُ الدَّعْوَةِ
 هُوَ غَايَةُ أَمَلِهِمْ ، أَدْرَكَهُ مَنْ أَدْرَكَهُ ، وَلَوْ بَعْدَ قَتْلِهِ كَالْحُسَيْنِ ،
 وَفَاتَهُ مَنْ فَاتَهُ كَنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ
 مِنْهُمْ كَالْحُسَيْنِ ، وَنَجَّى اللَّهُ بِلُطْفِهِ مَنْ كَانَتْ الْحِكْمَةُ فِي نَجَاتِهِ
 كَجَدِّ الْحُسَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ ، وَ
 لَهُ فِيهِمْ حِكْمَةٌ بِالْغَيْبِ ، وَتَدْبِيرٌ هُوَ أَعْلَمُ بِوَجْهِ مَصْلَحَتِهِ ،
 وَهُوَ بَعْبَادِهِ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، لَيْسَ لَهُ مُعَابِنٌ وَلَا ظَاهِرٌ ، وَلَا وَزِيرٌ
 لَهُ فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَلَا مُشِيرٌ يُرِيدُ فَيَقْضِي وَتَحْكُمُ فَيُبْضِي ،
 أَمَّا الْأَهْدَافُ الَّتِي أَصَابَهَا الْحُسَيْنُ فِي هَضْمَتِهِ الْكَرِيمَةِ
 وَأَدْرَكَتْهَا عَقُولُنَا هَذِهِ الْمَحْدُودَةُ الْأَفَاقُ ، فَلَا يَكَادُ يَأْتِي

عَلَيْهَا الْبَيَان ، وَدَعَّ عَنْكَ الْأُمُورَ الَّتِي خَفَيْتَ عَلَيْنَا وَ
هِيَ أَجَلٌ وَكَثْرُ مَا خَاطَبَنَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ (وَمَا أُوْنِبْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا) وَهِيَ تَعْتَمِدُ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ ، وَتَدُورُ عَلَى
مَحَوْرَيْنِ (الْأَوَّلُ) شَرَفُ الْعَاطِفَةِ ، وَعِزَّةُ النَّفْسِ
وَإِحْبَاءُ الْمَجْدِ ، بِعَانَقَةِ مَصَارِعِ الْكِرَامِ ، وَتَقْدِيمُ
ذَلِكَ عَلَى اعْطَاءِ الدِّينِيَّةِ وَالْخُضُوعِ إِلَى مَدَائِنِ الشَّيْءِ وَمَسَاوِي
الْإِخْلَاقِ ، طَمَعًا بَعِثَةً مَوْهُومَةٍ فِي أَيَّامٍ مَنُكُودَةٍ ،
وَهَذَا مَا لَا يَخْتَاجُ فِي اثْبَاتِهِ إِلَى التَّدْلِيلِ عَلَيْهِ ، وَاسْتَمْعَ
إِلَيْهِ يَنْشُدُكَ بِلِسَانِ حَالِهِ

تَرِيدُ عَلَى مَكَارِمِنَا دَلِيلًا مَتَى اخْتِجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
فَإِنَّ فِي قَوْلِهِ (هَبْهَاتِ مِنَ الذَّلَّةِ) وَقَوْلِهِ لَا أُعْطِيكُمْ بَهْدِي
اعْطَاءَ الدَّلِيلِ كِفَايَةً لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدُ
وَدَعَّ قَوْلَهُ (لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً) وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ
إِلَّا بَرَمًا) وَحَاشَا مَجْدَهُ وَعُلَاهُ وَصِدْقَ لَهْجَتِهِ أَنَّ يُجَابِي
نَفْسَهُ ، فَيَصِفُهَا بِاللَّسِّ فِيهَا ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ أَذْهَبَ
اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا ،

(الثَّانِي) - وَهُوَ الرِّكْنُ الْأَعْظَمُ وَالْقَاعِدَةُ الْكُبْرَى -
نُصْرَةُ دِينِ اللَّهِ وَحَايَةُ سُنَّةِ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَقَدْ ضَرَبَ
- كَمَا قَالَ أَبُوهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَنْفَ أَمْرِ زَمَانِهِ وَعَيْنَهُ ،

وَقَلْبَ ظَهْرِهِ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ يَرَلَهُ إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ
بِمَاجَاءِ بِهِ جَدُّهُ مُحْتَمِدٌ ، وَهَاتَمُنْ نُبَيْنٌ لَكَ مَا سَتَطِيعُ
- كَمَا يَحْتَمِلُهُ مَوْضُوعُ الْكِتَابِ - مِنْ وَجْهِ نَصْرِهِ لِدِينِ جَدِّ
فِي هَضْمَتِهِ لِأَعْلَاءِ مَنَارِهِ وَاسْتِشْهَادِهِ فِي سَبِيلِ بِنَاءِ مَجْدِهِ ،
وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ،

(الْأَوَّلُ) لَا إِخَالَ أَحَدًا بِشَيْءٍ أَنْ مُعَاوِيَةَ أَعْظَمَ
مُدَاوَاةً لِأَبْنَاءِ زَمَانِهِ مِنْ يَزِيدَ ، وَيَزِيدُ أَسْرَعَ انْقِبَادًا
لِمَبُولِهِ وَأَهْوَاؤِهِ وَعَدَمِ اكْتِرَائِهِ بِمَا سَجَّرَ عَلَيْهِ الْعَاقِبَةُ وَبِمَا يُثْمِرُ
لَهُ هَذَا الْأَسْتِهْتَارُ وَالْخَلَاعةُ وَالْجُونُ ، وَقَدْ هَاهُ مُعَاوِيَةُ
عَنِ الْجَهْرِ بِهَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ (وَوَيْلٌ لِمَنْ كَفَرَهُ التَّمْرُودُ)
فَإِذَا قَضَى مُعَاوِيَةُ غِلَافَتَهُ بِسَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْكِتَابَةِ
عَنْ سَبِّهِمَا بِسَبِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَفْتَرَى يَزِيدُ لَا يَقْضِي حَيَاتَهُ بِسَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ جَهْرًا وَبَصْرًا
الْمَقَالِ وَطَيِّ الْمَقْدَمَاتِ ، مِنْ دُونِ حَاجَةٍ إِلَى الْكِنَايَةِ وَ
التَّوْرِيَةِ ، فَهَرَانِ الظُّرُوفِ الَّتِي حَاطَتْ بِنَهْضَةِ الْحُسَيْنِ
أَخَذَتْ بِمُخْنَقِ يَزِيدَ^(١) وَارْتَمَتْهُ أَنْ يَقْسِرَ نَفْسَهُ ، وَيُرِيدَ أَنْ
يُسَبِّطَ عَلَيْهَا ، فَيُظْهِرَ مَظْهَرَ مُحِبِّ الْحُسَيْنِ حَتَّى يَبْكَاهُ وَانْكَرَانَ
يَكُونُ أَمْرَ يَقْتُلِهِ ، وَعُضَّ أَصْبَعَهُ نَدْمًا عَلَى مَا فَرَطَ بِزَعْمِهِ مِنْ
عَامِلِهِ ابْنِ زِيَادٍ ، وَامْرُسُوتَهُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُنَّ

(اُنْدُبْنَهُ فَانَّهُ صَرْحَةٌ قَرِيشٍ) ، وَوَاللّٰهُ لَوْ لَمْ يُقْتَلِ الْحُسَيْنُ ،
لَا كَلَّ زَيْدُ سَبْرِهٖ اَبِيهِ وَاتَمَّتْهَا سَبُّ الرَّسُولِ جَهْرًا وَسَبَّ اللّٰهِ
عَلَنًا لَا سِرًّا ، اَمَّا تَرَاهُ فِي بَعْضِ الْاَحْيَانِ اِذَا جَاسَتْ بِهِ
عَوَاطِفُهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعْ كَيْحَ جِمَاحِ هَوَاهُ ، يَضْرِبُ بِمِخْصَرَتِهِ
تَغْرِ حَفِيدِ رَسُولِ اللّٰهِ ، بَعْدَ انْكَارِهِ فِي مَلَأَةِ الْحَاشِدِ لِرِسَالَةِ
نَبِيِّ اللّٰهِ وَمُصْطَفَاهُ قَائِلًا ،

لَعِبْتُ هَاشِمُ بِالْمَلِكِ ، فَلَا خَيْرَ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ تَزَلُ
ثُمَّ يَا مُرْخَطِبَهُ اَنْ يَرِنِ الْمُنْبَرُ وَيُسَبَّ عَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَ
الْحُسَيْنَ ، وَهَكَذَا فَعَلَ عَدُوُّ اللّٰهِ ، فَاِنَّ هَذَا السَّبَّ وَهَذَا
الْاِنْكَارَ لِرِسَالَةِ الرَّسُولِ هُوَ مُقْتَضَى طَبْعِهِ وَعَفْوُ قَرْمِجَتِهِ ،
وَذَلِكَ الثَّنَاءُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَالنَّدَمُ عَلَى قَتْلِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبَبٌ
اِلَّا قَتْلُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ قَدْ تَكَلَّفَ ذَلِكَ
(مَكْرُهُ اَخَاكَ لَا يَبْطُلُ)

(اَلثَّانِي) ، لَقَدْ ذَكَرَ اللّٰهُ الْاُمَمَ الَّتِي هَلَكَتْ بِدَعْوَةِ
اَنْبِيَائِهِمْ وَرُسُلِهِمْ - مُبَكِّئًا عَلَيْهِمْ - بَعْدَ اَنْ كَذَّبُوهُمْ وَ
اصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَادًا كَمَا قَالَ تَعَالٰى (حَتّٰى اِذَا اسْتَسْيَا
الرَّسُلُ وَظَنُّوْا اَنْهُمْ قَدْ كَذَّبُوْا جَآءَهُمْ نَصْرُنَا) وَالْحُسَيْنُ اَرْسَلَهُ
عَلَى يَدِ جَدِّهِ رَسُولِ اللّٰهِ ، لِاصْلَاحِ الْمَجْتَمَعِ الْاِسْلَامِيِّ ، وَقَدْ
تَدَهَوْرَتْ اخْلَاقُهُ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ اِلَى حَدِّ بَعِيدٍ ،

وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ دَعَاهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، وَحَلَفُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ
الْمُغْلَظَةِ أَنْ يَتْرَكَوا بَنِي أُمَيَّةَ أَعْدَاءَ دِينِهِ ، وَلِبُوجِّهِمْ
لَوَجْهِ الْحَقِّ ، وَمَا خَرَجَ أَشِيرًا وَلَا بَطِيرًا ، فَأَحْيَا مَعَهُ
تَارِيخَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، وَجَاءَهُ نَصْرُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، كَمَا نَصَرَ
رُسُلَهُ الْكَرَامَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، فَهَلَكَتْ تِلْكَ الْأُمَمُ بِالْعَرَقِ
وَبَصِيحَةِ جَبْرِئِيلَ بِالرَّيْحِ الْعَقِيمِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَ
هَلَكَتْ أُمَّةُ الْكُوفَةِ بِأَنْ غَرِقَتْ بِدَمِهَا مِنْ سَيْفِ الْحُسَيْنِ وَ
انْصَارِ الْحُسَيْنِ ، كَمَا قَالَتْ شَقِيقَةُ الْحُسَيْنِ (إِنَّ أَخِي مَا
تَرَكَ دَارًا بِالْكُوفَةِ إِلَّا وَفِيهَا نَارٌ أَوْ نَارٌ) وَهَلَكَتْ بَقِيَّةُ
سَيْفِ الْحُسَيْنِ بِدُعَاءِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ آفَأَ ضَلَّ اللَّهُ عَلَى
عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ لَهُ فِيهِمْ ، حَيْثُ قَالَ (اَللَّهُمَّ
إِخْلِسْ عَنْهُمْ قَطْرَ السَّمَاءِ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَنِي
يُوسُفَ ، وَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غَلَامَ ثَقِيفٍ - يُرِيدُ بِهِ الْمُخَنَّا -
يَسْقِيهِمْ كَأْسًا مُصَبَّرَةً ، وَلَا يَدْعُ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا قِتْلَةً يَقْتُلُهُ
وَضَرْبَةً بِضَرْبِهِ ، يَنْتَقِمُ لِي وَلِأَوْلِيَائِي وَأَهْلِ بَيْتِي وَأَشْيَاءِ
مِنْهُمْ ، فَاتَّخَذُوا غُرُونًا وَكَذَبُونَا وَخَذَلُونَا ، وَأَنْتَ
رَبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) أَمَّا ابْنُ
سَعْدٍ ، فَقَدْ أَخْبَرَهُ بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِ خَاصَّةً مُنَاصِحًا لَهُ ،
حَيْثُ قَالَ أَدْعُو إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَدُعِيَ لَهُ - وَكَانَ كَارِهًا

لَا يُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَهُ - فَقَالَ (يَا عَمْرَأَنْتَ تَقْتُلْنِي ، وَ
تَزْعُمُ أَنَّ بُولِيَّكَ الدَّعِيُّ بْنُ الدَّعِيِّ بِلَادَ الرَّبِّ وَجُرْجَانُ ،
وَاللَّهُ لَا تَهْتَنِي بِذَلِكَ أَبَدًا ، عَهْدًا مَعَهُودًا ، فَاصْنَعْ مَا
أَنْتَ صَانِعٌ ، فَإِنَّكَ لَا تَفْرَحُ بَعْدِي بِدُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ ،
وَلَكَأَنِّي بِرَأْسِكَ عَلَى قَصَبَةٍ قَدْ نَصِبَ بِالْكُوفَةِ ، يَتَرَامَاهُ
الصُّبْيَانُ وَتَجِدُونَهُ غَرَضًا بَيْنَهُمْ) ، وَإِلَّا فَقَدْ كَانَ الْمَخْنَارُ
نَفْسَهُ لَمْ يَجِدْ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يُصَدِّقْ مَا حَدَّثَهُ بِهِ
الْيَقَاتُ مِنْ أَنَّهُ سَيَجُومُنُ سَيْفُ ابْنِ زِبَادٍ وَسِجْنُهُ ، ثُمَّ
يَتَوَلَّى قَتْلَهُ وَقَتْلَ جُنُودِهِ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ بِأَمْرِهِ ، وَعَلَى
رَأْسِهِمْ ابْنُ سَعْدٍ الَّذِي وَعَدَهُ الْحُسَيْنُ ، فَكَانَ قَتْلُهُ عَلَى يَدِ
الْمُحْتَا ، بِغَمٍّ وَاللَّهِ

أَنَّهُ يَسْأَلُ حَقًّا فَيُجَاب

دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، لَا رَدَّ لَهَا

نَقُولُ فَقَدْ خَصَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَفَضَّلَهُ عَلَى سَلَفِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
بِأَنَّهُ حُطِيَ لَدَيْهِ بِالشَّهَادَةِ ، وَأَدْرَكَ غَرَضَهُ مِنْ هِدَايَةِ
أُمَّةٍ جَدَّ حَبْثُ نَهْضِ ارَادَةِ إِصْلَاحِهَا وَهَدَايَا ، وَهَلَكَتْ
الْأُمَّةُ الَّتِي مَارَضَتْهُ بِأَنَّهُ يَشُقُّ طَرِيقَهُ إِلَى مَقْصَدِهِ ،
فَغَرَّقَتْ مِنْ سَيْفِهِ بِدِمَائِهَا وَمِنْ دُعَائِهِ بِبَوَارِهَا ، وَقُطِعَ
دَابِرُ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
(الثَّالِثُ) قَتْلُ بَنَوَائِمِيَّةِ الْحُسَيْنِ ، وَنَسْوَا اللَّهَ

فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ وَأَسْتَدْرَجَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ لِيَكِيدَ
لَهُمُ الْكَبِدَ الْمَتِينَ ، وَلِيَجْعَلَهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ
غَزَى زَيْدٌ هَذَا الْأَسِيدَ دَاجٍ وَخَدَعَهُ هَذَا الْأَمْلَاءُ لَهُ ،
فَعَقَبَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ بِوَأَقَعَةِ الْحَرَّةِ ، وَأَخَذَ جَلِيثَهُ بِخَوْصِ
بِدِ مَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
بَلِيًّا لِبِهَا لِرَجَالِهِ الْأَشْقِيَاءِ الْمُتَوَحِّشِينَ ، وَخَتَمَ أَعْمَالَهُ الثَّلَاثَةَ
فِي سِنِي خِلَافَتِهِ الثَّلَاثِ بِرُحَى الْكَعْبَةِ بَيَّتِ اللَّهُ الْحَرَامَ بِالْمُنْبِقِ
وَعِنْدَهَا أَخَذَ اللَّهُ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ - وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
غَضَبِ الْحَلِيمِ - يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع (وَلَنْ أَمْهَلَ اللَّهُ
الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ ، وَهُوَ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ
طَرِيقِهِ ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَائِمِ مَسَاغٍ رَيْقِهِ) وَأَنْتَهَتْ حَوَالِي
هَلَاكِ زَيْدٍ دَوْلَةُ آلِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَقَامَتْ عَلَى انْقِاضِهَا
دَوْلَةُ مَرْوَانَ وَالِ مَرْوَانَ ، أَمَّا امْرَأَةٌ مَرْوَانَ نَفْسِهِ فَكَانَتْ
قَصِيرَةً حَقِيرَةً كَلْعَقَةِ الْكَلْبِ انْفَهْ ، كَمَا اخْبَرَ عَنْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
قَبْلَ وَقُوعِهَا ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ أَوَّلُ الْكُشِيِّ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ
الْمَلِكِ ، فَكُتِبَ إِلَى عَامِلِهِ الْحَجَّاجِ (جَنَّبَنِي دِمَاءَ بَنِي عَلِيٍّ ،
فَإِنِّي رَأَيْتُ آلَ أَبِي سُفْيَانَ هَلَكُوا بِأَرَاقِهَا) وَلَكِنَّ ابْنَةَ الْأَهْلِ
الْمَشُورَةِ هُشَامًا لَمْ يَعْتَبَرْ كَمَا اعْتَبَرَا بُوهُ ، بَلْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ
سَيَسْتَدْرِجُهُ وَيَمْلِي لَهُ كِيَزِيدَ ، فَقَتَلَ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ

(الْأَنْقَاضُ جَمْعُ انْقِضَ : اسْمُ الْبِنَاءِ الْمَقْرُوفِ أَوْ الْهَدْمِ)

وَصَلَبَهُ عُرْبَانًا بَعْدَ الْقَتْلِ أَرْبَعِ سِنِينَ ، ثُمَّ كَتَبَ
إِلَى عَامِلِهِ أَشَقَى ثَقِيفٍ أَنْ أَنْزَلَ عِجْلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَحْرَقَهُ
وَذَرَاهُ فِي الْهَوَاءِ ، وَهَكَذَا فَعَلَ الرَّجْسُ الزَّيْنِمُ ، فَاسْتَاءَ
رَأْيُ الْأُمَّةِ الْأِسْلَامِيَّةِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ كَافَّةً سَفِيَاءِ بَنِيهِمْ
وَمَرُوءَانِيهِمْ ، وَخَرَجُوا مِنَ النُّفُوسِ جَمْعَاءَ ، وَفَجَّتُهُمْ مَجْمُوعَةً
الْبَشَرِ ، وَهَكَذَا انْتَهَتْ دَوْلَتُهُمْ بِتَارِيخِهَا الْمُسَوِّهِ الْمَقُوتِ ،
غَيْرَ مَا سَوْفَ عَلَيْهَا ، وَشَتَّى بِسَبَبِ طَلَبِ ثَارِ الْحُسَيْنِ وَ
زَيْدٍ مِنْهَا انْتَرَأَ بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَى كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ ، وَصَبَحَتْ
دَوْلَةُ بَنِي مَرْوَانَ فِي السَّجَلِ الْأَسْوَدِ مِنْ خَبَرِ كَانَ ، تَبَعًا لِلدَّوْلَةِ
الَّتِي قَتَلَتْ الْحُسَيْنَ مِنْ آلِ أَبِي سَفْيَانَ ،

(الرَّابِعُ) لَقَدْ صَحَّ فِي التَّارِيخِ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا
بَلَغَ الْحَالَ بِهِ فِي فُسُوقِهِ وَفُجُورِهِ أَنَّ شَرِبَ الْخَمْرَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ
بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَقَدْ كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ عَلَى وَحْشَتِهَا وَ
هَجْيَتِهَا تُحَرِّمُ الصِّيدَ فِي حَرَمِهَا أَرْبَعَةَ فَرَاسِخٍ مِنْ أَرْبَعَةِ جَوَانِبِهَا
وَهَرَى الرَّجُلُ مِنْهُمْ قَاتِلَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، فِي هَذَا الْحَرَمِ فَلَا
يَتَعَرَّضُ لَهُ بِسُوءٍ مِنْ هَتْدِيدٍ وَتَوْعِيدٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَشَأَ مِنْهُ
وَكَانَ ذَلِكَ عَفْوًا لَطِيعًا وَمُقْتَضَى الْعَادَةِ ، وَإِلَّا فَانَّهُمْ لَا يَدِينُونَ
بِدِينٍ ، وَلَا يَأْتُونَ بِكِتَابٍ ، وَجَاءَ الْأِسْلَامُ فَرَادَ فِي حَرَمِهَا
وَعَظَمَتِهَا مَا تَقْتَضِيهِ شَرِيعَةُ الْعِظَمَةِ وَبِفَرَضِهِ دِينُ الْحَقِّ

وَالْعَفْوُ وَالرَّحْمَةُ ، وَاسْتَفْتَحَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ هَذَا يَوْمًا
 بِالْقُرْآنِ ، فَجَبَّهَهُ الْقُرْآنُ بِمَا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ وَاعْتِبَارُهُ
 الْمُنَاسِبُ لَهُ ، (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)
 فَغَضِبَ عَدُو اللَّهِ عَلَى الْقُرْآنِ وَنَهَكُمُ بَيْنَ أَنْزَلِ الْقُرْآنَ ،
 وَقَامَ وَقَعَدَ ، وَطَغَى وَتَمَرَّدَ ، وَتَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ ، وَ
 كَفَرَ وَفَجَّرَ ، فَجَعَلَ الْقُرْآنَ غَرَضًا لِلِإِسْهَامِ وَهَدَفًا لِلنُّشْأِ
 وَقَدْ انْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ غَضَبًا ، وَأَسْوَدَ وَجْهُهُ غَيْظًا وَحَفَا
 وَأَشْدَدَهُ

هَذَا دُنِيَ بِجَبَّارٍ عَنِيدٍ وَهَذَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
 إِذَا مَا جِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ جَشْرِ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَقْنِي الْوَلِيدُ
 وَلَا إِخَالَكَ تَشْكُ أَنَّ ابْنَ مُعَاوِيَةَ يَزِيدُ ، لَا يَقِلُّ بِأَسْنِهِ نَارُهُ
 وَفَجْورُهُ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، كَلَّا لَعَنُوكَ بَلْ هُوَ عَلَيْهِ رَبُّو
 وَيَزِيدُ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى نَفْسَهُ قَدْ انْفَضَحَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ
 وَأَخَذَتْهُ الْأَلْسِنَةُ مِنْ جَمِيعِ أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ ، حَتَّى فِي عَامِنَا
 الشَّامِ الْمَشْرُومَةِ ، بَلْ فِي دَارِهِ قَهْرَ طَبِيعَتِهِ ، وَسَبَطَ عَلَى تَحْبِيرِهِ
 وَأَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَظْهَرَ مَحَبَّةٍ لِلثَّقَلَيْنِ ، صَدَقَ فِي حَمِيمٍ لِلْعِتْرَةِ
 وَالْقُرْآنِ ، فَيَقُولُ فِي الْعِتْرَةِ ثِقَلِ النَّبِيِّ الْأَصْغَرِ (لَعَنَ اللَّهُ
 ابْنَ مَرْجَانَةَ ، عَجَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ صَاحِبَهُ لَعَفَوْتُ
 عَنْهُ ، ثُمَّ يَا مَرَا سَفِيَانِيَاثَ مِنْ عَائِلَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ،

(اُنْدُبْنَهُ فَلَعَمْرِي اِنَّهُ لَصَرِيحَةٌ قُرْشٍ) ، وَامَّا الْقُرْآنُ
ثَقُلَ النَّبِيُّ الْاَكْبَرُ فَتَرَاهُ يَخْضُ الْأُمَّةَ الْاِسْلَامِيَّةَ عَلَى
تِلَاوَتِهِ ، وَيَحْتَمُّ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَأَنْ لَا يُفَارِقُوهُ اِنَاءَ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، حَتَّى جَعَلَهُ اجْزَاءً وَامْرَبَتْفَرِيقُهَا عَلَى اَفْرَادِ
كُلِّ كُتْلَةٍ وَجَمَاعَةٍ تَجْتَمِعُ فِي مَسْجِدٍ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ غَرَضُهُ
اَنْ يَلْهُوَا بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَنِ الْخَوْضِ فِي حَدِيثِ قَتْلِ
الْحُسَيْنِ - لِاَنَّهُ كَانَ وَلَا يَزَالُ حَدِيثَ الْبَرَادِيِّ الْمَجَالِسِ
وَيَشْغَلُهُمْ عَنِ الْفَحْصِ الدَّقِيقِ عَنْ تَعْيِينِ قَاتِلِهِ ، فَيَنْتَهِي
بِهِمُ السَّقَبُ وَالتَّدْقِيقُ اِلَيْهِ ، اَجَلُ رَيْكَادُ الْمُرِيْبِ
يَقُولُ خُذُونِي) وَاِنَّكَ تَعْتَقِدُ مَعِيَ اَنَّهُ لَوْلَمْ يُقْتَلَ
الْحُسَيْنُ ثَقُلَ النَّبِيُّ الْاَصْغَرُ لَسَكِرَ يَوْمًا خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ
هَذَا وَاحْرَقَ كُلَّ نَخْلَةٍ تَوَجَّدَ عَلَى جَدِيدٍ لَا رِضٍ مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ الثَّقَلِ الْاَكْبَرِ ، بَدَلًا عَنْ تَحْزِينِ الْوَلِيدِ لَوَاحِدَةٍ
مِنْ نَخْلِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَجَعَلَهُ غَرَضًا لِلنَّشَابِ ،
حَيْثُ هَدَدَهُ بِحَبَارِ عَنَبٍ ، اِذَنْ فَالْحُسَيْنُ قَتِلَ
لَا حِبَاءَ الْقُرْآنِ ، وَكَأَنَّهُ يُشِيرُ اِلَى ذَلِكَ بِلِصْرَحٍ ،
حَبْمًا يَرْثَلُ آيَ الْقُرْآنِ بِرَأْسِهِ الْمُقْطُوعِ الْمَرْفُوعِ عَلَى رَاسِ
السِّنَانِ فَيَتْلُو (وَمَا دَبَّكَ بِغَا فِلِ عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ)

غَيْرَ أَنَّ يَزِيدَ دُبًّا ضَجِرَ مِنْ هَذَا الْخُرُوجِ عَلَى طَبْعِهِ
 (وَالطَّبْعُ يَغْلِبُ التَّطَبُّعَ) فَنَفَجَ بُرْكَانٌ عَوَاطِفِهِ وَ
 تَحْتَدِمُ وَقْدَةُ كَفْرِهِ وَالْحَادِدُ ، فَبَايَ بَا عَظَمَ مِنَّا
 أَنِّي بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، كَمَا قُلْنَا إِنَّهُ يَرْبُو عَلَيْهِ وَيَزِيدُ
 أَجَلَ فَقَدْ شَرِبَ الْوَلِيدُ الْخَمْرَ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الَّذِي بَنَاهُ
 خَلِيلُ اللَّهِ مِنَ الطَّيْنِ وَالْحَجَرِ ، وَشَرِبَ يَزِيدُ فَسَكِرَ ،
 وَصَبَّ فَضْلَةَ الشَّرَابِ - اللَّهُ أَكْبَرُ - عَلَى بَيْتِ اللَّهِ
 الْحَقِيقِيِّ الَّذِي خَلَقَهُ بِبِدْعَظَمَتِهِ وَبَنَاهُ مِنْ مَعْدِنِ
 الْحِكْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالْعِصْمَةِ قَائِلًا (مَا شَرِبْنَا أَلَدًا
 مِنْ هَذَا الشَّرَابِ وَرَأْسُ عَدُوِّنَا بَيْنَ أَيْدِينَا ،
 وَنَحْمَدُ رَبَّ الْعَرْشِ شُكْرًا بِقَتْلِهِ وَكَانَ فَتًى لَا يَعْرِفُ الْحَمْدَ الشُّكْرَ
 وَلَكِنَّهُ صَبَّ الْخُمُورِ ، فَمَالَهُ
 يَصُبُّ إِذَا الرَّاسِ رَأْسِ التَّقَى خُمْرًا



*(وَاتَّشِعْ حَسْبِي) *

يَقُولُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ الْمُعْتَزِلِيُّ فِي كِتَابِهِ شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
وَلَوْلَا أَبُو طَالِبٍ أَبْنُهُ لَمَا مَثَلَ الدِّينُ شَخْصًا وَقَامَا
فَذَلِكَ بِمَكَّةَ آوَى وَحَا وَهَذَا بِيَثْرَبَ جَسَّ الْحُسَامَا

أَجَلَ لِقَدُمَاتِ وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَهُوَ حَمَلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ
فِي أَشْهُرِ الرُّوَابَاتِ ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا مِنْ أُمِّهِ وَ
أَبِيهِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ سِنِي عُمْرِهِ الشَّرِيفِ ،
فَكَفَلَهُ جَدُّ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ، وَعَلِمَ مِنَ الرُّوْيَا - وَالرُّوْيَا
الضَّادِ قَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءً مِنَ النَّبُوَّةِ - وَمِنْ إِتِّصَالِهِ
بِأَهْلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ كَالْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ وَمِنَ الْكَوَاهِينِ وَ
الْكُفَّانِ ، أَنَّ سَكُونَ لِابْنِهِ هَذَا الْبَيْتِ شَأْنٌ مِنَ الشَّانِ
وَسَبْدُ عُوَالِ الْخَلْقِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَبْلُغُ دَعْوَتُهُ
مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْخَافِرِ (وَالْمَكْرُمَاتُ كَثِيرَةٌ الْحُسَادِ)
فَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكْثُرَ حَسَادُهُ ، وَتَوَافَرَ عَدَاؤُهُ
وَأَضْدَادُهُ ، لَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالْأَبْعَدِينَ الْأَجَانِبِ ، بَلْ
قَهْوُنُ عَدَاوَةِ أَوْلَئِكَ إِلَى جَنْبِ عَدَاوَةِ الْأَقَارِبِ ، لِذَلِكَ
اخْتَارَ أَبَا طَالِبٍ مِنْ بَنِيهِ لِأَنَّهُ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ ،
وَلِمَا وَجَدَ مِنْ حُبِّهِ لَهُ وَحَدَبِهِ عَلَيْهِ ، وَلِمَا أَلِفَهُ مِنَ النَّصْرَةِ

وَالشَّجَاعَةِ وَصَدَقَ الْعَزِيمَةَ فِيهِ ، فَعَهْدَ الْبَاءِ
أَنْ يَكْفُلَهُ وَيُؤْوِيَهُ ، وَيَنْصُرَهُ وَيُجَبِّبَهُ ، وَجَعَلَ اللَّهُ
عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَكَفَى بِهِ شَاهِدًا وَكَفِيلًا ، فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ
بِحِمَايَتِهِ وَإِبْرَانِهِ ، كَأَمْرٍ أَبِيهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَفَدَا
بِنَفْسِهِ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنَ الْقَتْلِ ، وَغَامَرَ بِجَبَانِهِ دُونَ
وُصُولِ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ لِابْنِ أَخِيهِ الْيَتِيمِ الْكَرِيمِ ، وَلَمْ تَزَلِ
الْأَرْهَاصَاتُ تَتَوَالِي بِبِشَارَتِهِ أَنْ سَبُولَ مَنْ صُلِبَ لَهُذَا
النَّبِيِّ أَقْوَى سَاعِدٍ ، وَأَعْظَمُ مُعِينٍ وَمُسَاعِدٍ ، وَسَيَكُونُ
لَهُ وَصِيًّا ، وَتَحَقَّقَ ذَلِكَ لَمَّا هَتَفَ بِهَا يَتُفُ السَّمَاءُ أَنْ سَمِعَهُ
عَلِيًّا ، هَذَا عِلَاقَةٌ عَلَى مَا رَأَى مِنْ خَرَقِ الْعَادَةِ فِي حِمْلِ
هَذَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ ، وَاشْرَاقِ الْعَالَمِ وَاهْتِرَازِهِ فَرَحًا وَطَرَبًا
لِوِلَادَةِ هَذَيْنِ الْجَنِينَيْنِ ، وَآخِذِ الْوَلَدِ يَمُودِي الشَّهْرِكَ
يَمُودِي فِي السَّنَةِ ، وَقَدْ مَلَأُ السُّرُودُ قَلْبَ أَبِيهِ أَنْ رَأَى
الْأَلْفَةَ تَمُودُ أَعْظَمَ مِنْ تَمُودِ الْجَسَدِ بَيْنَ وَلَدِهِ الْجَدِيدِ وَبَيْنَ
حَبِيبِهِ ابْنِ أَخِيهِ ، وَإِذَا خُلِقَ عَلَيٌّ لِنَايَةِ نَصْرَةِ مُحَمَّدٍ ، وَ
إِذَا رَأَى أَبُو طَالِبٍ وَلَدَهُ يَمُودِي فِي الشَّهْرِكَ يَمُودِي فِي السَّنَةِ ،
حَتَّى مَضَتْ عَلَى ذَلِكَ سِنُونَ ، فَكَانَ فِيهِ الْقُوَّةُ الْكَافِيَةُ لِحِمَايَةِ
مُحَمَّدٍ ، بَلِ الْقُدْرَةُ الْعَظِيمَةُ لِنَصْرِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، فَمَا مَنَعَهُ أَنْ
يُدْفِعَهُ إِلَيْهِ لِيَفْدِيَهُ بِنَفْسِهِ أَحْسَنَ فِدَاءٍ ، وَلِيَقْبَهُ بِمُحِبَّتِهِ

- فتدبر له ان عليا نصر محمدا، بمنطق آية المبالغة، وهم كاهن نور واحد ما عمل

شَرَّ الْأَعْدَاءِ ، مَعَ أَنَّهُ بَرَى ابْنَهُ يُحِبُّ بِهَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ ،
وَكَبِيرُ مَنْ أَبِيهِ هَذِهِ أَلَيْدٌ ، وَيَشْكُرُهُ هَذِهِ النِّعْمَةُ ،
الَّتِي خَصَّهُ بِهَا دُونَ إِخْوَتِهِ الثَّلَاثَةِ ، وَكُلَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْهُ
(وَرُبَّ صَغِيرٍ فِي الْحَالِ كَبِيرٌ) فَاخَذَ عَلِيٌّ بِتَبَعِ الرَّسُولِ
اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَاتِهِ وَيُلَازِمُهُ مُلَازِمَةً ظَلِيَّةً ، كَمَا قَالَ فِي
هَجَجِ بِلَاغَتِهِ (وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ
أَن كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ
الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ اخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ ،
وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَاتِهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي
كُلِّ يَوْمٍ مِنْ اخْلَاقِهِ عِلْمًا ، وَيَأْمُرُنِي بِالْأَقْدَاءِ بِهِ ، وَ
لَقَدْ كَانَ يَجَاوِرُنِي كُلَّ سَنَةٍ بِحِرَاءٍ ^(١) ، فَأَرَاهُ وَلَا أَرَاهُ غَيْرِي ،
وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ هُوَ مُثْنِي فِي الْأَسْلَامِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ وَ
خَدِيمِهِ ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ فِي الرِّسَالَةِ ،
وَأَشْتَمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ
نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرِّنَةُ
فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ
مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ ، وَلَكِنَّكَ
وَزِيرٌ ، وَأَنْتَ لَعَلَى خَيْرٍ ، وَجَاءَ جِبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَ
إِسْرَافِيلُ يَوْمًا إِلَى النَّبِيِّ ، وَهُوَ نَائِمٌ بِالْأُطْحَى عَلَى سَاعِدِهِ ،

(١) حِرَاءٌ عَلَى وَرْدٍ كِتَابٌ جَبَلٌ فِي أَعْلَى مَكَّةَ كَانَ فِي غَارِهِ ابْتِدَاءُ نَزُولِ

والتشيع حسبي* (٨٣) *

واستمع إليه مجذثنا ، والحديث منه أعذب أحلى
 قال : رقدت بالابح على ساعدي ، وعلى عن يميني
 وجعفر عن يساري . وحزرة عند رجلي . قال قتل
 جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، ففرحت لحقق أجنتهم
 قال فرغت رأسي فاذا اسرافيل يقول لجبرئيل الى اي
 الاربعة بعثت وبعثنا معك ، قال فرس برجله ،
 فقال الى هذا ، وهو محمد سيد النبيين ، ثم قال من
 هذا الآخر ، قال هذا اخوه ووصيه ، وهو سيد الوصيين
 ثم قال من الآخر ، قال جعفر بن أبي طالب ، له جناحان
 خضيبان يطير بهما في الجنة ، ثم قال من الآخر ،
 قال عمه حمزة ، وهو سيد الشهداء يوم القيامة ،
 نقول فهل يبقى بعد هذين الحديثين ومات من امثالهما
 شك يخالج قلب منصف ، يطلب الحق لوجه الحق ان
 بذرة الاسلام هي بذرة التشيع ، وقد انزلها الله لرسوله
 على يد ملائكته ، وغرسها بيد رسول الله وكفرها ،
 واخذ يتعاها بالحق في مثل حين نزل عليه قوله تعالى
 (وانذر عشيرتك الاقربين) فجمع بني عبد المطلب ،
 ليبتين لهم انه لم يتخذ عليا وصيا له وخليفة ووزيرا محاباة
 له ، لانه ربيب بيته بل جعل لكل فرد منهم الخيارات في اختيار

هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ وَالْأَسْتِثَارِ بِهَا إِذَا سَبَقَ لِلتَّصَدِيقِ بِرِسَالَتِهِ ،
وَكَمْ عَاوَدَهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ قَوْلًا ، كَيَوْمِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ
وَفَعَلًا كَيَوْمِ مَرْحَبٍ ، فَلَمْ يَجِبْ دَعْوَتُهُ إِلَّا عَلَيَّ ، وَلِلَّهِ
بَضِيعَ صَوْتِ الرَّسُولِ أَدْرَاجَ الزَّيَاجِ قَامَ عَلَيَّ وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ
سِنًا فَأَجْلَسَهُ النَّبِيُّ قَطْعًا لِلْمَعَاذِ بِرُوحُونَ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ
لَوْلَا تَسَرُّعُ عَلَيٍّ لَكُنْتُ الْمَلِيَّةَ لِلدَّعْوَةِ وَعَاوَدَهُمْ فِي ذَلِكَ
ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ أَنَّهُ وَصِيُّهُ وَخَلِيفَتُهُ وَوَزِيرُهُ ،
فَمَتَّ بِذُرَّةِ الْهَدْيِ وَذَكَتْ إِذْ ثَمَرُ الدَّوْحِ تَابِعٌ لِلْبُدُورِ
وَنَزَلَ الْقُرْآنُ تَبَاعًا يَذْكُرُ التَّشْيِعَ وَلَا يَرْبِطُ بِهِ إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَيَذْكُرُ
الْإِسْلَامَ وَلَا يَعْنِي بِهِ إِلَّا التَّشْيِعَ (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ) فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ أَنَا الْمُنْذِرُ ، وَأَنْتَ الْهَادِي ،
(فَإِنْ حِزَّبَ اللَّهُ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ يَا عَلِيُّ
هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ فَإِنْ حِزَّبَ اللَّهُ إِذَا كَانُوا هُمْ الشَّيْعَةَ لَا
يُفْلِحُونَ وَهُمْ شِيعَةُ مَحْسَبِ إِبْنِي لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ وَلَمَّا نَزَلَ ،
(وَأُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قَالَ لَهُ النَّبِيُّ (هُمْ شِيعَتُكَ
وَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ) أَفَتَرَى تَكُونُ الشَّيْعَةُ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ،
وَهُمْ شِيعَةُ لَا مُسْلِمُونَ ، وَكَادَتْ الْمُعْجَزَاتُ الصَّادِرَةُ
عَلَى يَدِ الرَّسُولِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مُعْجَزَةً الْمُعْجَزَاتِ ، فَكَانَ
التَّخْلُصُ الصِّحَاحِي بِحَبِّي مُحَمَّدًا بِالرِّسَالَةِ وَعَلِيًّا بِالْوَصِيَّةِ وَالْوَلَايَةِ

وَكَانَتْ الْحِجَابَةُ الَّتِي بَرَّهَ بِهَا الْكَفَّارُ تَمْرَ عَلَيْهِمَا وَتَحِيَّهُمَا نَحْبَهُ
 النَّمْلُ الصَّيْحَانِي ، وَجَاءَتِ الشَّجَرَةُ تَحْدُ الْأَرْضَ خَدًا ،
 كَمَا اقْتَرَحَ ذَلِكَ قُرَيْشٌ عَلَى النَّبِيِّ ، فَوَضَعَتْ غُصْنَهَا الْأَعْلَى
 عَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ ، وَبَعْضَ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِ عَلِيٍّ ،
 تُشِيرُ إِلَى النُّبُوَّةِ وَالْوَصِيَّةِ ، فَكَانَتْ بَرَاهِينَ الْإِسْلَامِ وَمَعْجَزَاتِهِ
 دَلَائِلُ التَّشْيِيعِ وَأَيَّانِهِ ، وَكَانَ تَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ مِنْ صَمِيمِ دَعْوَةِ
 الْإِسْلَامِ ، فَكَانَ يَرْكَبُ النَّبِيُّ لَغَابَةَ تَحْطِيمِهَا عَلَى كَتِفِ
 الْوَصِيِّ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْهَضَ بِهِ أَوْ يَنْوِيَ قَيْدَ شَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ
 وَهُوَ الْبَاسِلُ قَوِيَّ الْعَضَلَاتِ عَظِيمُ الْكَرَادِيْسِ (١) ، وَلَكِنْ لَدَوْهُ
 لَا تَرْسُو عَلَى فُرُوعِهَا وَأَغْصَانِهَا ، بَلْ تَثْبُتُ عَلَى صَلْبِهَا
 وَجُذُودِهَا ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ رِجْلَا عَلِيٍّ عَلَى مَنْكِبِ مُحَمَّدٍ
 فَهَضَبَ بِهِ إِلَى تَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ وَرَمِيهَا عَنْ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَوَجَدَ
 الْوَصِيُّ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوَاضِ النَّبِيِّ بِهِ مَا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَتَنَاوَلَ
 الْكَوَاكِبَ الثَّوَابِتَ فَيَقْلَعُهَا مِنْ فَلَاحِهَا لَأَسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا
 هَذَا وَفِي ظَنِّي أَنَّ الْكَفَّارَ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ دَعْوَةَ
 الْإِسْلَامِ هِيَ دَعْوَةُ التَّشْيِيعِ وَدَعْوَةُ التَّشْيِيعِ هِيَ دَعْوَةُ
 الْإِسْلَامِ وَلَعَلَّهُمْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْ تَوْبِهِ مُحَمَّدٍ بِهِ لَذَلِكَ لَمْ
 يَأْسَفُوا أَنْ لَمْ يَنْظُرُوا بِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدٍ ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا
 بَيْنَ قَتْلِهِ وَقَتْلِ مَا مِمَّا الشَّيْعَةِ عَلِيٍّ ، فَقَالُوا (لَا بُنَايَ

(١) تَقْهَاشَقَا (٢) الْكَرَادِيْسُ كُلُّ عَظْمٍ مِنَ الْقَبَا فِي مَفْصِلِ

أَصَبْنَا مُحَمَّدًا أَوْ عَلِيًّا (وَحَرِّصُوا عَلَى قَتْلِهِ ، لَا تَقْتُلُوا
 قَتْلَ الشَّيْعِ قَتْلَ الْإِسْلَامِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَصَابُوا بُغْيَهُمْ ،
 وَلَعَلَّ صَاحِبَ الرَّسُولِ فِي الْغَارِ يُشِيرُ بِكَلَامِهِ إِلَى مَا فِيهِمْ
 قُرَيْشٌ حَيْثُ قَالَ لَهُ (لَا أَرَى عَلِيًّا الْآنَ إِلَّا وَقَدْ قُتِلَ فِي
 مَكَانِهِ) وَمُرَادُهُ أَنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا فَإِنَّهُ إِذَا قُتِلَ عَلِيٌّ قُتِلَ
 الشَّيْعُ ، وَقُتِلَ الْإِسْلَامُ ، وَهُوَ مَبْدُوكَ الَّذِي فَزَرْتِ
 طَلَبَ سَلَامَتِهِ وَبُغْيَةَ حَيَاتِهِ ، وَاقْرَأَ الرَّسُولُ عَلَى هَذِهِ
 الْعَقِيدَةِ غَيْرَ أَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ كَمَا نَجَانِي مِنْ كِبْدِهِمْ وَ
 أَنَا فِي الْغَارِ ، فَصَرَفَهُمْ عَنِّي بَعْدَ أَنْ كَانُوا مِنْ قَتْلِ كِتَابِ
 قَوْسَاهُنْ أَوَادُنِي ، كَذَلِكَ نَجَّى عَلِيًّا مِنْ بَطْشِهِمْ بِهِ وَ
 إِرَادَةِ مَكْرِهِمْ فِي تَضْيِيعِ دَمِهِ بَيْنَ قَبَائِلِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا
 فَضَرَهُ عَلَيْهِمْ وَرَدَّهُمْ يَدُوقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِسَبْهِهِمْ الَّذِي
 أَخَذَهُ مِنْ يَدِ مُثِلِ بْنِ مَخْرُومِ الْمُقَدِّمِ عَلَى قَتْلِهِ دُونَ أَصْحَابِ
 خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَلَمْ يُؤْلِهِمْ أَبُو الْحَسَنِ الدُّبْرَ ، وَلَوْ
 تَطَاهَرْتُ عَلَيْهِ الْعَرَبُ كُلُّهَا (وَإِنْ بَصُرْكُمْ اللَّهُ فَمَنْ دَا
 الَّذِي يَجْذُلُكُمْ) وَمَا لَنَا نَطِيلُ عَلَى الْقَارِي كَثِيرًا ،
 وَهَذَا كِتَابُ بَشَارَةِ الْمُصْطَفَى لِشِيعَةِ الْمُرْتَضَى ، وَغَيْرِهِ
 مِنَ الْكُتُبِ الْمَعْدَّةِ لِهَذَا الْغَرَضِ إِذَا رَاجَعَهَا الْمُنْصِفُ وَجَدَ
 مَا نَقُولُ كَالنَّارِ عَلَى الْمَنَارِ وَاعْدَلُ شَاهِدُ قَوْلِهِ لَهُ ،

وَالْتَشِيعُ حَسْبُنِي * (١٧) *

يَا عَلِيُّ مَا أَمَّنَ بِي مَنْ كَفَرَبَكَ ، وَلَا اهْتَدَى إِلَيَّ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْكَ) وَنَحْوُهُ مِمَّا يَطُولُ بَيَعُضُهُ الْأَمْلَاءُ وَأَخَذَ التَّشِيعُ غَزَوَاتِ الْأَسْلَامِ كُلِّهَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَقَامَتْ عَلَى كَاهِلِهِ

أُمِّي الْغَزَوَاتُ خَلَّتْ مِنْهُ هَذَا التَّارِيخُ وَنَقْدُهُ
غَيْرَانِ الْحَسَدِ لِعَلِيٍّ فِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ أَخَذَ يَدُتُ فِي صُدُورِ
مُنَافِسِيهِ وَمَنْ انْضَوَى إِلَيْهِمْ لَا تَهْمُ قَدَاسُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
أَنْ يَشْقُوا غُبَارَهُ وَهَكَذَا جَرَتْ سُنَّةُ الْبَشَرِ فِي كُلِّ عَصْرٍ أَنْ
كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُودٌ ،

(١)
إِنْ يَحْسُدُوكَ عَلَى عُلَاكَ فَإِنَّمَا مُتَسَاوِلُ الدَّجَاثِ يَحْسُدُ مِنْ عِلَالٍ
فَصَارَ لِلْأَسْلَامِ مَعْنَى عَامٌ ، وَلَهُ أَثَارُهُ الْمُخْتَصَّةُ بِهِ ، هـ
كَالْإِطْلَاقِ وَالْمُعَاشِرَةِ وَالتَّوَارُثِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَلَهُ مَعْنَى
خَاصٌّ هُوَ الصَّبْحُ مِنْهُ ، وَهُوَ مَطْلُوبُ الشَّاعِ الْمُعْتَرِعَةِ هـ
بِالْإِيمَانِ وَالتَّشِيعِ ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ
عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَيْهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى (لَا تَقُولُوا
أَمَّنَّا وَقُولُوا اسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)
وَرَأَى الرَّسُولُ أَنَّ تَشَعُّبَ الْأَهْوَاءِ وَالْحَوَادِثِ الْمُنَآخِرَةَ سَبَدَ
إِلَى تَشْجِنِ الْآرَاءِ وَالْعَقَائِدِ وَتَفَرُّعِهَا عَنِ الْأَسْلَامِ بِعَنَاءِ الْعَامِّ
كَأَرَأَى ذَلِكَ فِي أُمَّةِ مُوسَى وَعِيسَى فَقَالَ مُشِيرًا إِلَى الْأَسْلَامِ

(١) أَمَّا عَدَاوَتُهُمْ لَهُ لِأَنَّهُ قَتَلَ صَنَادِيدَهُمْ فِي غَزَوَاتِ الْأَسْلَامِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى

الصَّحِيحُ (سَتَفَرَّقُ أُمَّتِي إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ،
 فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ وَالْبَاقُونَ فِي النَّارِ) وَمِنْ كَثِيرٍ مِنْ رِوَايَاتِ
 هَذَا الْحَدِيثِ التَّصَرُّحُ لِعَلِيٍّ بِتَفْسِيرِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ ،
 (وَهُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ) وَإِذَا دَاوُدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْقَضَاءُ عَلَى
 كُلِّ شَبْهَةٍ تَدْعُو إِلَى عَقِيدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْعَقَائِدِ ، وَتَكُونُ
 فِرْقَةٌ مِنْ هَذِهِ الْفِرَقِ ، إِذَا دَامَ الْمَجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ نُورًا لِحَقِّ
 فَاسْتِصْنَاءٍ بِهِ ، وَإِذَا دَامَ اللَّبَاسُ فِي تَجْبِيلِ الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ
 ضَلَّ وَغَوَى ، فَضَبَّ النَّبِيُّ عَلَيْنَا يَوْمَ الْغَدِيرِ ، حَتَّى قَالَ
 قَائِلُهُمْ (مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ مَا صَنَعَ مُحَمَّدٌ بِابْنِ عَمِّهِ ،
 لَوْ قَدْ رَأَى أَنْ يُصَيِّرَهُ نَبِيًّا لَفَعَلَ) وَجَرَتْ أَحْدَاثٌ وَخُطُوبٌ
 وَأَنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى الْمَلِكِ الْعُزُورِ مَلِكِ مُعَاوِيَةَ ، فَغَاظَهُ
 وَاقْضَ مَضْجَعَهُ أَنْ يَرَى الْإِسْلَامَ رَاسِيًّا عَلَى رُكْنِهِ ثَقَلِي النَّبِيُّ
 الْكِتَابُ الْعِتْرَةِ ، فَجَلَلَ مِنْ بَرِّ الشَّامِ بِقَبْضِ عُثْمَانَ وَجَعَلَهُ
 لَوَاءً لِلشَّامِ مِنْ مُحَمَّدٍ بِالْقَضَاءِ عَلَى دِينِهِ ، بَادِنًا بِالشَّيْعِ ،
 وَإِذَا فَرَّغَ مِنْهُ ثَبَّتَ بِالْإِسْلَامِ الْعَامِ فَلَوَدَجَعَ الزَّمَانُ مَعِيَ بِكَ
 الْقَهْقَرَى لَرَأَيْتُ الشَّيْعَ يُقْضَى عَلَيْهِ فَيَمُوتُ ، وَالْإِسْلَامُ يَمُوتُ
 الْعَامُ يَضَعُ وَيَهْرَمُ وَيَهْدَدُ مِنْ لَدُنْ مُعَاوِيَةَ بِالْخَطَرِ الْعَظِيمِ ،
 (وَمَا هُوَ إِلَّا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ) وَكَيْفَ يَرَى لِلْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ
 أَثَرٌ وَمُعَاوِيَةُ يَقْرِضُ فِي مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ سَبَّ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ ؟

وَاللَّشَّيْخُ حُسَيْنِي * (١٩٠)

وَأَتَى بَقِيَّةَ اللَّشَّيْخِ رَمَقًا ، وَمُعَاوِيَةَ يَجْعَلُ بَنِي أُمِّيَّةَ هُمْ
 أَلْ مُحَمَّدِ الَّذِينَ تَجِبُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ فِي تَشْهَدِ الصَّلَاةِ ،
 بَعْدَ لَا قَرَارِ اللَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَلِحَمْدِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالرَّسَالَةِ ،
 أَمْ كَيْفَ لَا يَقْبَلُ الرَّأْيُ الْعَامُّ طَامَاتٍ مُعَاوِيَةَ الدَّاهِيَةِ ،
 وَهُوَ بَرِيٌّ الْمُعَرَّبِينَ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ كَأَبِي هُرَيْرَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ ،
 يَرْوُونَ لَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا يُوحِيهِ لَهُمْ كَقُرْمُعَاوِيَةَ بِاللَّهِ
 وَالْحَادِيَةَ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَهَذَا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ يَجْبُو
 إِلَى الثَّمَانِينَ ، وَقَدْ حَضَرَ مَعَ الرَّسُولِ وَقَعَةُ أَحَدٍ وَغَيْرُهَا
 فَهُوَ شَهِيدٌ بِالْقُوَّةِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ، يَبِيعُ مُعَاوِيَةَ ضَمِيرُ
 وَوَحْدَانَهُ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَيُوطِنُ نَفْسَهُ عَلَى
 دُخُولِ جَهَنَّمَ وَبِصْعَدِ الْمُنْبَرِ ، وَقَدْ اكْتَفَى الْمَسْجِدُ بِأَهْلِ
 الشَّامِ فَيَقُولُ أَخْرَاهُ اللَّهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ بِأَذَقَتِ
 مَا تَيْنَ وَلَا قُصْمًا أَنَّهُ تَزَلَّ فِي عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمِنْ
 النَّاسِ مَنْ يُجِيبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيُشْهَدُ اللَّهُ
 عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ الَّذِي لِيُخْصَامَ ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي
 الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَهَلِكِ الْخَرْتُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ
 لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) - وَهِيَ وَاللَّهُ تَزَلَّتْ فِي أَعْدَاءِ عَلَى مِنْ
 الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ الَّذِينَ بَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِقَتْلِهِمْ - وَأَنَّ
 قَوْلَهُ تَعَالَى (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتْرِكُ نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ

(١) اكْبَطَ : امْتَلَأَ مِنَ النَّاسِ (٢) وَمَقْدُودٌ عَابَسَهُ عَنْ التَّبِيعِ أَهْمُ شَرِّ الْبَرِيَّةِ يَقْتُلُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (نَزَلَ فِي ابْنِ سُلَيْمٍ قَائِلٌ عَلَيَّ - وَ
هِيَ وَرَبِّ الْعِزَّةِ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَاتَ
عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ -

نَعَمْ قَضَى مُعَاوِيَةُ عَلَى الشَّيْعِ بِبَشْرِ هَذِهِ الْمَبَادِي
فِي مَمْلَكَةِ الْأَسْلَامِ حَتَّى دَرَجَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَتَتَبَعَ
الشَّيْعَةَ قَتْلًا وَسَمًّا وَتَشْرِيدًا وَسَجْنًا وَتَمْشِلًا ، وَلَكِنْ
مَا مِنْ عَائِمٍ إِلَّا وَقَدْ خَصَّ فَقْدَ بَقِي الْحُسَيْنِ مِنْ عِتْرَةِ الرَّسُولِ ،
وَشِرْذِمَةٍ سَهْرَةٍ مِنَ الرِّجَالِ تَتَخَفِي فِي زَوَابِ الْخَمُولِ ، فِي
الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَحَفَنَةٍ مِنَ النِّسَاءِ اللَّائِي سَجَنَهُنَّ عِنْدَ
عُمَالِهِ كَأَمْرَةِ عَمْرِو بْنِ الْحَقِّ الْخُرَاعِي ، وَهَدَدَهُنَّ بِالْقَتْلِ
إِذَا شَخَصَهُنَّ إِلَيْهِ بِحُجَّةٍ رَجَزَهُنَّ يَوْمَ صِفَائِنَ ، وَتَحْرِضَهُنَّ
عَلَى قِتَالِ جَيْشِهِ ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الشُّجَا الْمُعْتَزِّضِ فِي حَلْقِهِ
وَالْقَذَى الَّذِي يَجُولُ فِي عَيْنَيْهِ ، وَادْرَكَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ
يَسْتَرْحِ مِنْهُمْ ، لِيُسْفَرَغَ لِحَقِّ الْأَسْلَامِ بِمَعْنَاهُ الْعَائِمِ ، وَنَعَمْ
بِأَلِهِ فَلَا يَعُودُ يَصْعَقُ بِمَمَاعِ اسْمِ مُحَمَّدٍ فِي الْأَذَانِ وَغَيْرِهِ ، أَوْ
قُلْ لَا يَمَعُهُ إِلَّا بِالسَّبِّ الْمُقْذِعِ الْمُتْرَادِفِ كَسَبَلِ الْآبِي ،
تَبَعًا لِاسْمِ أَخِي عَلِيٍّ ، فَاخَذَ عَلَى عَائِقَةِ خَلِيفَتِهِ هَزْبُ
إِحْمَالِ الْعَمَلِ وَطَرَادَ السَّبْرِ وَنَجَاحَ أُمِّيَّةِ أَبِيهِ الَّتِي دُفِنَتْ مَعَهُ
(وَكَمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَحْتَ التُّرَابِ) فَسَاقَ لَهُ أَمْضُ لِعِتَابٍ قَائِلًا

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتَرْكُهَا إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَلْحِقْ دَأْسَهَا الدُّنْيَا
أَتَقْتُلُ الشَّيْعَةَ وَتَتْرِكُ إِمَامَ الشَّيْعَةِ ، وَتُرِيدَانِ تَحُونِ
الْأَسْلَامَ وَاسْمَ نَبِيِّ الْأَسْلَامِ ، وَلَا تَحْوِثُ قَلْبَهُ عَنْ جَدِّ
الْأَرْضِ ، وَتَقْلَعُ دِعَامَتَهُ مِنْ أَسَاسِهَا ، لِذَلِكَ جَعَلَ
قَتْلَ الْحُسَيْنِ بِأَكُودَةِ أَعْمَالِهِ ، وَزُؤْلَهُ عَلَى حُكْمِهِ لِيَقْتُلَهُ
وَأَنْصَارُهُ بَرَاعَةً اسْتِهْلَالِ خِلَافَتِهِ ، فَإِذَا قَتَلَ الْحُسَيْنَ
وَصَفْوَةَ أَنْصَارِهِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ وَبَدَلِ مُهْجِهِمْ فِيهِ
ثَنَى بَيْنَ بَايَعِ الْحُسَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَعَطَفَ هَبِيمَ عَلَى مَنْ
سَجَنَهُمْ غَامِلُهُ ابْنُ زُبَايدٍ فَقَتَلُوهُمْ ، وَاسْتَأْصَلْ شَأْنَهُ
الشَّيْعُ ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الْأَسْلَامِ الْعَاثِيَّ وَقَضَى لُبَانَاتِ
أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ ، وَتَمَنَّاهُ أَنْ يَحْضُرَ مَعَ أَشْيَاخِهِ الَّذِينَ قَتَلُوا
بَبْدُ ، فَاتَّهَمُوا لَوْحَضَرُوهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَلَوْ مِنْ بَابِ

فَرَضِ الْحَالِ

لَا هَلَاوُا وَأَسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَبِيدُ لَا تَنْشَلْ
وَعِنْدَهَا اسْتَبَقَطَتْ عَزِيمَةَ نَصْرِ الْأَسْلَامِ وَحَامِيَّتِهِ مَجْمَعِ
التَّوَرِّينِ الَّذِينَ انْبَشَقَ مِنْهُمَا فِي غَارِ حِرَاءٍ ضِبَاءُ (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ
الْخَالِصُ) الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ فِيهِ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْأَسْلَامُ) وَعَرَفَ مَغْزَى زَبِيدٍ ، وَقَدَّرَ سُوءَ عَاقِبَةِ نَوَابَاهُ
فَوَدَعَ الْأَسْلَامَ وَدَاعَ الْمَوْتِ ، إِنْ اسْتَتَبَ الْأَمْرَ لَزَبِيدٍ ،

وَأَبْنَهُ نَائِبِينَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ، إِنَّهُ لَمْ يَتَذَكَّرْهُ بِنُصْرَتِهِ
وَلَمْ يَسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَى مُعَارَضَتِهِ ، وَالضَّرْبُ عَلَى بَدَنِ كُفْرِهِ
وَالْحَادِثَةُ فَقَالَ - وَقَدْ أَرْسَلَهَا زُفْرَةً مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ ،
وَتَصَا عَدَّتْ مَعَهَا شَطَابًا فَوَادِيهِ - (رَوَى عَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ
إِذْ قَدْ بَلَّيْتَ الْأَمَّةُ بَرَّاجٍ مِثْلَ بَرْبَدٍ) وَفَكَرَ تَعَمَّقَ التَّفَكُّرُ فِي
مُعَارَضَةِ هَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ ، وَالسَّيْلِ الْجَارِفِ لِبِنَاءِ
الْإِسْلَامِ الْقَالِجِ لَهُ مِنْ أَسَاسِهِ ، وَإِذَا الْكُوفَةُ هَبَّتْ كَأَنَّهَا
فِي صَدْرِهِ ، وَتَعِدُّهُ بِالنَّصْرِ لِأَبْعَدِ غَايَاتِهِ ، فَكَانَ
فِي قَدُومِهِ إِلَهُهُمْ عَلَى حُدَى الْحُسَيْنِيِّينَ إِمَّا الْفَتْحَ إِذَا وَفَّاءَ لَهُ
عَلَى خِلَافِ جَارِي عَادَتِهِمْ ، أَوِ الْإِسْتِشْهَادَ وَالْتِصِيَّةَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَكِنَّهُ دَامَى الطَّرِيقَ الثَّانِيَّ أَسْرَعَ لِنَشْرِ دَعْوَتِهِ
وَادِدَالِهِ مُنَاهُ وَطَلَبَتِهِ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ هُمُ الْوَلَاةُ أَصْحَابُ صِفَتَيْنِ
الَّذِينَ نَصَرُوا آبَاءَهُ ، ثُمَّ خَذَلُوهُ بِخَدِيعَةِ ابْنِ التَّائِبَةِ فَكَانُوا
- كَمَا قَالَ لَهُمْ - كَالْحَامِلِ لَمَّا اقْرَبَتْ أَمْلَصَتْ ، غَيْرَ أَنَّ الْحُسَيْنِ
لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ مُمَاشَاتِهِمْ - لِمَا ذَكَرْنَا - فَسَارَ إِلَهُهُمْ طَلَبَ نُصْرَتِهِمْ
كَأَوْعَدُوهُ ، وَهُوَ وَاللَّهُ يَسِيرُ إِلَى الْقَتْلِ بِكَرْبَلَاءَ ، وَبَلُوغِ الدَّرَجَةِ الْمُنْغَشَّةِ
بِالنُّورِ الَّتِي لَا يَنَالُهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ ، كَمَا وَعَدَهُ جَدُّهُ حِينَ مَرَّ بِهِ فِي
عَالِمِ الرُّؤْيَا ، وَهُوَ لَا يَشْكُ أَنَّهُ رَأَاهُ ، وَبَالَغَ فِي تَسْجِيلِ الْحُجَّةِ عَلَى
خَصْمِهِ ، إِذْ طَلَبَ إِلَهُهُمْ أَنْ يَتْرَكُوهُ يَمْشِي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الطَّوِيلَةِ

الْعَرِضَةُ ، وَهُوَ بِرَأْيِ الْمَنِيَّةِ أَقْرَبَ مِنْ جَوَاهِرِهِمْ وَالْقَتْلَ اسْرَعَ
مِنْ رَدِّ الْبَصَرِ ، فَلَمْ يَبْرَحْ أَنْ قُتِلَ ، فَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى لِنُصْرَةِ الدِّينِ
وَارْتَفَعَ رَأْسُهُ لَوَاءٍ لِلتَّشْيِيعِ وَرَايَةً لِنُصْرَتِهِ ، وَشَادَةَ لِعِزَّةِ الْإِسْلَامِ ،
وَانْتَقَلَ عَهْدُ الْخِلَافَةِ الْأَمَوِيَّةِ لِأَوَّلِ تَكْوِينِنَا إِلَى خَلِيفَتِهِ ذِي الْعَابِدِينَ
فَارَادَ زَيْدٌ قَتْلَهُ لِيَسْتَرْجِعَ مِنْ ثِقَلِ النَّبِيِّ الْأَصْغَرِ ، فَبُشِّنِي بِالْأَكْبَرِ
فَيَقْضِي عَلَى الْإِسْلَامِ بَهْدِمِ هَاتَيْنِ الدِّعَامَتَيْنِ ، فَلَمْ يَجِدْهُوَ
عَمَّالَهُ وَعَسَاكِرَهُ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، لِأَنَّ
وَلَدَهُ الْبَارِقَ لَمْ يَسْتَعِدَّ بَعْدَ لِحْمَلِ الْعَهْدِ ، وَهَبَّهَاتِ أَنْ تَخْلُوَ
الْأَرْضُ مِنْ حُجَّةٍ رَوَّامَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)
وَأَرَادَ زَيْدٌ أَنْ يَشْفِي غَمَّظَهُ ، فَيَتَذَرِكَ عَدَمَ قُدْرَتِهِ مِنْ قَتْلِ
ثِقَلِ النَّبِيِّ بِأَسْرِهِ وَسَبْيِ عَائِلَتِهِ ، لِيَجْعَلَ الْحُسَيْنَ خَارِجِيًّا يَجُودُ
الْتَفَرُّجُ عَلَى عِيَالِهِ وَالشَّمَانَةُ بِهِمْ ، فَيُؤَكِّدُنِي الْأَذْهَانُ مَا ذَكَرَ
فِيهَا مُعَادَاوَةَ مَنْ أَنَّ أُمِّيَّةَ آلِ مُحَمَّدٍ وَثِقَلُهُ الْأَصْغَرُ وَاحِدِي
الدِّعَامَتَيْنِ لِدِينِهِ ، وَلِهَذَا زَادُوا عَنْ حَوْضِهِ كُلَّ بَاغٍ خَائِفٍ
عَلَيْهِ وَمَنْ يَبْغِي سُوءًا وَفَائِلَةً فِيهِ ، كَهَذَا الرَّجُلِ الْمَجْهُولِ *
الْحُسَيْنَيْنِ ، وَلَا يُعْرَفُ مِنْ مُشَخَّصَاتِهِ إِلَّا تَسْمِيَّتُهُ بِالْحُسَيْنِ ،
فَهُوَ خَارِجِيٌّ خَرَجَ عَلَى السُّلْطَانِ ، لَمْ يُعْرَفْ إِلَى أَيِّ قَبِيلَةٍ يَنْتَسِبُ
وَلَمْ يُعْلَمْ لَوْلَادَتِهِ زَمَانٌ ، وَلَا لِحَيَاتِهِ بَيْتٌ أَوْ مَكَانٌ ، وَلَكِنْ
أَتَرَى زَيْدًا ذَكَرَكَ غَرَضُهُ أَمْ أَصَابَ هَدَفَهُ ، كَلَّا لَعَمْرُكَ

بَلْ أَرَادَ اللَّهُ وَأَرَادَ يَزِيدُ ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُحْيِيَ التَّشْيِعَ بِالْحُسَيْنِ ،
وَأَرَادَ يَزِيدُ قَتْلَهُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ ، وَلِلَّهِ الْقُدْرَةُ الْقَاهِرَةُ ،
وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ (لَهُ الْأَمْرُ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فَقَدْ
تَمَثَّلَ التَّشْيِعُ بِالْحُسَيْنِ وَعِصَابَةُ الْحُسَيْنِ ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ بِهِمْ
غَالِبًا بَعْدَ انْخِفَاضِهِ فِي طَائِمَاتٍ مُعَاوِيَةَ ، وَدَبَّتْ فِي جِسْمِهِ
حَيَاةٌ جَدِيدَةٌ ، بَعْدَ أَنْ مَاتَ أَوْكَادَ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا صُبَابَةُ
كُصْبَابَةِ الْأَنْاءِ ، وَارْتَفَعَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ لِيَوَاءَ لَهُ ، فَكُتِبَ لَهُ فِيهِ
النَّصْرُ ، وَسَرَى خَلِيفَتُهُ وَأُسَارَاهُ مَعَهُ ، فَهَرَّ الْعَالَمُ ظُهُورُهُ
وَشَعَّ فِي كُلِّ قَافَةٍ الْأَفَاقِ نُورُهُ وَإِذَا بِالْأَمْرِ يَنْعَكِسُ عَلَى يَزِيدٍ فَعَاشَ يَزِيدُ
يَمُوتَ مَبْدُودُ يَزِيدَ ، وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ لِحُبِّهِ مَبْدُودُ الْحُسَيْنِ ،
وَاحْتَدَى التَّشْيِعُ بُشَايِعُ فِي تَقَدُّمِهِ السَّاعَاتِ وَالْإِبَامَ بِمَاجِرِيَاتِ^(١)
أَسْرِعِيَالِ الْحُسَيْنِ ، وَمَا دَعَتْ إِلَيْهِ خُطْبَتُهُمْ مِنْ تَذَمُّرِ الرَّأْيِ
الْعَامِ ، وَالْأَخْذِ بِبِدَايِ الْمَظْلُومِ ، وَأَنْدَحَرَتْ مَبَادِي مُعَاوِيَةَ
وَيَزِيدَ (وَكُلُّ عَزِيزٍ غَالِبٌ اللَّهُ مَغْلُوبٌ) أَرَادَ يَزِيدُ أَنْ يَدْخُلَ
فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا ، وَأَرَادَ أَنْ يُحْيِيَ نَفْسَهُ عِنْدَ
الرَّأْيِ الْعَامِ فَأَبْغَضَهُ وَمَقَتَهُ بَلْ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَلَعَنَهُ ، وَكَانَ
عَاقِبَةُ أَمْرِهِ خُسْرًا وَهَكَذَا اسْتَدْرَجَهُ اللَّهُ وَأَمْلَى لَهُ ، فَأَبَاحَ
الْحَرَمَ النَّبَوِيَّ لِجَيْشِهِ الْوَحْشِيِّ ، وَهَدَمَ الْكَعْبَةَ الْمُعْظَمَةَ فِي
أَخْرِعُمِرِهِ ، فَتَرَهُ اللَّهُ ، وَأَخَذَهُ أَخْذًا عَزِيزًا ، وَكَانَ قَتْلُ

الْحُسَيْنِ هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِهَذَا الْأُسْتِدْرَاجِ وَهَذَا الْأَخْذِ
 بَعْدَهُ ، وَتَرَعَرَعَ التَّشْيِيعُ وَشَبَّتْ فِي حَيَاتِهِ الْمَجْدُودَةُ فِي
 مَوْتِ دَوْلَةِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ بِهَلَاكِ زَيْدِهِمْ ، وَذَاهِقِ
 الْبُلُوغِ فِي هَرَمِ الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ ثَانِيَةً دَوْلِ بْنِ أُمَيَّةَ ،
 وَأَمَلَى اللَّهُ لَهَا فَقَتَلَتْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَصَلَبَتْهُ
 أَرْبَعِ سِنِينَ وَأَنْزَلَتْهُ وَأَحْرَقَتْهُ وَذَرَّتْهُ فِي الرِّيحِ ، فَأَنْفَجَرَتْ
 بِرَاكِبِينَ تَحْطِيطِ التَّشْيِيعِ وَهَاجَ هَاجُ الشَّيْعَةِ ، إِذْ نَكَأَ هِشَامٌ
 بِقَتْلِ زَيْدٍ قَرْحَةً قَتَلَ الْحُسَيْنَ بِسَبَبِ زَيْدٍ ، وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ
 وَالْجُرْحُ لَمَّا بَدَّ مِلٌّ ، وَاسْتَغْلَ بَنُو الْعَبَّاسِ فُرْصَةً تَحَرَّرَتْ
 الشَّيْعَةُ بِلِ الرَّأْيِ الْعَامِّ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَثَارُوا بِهِمْ مُظْهِرِينَ
 الطَّلَبَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَآلِ الْحُسَيْنِ ، وَلَبِسُوا السَّوَادَ زَائِعِينَ
 أَنَّهُ كَانَ حُرْنًا عَلَى الْحُسَيْنِ ، وَلَمْ يَكْفِهِمْ حَتَّى جَعَلُوا مِنْهُ أَعْلَامَهُمْ
 فَتَمُوا السُّودَةَ ، وَقَدَّمُوا الشَّيْعَةَ أَمَامَ نَبْلِ بُغْيَتِهِمْ مِنْ تَسْمِ
 عَرْشِ الْخِلَافَةِ وَطَلَبَهُمْ بِثَارِ بُرْهِمْ وَقَدْ قِيلَ (الظَّالِمُ
 سَبَفُ اللَّهِ يَنْتَقِمُ بِهِ وَيَنْتَقِمُ مِنْهُ) فَأَنْتَقَمَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ
 بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَأَذَاهُمْ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَأَذَرَكَ التَّشْيِيعُ يَوْمَ
 ذَلِكَ الْبُلُوغَ وَالْفُتُوَّةَ وَدَخَلَ فِي رُبْعَانِ الشَّبَابِ وَغَضَارَةِ
 الصَّبَا ، حَيْثُ ثَنِيَتْ الْوِسَادَةُ لِلِصَّادِقِ سَلْبِلِ الْحُسَيْنِ ،
 لِبُفْتِي شَيْعَةِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ ، بِأَحْكَامِ مُحَمَّدٍ جَدِّ الْحُسَيْنِ ،

(١) نَكَأَ الْقَرْحَةَ : قَشَرَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَ ، وَفِي الْعَدُوِّ : قَتَلَ فِيهِمْ وَجَرَاحَ وَانْحَنَى

فَكَانَ الْمَجْدُ دَلِيلُ ذَهَبِ التَّشْيِيعِ فِي أَوَّلِ قُرُونِهِ هُوَ بَابُ كِبَانِ
الْإِسْلَامِ ، وَغَارِسَ نَوَاتِجِهَا الَّتِي هِيَ نَوَاةُ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ
الْمَجْدُ دَلِيلُهُ فِي ثَانِيَةِ مَسَائِدِهِ ، حَفِيدُهُ الصَّادِقَ بَعْدَانُ بَعَثَ
الْحُسَيْنَ فِيهِ حَيَاةً جَدِيدَةً يَوْمَ قَتْلِهِ وَمَا جَرَى فِي فَضْلِهِ
فَجَدُّرَانُ يُنْسَبُ رَأْيُ التَّشْيِيعِ إِلَيْهِ ، بَعْدَانُ يُنْسَبُ الْإِسْلَامُ
بِمَعْنَاهُ الْعَامُّ إِلَى أَبِيهِ ، وَالْمَذْهَبُ مِنْ حَيْثُ أَحْكَامُهُ إِلَى
وَلَدِهِ الصَّادِقِ ، فَيُقَالُ (الْإِسْلَامُ عَلَوِيٌّ ، وَالتَّشْيِيعُ حُسَيْنِيٌّ
وَالْمَذْهَبُ جَعْفَرِيٌّ)

نَعَمْ ثَبَتَ الْوَسَادَةُ لِلصَّادِقِ ، وَتَطَاهَرَتِ الْوَسَادَةُ
بِأَكْرَامِهِ وَالْحَفَاوَةِ بِهِ ، لِأَنَّ دَوْلَتَهُمْ قَامَتْ عَلَى الدَّعْوَةِ لِلطَّلَبِ
بِأَرْوَاحِ الْحُسَيْنِ ، فَكَيْفَ يُعَارِضُونَ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَالِمَ
آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ وَقَدْ كَانَ بَشَرُهُمْ بِالْخِلَافَةِ
بَعْدَانُ بَايَعُوا عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيَّ فَتَطَلَّعَتْ لَهَا
نَفْسُهُمْ مِنْ شَأْنِهَا أَسْتَبَاقَهَا وَرَأَوْهُ يَرُدُّهَا وَيَدْفَعُهَا عَنْ نَفْسِهِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَوْلَى مِنْ مَهْدِيهِمْ بِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ ،

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ يُجْرِدُ أَذْوَاقَ لَهَا

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

فَكَثُرَ رَوَادُ فَضْلِهِ ، وَازْدَادَ مُتَجِعُو غَرْبِ عَلَيْهِ ، حَيْثُ آعَادَ عَلَى
ذَاكَرِهِمْ كَلِمَةَ جَدِّهِ الْوَصِيِّ بَابِ مَدِينَةِ عِلْمِ النَّبِيِّ ،

فَكَانَ الْمَجْدُ دَلِيلُ الذَّهَبِ التَّشْيِيعِ فِي أَوَّلِ قُرُونِهِ هُوَ بَابُ كِبَارِ
الْإِسْلَامِ ، وَغَارِسَ نَوَاتِجِهِ الَّتِي هِيَ نَوَاةُ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ
الْمَجْدُ دَلِيلُهُ فِي ثَانِيَةِ مَسَائِدِهِ ، حَفِيدُهُ الصَّادِقَ بَعْدَانُ بَعَثَ
الْحُسَيْنَ فِيهِ حَيَاةً جَدِيدَةً يَوْمَ قَتْلِهِ وَمَا جَرَى فِي فَضَيْتِهِ
فَجْدَرَانُ يُنْسَبُ رَأْيُ التَّشْيِيعِ إِلَيْهِ ، بَعْدَانُ يُنْسَبُ الْإِسْلَامُ
بِمَعْنَاهُ الْعَامُّ إِلَى أَبِيهِ ، وَالْمَذْهَبُ مِنْ حَيْثُ أَحْكَامُهُ إِلَى
وَلَدِهِ الصَّادِقِ ، فَيُقَالُ (الْإِسْلَامُ عَلَوِيٌّ ، وَالتَّشْيِيعُ حُسَيْنِيٌّ
وَالْمَذْهَبُ جَعْفَرِيٌّ)

نَعَمْ ثَبِتَ الْوِسَادَةُ لِلصَّادِقِ ، وَتَطَاهَرَبُوا الْعَبَّاسُ
بِأَكْرَامِهِ وَالْحَفَاوَةِ بِهِ ، لِأَنَّ دَوْلَتَهُمْ قَامَتْ عَلَى الدَّعْوَةِ لِلطَّلَبِ
بِثَارِ الْحُسَيْنِ ، فَكَيْفَ يُعَارِضُونَ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَالِمُ
آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ وَقَدْ كَانَ بَشَرَهُمْ بِالْخِلَافَةِ
بَعْدَانُ بَايَعُوا عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيَّ فَتَطَلَّعَتْ لَهَا
نَفْسُهُمْ مِنْ ثَنَاءٍ يَأْتِيهَا وَرَأَوْهُ بِرَدِّهَا وَيَدْفَعُهَا عَنْ نَفْسِهِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَوْلَى مِنْ مَهْدِيهِمْ بِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ ،

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ يُجْرِدُ أَذْوَالَهَا

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

فَكَثُرَ رَوَادُ فَضْلِهِ ، وَازْدَادَ مُتَجِعُو غَرْبِ عَلَيْهِ ، حَيْثُ آعَادَ عَلَى

ذَاكَ رَهْمُ كَلِمَةِ جَدِّ الْوَصِيِّ بَابِ مَدِينَةِ عِلْمِ النَّبِيِّ ،

(سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي) حَتَّى قَاسَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ
صُدُورَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْهُ بِجَوَازِ السَّلَامِ عَلَيْهِ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَالَ لَهُ يَوْمًا (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) فَرَجَرَهُ
الصَّادِقُ ، وَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ هَذَا الْوَسَامَ اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ عَلِيًّا
سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ ، وَرَأَى الصَّادِقُ أَنَّ الْحُسَيْنَ فِي فَضِيلَتِهِ
بَعَثَ فِي جِسْمِ الشَّيْعِ رُوحًا جَدِيدَةً ، فَأَخَذَ يَهْتَدِي وَسَائِلَ
مَجْدِيدٍ هَاهَا وَيَرْفَعُ قَوَاعِدَ تَحْلِيدِهَا إِكْبَارًا لَهَا وَمَجْدِدًا لِشَأْنِهَا
وَأَعْتَزًّا فَالَهَا بِالْفَضْلِ وَالْأَحْسَانِ ، وَإِذْعَانًا لِقَاعِدَةٍ أَنَّ
عِلَّةَ الْخُدُوثِ هِيَ عِلَّةُ الْبَقَاءِ ، فَكَانَ يَحْتَشِ شَيْعَتَهُ عَلَى أَحْيَائِهَا
وَكَانَ إِذَا هَلَكَ الْمُحَرَّمُ جَلَسَ لِلْعَزَاءِ عَلَى جَدِّهِ الْحُسَيْنِ ، وَ
كَانَ يَدْعُو الشُّعْرَاءَ لِرِثَائِهِ ، كَأَبِي هُرُونَ الْمَكْفُونِ وَنَحْوِهِ ،
وَهُنَا سَائِمَةٌ فَكَّرَ قَدْ أَهْلُهَا لَعَلَّكَ لَا تَشْكُ بَعْدَ الْأَذْعَانِ
إِلَيْهَا أَنَّ الشَّيْعَ حُسَيْنِي ، وَهِيَ أَنَّ الْمَجْدِيدِينَ لِيَذْهَبَ *
الشَّيْعَ مِنَ الْمَعْصُومِينَ فِي زَمَنِ الْخُصُودِ كَأَنْوَاعٍ ثَلَاثَةٍ أَوَّلُهُمْ
غَارِسُ نَوَاتِهِ فِي غَارِ جِرَاءٍ - كَمَا قَدَّمَ سَنًا - وَحَامِلُ رِسَالَةِ السَّمَاءِ نَبِيًّا
مُحَمَّدٌ ، وَثَانِيهِمَا لِثَانِي قُرُونِهِ جَعْفَرُ الصَّادِقُ الَّذِي مَرَّتْ بِالسُّوَيْهِ
بِذِكْرِهِ ، وَثَالِثُهُمَا حَفِيذُ الرِّضَا ، حَيْثُ تُنَبِّئُ لَهُ الْوَسَادَةُ كَأُثْبِنُ
لِحَدِّهِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ مَذْهَبُ الشَّيْعَةِ ، وَ
قَدْ وَجَدْنَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ أَعْظَمَ الْمَعْصُومِينَ تَوْهِيًا بِالْحُسَيْنِ

وَسَبَرَهُمْ مَفْعَةً بِالْحُزْنِ عَلَى مَا أَصَابَ الْحُسَيْنَ ، وَقَدْ تَوَاتَرَ
الْحَثُّ الْإِكِيدُ عَنْهُمْ زِيَادَةً عَلَى غَيْرِهِمْ عَلَى إِقَامَةِ عِرَائِهِ وَالْبُكَاءِ
عَلَى مَا لَحِقَهُ ، فَهَلْ يَكُونُ هَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، أَمْ أَنَّهُمْ
كَانُوا اعْظَمَ الْمُتَوَدِّينَ بِهِ ، كَلَّا ، فَإِنَّ رَأْيِي الْخَاصَّ أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا
الْمُجْتَدِدِينَ لِمَذْهَبِ التَّشْيِيعِ - دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَعْصُومِينَ - كَانُوا
أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِمْ تَوَجُّهًا لِلنَّاسِ بِمَآسَاةِ الْحُسَيْنِ ، فَهُمْ يُجْتَدِدُونَ
التَّشْيِيعَ بِتَجْدِيدِ حَادِثَةِ الْحُسَيْنِ ، وَهُمْ يَقْرِنُونَ بَيْنَ الْمَعْلُولِ وَهُوَ
التَّشْيِيعُ وَعِلَّتِهِ وَهِيَ حَادِثَةُ الْحُسَيْنِ وَأَنْتَ إِذَا تَتَبَعْتَ الْأَخْبَارَ
الْوَارِدَةَ فِي الْحَثِّ عَلَى الْبُكَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ عَنْ مَجْمُوعِ أَهْلِ الذِّكْرِ مِنَ
أَلِ الْحُسَيْنِ تَوْثُرُ بِمَا اسْتَفَدْنَاهُ كُلَّ الْإِيمَانِ ، أَمَّا النَّبِيُّ فَسَلَّ
عَنْهُ كُتُبَ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ إِخْبَارِهِ دَائِمًا بِقَتْلِ حَبِيبِهِ الْحُسَيْنِ ،
وَتَقْبِيلِهِ لِخِرِّهِ دُونَ أَخِيهِ الْحَسَنِ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ سَيْفِ شِمْرِ وَلِغَيْرِهِ
مِنْ مَوَاضِعِ سِلَاحِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَلَقَدْ عَدَّهَا الْفَرِيقَانِ مِنْ
دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ وَأَعْلَامِ رِسَالَتِهِ ، وَسَلَّ عَنْ الصَّادِقِ أَبَاهُ رُونَ
الْمَكْفُوفِ وَالْمُجَهَّرِ الشَّهِيرِ وَغَيْرَهُمَا مِنْ شُعْرَاءَ زَمَانِهِ وَسَلَّ عَنْ
حَفِيدِ الرِّضَا الرَّبَّانِ بْنِ شَيْبِ بْنِ أَبِرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ وَغَيْرَهُمَا مِنْ
جُلَسَائِهِ وَرِجَالِهِ وَرُوَاةِ أَخْبَارِهِ لِاسْتِمَادِ عُبَيْلِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَخُذِ
الْمَثَلَ مِنْ حَدِيثِهِ نَفْسِهِ ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي أَحَدِ أَيَّامِ الْمُحَرَّمِ ،
إِذْ يَقُولُ دَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي مَوْلَايَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَاءِ

- فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ - فَرَأَيْتُهُ جَالِسًا جُلُوسَةَ الْحُزَنِ الْكَثِيبِ
وَأَصْحَابُهُ مِنْ حَوْلِهِ ، فَلَمَّا رَأَى مُقْبِلًا قَالَ لِي مَرْحَبًا بِكَ يَا دُعْبِلُ
مَرْحَبًا بِمَا صِرْنَا بِهِدُ وَلِسَانَهُ ثُمَّ إِنَّهُ وَسَّعَ لِي فِي مَجْلِسِهِ وَأَجْلَسَنِي إِلَى
جَانِبِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي يَا دُعْبِلُ احْبُتْ أَنْ تُتَشَدَّ بِي شَعْرًا ، فَإِنَّ هَذِهِ
الْأَيَّامُ أَيَّامُ حُزْنٍ كَانَتْ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَأَيَّامُ سُرُودٍ عَلَى أَعْدَائِنَا
خُصُوصًا بَنِي أُمَيَّةَ ، يَا دُعْبِلُ مَنْ بَكَى وَأَبَكَى عَلَى مُصَابِنَا وَلَوْ وَاحِدًا
كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، يَا دُعْبِلُ مَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مُصَابِنَا وَبَكَى لِمَا
أَصَابَنَا مِنْ أَعْدَائِنَا حَشَرَهُ اللَّهُ مَعَنَا فِي زُمْرَتِنَا ، يَا دُعْبِلُ مَنْ بَكَى عَلَى
مُصَابِ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ الْبَيْتَةَ ، ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَضَرَ
وَضَرَبَ سِتْرًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ حُرْمِهِ وَأَجْلَسَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ
لِيَبْكُوا عَلَى مُصَابِ جَدِّهِمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ يَا دُعْبِلُ
أَرِثِ الْحُسَيْنَ ، فَأَنْتَ نَاصِرُنَا مَا اسْتَطَعْتَ ، قَالَ دُعْبِلُ فَاسْتَعْبَرْتُ
وَسَأَلْتُ عِبْرَتِي وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ ،

أَفَا طِمُّ لَوْ خِلْتُ الْحُسَيْنَ مُجَدَّلًا وَقَدْ مَاتَ عَطُشَانًا بِشَطِّ قُرْبٍ
إِذْنٌ لِلطَّمِّ أَخَذَ فَا طِمُّ عِنْدَهُ وَاجْرَبْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ فِي الْوَجْنِ
أَفَا طِمُّ قَوْمِي يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ وَانْدُبِي بُحُومَ سَمَوَاتٍ بِأَرْضٍ فَلَا قِيَّةَ
قُبُورٍ بِجَنْبِ النَّهْرِ مِنْ أَرْضٍ كَرِهَلَا مَعَرَّسَهُمْ فِيهَا بِشَطِّ قُرَاتٍ

تَوْفُوا عَطَاشًا بِالْعَرَاءِ ، فَلَيْتَنِي

تُوقِبْتُ فِيهِمْ قَبْلَ حَبْنٍ وَفَانِي لَحِي

*(في تضحية الحسين بن نفسه) *

كَانَ الْأَذَانُ لِلصَّلَاةِ الْخَيْرُ مِنَ التَّوَامِيصِ الَّتِي بَالِغَ الرَّسُولِ فِي تَوْطِيدِ قَوَاعِدِهَا وَحَرَضِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَحْلِيدِهَا فِي الْأَمَّةِ قَوْلًا وَفِعْلًا ، إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَجَاءَ دَوْرُ الْمَلِكِ الْعَصُوفِيِّ - دَوْرُ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ - فَسَقَى عَلَى وَجْهِهِ الرَّأْيَ وَفَقِيَ فِي عَيْنِهِ الْمُحْصِرُ أَنْ يَسْمَعَ اسْمَ مُحَمَّدٍ يَهَيَّبُ بِهِ الْمُؤَذِّنُ فِي الصَّوَامِعِ وَعَلَى مَنَارَاتِ الْجَوَامِعِ وَبَدْعُوا الْمُسْلِمِينَ لِيَتَكَلَّمُوا بِهِمُ الْمَسَاجِدُ فَصَلُّوا وَتَسْجُدُوا لِلْوَجْهِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَذْكُرُوا اسْمَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوْدَادِ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ لِسَرِهِ كِتْمَانًا - وَهُوَ الْمُعْتَرِعُنُهُ بِالْدَاهِيَةِ - حَتَّى أَقْبَضَ ذَلِكَ إِلَى الْمَغْبِرَةِ ابْنِ شُعْبَةَ ، وَقَدْ خَرَجَ عَنْ طَوْرِهِ الَّذِي بَعْدَهُ فِيهِ مِنَ الدَّهْرِ حَيْثُ اخْتَدَمَتْ وَقْدَةُ غَضَبِهِ وَحَقِيقَةِ بَسْمَاعِ اسْمِ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ يُخَلِّدُهُ اللَّهُ إِلَى الْأَبَدِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلَائِفِ مُصَرِّحًا لَهُ بِأَنَّهُ (لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ لَا أَمَ لَكَ إِلَّا دَفْنًا دَفْنًا) طَبِيعِي وَالْحَالَةُ هَذِهِ أَنْ يُفَكِّرَ مُعَاوِيَةَ أَعْمَقَ التَّفَكُّرِ فِي إِزَالَةِ هَذَا الْحَجَرِ الَّذِي يَعْتَبِرُهُ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ حَجَرِ عَثْرَةٍ فِي طَرِيقِ عَقِيدَتِهِ بَدِهيٍّ أَنْ يَسْهَرَ لَيْلَهُ مُتَمَلِّيًا تَمَلُّلَ السَّلِيمِ إِذَا لَمْ يَجِدِ لَطُوفَ مُوَاتِنَةٍ لِإِمْضَاءِ عَزَمَتِهِ فِي مَحَنِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْأَذَانِ

* فِي تَضَرُّعِ الْحُسَيْنِ بِنَفْسِهِ * (١٠١)

لَا نَ مَضْمُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ زَمَامٌ غَيْرُهُ مِنْ مَضَامِينِ
تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي سَنَانِي عَلَى تَفْصِيلِهَا ، فَمَا غَاظَهُ
لَفْظُهَا بَلْ مَعْنَاهَا ، وَلَكِنْ مَا يَصْنَعُ إِذَا قَدَّرَ فِي نَفْسِهِ
انْتِهَاءَ حَيَاتِهِ ، وَلَمْ يَتَسَنَّ لَهُ قَلْعُ هَذَا الْحَجَرِ الْأَسَاسِيِّ مِنْ
هَذَا الْبِنَاءِ الْمُحْكَمِ ، نَعَمْ لَا بَدَأَنَّ يَلْتَجِي لِأَنَّ بُوصِي خَلِيفَتَهُ
يَزِيدَ ، لِيُكْمِلَ سِيرَتَهُ وَيُبْلِغَهُ مُنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي عَسَاكَرِ
الْمَوْتِ ، لِأَنَّهُ يَعْمُدُ بِالْأَقْدَامِ وَالصَّرَامَةِ لَا يُدَارِي حَدًّا
فِي نَيْلِ مَقَاصِدِهِ ، وَلَا يُدَاجِي فَيْحَشَى الْعَوَاقِبَ فِي بُلُوغِ
أَوطَارِهِ مِنْ شَهَوَاتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْفِ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَفْسِهِ
بِتَجَاهِ ذَلِكَ أَنْ جَعَلَ سَبَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْظَمِ فُضُولِ
الْأَذَانِ ، فَكَانَ بَعْضُ الْمُؤَذِّنِينَ يَسْتَبِهُ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ الْأَذَانِ
أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مَرَّةٍ ،
حَتَّى شَابَ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ وَهَرَمَ عَلَيْهِ الْكَبِيرُ ، حَتَّى
جَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْأَسْلَامِيَّةِ فِي أَذْهَانِ الْمُتَابِعِينَ
الْبُسْطَاءِ ، وَلَمْ يَرْضَ مِنْ وَجْدَانِهِ بَأَن يَقُتَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ
وَيَجْعَلَ سَبَّهُمْ مِنْ أَعْظَمِ أَوْرَادِ الصَّلَاةِ ، وَأَذْرَكَ الْمَوْتَ وَلَمْ
يَبْلُغْ مُنَاهُ بَأَن لَا يَذْكُرَ اسْمُ مُحَمَّدٍ فِي الْأَذَانِ ، فَالْتَجَأَ إِلَى
الرَّوْصِيَةِ لَخَلِيفَتِهِ مَا ضَيَّ الْعَزِيمَةَ صَارِمِ الْإِرَادَةِ لِتَحْقِيقِ
كُلِّ مَا هَوَى نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ، فَأَوْشَكَتْ قَاعِدُ الْأَذَانِ

أَنَّ تَدَّعَى ، وَأَشْرَفَ بِنَاؤُهُ الْمُحْكَمُ أَنَّ يَنْهَارَ ، وَكُلَّ
 ذَلِكَ بَعَيْنِ الْحُسَيْنِ ، وَلَمْ تَخَفْ عَلَيْهِ طَامَاتُ مُعَاوِيَةَ
 وَخُلْفَتِهِ الْجَدِيدِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، لِذَلِكَ فَكَّرَ أَعْمَقَ التَّفَكُّرِ
 فِي دَحْضِ مَطَالِبِ أُمِّيَّةٍ وَالْوُقُوفِ فِي تَبَارِئِ نَوَايَاهُمْ السَّبِيَّةِ
 فِي الْأَسْلَامِ وَعَدَمِ بُلُوغِ أَمَالِهِمْ وَإِدْرَاكِ أَمَانِهِمْ ، فَأَعْطَاهُ
 اللَّهُ مِنْهُ بِقَتْلِهِ وَشَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُ بِمُقَادَاتِهِ وَتَضَحُّيَتِهِ ،
 وَعَسَاكَ تَقُولُ مَا هُوَ خَطَرُ الْأَذَانِ ، وَمَا أَثَرُهُ الْعَظِيمُ
 فِي الْمَجْتَمَعِ الْأَسْلَامِيِّ ، وَمَاذَا يَكُونُ إِذَا نَقَصَتْ مِنْهُ كَلِمَةٌ
 وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الشَّهَادَةُ لِلْحَمْدِ بِالرِّسَالَةِ ، لِيَقْتُلَ الْحُسَيْنُ
 نَفْسَهُ عَلَى تَخْلِيدِهَا إِلَى الْأَبَدِ كَمَا تَقُولُونَ ، وَكَيْفَ كَانَتْ
 قَتْلُ الْحُسَيْنِ آخِرَ الْأَسْبَابِ لِهَذِهِ الْأُمِّيَّةِ الَّتِي أَدْرَكَهَا وَحِطَّ
 بِهَا كَمَا تَزْعُمُونَ ، وَلَكِنَّا نَقُولُ أَنَّ الْأَذَانَ هُوَ شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ ،
 لِيَجْتَمِعُوا لِلصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُهَا عِنْدَ اللَّهِ بَعْدَ
 مَعْرِفَتِهِ وَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ ، وَإِذَا قُبِلَتْ قَبْلَ مَا سِوَاهَا وَإِنْ
 رُدَّتْ رُدَّ مَا سِوَاهَا ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ
 وَبَيْنَ أَنْ يَكْفُرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ رَوَايَاتِنَا ، وَيَكْفِيكَ أَنْ تَرَى
 الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَثِقَلَ النَّبِيِّ الْأَكْبَرُ يُكْرَدُ ذِكْرُهَا وَبُوصَى
 بِإِقَامَتِهَا وَبِالْعَزْمِ تَارِكُهَا بَلْ يَكْفِيكَ أَنْ تَتْلُو مِنْهُ آيَةً
 وَاحِدَةً هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْفَحْشَاءِ أَقْصَرُ هَذَا مُتَهَيَّئًا لَتَشَاءُ
وَلَوْلَا خَطَرُهُ لَمَا كَرِهَ رَبِّي الْيَوْمَ خَمْسَ مَرَّاتٍ لِيَتَقَبَّلَ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ
قَبْلَ آذَانِهِمْ وَتَسْتَقْبَلَ بِكُلِّ نَشَاطٍ وَارْتِبَاحٍ مَضَامِينَ هَذِهِ
الْفُصُولِ وَتَسْتَشِفَّ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي انْتَقَاهَا
الْوَحْيُ مِنْ صَمِيمِ الْعَقِيدَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ وَالذِّدَارِ الْغَوَالِي الَّتِي
تَخَيَّرَهَا مِنْ مَعْدِنِ أَصُولِ الدِّينِ الْمُحْكَمَةِ وَفُرُوعِهِ الْمُقَرَّرَةِ
الْمُتَقَنَةِ ، فَيُكْرَرُ الْمُؤَذِّنُ (اللَّهُ أَكْبَرُ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ لِأَنَّ
أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ بِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ كُلِّهَا لَهُ
وَتَنْزِيهِ جَلَالِهِ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ ، فَذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ ،
(اللَّهُ أَكْبَرُ) بِحَذْفِ الْمَجْرُورِ مِنْ ، هَلْ تَعْرِفُ مَا لِلْحَذْفِ
مِنْ فَوَائِدَ لَا يَنْهَضُ بِهَا الذِّكْرُ ؟ وَتَتَّبِعُوا أَلْفَاظَ عَنْ آدَائِهَا حَقَّ
الْآدَاءِ أَلَيْسَ مَعْنَاهُ ، تَقْدِيرُ كُلِّ مَا يُمْكِنُ وَبِنَاسِبٍ مُقْتَضَى
الْحَالِ ، وَأَعْظَمُهَا اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ ، وَ
أَعْلَى مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِكُنْيَةٍ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ ، وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ
تُذَرِكَهُ الْعُقُولُ ، وَاجْلُ مِنْ أَنْ يَلْحَقَهُ نَقْصٌ تَعَالَى اللَّهُ
عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَذَا ادَّعَيْنَا لِمَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ لَمْ نَكُنْ تَوْهْمًا
بَلْ نَكُونُ قَدْ أَكْبَرْنَا أَنْ يُحْدَ بِحَدِّ ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلٌ أَوْ
يَدُّ (فَلَيْسَ يَعْرِفُ إِلَّا اللَّهُ مَا اللَّهُ) وَنَكُونُ قَدْ نَاقَضْنَا الْمُشْكِنَ
كُلَّ الْمُنَاقِضَةِ إِذْ جَعَلُوهُ شُرَكَاءَ مِنْ خَلْقِهِ ، وَمَا قَدَّرُوا لِلَّهِ

١٠ ولهذا الفصول في الاخبار يتقاسمها آخر، ولكنها يبلون خفية فراجعها في مظانها

حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلِيَا الْمَعْرِفَةِ إِلَهُ هَذَا الْقَدْرِ الْمُمْكِنِ لَنَا وَلِخَطَرِهَا
 فِي نَظَرِ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ كَرَّرْتُ عَلَى الْمَلِكِ الْأَسْلَامِيِّ أَرْبَعَ
 مَرَّاتٍ تَأْكِيدًا بَعْدَ تَأْكِيدٍ ، وَلَمْ يَكْفِ بِتَوَكُّدٍ وَاحِدٍ ،
 - جَلَّ جَلَالُ اللَّهِ وَمَعْظَمَتُ كِبَرِيَاؤُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ ، سُبْحَانَكَ
 رَبَّنَا مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا
 عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ثُمَّ يَنْثِقِلُ الْمُوْذِنُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ
 اللَّهِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ فَيَشْهَدُ وَيَشْهَدُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مُوَافِقًا لِشَهَادَتِهِ
 بِنَفْيِ الْأَلِهَةِ دُونَهُ نَعْمَ وَاللَّهُ (وَأَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ
 اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً *
 سَمِيتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) فَإِنَّ
 كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ وَبَاطِلٌ مَا خَلَّاهُ وَمَخْلُوقٌ لَهُ وَمَمْلُوكٌ
 لِسُلْطَانِهِ فَكَيْفَ يُشَارِكُهُ وَاقِنِ يُقَاسُ بِهِ إِنَّ الشِّرْكَ
 تَظْلُمٌ عَظِيمٌ ،

أَرَأَيْتَ الْمُؤْذِنَ إِلَى أَيِّ أَوْجٍ بَلَغَ ، وَإِلَى أَيِّ مَرْتَقَى رَفِيَ ،
 وَإِلَى أَيِّ عَقِيدَةٍ صَعِدَ ، وَإِلَى أَيِّ جَوْ مِنْ الْعِظَةِ خَلَقَ ،
 أَعْلَيْتَ مِنْ أَتَى صَوَّبَ إِلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي أَقْضَتْ مَضْجَعَ مُعَاوِيَةَ
 وَتَمَتَّى الْمَوْتُ وَلَوْ بَانَ يُدْفَنُ حَبًّا دُونَ مَمَاعِهَا ، وَهِيَ تَشْنُفُ
 أَذَانِ السُّلَهَانِ بِذِكْرِ أَسْمِ بَنِيهِمِ الْمَجْبُوبِ الْمُشْتَقِّ مِنْ أَسْمِ رَجُلِهِمْ
 الْمَحْمُودِ الْمَعْبُودِ ، وَالْأَشَادَةُ بِذِكْرِ رِسَالَتِهِ الْخَالِدَةِ بِرَغَمِ الْحَاسِدِ

وَعَدَمُ الْأَكْثَرَاتِ وَقِلَّةُ الْمُبَالَاتِ بِمَنْكِرِهَا الْمُعَايِدِينَ ، لِتَفْتَحَ
لَهَا أَذَانُ فُلُوهِمْ تَفْتَحُ الْأَزْهَارَ لِيَسْمِيَ الْأَسْحَارَ وَتَتَشَقَّقَ
لَهَا كَتَشَقُّقُ الْأَكَامِ وَالْبَرَاعِمِ^(١) لِلرَّيْحِ الْعَالِيَةِ وَالْثَمَائِلِ اللَّبْلِيلِ
هَذَا وَبِي رَأْيِي أَنَّ مُعَاوِيَةَ يُشِيرُ إِلَى الْأَذَانِ كُلِّهِ ، لِأَنَّهُ
شَعَارُ الْأِسْلَامِ ، وَجَعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَحْدَهَا وَاسِطَةً لِمَنْبِهِ
أَنَّ يُدْفَنَ حَيًّا ، لِأَنَّ الْوَقْتَ لَمْ يُوَايِهِ أَنَّ يُعْلِنَ بِعَقْدَتِهِ كُلِّهَا
أَمَامَ الْمَغْبَرَةِ ، فَكَفَى عَنِ الْكُلِّ بِالْجُزْءِ لِأَنَّ مَضْمُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ
كَالزَّمَامِ بِمَضْمُونِ غَيْرِهَا كَمَا ذَكَرْنَا ، وَأَعَادَ عَلَى ذَاكِرَتِهِ تَارِيخَ سَلَفِهِ الَّذِي
لَا ذَالَ بِدُيُوتِ أَثَرِهِ ، وَقَدْ سَمِعُوا صَوْتَ بِلَالٍ يَهْتِفُ بِالْأَذَانِ عَلَى
الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ رَلْبَطُنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا
وَقَالَ الْآخَرُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَاتَ أَبِي ، قَبْلَ أَنْ يَرَى هَذَا
الْغُرَابَ يَنْعِقُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ) وَقَالَ الثَّالِثُ (أَمَا كَفَى
ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ إِلَّا أَنْ يَقْرِنَ اسْمَهُ بِاسْمِ رَبِّهِ) وَإِذَا أَوْعَزَ
مُعَاوِيَةَ لِزَيْدٍ بَانَ بِحَقِّقَ لَهُ مُنَاهُ وَهُوَ فِي عِدَاةِ الْمَوْتِ ، فَأَمَّا
مُنَاهُ قَطْعُ الْأَذَانِ مِنْ أَصْلِهِ وَقَلْعُهُ مِنْ أَسَاسِهِ وَكَأَنَّهُ يَنْظُرُ
إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِتْرِ رَقَبَتِهِ فَيَسْمَعُ قَوْلَ الْحَمْدِ الشَّاعِرِ الْعُلُوِيَّ ،
وَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْفَخَّارَ قَضَى لَنَا عَلَيْكُمْ بِمَا هَوَى نَدَاءُ الصَّوَامِعِ
وَبَعْدَ تَرْكِيزِ الْعَفَائِدِ الْحَقَّةِ فِي أَذْهَانِ الْمُسْلِمِينَ ، لِأَنَّ أَعْمَالَ
الْخَيْرِ لَا تُقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْمُسْلِمِ (إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)

(١) البراعم : جمع بُرْعَمٍ وَبُرْعَمُهُ : زَهْرُ النَّبَاتِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَتَحَ ، وَدُخْلُهُ الْجَنْدُوكُ

(١٠٦) * الْإِذَانُ مِصْرًا مِصْرًا لَعَالِيَهُ *

يَبْلُغُ الْمُؤَذِّنُ غَرَضَهُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ مَهَّدَتْ تِلْكَ الْمَقْدِمَاتِ
الْمَجَالِيلَةَ ، فَبَدَّعُوا الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَى الصَّلَاةِ وَرُحِبَ
بِحَبِّهِمْ لَا دَانِيًا لَانْتِهَارِ كُنْ دِينِهِمْ الْأَعْظَمَ ، وَلَانْتِهَا السَّبَبُ ،
الْأَكْبَرُ لِلْفَلَاحِ وَالْفَوْزِ عِنْدَ اللَّهِ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ ، وَلَانْتِهَا
خَيْرُ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلُهَا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ، وَبَعْدُ فَنِيَّا
بِكَلِمَةٍ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مُؤَكِّدًا لَهَا خَوْفَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ غَفَلَتْ عَنْهَا
أَذْهَانُهُمْ بِالْمُبَادَرَةِ لِامْتِنَالِ هَذِهِ الْأَوَامِرِ الَّتِي لِحَقِّقَتِهَا ، وَ
تَرَى الشَّارِعَ الْحَكِيمَ لَا يَكْفِي بِهَذَا التَّكْرَارِ حَتَّى يُجْعَلَ هَذَا
الْتَزِيهِ بِهِ وَالْأَكْبَارُ لَجَلَالِهِ مِفْتَاحًا لِلصَّلَاةِ الْمُسْلِمِ بَعْدَ تَوَكُّدِ
لَهَا مَرَّتَيْنِ فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِهَا وَبَعْدَ عَادَتِهَا سِتِّ مَرَّاتٍ عِنْدَ
اِفْتِتَاحِهَا وَنَدَبَهُ لِأَنْ يُكْرَرْهَا أَثْنَاءَ أَعْمَالِهَا وَأَرْكَانِهَا اللَّهُ
كَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، ثُمَّ يُودَعُ صَلَاتُهُ بِأَثَلَاثًا ، وَيُكْرَرْهَا
كَثِيرًا فِي تَعْقِيْبِهِ أَثْنَاءَ تَسْبِيحِ الزُّهْرَاءِ وَغَيْرِهِ (اللَّهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا
كَبَّرَ اللَّهُ شَيْئًا وَكَأَيْحُبُّ اللَّهُ أَنْ يُكَبَّرَ وَكَأُحُوَاهُ لَهُ ، وَكَأَيْبَغِي
لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ) وَيَجْعَلُ الْمُؤَذِّنُ خِتَامَ أَذَانِهِ مِسْكَ
فَيُكْرِرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مِنْ دُونِ أَشْهَدُ ، تَنْبِيْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ
وَبَيَانِهَا لَوَاقِعِ الْأَمْرِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ شَهَادَتِهِ وَشَهَادَةِ غَيْرِهِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَعْدُ لِحَاظِ الْمَعْرَكَةِ الْقَائِمَةِ فِيهَا بَيْنَهُمْ وَ
بَيْنَ أَعْدَائِهِمُ الْجَا حِدِينَ ،

* فِي تَضْيِيقِ الْحُسَيْنِ نَفْسِهِ * (١٠٢)

وَهَبْنَا سَائِمِيخَهُ فَكَرُوا رَأْيِي لَا بُدَّ مِنْ إِبْدَائِهِ وَالْأُولَى
 بِهِ ، الْأَوْهُوشَهَادَةُ أَنَّ عَلِيًّا وَلِيُّ اللَّهِ فَقَدْ اخْتَلَفَ
 الْمُسْلِمُونَ فِيهَا ، فَفَرِقْتُ مِنْهُمْ تَرْكُومًا وَاعْتَقَدُوا أَنَّهَا بِدْعَةٌ
 لَا تَقُومُ لَمْ يَتْلَقُوا فِي أَخْبَارِ الْأَذَانِ الْأَوَّلِ عَنِ الرَّسُولِ الْمُجَلِّ
 وَجَاءَ بِهَا فَرِيقٌ آخَرُ شَهَادَةُ ثَالِثَةٌ عَزَّزَهَا شَهَادَةُ الرِّسَالَةِ
 الْمَشْفُوعِ بِهَا شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ كَالْفَرِيقِ الْأَوَّلِ
 أَنَّهُ لَمْ يَتْلَقْهَا عَنِ الصَّادِقِ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا عَنْ أَحَدٍ
 أَهْلِ بَيْتِهِ الصَّادِقِينَ ، لَكِنَّهُ يَأْتِي بِهَا تَبَرُّكًا وَتَهْمُنًا ،
 فَإِنَّهُ (مَا كُلُّ مَا لَا نَقْصَ فِيهِ بِدْعَةٌ) وَلِي فِيهَا رَأْيٌ - وَ
 لَعَلَّهُ يَخْتَصُّ بِي - أَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةَ مِنْ فُضُولِ الْأَذَانِ
 كَالشَّهَادَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ، وَقَدْ نَزَلَ بِهَا الْوَحْيُ شَرُوحًا خَوَالِقًا
 الَّتِي ذَكَرْنَاهَا ، وَبَلَغَهُ النَّبِيُّ أُمَّتُهُ أَمَّا بِنَفْسِهِ وَبِلَا وَسْطَةٍ
 أَوْ بِوَسْطَةِ أَحَدٍ عِزَّتِهِ خَزَانِ عِلْمِهِ وَحِفَاطِ شَرِيعَتِهِ ، فَإِنْ
 كَانَ الرَّسُولُ جَاءَ بِهَا مُبَاشَرَةً فَقَدْ طَوَّحَتْ بِهَا أُولَى لِسَانَاتِ
 مَنْ بَعْدِهِ ، كَمَا تَنَاسَّتْ بَيْعَةُ الْغَدِيرِ وَكُلُّ مَا إِلَى ذَلِكَ ،
 وَدَعَّ عَنْكَ هُبَاءٌ صَبَحَ فِي حُجْرَائِهِ وَهَاتِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَ الرَّوَّاحِلُ
 فَلَبِثْتُ شِعْرِي مَا بَالُ حَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ذَهَبَتْ مِنَ الْأَذَانِ
 بَعْدَ وَجُودِهَا فِي عَهْدِ الرَّسُولِ وَزَمَنِ الْخُلَيْفَةِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ
 بِهَا فَرِيقٌ مِنْ حُفَاطِ الصَّحَابَةِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهَا مِنَ الْأَذَانِ الْأَوَّلِ

وَنَقَلْتُ لَنَا عَنْ طَرِيقِ الْأَحَادِ ، وَهِيَ لَا تُضَادُّ بَيْعَةَ السَّقْفَةِ
مِنْ وَجْهِهِ إِلَّا إِذَا فُسِّرَتْ بِأَنَّ مَعْنَاهَا أَتَقَبَّلُوا عَلَيَّ بِرِفَاطَةٍ وَ
وَلَدِهَا ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا مِنَ الْبُطُونِ الْخَفِيَّةِ كَبُطُونِ الْقُرْآنِ ،
وَلَا أَظُنُّ الْمَانِعَ يَمْنَعُ بِهِ ، فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ بِظَاهِرِ اللَّفْظِ
فَإِنَّ الصَّلَاةَ خَيْرُ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلُهَا - كَمَا ذَكَرْنَا أَيْضًا -
فَلَوْلَا مَا تَرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدُ الْحُقَاطِظِ أَوْ غَيْرِهِمْ أَنْ يَأْتِيَ بِشَهَادَةِ
الْوِلَايَةِ فِي أَذَانِهِ ، ثُمَّ يَعْتَذِرُ عِنْدَ مُعَارَضِيهِ بِأَنَّهَا
مِنْ الْأَذَانِ الْأَوَّلِ ، وَهِيَ شَائِضٌ بَيْعَةَ السَّقْفَةِ كُلِّ
الْمُنَاقِضَةِ وَتَقْلَعُهَا مِنْ أَسَاسِهَا ، وَلَوْ فُرِضَ أَنْ ضَمِّيَ أَحَدُهُمْ
بِمُهْجَتِهِ دُونَ الْأَشَادَةِ بِهَا ، فَأَيُّ النَّفُوسِ الَّتِي يَبْذُلُهَا أَرْبَابُهَا
فِي سَبِيلِ نَقْلِ هَذَا التَّضْيِيقِ ، وَهَذَا سَيْفٌ مُعَاوِيَةٌ لَعَنَ
يَنْطِفُ بِدَمَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ لَمْ يَبْرَأُوا مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَعْلَانَاتُهُ تَتَوَالِي (أَنْ بَرِئْتَ الذِّمَّةَ مِنْ رَوَى لَعَلِّي وَ
أَهْلُ بَيْتِهِ فَضِيلَةٌ ، وَمَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ أَنَّهُ يُحِبُّ
عَلِيًّا فَأَقْتُلُوهُ ، ثُمَّ ارْتَقَى بِهِ الْبُغْضُ وَالشَّنَانُ فَأَعْطَى سِتْرًا
فِي جَمِيعِ مَمْلَكَةِ مَلِكِهِ الْعَضُوضِ لِأَمْرَائِهِ الَّذِينَ بَاعُوا أَرْوَاحَهُمْ بِدُنْيَا
(أَنْ أَقْتُلُوا عَلَى لَيْطَنَةٍ وَاحْبِسُوا عَلَى النَّهْمَةِ)

وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ الْمُؤَلِّعِينَ بِالْأَسْفَارِ الْمُنْقَبِ
فِيهَا عَنِ الْأَثَارِ ، أَنَّهُ رَأَى كِتَابًا لَا يَزَالُ مَخْطُوطًا فِي الْمَكْتَبَةِ الظَّاهِرَةِ

❖ فِي تَضْيِيقِ الْحُسَيْنِ بِنَفْسِهِ ❖ (١٠٩) ٥

الْعَرَبِيَّةُ بِدِشْقِ اسْمِهِ (السُّلَافَةُ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ) لِصَاحِبِهِ (الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْمُرَاغِي) مِنْ أَعْلَامِ أَصْحَابِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ ، وَفِيهِ رَوَايَتَانِ مَضْمُونُ أَحَدَاهُمَا أَنَّهُ أَذِنَ الْفَارِسِيُّ ، فَرَفَعَ الصَّحَابَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ زَادَ فِي الْأَذَانِ (أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا وَلِيُّ اللَّهِ) فَجَبَّهَهُمُ النَّبِيُّ بِالتَّوْبِيخِ وَالتَّانِيهِ اللَّادِعِ ، وَأَقْرَأَ لِمَنْ هَذَا الزِّيَادُ وَمَضْمُونُ الْأُخْرَى أَنَّهُمْ سَمِعُوا أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ - بَعْدَ بَيْعَةِ الْغَدِيرِ - يَهْتِفُ بِهَا فِي الْأَذَانِ ، فَرَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ لَهُمْ أَمَا وَعَيْتُمْ خُطْبَتِي يَوْمَ الْغَدِيرِ لِعَلِّي بِالْوِلَايَةِ أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلِي فِي أَبِي ذَرٍّ (مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ) إِنَّكُمْ لَمُنْقَلِبُونَ بَعْدِي عَلَى أَعْقَابِكُمْ ،

هَذَا وَهُوَ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ جَاءَ بِهَا بِوَاسِطَةِ أَحَدِ عِتْرَةِ الْمُنَآخِرِ زَمَانَهُ عَنْ عَصَرِهِ ، لِأَنَّ الْأُمُورَ كَانَتْ غَيْرَ مُوَاسِيَةٍ ، وَالْأَحْوَالُ غَيْرَ مُنَاسِبَةٍ ، لِتَجْزِئِ جَمِيعِ أَوَامِرِ الشَّرِيعَةِ الْخَاتِمَةِ لِشَرَائِعِ السَّمَاءِ ، وَقَدْ بَقِيَ الْكَثِيرُ مِنْ أَحْكَامِهَا فِي مَرَجَلَةِ الْإِقْتِضَاءِ شَطْرًا مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ ، أَيْ أَطْلَاعِ الشَّارِعِ عَلَى وَجُودِ الْمَصْلَحَةِ فِي الشَّيْءِ الْمَأْمُورِ بِهِ . وَالْمُفْسَدَةُ فِي الْمَنْهِيِّ عَنْهُ لِأَنَّ الْحُسْنَ وَالْقُبْحَ ذَاتَانِ فِي الْأَشْيَاءِ ، وَأَوَامِرُ الشَّارِعِ وَ

نَوَاهِيهِ كَاشِفَةٌ عَنْهُمَا ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَرْتَبَةَ التَّجْزِئَاتِ
 أَمْرًا مُكَلَّفِينَ بِهَا وَإِقَاعِهَا عَمَلًا إِلَّا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ ،
 كِبَاعَةُ الْغَدْرِ عَلَى لَايَةِ الْأَمِيرِ ، فَإِنَّ الرَّسُولَ الْأَعْظَمَ
 صَاحِبَ الْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةَ لَمْ يَسْتَطِعْ تَجْزِئَهَا إِلَّا فِي آخِرِ
 عَهْدِ الشَّرِيفِ ، بَعْدَ تَكَرُّرِ اخْتِزَافِهِ ، وَبَعْدَ تَقْدِيدِ
 جَاءِهِ مِنَ اللَّهِ وَتَوْعِيدِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ الْعِصْمَةَ
 مِنَ النَّاسِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ، وَأَقَامَ
 الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ مِنْ أَحْكَامِهَا الْآخِرِينَ مَرَحَلَةَ الْإِقْتِضَاءِ إِلَى مَا
 الصَّادِقِينَ حَيْثُ وَقَعَتْ فِي فِتْرَةٍ وَضَعْفٍ مِنَ الدَّوَلَتَيْنِ الدَّوْلَةِ
 الْأَمَوِيَّةِ الْمُدَبَّرَةِ بِمَقْتِهَا وَخُرُوجِهَا مِنَ النَّفُوسِ لِتَلَوُّثِ تَارِيخِهَا
 بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَآلِ الْحُسَيْنِ ، وَالْدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْقَائِمَةِ
 عَلَى الْإِخْلَافِ بِثَارِ الْحُسَيْنِ وَآلِ الْحُسَيْنِ ، لِأَجْرَمَ دَخَلَتْ هَذِهِ
 الْأَحْكَامُ فِي مَرَحَلَةِ الشَّجَرِ وَالْفِعْلِيَّةِ فَصَدَعَ بِهَا الصَّادِقَانِ
 عَنْ جَدِّهِمَا الصَّادِقِ الْأَمِينِ ، وَبَقِيَ بَعْضُ الْأَحْكَامِ لِمَنْ
 خَلَفَهُمَا مِنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَى قِيَامِ الْفَاتِمِ الْمُتَّظِرِ خَاتِمِ
 الْأَوْصِيَاءِ لِخَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَعَلَى كُلِّ فَقْدٍ تَصَلَّ عَمَلُ
 الشَّيْعَةِ بِالْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أُمَّتِهِمْ حُفَاطِ الشَّرِيعَةِ حَتَّى عَرَفَ
 ذَلِكَ الْمَبْدُوءَ وَالْقَرُوءَ وَالْمِلَلَ الْخَارِجَةَ عَنْ مَحَلَّةِ الْإِسْلَامِ
 وَتَنَاوَلَتْهُ الْأَجْيَالُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ ، وَصَاغِرًا عَنْ كَابِرٍ ،

❦ فِي تَضْيِيقِ الْحُسَيْنِ بِنَفْسِهِ ❦ (١١١)

وَعَصُوا عَلَيْهَا بَنَوَاجِدِهِمْ ، وَلَمْ يَجِدُوا لَأَنْفُسِهِمْ ، فِي
 تَرْكِهَا رُخْصَةً ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا خَافُوا عَلَى دِمَائِهِمْ ، فَتَكُونُ
 فِي دَرَجَةِ سَبِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ أَدْنَى دَرَجَةٍ مِنَ الْبَرَاءَةِ
 مِنْهُ إِذَا عَمِلْنَا بِخُطْبَتِهِ فِي شَأْنٍ مُعَاوِيَةٍ (١) أَلَا وَانَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّ
 وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي أَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّ لِي زَكَاةً وَلَكُمْ نَجَاةً وَ
 أَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِعُوا مِنِّي ، فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ
 وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ) فَرَقْنِي الشَّيْعَةُ الْكَرَامُ بِأَنَّهُمْ
 هَكَذَا أَصَفَقُوا عَلَى الْبِدْعَةِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْبَاطِلِ ظُلْمٌ عَظِيمٌ ،
 وَالْأَعْيَادُ عَنْهُمْ بِالتَّهْمِ وَالْتَبَرُكِ وَنَحْوِهَا عُدْرٌ لَا يَرْتَضِيهِ
 عَقْلِي لِأُولَئِكَ الْفُحُولِ لِأَنِّي لَا آرَاهُ يَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ
 وَهَذَا أَحَدُ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ لِعِصْمَةِ الْإِمَامِ عَصْمَةَ اللَّهِ ، وَ
 الْكَمَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، صَحِيحٌ أَنَّ مَحْضَ اسْتِبْعَادِ صُدُورِ هَذِهِ
 الْعَمَلِيَّةِ مِنَ الشَّيْعَةِ بِدُونِ صُدُورِ الْأَمْرِ عَنْ أُمَّتِهِمْ لَا يَكُونُ
 دَلِيلًا كَافِيًا ، وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرْجَأًا لِلْأَخْبَارِ وَالصَّائِلِ
 بِالْأَمْرِ عَلَى الْأَخْبَارِ التَّارِكَةِ لِذِكْرِ هَذَا الْفَصْلِ وَحَمْلِهَا عَلَى التَّقْيَةِ
 كَالْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ الْمُتَعَةِ ،

بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ شِدَّةَ مَدْخِلَةِ الْأَذَانِ فِي دِينِ الْأَسْلَافِ
 وَكَوْنَهُ الشَّعَارِلَهُ دُونَ الدِّثَارِ تَوْمِينُ كُلِّ الْإِيمَانِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ
 رَمَزَ لِحَوِّ الْأَسْلَامِ وَقَطَعَ دَائِرَهُ حِينَ امْتَعْصَمَ مِنْ تَكَرُّارِ ذِكْرِ اسْمِ مُحَمَّدٍ

(١) اصفقوا على امر واحد : اجتمعوا عليه (٢) امتنع من الامر : غضب منه وشق

فِيهِ وَتَعْلَمُ جَدًّا أَنَّ الْحُسَيْنَ عَرَفَ مَغْزَاهُ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ إِذَا
 تَرَكَ زَيْدًا لَشَهَوَاتِهِ وَتَرْغَايَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ وَوَصَايَا أَبِيهِ
 مُعَاوِيَةَ ، وَهُوَ يَرَى عِبَادَةَ بَقَرِ الشَّامِ لِابْنِ هِنْدٍ كَعِبَادَةِ
 أَبْنَاءِ الْهِنْدِ لِلْبَقَرِ ، لَأَجْرٍ يُحَقِّقُ زَيْدٌ أُمْنِيَّةَ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ
 وَيَرْفُتُ لَهُ الْبُشْرَى بِأَنَّهُ عَفَى عَلَى آثَارِ الْأَسْلَامِ وَذَهَبَتْ مَعَهُ
 كَالْأَذَانِ وَغَيْرِ الْأَذَانِ ، فَدَخَلَتْ فِي حَبْرٍ كَانَ ، فَتَقَرَّعَتْهُ وَ
 يَنْشِرُ صَدْرُهُ بِذَلِكَ وَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا الْجَنَادِلُ وَالْخَفَاةُ
 وَلَعَلَّهُ لَا يَبْقَى لَكَ شَكٌّ بِخَائِرِكَ إِذَا اسْتَمَعْتَ مَعِيَ إِلَى الْحَدِيثِ
 الدَّارِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ خَلِيفَةِ الْحُسَيْنِ وَالْمُطَّلِعِ جَدِّهِ
 عَلَى سَرَارِ هَضْمَةِ الْحُسَيْنِ وَبَيْنَ ابْرَاهِيمَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 التَّيْمِيِّ ، كَمَا ذَكَرَ الْمُفِيدُ أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ زَيْدٍ اسْتَقْبَلَهُمْ
 هَذَا الشَّقِيُّ ، وَقَالَ يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَنْ غَلَبَ ، وَهُوَ يُغْطِي
 وَجْهَهُ - لِأَنَّهُ يَنْبَسِمُ شِمَاتَهُ وَلَكِنَّهُ يَسْتَخْفِي مِنَ النَّاسِ لَا يَسْتَخْفُونَ
 مِنْ اللَّهِ - فَقَالَ لَهُ الْأَمَامُ رُوحِي فِدَاهُ (١) إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ
 غَلَبَ وَدَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذِنْ وَأَقِمْ ، أَفَلَسْتَ تَفْهَمُ مَعِيَ
 أَنَّ الْحُسَيْنَ أَدْرَكَ غَرَضَهُ بِهَذَا الْقَتْلِ ، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يُعَارِضْ زَيْدٌ
 فَيَقْتُلَهُ زَيْدٌ لَعَفَى زَيْدٌ عَلَى آثَارِ الْأَسْلَامِ إِذَنْ فَالْحُسَيْنُ أَحَبُّ
 بِقَتْلِهِ الْأَسْلَامَ وَآثَارَهُ فَهُوَ الْغَالِبُ الظَّافِرُ بِمِقْصَدِهِ ، وَأَعَادَ هَذَا
 الْمَعْنَى بِأَبْلَغٍ وَأَظْهَرَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ حِينَ خَطَبَ بِالشَّامِ ،

(١) نُسِبَتْ إِلَيْهِ الرِّبَازُ مُحَمَّدٌ فِي سُلْطَةِ جَمْعِهِ فَأَوَّلُ مَا يَرْمِي زَيْدًا اسْمُهُ ، وَالْأَوَّلُ مِنْهُ اسْتَبْعَا

فِي مَجْلِسِ زَيْدٍ الْحَاشِدِ خُطِبَتْهُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا
كَثِيرًا مِنْ فَضَائِلِ جَدِّهِ الْمُصْطَفَى وَابْنِهِ الْمُرْتَضَى بَعْدَ أَنْ
نَزَلَ خُطْبُهُ عَنِ الْمِنْبَرِ وَقَدْ فَرَّغَ - بِإِذْنِ اللَّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ -
مِنْ سَبِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يَنْزِلِ إِلَّا
إِلَّا بِفَضِيحَةِ زَيْدٍ وَفَضِيحَةِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ كَافَّةً، كَمَا تَوَسَّعَ
ذَلِكَ فِيهِ زَيْدٌ قَبْلَ تَتَبُّعِهِ ذُرُوءَ الْمِنْبَرِ، وَلَكِنْ هَلْ تَعْلَمُ
كَيْفَ افْتَضَحَ زَيْدٌ وَآلُ أَبِي سُفْيَانَ أَمَامَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى يَدِ
خَلِيفَةِ الْعُتْرَةِ وَالزَّمَانِ، ذَلِكَ لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ تَوَعَّلَّ فِي أَهْلِ
الشَّامِ وَاسْتَغْلَلَ سَدَاجَةَ عُقُولِهِمْ، فَأَثْبَتَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ
وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ
عَلَيْهِمْ فِي فُرُوضِ الصَّلَوَاتِ، وَكَرَّرَ عَلَى ذَهَابِهِمْ أَنَّ عَلِيًّا
وَأَهْلَ بَيْتِهِ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَبَنِي الْإِسْلَامِ فَوَجِبَ سَبُّهُمْ
وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ (وَمَتْنِي بِدَاهَا وَأَنْسَلْتُ) وَخَافَ زَيْدٌ
أَنَّ لَا يُنْظَلَ هَذِهِ الْفِرْيَةُ عَلَى أَهْلِ مَجْلِسِهِ الْحَاشِدِ الْجَامِعِ
لِلْغَيْثِ وَالسُّمَمِ، فَأَظْهَرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبَّايَا غَائِلَةٌ أَحَدِ الْخَوَاجِ
الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ وَجَاءَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ
بِالْحُجَّةِ الْبَيِّنَةِ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ بِلِالدَّوَاءِ النَّاجِعِ، لَدُخْرِ
مَزَايِمِ زَيْدٍ وَمُعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ ابْنُ خَارِجٍ - كَمَا يُزْعَمُ
زَيْدٌ - بَلْ ابْنُ مُحَمَّدٍ صَفْوَةِ الْعَالَمِ الصَّادِقِ بِشَرِيعَةِ السَّمَاءِ

الخالدة وتسلّس في خطبته إلى دحض مزاعم معاوية ،
 بأن عليًا عدو دين الإسلام ونبي الإسلام فبين - لا تُفْضُوهُ -
 ما لجده أمير المؤمنين في رفع قواعد الدين ، وأنه هو الذي
 ضرب خراطيم الخلق - أي أنا هم - حتى قالوا لا إله إلا الله
 فهو شريك المصطفى ، وعلى كاهله ثبتت أركان الهدى ،
 ولطبعًا إن البحر لم يصف حَبْدًا كَ فان مجلس يزيد لم يقتصر
 على أهل الشام بل يضم كثرًا من الرواد إليها والمترددين
 عليها ، وسبصدقون زين العابدين لو أراد لقوله تفنيدًا ،
 والله شهيد على ما قال وكفى بالله شهيدًا ، وإذا كان خطبه
 الآن قد فرغ من سب هذا المساهم الأول والمشاطير الجيد
 في رفع قواعد الإسلام ، وإذا كان جيشه قد فرغ من قتل
 ذريته عترة النبي ، وما هو قد جاء بعياهم أسارى ،
 فقد خرج يزيد وآله من دين الإسلام ، وإن لم يدخلوا فيه ،
 وقتل الإسلام بقتل نصارى الإسلام ، وبسببه وسببائه
 لمن كان الساب له سائبًا بالله ورسوله ، فانعكس الأمر على
 يزيد ، وبهت الذي كفر ، وسقط في يده وتحير ، وكأ
 أولى به من أبيه أن يمتن لو يدفن حيا فيعيد كلمة أبيه
 الغابرة (لا خير في الحياة بعد هذا الفضيحة - الأدفأ
 دفنا) غير أنه لما رأى البيعة قد قامت عليه ودمغته الحجة

الوَاضِحَةُ وَالسُّلْطَانُ الْمُبِينُ ، وَأَنَّهُ هُوَ آلُهُ أَعْدَاءُ
الدِّينِ وَقَتْلَةُ الْأَسْلَامِ ، تَحَبَّرَ إِلَى جَانِبِ مِنَ الدِّفَاعِ
عَنْ نَفْسِهِ ، ظَنَّ أَنَّهُ أَعْظَمُ أَثَرًا وَأَبْلَغُ نَفْعًا مِنْ جَمِيعِ
مَا عَدَاهُ ، فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ بِأَنْ يَقْطَعَ خُطْبَةَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ
بِالْأَذَانِ لِيُخَفِّفَ مِنْ وَطْأَةِ الْعَادِ الَّذِي وَسَمَهُ بِهِ الْأَمَامُ
وَالْفَضِيحَةُ فِي خُرُوجِهِ مِنْ دِينِ الْأَسْلَامِ ، بَلْ زَادَ قَتْلَهُ
لِدِينِ الْأَسْلَامِ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْمُؤَذِّنَ إِذَا هَتَفَ عَنْ أَمْرِهِ
بِفُضُولِ الْأَذَانِ - وَهِيَ مَا هِيَ - فِي الْأَشَادَةِ بِصَمِيمِ
عَقَائِدِ الْأَسْلَامِ كَانَ مُعَارِضًا لِحُطْبَةِ الْأَمَامِ بَعْضَ
الْمُعَارِضَةِ ، وَاسْتَعُودَ بِتَكَرُّرِ الْأَذَانِ فِي الْأَوْقَاتِ
مُجْتَهِّدًا دَاحِضَةً ، وَأَتَى لَوْلَمَّا كُنْ مُسْلِمًا لَمَّا أَتَيْتُ بِشِعَارِ
الْأَسْلَامِ ، وَلَوْ كُنْتُ أَذْنْتُ الدِّينَ بِالْقِتَالِ لَسَلَحْتُ
بِقِطْعِ الْأَذَانِ دُونَ الْأَشَادَةِ بِفُضُولِ الْأَذَانِ ، وَالْأَمِنْ
كَانَ يَتَصَوَّرُ يَا تُرَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ الدَّاهِيَةُ ، يَقْطَعُ
خُطْبَةَ الْحَسَنِ ، بِأَنْ يَقُولَ لَهُ (خُذْنِي نَعْتِ الرُّطْبِ)
وَيَزِيدُ الْمُسْتَهْتَرِ الْخَلِيعِ الثَّمِيلُ بِسَكَرَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ يَقْطَعُ خُطْبَةَ
زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، وَيُعَارِضُهَا بِفُضُولِ الْأَذَانِ ، وَلَكِنَّهُ
لَعَنَهُ اللَّهُ وَأَخْرَاهُ فَرِيدًا لَكَ مِنَ الْمَطَرِ إِلَى الْمِيزَابِ ، وَ

بَكَلْبَتِهِ لِمَنَاجِ الْأَذَانِ ، وَارْهَفَ لِمَضَامِينِهِ الْعَالِيَةَ
 مِنْهُ الْأَذَانِ ، فَلَمَّا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَكَرَّمَهَا ،
 قَالَ لِأَشْيَ الْأَكْبَرِ مِنَ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَالَ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ قَالَ عَلَيَّ شَهِدَ بِهَا شَعْرِي وَبَشْرِي وَعَظْمِي وَلَحْمِي وَدَمِي
 فَلَمَّا قَالَ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، التَفَتَ
 الْأَمَامُ مِنْ فَوْقِ الْمِنْبَرِ إِلَى بَرِيدٍ - وَلَعَلَّ لِمُعَاوِيَةَ حَدَسًا
 خَافَ بِهِ مَغْبَةَ دَوَامِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْأَذَانِ - حَيْثُ قَالَ
 لَهُ - وَكَأَنَّهُ يَنْتَزِعُ كَلَامَهُ مِنْ لِسَانِ حَالِ الرَّايِ الْعَالِمِ فِي
 ذَلِكَ الْحَفْلِ الْحَاشِدِ الْحَاقِدِ عَلَيْهِ - مُحَمَّدٌ هَذَا جَدِّي أَمَّ جَدِّي
 بِبَرِيدٍ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جَدُّكَ فَقَدْ كَذَبْتَ وَكَفَرْتَ ، وَإِنْ
 زَعَمْتَ أَنَّهُ جَدِّي فَلِمَ قَتَلْتَ عِثْرَتَهُ ، وَلِمَ قَتَلْتَ أَبِي سَبِيَّتِ
 نِسَاءَهُ ، مَعَاشِرَ النَّاسِ هَلْ فِيكُمْ مَنْ جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ

أَهْوَى إِلَى جِيهِ نَشَقَّهُ صَارْخًا بِلِسَانِ حَالِهِ
 يَا اللَّهُ إِنَّكَ يَا بَرِيدُ قَتَلْتَهُ سِرًّا بِقَتْلِكَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



﴿ كَيْفَ يُعْرِضُ عَائِلَتَهُ لِلْأَسْرِ ﴾

لَعَلَّ خِتَامَ الْكَلَامِ عِنْدَ الْمُعْتَرِضِ حَمْلُ الْحُسَيْنِ نِسَاءَهُ وَحُرْمَهُ
وَأَطْفَالَهُ مُعَرِّضًا لَهَا بِالْهَنْكِ وَالسَّبِي الَّذِي ابْتُلِيَتْ فِيهِ
بَعْدَ قَتْلِهِ مَصْحُوبَةً بِرَأْسِهِ وَرُؤُوسِ أَعَاظِهِمِ اصْحَابِهِ ،
وَلَكِنِّي نَعْتَقُدُ أَنَّ سَيَتَجَلَّى لِلْمُعْتَرِضِ غَلْطُهُ عِنْدَ
مَا يَظْهَرُ لَهُ الْوَجْهُ فِي قَصْدِ الْحُسَيْنِ الْكَوْفَةُ الَّتِي يَعْتَقِدُ كُلُّ
أَحَدٍ عَلَى ثَرِكَيْهَا بَتَاهُمْ لَهُ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ سَتَبَّ لَهُ فِيهَا ، فَكَيْفَ
يَتْرَكَ حُرْمَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ تَرَكَ الْفِتْنَةَ قَائِمَةً فِيهَا
عَلَى سَائِقٍ وَقَدِيمٍ ، وَقَدْ بَذَلَ بَنُو أُمَيَّةٍ جُهْدَهُمْ فِي قَتْلِهِ
فَفَاتَهُمْ بِأَجَلِهِ الْمُقَدَّرُ لَهُ ، فَضَلَّ تَرَاهُمْ يَحْتَرِمُونَ
الرَّسُولَ فَلَا يَهْجُونَ نِسَاءَهُ مَا دَامَ كَفِيلُهَا غَائِبًا ، وَمَتَى كَانَ
الْحَرَمُ النَّبَوِيُّ مُحْتَرَمًا عِنْدَ مُبَّةٍ وَاتِّبَاعِهَا ، أَوْ حِينَ رَمَوْا
جَنَازَةَ سِبْطِهِ الْحَسَنِ فِي رَوْضَتِهِ بِالنِّهَامِ ، أَمْ حِينَ تَطْلُبُوا
بِهِ قَتْلَ حَبِيبِهِ الْحُسَيْنِ فَارْتَجَوْهُ مَنَفِيًّا عَنْهُ ، أَمْ يَوْمَ
الْحَرَّةِ ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْحَرَّةِ ، يَوْمَ أَبَاحَ الْمَدِينَةَ
جَيْشُ زَيْدٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَلِيًّا لَهَا ، فَقَتَلَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ
وَذَبَحَ الْأَطْفَالَ وَهَتَكَ أَعْرَاضَ الْمَخْدَرَاتِ ،
وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي مِنْ اسْتِرَارِ حَمْلِهِ لِمَا سَأَلْتُهُ وَجُوهَ

(الْأَوَّلُ) مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ نَقْلِهَا مِنْ مَوْضِعِ الْخَوْفِ
وَالْخَطَرِ إِلَى مَبَاءَةِ الْأَمْنِ وَالْأَطْشَانِ ، فِيمَا يَظُنُّ وَيُظْهَرُ
لَهُ مِنْ انْقِيَادِ الْكَوْفَةِ بِرُمْتِهَا إِلَيْهِ ، وَلَعَلَّ الْمُعْتَرِضَ بِصَوْلِ
عَلَيْنَا بِمَا أَخْبَرَهُ الْحُسَيْنُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ
أَنَّهُ سَيُقْتَلُ وَتُسَبَّى نِسَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَدْ حَمَلَهَا إِلَى
الْأَسْرِ فِيهَا يَتَوَسَّمُ مِنَ الْحَالَةِ الْحَاضِرَةِ وَنَظَرِهِ إِلَى الْغَايَاتِ
مِنْ مَبَادِئِهَا ، فَيَكُونُ قَدْ قَرَّبَهَا مِنَ الْمَطَرِ إِلَى الْمِيزَابِ ،
قُلْنَا إِنَّ أَخْبَارَهُ بِقَوْلِهِ (شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرَانِي قَتِيلًا
وَيَرَاهُنَّ سَبَايَا عَلَى أَقْتَابِ الْمَطَايَا) لَيْسَ مِنَ التَّوَسُّمِ بِشَيْءٍ
بَلْ هُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا آدَاهُ اللَّهُ مِنْهُ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ بِأَحَدِ الطَّرِيقِ
الَّتِي قَدْ مَنَّا ذِكْرَهَا لِعِلْمِ الْأَمَامِ ، فَقَدْ رَجَعَ الْمُعْتَرِضُ إِلَى
الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي وَهَذَا مَا كُنَّا نُبْغِي ، فَجَعَلَ الْحُسَيْنَ
قَائِمًا بِوُظُفِيَّتِهِ الَّتِي رَتَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مُنْقَادًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ
بِتَوْطِينِهِ نَفْسَهُ عَلَى الْقَتْلِ وَتَقْدِيمِ حُرْمِهِ لِلْأَسْرِ ، وَمَا
ذَلِكَ بِكَثِيرٍ فِي جَانِبِ امْتِثَالِ أَمْرِ الْمَوْلَى الْجَلِيلِ عِنْدَ أَحَادِ
الْمُسْلِمِينَ ، فَمَا بِالْكَسْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَسَلِيلِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ،

(الثَّانِي) أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ عِيَالَهُ فِي الْمَدِينَةِ كَانَ ذَلِكَ
أَعْظَمَ مَانِعٍ عَنْ مُعَارَضَةِ أُمِّيَّةٍ ، حَتَّى لَوِ اشْتَقَّ لَهُ أَمْرُ الْكُوفَةِ

﴿ كَيْفَ يُعْرَضُ عَلَاءُ بَلَدٍ لِأَسَرٍّ ﴾ (١١٩) هـ

وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى نَكَايَةِ عَدُوِّهِ وَعِيَالِهِ وَحُرْمِهِ فِي قَبْضَةٍ
ذَلِكَ الْعَدُوِّ ، أَلَا تَرَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ - وَالْحَقُّ لَا يُشَبَّهُ
بِالْبَاطِلِ - لَمَّا انْقَادَتَ لَهُمَا الْبَصْرَةُ وَظَفِيرَا بَعَامِلِيهَا مِنْ
قَبْلِ عَلِيٍّ لَمْ يَتِمَكَّنَا مِنْ قَتْلِهِ خَوْفًا عَلَى عِيَالِهِمَا بِالْمَدِينَةِ ،
وَهِيَ تَحْتَ سُلْطَةِ أَخِيهِ عَامِلِ مَبْرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا عَلَى
الْمَدِينَةِ ،

(الثالث) التَّقْضُ بِسِيرَةِ جَدِّ رَسُولِ اللَّهِ فَقَدْ ذَكَرَ
التَّارِيخُ أَنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ يُقَارِعُ بَيْنَ نِسَاءِ
مَنْ خَرَجَتْ عَلَيْهَا الْقُرْعَةُ مِنْهُمْ حَمَلَهَا مَعَهُ ، فَخَرَجَتْ
عَلَى عَائِشَةَ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَعَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فِي
غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَعَلَى غَيْرِهِمَا فِي غَيْرِهِمَا ، وَالْعِرْضُ
الْعَزْمُ مِنَ النَّفْسِ سَوَاءً كَانَ وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا ، وَلَعَلَّكَ لَا
تَشْكُ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَخْتَرِعْ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ ، بَلْ جَرَى عَلَى
نَسَقٍ غَيْرِهِ مِنْ أَعْرَاءِ الْجِيُوشِ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ ، فَقَدْ غَزَا
الْمَدِينَةَ أَنْجَادُ مَكَّةَ وَرُؤَسَاءُ قَبَائِلِهَا يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَعَهُمُ
الظَّعْنُ أَبِي النِّسَاءِ ، وَعَلَى رَأْسِهِنَّ هُنْدُ بِنْتُ عُثْبَةَ
أُمُّ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحِزْرَةُ شَقَّتْ بَطْنَهُ وَخَرَجَتْ كَبِدُ
وَلَا كَتْنَهَا ثُمَّ لَفَظَتْهَا ، فَكَانَ مُعَاوِيَةُ ابْنَ الْكَلَةِ الْكَبِيرِ مِنْ
ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَمْ يُنْكَرْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ هـ

حَالِ النِّسَاءِ الْآمَاءِ مَا كَانَ مِنْ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ ، فَقَدْ أَنْكَرَ
عَلَى مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيَّ جَعَلَ بَيْضَةً هَوَازِينَ فِي
مَخُورِ الْخَيْلِ ، فِي وَاقِعَةٍ حُنَيْنٍ ، وَقَدْ صَدَقَتْ كَهَانَتُهُ
وَأَفْتَضَحَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَكَانُوا الْغَنِيمَةَ الْعُظْمَى لِلْمُسْلِمِينَ ،
غَيْرَ أَنَّ مِنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ بَكْرِيَّةٌ وَعَظْفِيَّةٌ إِلَّا هِيَ زَادَهُمْ
شَرَفًا وَأَبْدَلَهُمْ بِذُلِّهِمْ عِزًّا عَمَلًا بِقَوْلِهِ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ،
(أَكْرِمُوا عِزَّ قَوْمٍ ذَلَّ) أَمَّا الْحُسَيْنُ فَلَمْ يَنْوَ الرَّجُوعَ عَنِ الْكُوْفَةِ
لِيَرْجِعَ إِلَى بَيْضَتِهِ الَّتِي دَرَجَ مِنْهَا وَهُوَ يَعْلَمُ - بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ -
أَنَّ اللَّهَ مَا نَعُ بَنِي مُيَّةٍ مِنْ أَنْ يَنَالُوا عِيَالَهُ بِسُوءِ الْآمَاءِ
كَانَ فِيهِ تَتِمُّمُ غَرَضِهِ الَّذِي اسْتَفْتَحَهُ ، وَفَضِيحَةُ بَنِي أُمَيَّةٍ
وَأَنْدِحَارُهُمْ أَمَامَ سِلَاحِ الْحَقِّ وَقُوَّةِ غَرِيمَةِ الصِّدْقِ ، وَآمِلُنَا
قَلِيلًا نُوَضِّحُ لَكَ الْأَمْرَ أَتَمَّ

(الرَّابِعُ) ، أَنَّ الْحُسَيْنَ لَوْلَمْ يَهْجُلِ النِّسَاءَ لَمْ يَتَأَتَّ لَهُ حَمْلُ
طِفْلِهِ عَبْدَ اللَّهِ الرِّضِيِّ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الْفَتْحَ الْعَظِيمَ الَّذِي
شَارَفَهُ الْحُسَيْنُ حِينَ عَرَضِهِ عَلَى الْقَوْمِ يَلُوكُ بِلِسَانِهِ مِنْ
شِدَّةِ الْعَطَشِ ، ثُمَّ افْتَضَحُوا بِقَتْلِهِ بَلْ هَلَكُوا بِذَلِكَ بُدْعًا
الْحُسَيْنِ حَيْثُ قَالَ (أَلَلَّاهُمْ لَا يَكُنْ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلِ
نَاقَةٍ صَالِحٍ) فَضَرَبَ لَهُمْ مِنَ الْفَصِيلِ مِثْلًا حَيْثُ هَامَ
بَعْدَ عَقْرَائِمِهِ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ،

وَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، وَالْأَيَّامُ قَدْ تَكُونُ عِنْدَ
اللَّهِ سِنِينَ كَمَا تَكُونُ الْآفَامُ مِنَ السِّنِينَ (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) .

(الْخَامِسُ) لَقَدْ رَأَى الْحُسَيْنُ أَبَاهُ مِنْ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ
حَيْثُ خَرَجُوا عَلَيْهِ فَظَفِرَهُمْ وَلَمْ يُجِ نِسَاءَهُمْ لِعَسْكَرِهِ
الظَّافِرِ ، وَاقْتَنَهُمْ إِذْ غَارَ ضَوْؤُهُ فِي ذَلِكَ بَانَ رَسُولَ اللَّهِ
مَنْ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ فَصَدَقَ
بِفِعْلِهِ هَذَا قَوْلَهُ الَّذِي كَانَ دَائِمًا يُوصِي بِهِ عَسْكَرَهُ قَبْلَ الْخِطَابِ
الْحَرْبِ إِذْ يَقُولُ (فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْيَةُ بِأَذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا
مُدْبِرًا ، وَلَا تُصِيبُوا مُعَوِّرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا
تُهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاصَكُمْ وَسَبَبْنَ
أُمَرَائِكُمْ ، فَاتَّقِنَ ضَعِيفَاتِ الْقُوَى وَالْأَنْفُسُ وَالْعُقُولُ ،
وَإِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ ، وَاتَّقِنَ لَشُرَكَاتٍ ، وَ
إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ
الْمِرَاوَةِ ، فَيُعِيرُهَا وَعَقْبُهُ مِنْ بَعْدِ) بَلْ قَدْ صَحَّخَ زَوَايَا
الْحُرَّةِ ابْنَةَ التُّعْمَانِ أَنَّ الرَّدَّ عَلَى الْمَرْأَةِ كَانَ عَادًا
عَلَى الرَّجُلِ ، وَإِنْ سَبَّتْهُ وَحْيَهُ كَمَا ذَكَرْنَا أَنَّهَا لَمَّا هَرَبَتْ
مِنْ كَسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ جَعَلَتْ تَطُوفُ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ
لِيَجِيرُوهَا مِنْ كَسْرَى فَلَمْ يَفْعَلُوا ، فَاتَّفَقَ أَنْ سَبَّتْ أَهْلَ

حَيِّ امْتَنَعُوا - كاصْحَابِهِمْ - مِنْ جَوَارِهَا ، فَاجَابَهَا حَدَّثَ
مِنْ اَحْدَاثِ الْحَيِّ قَائِلًا لَهَا (يَا ابْنَةُ الْكِرَامِ كَيْفَ بُخِرَكَ
مِنْ كَسْرِي ، وَانْتَ تَعْلَمِينَ اَنَّ السِّلَاحَ لَا يَعْمَلُ فِي اجْسَادِ
الْعَجَمِ شَيْئًا) - وَكَانَتْ هَذِهِ عَقِيدَةُ الْعَرَبِ فِيهِمْ
اِذْ ذَاكَ - فَقَامَ لَهُ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ الْحَيِّ وَلَطْمَهُ قَائِلًا لَهُ
رَا تُرِيدُ اَنْ تَجْمَعَ عَلَيْنَا عَادِينَ اسْتَجَارَتْ بَنَا فَمَا اجْرَانَا
ثُمَّ نَزَدَ عَلَيْهَا كَلَامَهَا وَهِيَ امْرَأَةٌ ، فَاِنْ كَانَ الْمُعْتَرِضُ لَا يَرْضَى
اَنْ يَجْعَلَ بَنِي امِيَّةَ الْعَرَبِ الْاَفْحَاحَ عِنْدَهُ مِنْ سَائِرِ عَرَبِ
الْجَاهِلِيَّةِ وَهُمْ فِي دَوْرِ الْاِسْلَامِ ، لِيُلْزِمَهُمْ اَنْ يَكْفُوَاعُوا
نِسَاءَ الْحُسَيْنِ سِيَاطَهُمْ وَهَرَاوَاهُمْ ، بَلْ اَلَيْسَتْهُمْ الْبَدِينَةُ
بَلْ الْمَطْبُوعَةُ عَلَى النُّطْقِ بِالْهَرَاءِ وَقَوْلِ الزُّورِ ، لِيَلَّا يُعْتَرُوا بِهَا
وَاَعْقَابُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، بَلْ يُرِيدُ اَنْ تَخْرُجَ بِهِمْ عَنْ
الْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ ، قَبْلَ الْمُنَاجَاةِ الدِّينِيَّةِ ، فَلْيَجْعَلَهُمْ
كَيْفَ شَاءَ فَاِنَّ اللَّهَ حَافِظٌ مِنْ مَكْرِهِمْ وَرَادٌّ كَيْدَهُمْ
فِي مَخْوَرِهِمْ (وَارِنْ رَبَّكَ لَبَا لِمِرْصَادِ) وَاللَّهُ خَيْرُ حَافِظًا
وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ،

(السادس) - وَهُوَ الْعُنْدَةُ مِنَ الْوُجُوهِ - اِنَّ اَسْرَعَ بَالٍ
مُتِمِّمٌ لِنَهْضَتِهِ وَمَكْلٌ لِسِيرَتِهِ ، فَاِنَّ مُعَاوِيَةَ اسْتَسْلَعَتْهُ
الْكَذِبَ بَلْ مَلَأَ اَقْطَارَ مَمْلَكَتِهِ كُلِّهَا بِالْفُرْيَةِ وَقَوْلِ الزُّورِ ،

﴿ كَيْفَ يُعَرِّضُ غَائِلُنَا لِلْإِسْرِ ﴾ (١٢٣) .

حَيْثُ جَعَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا - وَحَاشَا قَدْسَهُ وَعُلَا -
 يَقْطَعُ الطَّرِيقَ فِي الْعِرَاقِ وَأَنَّهُ لَا يَصُومُ وَلَا يُصَلِّي ، حَتَّى
 فَضَحَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ فَقَتَلَ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَائِمًا فِي مُحَرَّابِ
 الصَّلَاةِ ، وَكَانَ سَاجِدًا لَوَجْهِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَطَلَّقَ
 مُعَاوِيَةَ عَنَانَ هَوَاهُ وَاسْتَمَرَّ يَجْرِي مِنْطَلَقًا فِي مِضْمَارِ الْكَذِبِ
 إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ ، حَتَّى حَقَّقَ فِي الْأَذْهَانِ وَجُوبَ سَبِّ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ أَكْذَفُهَا وَجُوبَ قَتْلِ مَنْ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْهُ
 مُسْنِدًا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (وَإِنَّ اللَّهَ بَرُّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 وَرَسُولُهُ) وَجَاءَ يَزِيدُ يَقْتَضُ أَثَرَهُ وَيَجْرِي فِي عَنَانِهِ (وَ
 مِنْ عِصَّةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكْرُهَا) فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ الْحُسَيْنَ مِنْ
 بَعْضِ الْخَوَارِجِ ، بَلْ هُوَ هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ ، لَا يَعْرِفُ لَهُ نَسَبٌ
 وَلَا يُدْرَى مِنْ أَيِّ عُشٍّ مِنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ دَرَجٌ ، فَأَنْطَلَتْ
 فِرْيَتُهُ بِأَدَى الْأَمْرِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ - وَلَعَلَّ مِنْهُمْ
 الْمُعْتَرِضِينَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا - وَقَدْ زِيدَ فِي نَفْسِهِ -
 فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ الرَّأْيُ الْعَامَ حَقِيقَةَ هَذَا
 الْخَارِجِيِّ طَبَقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ هَذَا ابْنُ الرَّجُلِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ
 - كَأَدْوَى سَمْرَةٍ بْنُ جُنْدَبٍ لَعَنَ - (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ
 قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ لِيَزِيدَ بِالْمُرْصَادِ ،
 فَقَدْ رَادَ يَزِيدُ وَأَرَادَ اللَّهُ (وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا)

فَقَضَاهُ كَأَبِيهِ وَأَشْيَاءَ بِهِ بِمَا ظَهَرَ لِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ع مِنْ
تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ إِعْلَانًا بِأَنَّهُ قُتِلَ لِأَحِبَّاءِ الْقُرْآنِ ، وَ
ظُهُورِ النُّورِ مِنْ غُرَّتِهِ الشَّرِيفَةِ حَتَّى يَلْحَقَ بِعِنَانِ السَّمَاءِ
إِعْلَامًا بِأَنَّهُ جَاءَ لِيُخْرِجَ أُمَّةَ جَدِّهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ
الْكَرَامَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، وَبِمَا الْقِيَّامُ زِينَةُ الْعَابِدِينَ
سَلِيلُ الْحُسَيْنِ وَحُرَاءُ النِّسَاءِ شَقِيقَةُ الْحُسَيْنِ ، وَ
غَيْرُهُمَا مِنْ عِيَالِهِ مِنَ الْخُطْبِ فِي مَجَامِعِ الْخَلْقِ الَّتِي أَخَذَ
فِي مَجَامِعِ الْقُلُوبِ ،

أَيُّ سِلَاحٍ هَذَا الَّذِي كَانَتْ بِهِ الْحُسَيْنُ يَزِيدُ ،
آيَةُ قُوَّةِ جَبَّارَةٍ ضَرَبَتْ بِهَا الْحُسَيْنُ عَلَى أَيْدِي الظَّالِمِينَ
آيَةُ سِيَاسَةِ الْهَيْبَةِ انْدَحَرَتْ أَمَامَهَا مَبَادِي سِيَاسَةِ
شَيْطَانِ بَنِي أُمِّيَّةَ ، أَيُّ تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ رَدَّ كَيْدَهُمْ فِي مَخْرَجِهِمْ
فَاتَّضَحَ الْأَمْرُ بَعْدَ التَّبَاسُّهِ وَاسْتَفْرَ الصُّبْحُ لَذِي عَيْنَيْنِ ،
(وَاتَّمَا يُكَذِّبُ الْفَاجِرُ وَيَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ) كَمَا قَالَتْ ذَيْنَبُ
لَا بِنَ مَرْجَانَةَ ، وَكَمَا قَالَ يَزِيدُ لَمَّا سَأَلَهُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ
يَأْذِنَ لَزَيْنِ الْعَابِدِينَ بِالْخُطْبَةِ (إِنَّهُ إِنْ صَعِدَ الْمِنْبَرُ لَمْ يَزَلْ
إِلَّا بِفَضِيحَتِي وَفَضِيحَةِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ) وَقَدْ هَدَى اللَّهُ
مَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ عَلَى أَيْدِي عِيَالِ الْحُسَيْنِ ، فَأَعْتَنَ الْكَثِيرُ

كَيْفَ يُعْرِضُ عَائِلَتَهُ لِلْإِسْرِ* (١٢٥) هـ

مِنَ النَّاسِ دِينَ الْإِسْلَامِ بِطَرِيقَةِ التَّشْيِيعِ ، وَآخَرَهُمْ
مِنْ ظُلُمَاتِ الزَّيْغِ إِلَى نُورِ الْحَقِّ ، ككَثِيرٍ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ
فَقَتَلَ زَيْدٌ وَجَيْشُهُ مَنْ قَتَلُوا ثُمَّ اشْتَعَلَ الْخَرْقُ عَلَى رَاقِعِهِ
وَسُقِطَ فِي أَبْذِهِمْ وَارْتَجَّتْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ الْعُذْرِ ،
فَعَصَوْا أَنَا مِلَهُمْ نَدَمًا ، وَبَاثُوا بِخَزْيٍ مِنْ اللَّهِ (وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) ،

هَذَا وَلَا تَحْسَبَنَّ طَمَعَ الْحُسَيْنِ مُحَمَّدًا يَهْدِيهِ وَلِئِكَ
الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ أَوْ غَيْرِهِمْ عِنْدَ مَا سَمِعُوا خُطْبَ عِيَالِهِ
وَرَأَوْا رَأْسَهُ الشَّرِيفَ مَرْفُوعًا بَأَعْلَى الرَّفْجِ ، مَشْرِقًا بِآيَاتِ
الْهُدَى ، وَأَعْظَمَهَا تِلَاوَةَ كِتَابِ اللَّهِ الْمَجِيدِ ، مُشْعِرًا
بَأَنَّهُ قَتِلَ لِأَحِبَائِهِ ، وَمُصْطَرِحًا بِأَن تِلَاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ مِنْ
أَحْبَبِ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي تُرْعِخُ بِهَا أَنْفُوسُ الطَّبِيعَةِ وَأَنْصَادُهَا
فَإِنَّ أَكْثَرَ أُولَئِكَ قَدْ قَتَلَهُمْ زَيْدٌ وَأَعْوَانُهُ بَلْ لَمَّا كَانَ سُنَّةَ
الْبَشَرِ وَمِنَ الْعَادَاتِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ تَزْوِجُ كُلِّ أَحَدٍ
لَا تَبَاعِ آبَائِهِ فِي الرَّأْيِ وَتَقْلِيدُهُ فِي الدِّينِ ، وَقَوْلُهُمْ
بِلِسَانِ الْحَالِ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ (أَنَا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) فَوَاقِفُ الْحَقِّ
مَنْ وَافَقَهُ لِذَلِكَ الدَّاعِي ، وَزَاغَ عَنِ الْحَقِّ أَكْثَرُ الْخَلْقِ
لِغَضِّ نَظَرِهِمْ عَمَّا سِوَاهِ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ وَالْأَدَلَّةِ عَلَى عُتْنَانِ

الَّذِينَ بِالْبُرْهَانِ دُونَ التَّقْلِيدِ ، كَانَتْظَرْنَا هَذَا الْمَعْنَى
 فِي إِحْدَى بَاعِيَاتِنَا فَقُلْنَا
 أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَضِلُّونَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ
 فَتَبَصَّرْ طَرِيقَ رُشْدِكَ وَسَلُوكِ فِيهِ ، لَا تَبْقُ خَائِطُ الظُّلُمَاتِ
 وَقَدْ تَتَابَعَتِ الْأَعْقَابُ الْكَثِيرَةُ وَخَلَفَتِ الْجَيْلُ الَّذِي هُنَا
 بِذَلِكَ التَّارِيخِ أَجْيَالٌ وَقُرُونٌ ، فَدَخَلُوا كُلُّهُمْ فِي دِينِ الْأَسْلَافِ
 وَ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَامُ) وَصَارُوا مِنْ أَنْصَارِ
 الْحُسَيْنِ وَمُحِبِّيهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ ذَلِكَ الْقَرْنِ
 قَدْ صَارَ فِي ضَمْنِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ، فَأَيُّ
 ظَفَرٍ اعْظَمَ مِنْ هَذَا الظَّفِيرِ (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفٌ السَّمْعِ
 وَهُوَ شَهِيدٌ) وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِيهَا وَرَدَّ مِنْ خُطَابِ النَّبِيِّ
 لِحَلِيلِهِ الْوَصِيِّ قَائِلًا لَهُ (يَا عَلِيُّ لَا نَ يَهْدِي بِكَ اللَّهُ نَفْسًا
 وَاحِدَةً خَيْرُكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الثَّمَرُ وَغَرِبَتْ) وَمِنْ أَجْلِ
 ذَلِكَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
 نَفْسٍ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا
 أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) أَجَلَ وَاللَّهُ لَقَدْ كَانَ الْفَرْدُ الْوَاحِدُ
 مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ فِي قَرْنِنَا هَذَا شُعُوبًا
 وَقَبَائِلَ ، وَسَيَكُونُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ هَذِهِ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ
 شُعُوبًا وَقَبَائِلَ وَأُسْرًا وَفَضَائِلَ ، وَسَيَجْعَلُهَا الشُّعُورُ

الرَّمْيُ وَالْأَطْرَادُ الْمَذْهَبِيُّ وَاقْتِدَاءُ الْخَلْفِ بِسَلْفِهِ
 الصَّالِحِ فِي طَرِيقِ كَلِمَةِ نَبِيِّهِمُ الْمُشْعَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَالَمِ
 الْغَيْبِ ، وَالتَّأَلُّفَةُ مِنْ أَفْنِ الرِّسَالَةِ لِبَشَارَةِ بَضْعَتِهِ
 الزَّهْرَاءِ ، حَبَثُ أَخْبَرَهَا بِقَتْلِ وَلَدِهَا الْحُسَيْنِ
 فِي زَمَانٍ خَالٍ مِنْهُ وَمِنْهَا وَمِنْ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ ، فَتَضَعُ
 حُزْنَ الْوَالِدَةِ الْحَنُونِ عَلَى وَلَدِهَا الْحَبِيبِ الشَّهِيدِ ، أَنَّ
 لَمْ يَخْلُفْهُ مَنْ يَبْكِي عَلَيْهِ ، فَلَمْ تَمَّا لَكَ أَنَّ سَأَلْتُ
 أَبَاهَا (إِذْنٌ مَنْ يَبْكِي عَلَى وَلَدِي) فَبَشَّرَهَا بِأَنَّ اللَّهَ
 يُنْشِئُ لَهُ شِيعَةً فَيُفْهِمُونَ غَزَاءَهُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَكَانَتْ
 تَذْكُرُ جَبْدًا كَلِمَةً إِيَّهَا الَّتِي خَاطَبَتْ بِهَا الْأَنْصَارَ بِلَهْفَةٍ
 وَحَسْرَةٍ وَحُزْنٍ مُضَاعَفٍ عَمِيقٍ (لَكِنَّ حُمْرَةَ لَا بَوَّابَ
 عَلَيْهِ) وَكَانَ قَدِ اجْتَاَزَ بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ عَلَى
 دُورِ الْأَنْصَارِ ، فَمِيعَ بُكَاءِهِمْ عَلَى قَتْلِهِمْ ، وَعِنْدَ
 أَمْرِ السَّعْدَانِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ
 نِسَاءِ الْأَنْصَارِ أَنَّ يَأْتِيَنَّ بَيْتَ النَّبِيِّ وَيَبْكِينَ الْحُمْرَةَ ،
 وَاطْرَدَتِ الْقَاعِدَةُ فِي تَقْدِيمِ الْبُكَاءِ عَلَى الْحُمْرَةِ قَبْلَ
 أَبِي فَقِيدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَرُونًا وَاجْتِيَالًا ، وَأَطْمَأَنَّ
 بِذَلِكَ خَاطِرُ الرَّسُولِ وَتَسَلَّى عَنْ عَمِّهِ بَعْضَ التَّسْلِيَةِ ،
 وَسَكَنَتْ فُورَةٌ وَجَدَهُ عَلَيْهِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِأَعْظَمِ مَا

(اِشْتَعَتِ الشَّمْسُ) : نَشَرَتْ أَشْعَتَهَا أَيْ نَوَارَهَا ، وَفِي الْكَلَامِ هُنَا مَجَازُ الِاسْتِعَادَةِ

تَعْبِرُ بِهِ الْأَلْفَاظُ عَنْ مَكْنُونِ الْقُلُوبِ (مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا
أَغْيَظُ عَلَيَّ مِنْ مَوْقِفِي عَلَى عَمَى حَمْرَةٍ) وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَكَى
- بِأَبِي وَأُمِّي - حَتَّى بَلَغَ بِهِ الْغُشَى هَكَذَا طَمَأَنَّ الرَّسُولُ
بِضَعَتِهِ وَسَكَنَ فُورَةَ حُزْنِهَا ، وَهَذَا بِلَا بَلَّ صَدْرِهَا
الَّتِي جَاشَتْ عِنْدَ مَا أَخْبَرَهَا بِقَتْلِ وَلِيدِهَا ، وَتَضَعَتْ
عِنْدَ مَا ذَكَرَ أَنَّ زَمَانَ قَتْلِهِ خَالَ مِنْ قُرَابَتِهِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا
الْقِيَامُ بِوُظَيْفَةٍ أَقَامَتْ غَزَائِهِ ، لَوُبِقِيَّتُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ
بَعْدَهُ ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ (لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ حَبًّا
لَكَانَ هُوَ الْمُعْزَى بِهِمْ - أَيْ شَهْدَاءُ الطَّغْيِ - وَمَا أَحْسَنَ
قَوْلَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى فِي مَقْصُورَتِهِ الشَّهْبَةِ

لَوْ رَسُولُ اللَّهِ نَجَّيَا بَعْدَهُ قَعْدًا لِيَوْمٍ عَلَيْهِ لِلْعَزَا

مَبْتُ تَبْكِي لَهُ فَاطِمَةُ

وَابُوهَا وَعَلَى ذُو الْعُلَى

﴿فِي حَادِثَةِ أَخِيهَا الْعَظَمَى﴾

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ ذَكَرْنَا
فَمَا التَّانِيَتْ لِإِسْمِ الثَّمِينِ
لَفَضِّلَتْ للنِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ
وَلَا التَّذَكُّرُ فُخْرٌ لِلْمِثَالِ
لَا أَرَى أَيَّ مُبَالِغَةٍ أَوْ غَرَفٍ فِي قَوْلٍ مَنْ قَالَ إِنَّ زَيْنَبَ
كَانَتْ شَرِيكَةً أَخِيهَا الْحُسَيْنِ فِي هَضَّتِهِ ، وَمُشَاطِرَتِهِ
فِي جُهْدِهِ الَّتِي بَذَلَهَا فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ ، وَقَدْ عَادَ
تَارِيخُ مُحَمَّدٍ نَفْسَهُ حَبْثُ قَالَ (مَا قَامَ دِينِي وَلَا اسْتَقَامَ إِلَّا
بَسِيفِ عَلِيٍّ وَأَمْوَالِ خَدِيجَةَ) فَكَمَا أَنَّ عَلِيًّا وَخَدِيجَةَ
كَانَا وَزَيْرِي الرُّسُولِ وَقَوَامِي دَعْوَتِهِ مِنَ النَّاسِ ، هَكَذَا
كَانَ عَلِيٌّ حَفِيدُ عَلِيٍّ وَزَيْنَبُ الْكُبْرَى حَفِيدَةُ خَدِيجَةَ
وَزَيْرِي الْحُسَيْنِ حَفِيدِ الرُّسُولِ وَمُكَلِّبِي سِيرَتِهِ وَمُتَمِّمِي هَضَّتِهِ
بَلْ كَانَا هُمَا السِّيَاحُ الْأَعْظَمُ لِحَرَكَتِهِ ، وَلَوْلَا هُمَا لَذَهَبَتْ
جُهُودُ الْحُسَيْنِ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ حَبْثُ يَجْعَلُهُ يَزِيدُ وَاتِّبَاعُهُ
- اتِّبَاعُ مُعَاوِيَةَ وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - خَارِجًا مِنَ
الْخَوَارِجِ خَرَجَ عَلَى سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْسَهُمْ رَجْمًا بِنَبِيِّ
الْمُسْلِمِينَ فَقُتِلَ بِسَيْفِ نَبِيِّ الْمُسْلِمِينَ وَأَذَاحَ اللَّهِ مِنْهُ جُمُوعَهُ
الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا بَصُوتُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ يُجْلِلُ فِي ذَلِكَ الْجَوْرِ
الصَّاحِبِ وَيُدَوِّي فِي مَجْلِسِ يَزِيدَ الْحَاشِدِ بِجَاهِرِ الْوُفُودِ

وَالْمُتَفَرِّجِينَ وَالْمُهَيِّئِينَ لَهُ فِي عِبْدِهِ عِبْدًا لَظْفِيرًا ، فَيُلْقِي
عَلَيْهِمْ خُطْبَتَهُ الَّتِي فَضَحَ بِهَا زَيْدًا - كَمَا تَرَسَّم - وَتَلَّتْ
بِلِسَانٍ حَالِهَا عَلَيْهِ وَعَلَى كَاذِبِهِ وَجُهودِهِ وَزَخَارِفِهِ ،
بَلْ عَلَى قُوَّتِهِ وَدَوْلَتِهِ وَزَغَاتِ مَبْدِئِهِ (وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا
نَحْمِلُوا مِنْ حِمْلِ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)

وَأَرَى الْمُعْتَرِضَ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ السَّامِنَةَ تَمْرَعْلِيهِ
مَرَّ السَّحَابِ فَلَا يَنْتَهِزُهَا وَيَقُولُ الْبَسَّ فِي ذَنْبِ الْعَايِدِينَ
كُنَايَةً لِاتِّمَامِ عَمَلِيَّةِ الْحُسَيْنِ وَالْقِيَامِ بِمَهْمَّتِهِ عَنْ حِمْلِ ذَنْبِ
مَعَهُ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهَا مِنَ النَّسَاءِ ، مَعَ أَنَّهُ إِمَامُ زَمَانِهَا
وَحُجَّةُ عَصْرِهَا ، وَإِنْ قُوَّةُ إِزَادَةِ الْأَمَامِ مِنَ الْمَأْمُومِينَ
وَلَنَا فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذَا الْأَعْتِرَاضِ وَجْهَانِ أَوَّلًا بِالنَّقِصِ
بِرَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّدَهُ لَمَّا أَرَادَ رِسَالَهُ مِنَ الْقُوَّةِ
الْبَشَرِيَّةِ - فَضْلًا عَنِ الْإِلَهِيَّةِ - بِمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَابَلَ
بِهَا الْجُيُوشُ وَحَدُّهُ ، وَوَرِثَهَا الْحُسَيْنُ فَأَنْدَحَرَتْ أَمَامَهَا
قُوَّةُ جَيْشِ الْكُوفَةِ بِأَسْرِهِ ، فَمَا بَالُهُ يَدْعُو النَّاسَ أَنْ يُجَاهِدُوهُ
مِنْ أَيْدِي الْأَعْتِدَاءِ لِيُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ ،
وَمَا بَالُهُ يَدْعُو لِنُصْرَتِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ
وَهُوَ الْعَقْلُ الْكَامِلُ وَمُخْرَسُ الْعَشْرَةِ الْعُقُولِ ، فَلِمَاذَا يَكُونُ
أَكْثَرُ النَّاسِ مُشَاوِرَةً لِأَصْحَابِهِ كَمَا يَقُولُ عَائِشَةُ امْتِثَالًا لِأَمْرِئِهِ

الْحَكِيمِ (وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَاذْ عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)
 وَلَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ تَنْفِيدِ أَمْرِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْأَخْلَافِ مِنَ الْأَحْرَامِ
 وَذِي الْهَدْيِ فِي مَوْضِعِ الصَّدِ يَوْمَ الْحَدِ بَيْتَهُ إِلَّا بَعْدَانِ
 عَمِلَ بِشُورَةِ أُمِّ سَلَمَةَ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْهَا خِمَتَهَا وَخَبَرَهَا أَنَّ
 الْمُسْلِمِينَ هَلَكُوا بَعْدَ امْتِثَالِ أَمْرِهِ لِأَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِالْأَخْلَافِ وَ
 مَخْرَاجِ الْهَدْيِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِمْ حَرَكَةً ، بَلْ أَلْفَاهُمْ وَاجِبِينَ
 فِي حَبْرَةِ لَا يَبْدُونَ وَلَا يُعْبَدُونَ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ ،
 فَسَرَتْ الْحَبْرَةُ إِلَيْهِ وَذُهِلَ رَحْمَةً لَهُمْ لِهَذَا الْعُصْبَانِ
 الَّذِي لَمْ يَأْلَفْ فِيهِمْ وَلَمْ يَكُنْ بِحُسْبَانِهِ ، وَقَدْ انْعَفَدَتْ
 بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَحَابَةٌ مِنَ الْبَاسِ ، فَأَمَّا طَائِفَتُهَا أُمُّ سَلَمَةُ
 بِمَشُورَتِهَا الْحَكِيمَةَ ، وَمَا كَانَ الرَّسُولُ لِيُغْفَلَ عَنْهَا ، وَ
 لَكِنْ هَكَذَا شَاءَ اللَّهُ تَسْبِيرَ نَظَائِمِ الْبَشَرِ ، وَأَنْ تَتَعَلَّمَ الْأُمَمُ
 الْأَنْصِبَاءَ لِلْحَقِّ أَتَمًّا وَجِدًّا ، وَأَبَى أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ الْأَبَاسِيَّةَ
 فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَهُمْ فِيكَ لَأَسْوَأُ حَسَنَةً وَقُدْوَةً
 كَرِيمَةً ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ وَأُخْرُوا حُلِينُ ، وَمَا أَظْهَرَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ
 سَبَّيْرُونَ فِي هَجِيكَ وَبُقْلِيدُ وَنَكَ فِي فِعْلِكَ) وَمَا دَايَ
 الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ حَلَقَ وَخَرَّ وَتَحَلَّلَ مِنَ الْأَعْتِمَارِ حَتَّى لَانَتْ
 عَرِيكَتُهُمْ وَثَابَتَ إِلَيْهِمْ حُلُومُهُمْ وَطَابَتْ نَفُوسُهُمْ وَأَقْبَلُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ
 مُخْلِقِينَ وَمُقَصِّرِينَ ، ثُمَّ مَخَرُّوا الْبُذْنَ وَتَحَلَّلُوا مِنَ الْأَحْرَامِ

وَنَجِبُ ثَانِيًا بِالْحَلِّ ، فَإِنَّ زَيْنَبَ قَدْ قَامَتْ بِأَعْمَالِ
كَبِيرَةٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْقِيَامُ بِهَا إِلَّا مِنْ بَابِ
الْمُعْجَزَةِ ، وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ دِينُهُ فِي الْخَلْقِ سَيْرًا
طَبِيعِيًّا وَتَنْتَظِمَ أُمُورُهُ وَأَحْكَامُهُ فِي الْأَغْلَبِ نَظْمًا عَادِيًّا بِقَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)
وَبِقَوْلِ (مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) وَبِقَوْلِ (وَلَوْ
شَاءَ رَبُّكَ - أَلَمَّا كَرَاهَ النَّاسُ عَلَى الْإِيمَانِ - لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمْعًا ، أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) نَعَمْ
لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِضَ وَلَكِنْ أَمْرَيْنِ أَمْرَيْنِ أَمَّا الْأُمُورُ الَّتِي قَامَتْ
بِهَا زَيْنَبُ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْقِيَامُ بِهَا فَهِيَ كَثِيرَةٌ
وَمَا غَابَ عَمَّا وَلَمْ يُنْقَلِ إِلَيْنَا أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ ، وَإِلَيْكَ بَعْضُ مَا
نُقَلِّ إِلَيْنَا مِمَّا يَحْتَمِلُهُ مَوْضُوعُ كِتَابِنَا ،

الْأَوَّلُ أَنَّ زَيْنَبَ هِيَ الَّتِي حَفِظَتْ مُهْجَةَ الْأَمَامِ أَجْهَهَا
الْحُسَيْنِ لَمَّا الْقَى نَفْسَهُ عَلَى وَلَدِهِ الْأَكْبَرِ ، وَهُوَ شِلْوٌ مُبْضَعٌ بَلْ
مُبْعَثٌ لَا وَصَالَ بِالسُّبُوفِ ، فَأَنْتَهَى بِهِ الْحُزْنُ وَالْوَجْدُ إِلَى
مَرَحَلَةِ الْأَحْضَادِ ، وَلَمَّا رَأَاهَا بَارِزَةً بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ تُنَادِي
وَابْنُ أَخَاهُ انْشَاهُ ذَلِكَ مُصَابَهُ بَوْلِهِ وَتَرَكَهُ لِفَتْيَانِهِ يَهْمِلُونَ
أَخَاهُمْ ، وَرَدَّهَا بَيْدٍ إِلَى الْجَنَّةِ لِأَنَّ الْعِرْضَ مُقَدَّمٌ عَلَى
الْأُولَادِ وَالنَّفُوسِ ، وَهُوَ لَا يَزَالُ يَذْكُرُ جَبْدًا أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهَا

* فِي حَيَاتِهَا شَدَائِخُهَا الْعُظْمَى * (١٣٣)

وَلَمْ يَزَلْ عَنْ ذَاكِرِهِ مَا كَانَ يَحُوطُهُ بِهَا أَبُوهَا مِنْ عُنَايَةِ عَظْمَى
وَرِعَايَةِ كِبَرِي فَلَمْ يُمَعِّ لَهَا صَوْتُ (وَلَمْ تَرْحُحْ عَنْهَا طَلَّ
شَخْصَهَا) لِأَنَّهَا إِذَا ارَادَتْ زِيَادَةَ جَدِّهَا وَمَعَهَا إِخْوَتُهَا وَأَبُوهَا
سَبَقَ أَبُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَأُطْفِئَ الْقَنَادِيلَ ،

(الَّتَيْنِ) ، أَنَّ زَيْنَبَ هِيَ الَّتِي أَشَارَتْ عَلَى الْحُسَيْنِ بِحُجَلِ
عَبْدِ اللَّهِ الرَّضِيعِ لِعَرْضِهِ عَلَى الْقَوْمِ فَبَسُطَتْ لَهْ ، وَأَمَّا اللَّهُ
لَقَدْ شَارَفَ الْفَتْحَ بِعَرْضِهِ ، وَأُولَى أَنْ يَفْتَحَ بَعْدَ قَتْلِهِ ،
غِبْرَاتِهِ ضَرَبَ لَهُمُ الْمَثَلَ فِي قُرْبِ هَلَاكِهِمْ وَأَنْذَرَهُمْ بَانَ
دَوْلَتَهُمْ إِلَى بَوَارِ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَأَقْرَضَتْ دَوْلَةُ آلِ أَبِي
سُفْيَانَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَلَعَلَّهُ طَلَبَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ ،
فَالْوَيْلُ لِمَنْ طَالَ إِمْلَاءُ اللَّهِ لَهُ ، وَأَسِيدُ رَاجِهِ أَبَاهُ ،
بِكَيْدِهِ الْكَبِيدِ الْمُنِينِ وَبِأَخْذِهِ الْأَخْذِ الْعَزِيزِ ، يَشْسُ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ،

(الَّتَالِثُ) ، لَقَدْ لَفَى الْحُسَيْنُ عَلَى غَائِقِهَا مَسْؤُولَتَهُ
حَفِظَ عِبَالَهُ وَأَطْفَالَهُ ، وَمَا كَانَتْ لِيَتَهَضَّ بِهَذَا الْعِيبِ
الْتَقَبِلِ وَهِيَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالَةِ لَوْ لَمْ يَسْتَجِبِ اللَّهُ دُعَاءَهُ لَهَا
بِأَنْ يَرْبُطَ عَلَى قَلْبِهَا بِالصَّبْرِ حِينَ تَوَدُّ هَذَا الْحِمْلَ الْثَقِيلَ ،
فَاخْبَرَ عَنْهَا حُجَّةُ عَصْرِهَا زَيْنُ الْعَابِدِينَ أَنَّهَا عَادَ قَلْبُهَا بَعْدَ
مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ كَزُبْرِ الْحَدِيدِ ، وَهَذَا الصَّبْرُ كَأَفْخَتْ تِلْكَ الْخَطْبَ

وَتَبَتَ لِنُفْسِكَ الْإِهْوَالُ وَلَمْ تَحْرِقْ قَوْعَهَا أَمَامَ تِلْكَ الْقَوَادِحِ وَ
لَمْ تَتَزَلْزَلْ جِبَالَ حِلْمِهَا بِهَائِكَ الْعَوَاصِفِ وَلَمْ تَتَحَرَّكْ قَبْدَ
شَعْرَةِ لِنُفْسِكَ الْقَوَاصِفِ ،
بِأَبِي الَّتِي وَرِثَتْ مَصَائِبَ أُمِّهَا فَعَدَّتْ تُقَابِلَهَا بِصَبْرٍ أَبْيَهَا
لَمْ تَلْهُ عَنْ جَمْعِ الْعِبَالِ وَحِفْظِهِمْ بِفِرَائِنِ إِخْوَانِهَا وَقَدِ بَيْنَهَا
وَعَا ابْنُ سَعْدٍ لَوْ مُمْغَلَبَتُهُ ، بَلْ خُبْتُ مُحَمَّدٍ وَسُوءَ مَخْبَرَتِهِ
أَنْ يَسْلُبَ الْحُسَيْنَ دِرْعَهُ الْبَتْرَاءَ ، وَحَمَّ عَلَيْهِ طَمَعُهُ
بَوْلَاةِ الرَّحْمَنِ أَنْ يُنَادِيَ بِعُسْكَرِهِ (يَا خَيْلَ اللَّهِ ازْكَبِي وَ
رُضِي صَدْرُ الْحُسَيْنِ ، وَأُبْشِرِي بِالْجَنَّةِ) قَالَ ابْنُ الْعَابِدِ
(كُنْتُ نَائِمًا بِالْخَبَةِ وَأَنَا أَسْمَعُ تَكْسِيرَ عِظَامِ أَبِي بِجَوَافِرِ
الْخَيْلِ) وَتَمَادَى ابْنُ سَعْدٍ فِي غَيْبِهِ وَلَجَّ فِي طُغْيَانِهِ فَهَجَمَ
أَمَامَ جَيْشِهِ اللَّجْبَ عَلَى خَيْمِ النِّسَاءِ الْفَاقِدَاتِ ، وَ
عَلَبَهُ دِرْعُ الْحُسَيْنِ ، مُنَادِيًا بِأَعْلَى صَوْتِهِ - وَقَدْ آمَنَ
مَكْرَ اللَّهِ - (عَلَى بِالنَّارِ لِأَحْرِقَ بِهَا بُيُوتَ الظَّالِمِينَ عَلَى مَنْ
فِيهَا) فَتَنَادَى الْعُسْكَرُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ ، اللَّهُ اللَّهُ
يَا ابْنَ سَعْدٍ ، تُرِيدُ أَنْ يَخْشَفَ بَنَاءُ اللَّهِ الْأَرْضَ ، أَوْ مَا
كَفَاكَ قَتْلُ الْحُسَيْنِ حَتَّى تُرِيدَ أَنْ تُحْرِقَ أَطْفَالَهُ وَعِبَالَهُ
فَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ إِذَنْ فَالْكَبُوا عَلَيْهِنَ الْخِبَاءَ بِالْخَيْلِ ، فَمَا
تَرَى حَالَ النِّسَاءِ الْفَاقِدَاتِ ، وَكَيْفَ تَرَى هَزِيمَةَ الْأَطْفَالِ

الْمَذَاهِرِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِي أُولَئِكَ اللَّئَامِ الْعُنَاةِ الْجُفَاةِ
أَرَأَيْتَ هَزِيمَةً سَرَبَ الْحَمَاسُ الرَّاغِبَةَ إِذَا حَلَفَتْ عَلَيْهَا
الصَّقُورُ وَالْبُرَاةُ

وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ لِنِسَاءِ كَانَهَا قَطَا رِيحٍ مِنْ أَوَّكَارِهِ وَهُوَ هَاجِدُ
خَوَارِجٍ مِنْ أَبْيَاقِهَا وَهِيَ بَعْدُ لَابِتَاءِ حَرْبٍ بِالْحَرْبِ مَوَاقِدُ
وَكُلُّ ذَلِكَ بَعْدُ زَيْنَبُ ، وَبَعْضُهُ بِذَيْبِ الصَّخْرِ الْأَصَمِ وَ
يُزَلُّ الطُّودُ الْأَشَمُ ، لَكِنَّ شَقِيقَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
انْطَبَعَتْ بِطَابِعِ الْحُسَيْنِ ، وَرَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهَا بِالصَّبْرِ
كَأَدْعَايَ أَخَوَاتِ الْحُسَيْنِ ، فَأَخَذَتْ بِجَمْعِ النِّسَاءِ مِنْ مَفْرِهَا
وَتَتَفَقَّدُ الْأَطْفَالَ فِي مَهْرِهَا ، حَتَّى نَظِمَتْ عِقْدَ هُمُ
الْمُنْفَرِطِ ، وَجَمَعَتْ شَمْلَهُمُ الْمُتَبَدِّدِ ، وَقَامَتْ بِحِرَاسِهِمْ
فِي اللَّيْلِ بِحَزْمٍ وَثَبَاتٍ وَرِبَاطَةٍ جَاشٍ (عَدِيمِ الزَّمَانِ
نَظِيرِهِ لِسَوَاهَا) لَمْ تَغْفُلْ بِحِرَاسَةِ مَنْ فِي الْخَيْمَةِ وَتَلِيهِمْ
جُهْدَهَا عَنْ تَفَقُّدِ مِثْلِ الرِّبَابِ الَّتِي جَاشَ بِهَا الْوَجْدُ
وَهَاجَهَا التَّنْكَارُ ، حَيْثُ دَرَّ ثَدْبَاهَا ، فَقَصَدَتْ
مُصْرَعَ رَضِيعِهَا ، مُغَالِطَةً نَفْسَهَا فِي مَوْتِهِ مُتَنَاسِبَةً مَصْرَعَهُ
الْقَطِيعِ ، وَذَبَحَهُ بِالسَّهْمِ الْمُثَلَّثِ الْمَسْمُومِ بِالتِّمِّ النَّقِيعِ ،
بَانِيَةً عَلَى حَيَاتِهِ وَاحْتِيَاجِهِ إِلَى امْتِصَاصِ الشَّدِيدِينَ ،
فَجَاءَتْ إِلَيْهَا زَيْنَبُ - سَاعِدًا اللَّهُ قَلْبَ زَيْنَبٍ -

فَوَجَدَتْهَا قَدْ وَضَعَتْ طِفْلَهَا فِي جِرْهَا وَأَلْقَتْهُ ثَدْيَهَا ،
وَهُوَ جُشَّةٌ هَامِدَةٌ لَأَحْرَاكَ فِيهَا ، وَالسَّهْمُ لَا يَزَالُ مَشْكُوكًا
فِي نَحْرِهِ ، فَلَا طَفَنُهَا وَرَدَّهَا إِلَى الْخَيْمَةِ بَرَفْنٍ وَلِينٍ ، وَ
الْوَالِهَةُ التَّكَلَّى تَتَلَفَّتْ إِلَيْهِ لَتُبْصَرَهُ بِنَوَاطِرِ قَلْبِهَا ، وَ
تُصْغِي إِلَيْهِ لِتَسْمَعَ صَرِخَةَ بَكَائِهِ أَوْ نَغَمَةَ مُنَاغَاتِهِ بِأَذَانٍ
فُؤَادِيهَا ، وَلَمَّا تَمَادَى بِهَا السَّهْرُ عَنْ مَصْرَعِهِ عَادَ يَتَرَاوَى
لَهَا فَتَحَدِثُ لَهُ بِنَوَاطِرِهَا ، لِأَنَّ حَبَالَهَا عَادَ يَرْسُمُ لَهَا وَجْهَهُ
الْوَضِئَ عَلَى لَوْحَةِ الْفَضَاءِ الْوَاسِعِ ،

كَلَّا وَلَمْ تَلَهُ زَيْنَبُ بِالرَّيَابِ عَنْ مِثْلِ سُكْبَةِ الَّتِي خَفَ
بِهَا الْوَجْدُ وَالْهَبَامُ ، وَطَارَ بِهَا الشَّوْقُ وَالْغَرَامُ إِلَى مَصْرَعِ
أَبِيهَا الذَّبِيجِ ، فَالْقَتَتْ بِنَفْسِهَا عَلَيْهِ حَاضِنَةً لَهُ بِكَلْتَا
يَدَيْهَا تَسْتَنْهِضُهُ لِرِعَايَةِ عِزِّهَا الْمُضَاعَةِ ، وَتَسْتَجِدُّهُ
لِأَعَادَةِ مَجْدِهَا التَّلِيدِ وَصِبَانَةِ شَرَفِهَا الْبَادِخِ ،
وَقَعَتْ عَلَى جَسَدِ الْحُسَيْنِ قَلْبُهَا ... الْمَصْدُوعُ كَادَ يَدْبُؤُ فِي حَسْرَتِهَا
لِلَّهِ قَلْبُ زَيْنَبِ الْكُبْرَى مَا أَصْبَرَهُ ، لِلَّهِ جَلْدُهَا عَلَى الرِّزَابِ
مَا أَشَدَّهُ ، مَصَائِبُ عَظِيمَةٍ وَرَزَايَا جَلِيلَةٍ ، خُرُوجُهَا عَنْ
الْخَيْمَةِ ، وَهِيَ مَلَايَ بِالنِّسَاءِ الْفَاقِدَاتِ وَالْأَطْفَالِ الْمَذَاعِيرِ
وَمَرُورِهَا عَلَى جُثَثِ الْقَتْلَى وَهِيَ أَجْسَادُ بَغِيرِ رُؤُوسٍ هَذَا
مُلْفَى عَلَى يَمِينِهِ ، وَهَذَا عَلَى شِمَالِهِ ، وَهَذَا مَكْبُوتٌ

عَلَى وَجْهِهِ ، وَنَظَرُهَا إِلَى الْحُسَيْنِ جُثَّةً بَغِيرَ رَأْسٍ ،
وَالْجَسَدَ مَرَّضُوضٌ بِجَوَافِرِ الْخَبَلِ ، بَعْدَ تَوَازُعِهِ بِالسُّبُوفِ
وَالرَّمَاكِ ، إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنَاطِرِ ، يُوقِدُ لَأَجْلِ
الْوَجْدِ فِي الْقَلْبِ وَبَسْطِ الدَّمُوعِ الْحَارَّةِ مِنَ التَّوَاطُرِ ،
وَكُلُّ مَشْهَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ ، يَزِلُّ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَّ
وَيُذَيِّبُ الصُّخُورَ الْجَلَامِدَ ، وَمَا تَرَاهَا حِينَ رَأَتْ سُكِينَةَ
حَاضِنَةً لَيْسَ بِهَا بَيْدَهَا ، وَسَمِعَهَا تَنَدُّ بِهِ أَشْجَى نَذْبَةً
وَتَرْتِيهِ أَحَرَ الرِّثَاءِ ، كَانَ طَبِيعًا أَنْ يَسْرِي حُزْنُ سُكِينَةَ
إِلَى قَلْبِ زَيْنَبَ ، وَتَعْدِيهَا بِكُرْبٍ وَأَجْوَاهَا ، لَكِنَّ زَيْنَبَ
ابْنَةَ فَاطِمَةَ الصُّبُورِ الْوَقُورِ سَطَّطَتْ عَلَى سُكِينَةَ فَرَدَّهَا
عَنْ مَضْرَعِ وَلَدِهَا كَمَا سَطَّطَتْ عَلَى أُمِّهَا الرَّابِ فَاثَمَتَهَا
مِنْ مَضْرَعِ وَلَدِهَا ،

وَتَابَعَتْ زَيْنَبُ سَبْرَهَا بِحِفْظِ عِبَالِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَرِعَايَةِ أَطْفَالِهِ فِي الْمَسِيرِ مِنْ كَرْبَلَا إِلَى الْكُوفَةِ ، وَفِي الْكُوفَةِ
نَفْسُهَا حَبْثُ حَاطَتْ شَرَفُهُمْ بَعَيْنِ رِعَايَتِهَا ، وَجَعَلَتْ تَأْخُذُ
الْجُوزَ وَالْتَمَرَيْنِ أَبْدُهُمُ وَتَرْمِي بِهِ ، قَائِلَةً (إِنَّ الصَّدَقَةَ
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ) لَأَنَّهُمَا لَوْ تَعْمَلُ ذَلِكَ عَلَيْنَا
فِي الرَّأْيِ الْعَامِ أَتَهُمُ لِيُؤَامِنُوا أَهْلَ الْبَيْتِ لِقَبُولِهِمُ
الصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ نَبِيَّهٗ عَنْ أَوْسَاجِ مَالِ النَّاسِ

وَعَوَضَهُ عَنْهَا بِالْخُسِ وَصَفْوِ الْمَالِ ، وَرَعَتَهُمْ فِي مَجْلِسِ
ابْنِ زَبَادٍ وَسَهَرَتْ عَلَى حِفْظِهِمْ فِي مَسِيرِهِمْ إِلَى الشَّامِ ،
وَفِي الشَّامِ نَفْسُهَا ، وَفِي مَجْلِسِ زَيْنَدٍ وَفِي الْخَرْبَةِ ، وَفِي
طَرِيقِ رُجُوعِهِمْ إِلَى كَرْبَلَاءَ وَالْإِلَاقَةِ إِلَى خَرِيفِ بْنِ نَفَا
حَبَابِهَا لَفْظَتُهُ مَعَ شَطَائِنِ أَفْوَادِهَا الْمُتَصَاعِدَةِ بِزَفَرِهَا الْحَارَّةِ
الْمُتَسَعِّرَةِ بِشَوَاطِئِ الْحُزْنِ وَلَوَاجِجِ الْأَسَى وَنَهْرَانِ الْوَجْدِ
وَالشَّجَى ،

وَلَقَدْ جَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّهَا قَامَتْ مَقَامَ أَخِيهَا
الْحُسَيْنِ فِي تَرْوِيجِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، وَكَانَتْ الْكَهْفَ الَّذِي
بِأُوبَى إِلَيْهِ فِي الْمَلِمَاتِ الْكَثْرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالشَّبْعَةِ ،
وَأَنَّهَا حَمَلَتْ الْكَثِيرَ مِنْ وَصَايَا أَخِيهَا الْحُسَيْنِ ، حَتَّى آذَنَتْهَا
إِلَى خَلِيفَتِهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَأَنَّهَا كَانَتْ الْحُجَّةَ الظَّاهِرَةَ ،
وَالْقَائِمَةَ مَقَامَ إِمَامٍ زَمَانِهَا وَحُجَّةَ عَصْرِهَا السَّجَادِ ، حَبْتُ
كَانَ فِي أَغْلَبِ أَوْمَانِ حَيَاتِهِ يَتَجَنَّبُ الصَّوْضَاءَ وَالسِّيَاسَاتِ
الْمُضْطَرِبَّةَ الَّتِي تَتَنَازَعُ خِلَافَتَهُ الْمَغْصُوبَةَ ، هَذِهِ زَيْنَبُ ،
وَهَذِهِ مَرْوَانَةُ ، وَهَذِهِ خَارِجَةُ ، لِيَكُونَ فِي بَخْوَةٍ مِنْ
هَذِهِ الْأَضْطِرَابَاتِ كُلِّهَا ، فَكَانَ يَخْلُو بِنَفْسِهِ وَيَأْتِي بِوَجْهِ
الْحَقِّ وَحْدَهُ ، وَيَتَخَلَّى لِعِبَادَتِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، وَزَيْنَبُ وَكَيْبُ
رَاجِلَتُهُ مِنْ مَوْضِعِ خَلْوَةٍ لِعِبَادَتِهِ ، وَانْطَلَقَ سَائِرًا عَلَى ظَهْرِهَا

* فِي حَايَ ثَلَاثِيهَا الْعُظْمَى * (١٣٩)

لزيارته جده أمير المؤمنين وأبيه الحسين . وقصد مسجد
 الكوفة لبصلي فيه لوجه ربه ركعتين ، ولقد عاش بعد
 أبيه ثلاثين سنة ما قدم له طعام ولا شراب إلا مزجه يده
 حزناً على أبيه الحسين ، وهو يقول أأكل وابن رسول الله
 قتل جاعاً أو أشرب وابن رسول الله قتل عطشاً ، وكانت
 زينت مع كونه إماماً زماً لها تسليه ولطف به لو كان للتسليه
 موضع ، ولكن فاقداً شيء لا يعطيه ، وكيف يسأل ربهتها
 وحديثها معه ونفس ربهتها تزيد حزناً إلى حزنه ووجداً
 مضاعفاً إلى وجده ، كما يقول في حديثه مع أبي حمزة ،
 (ما رأيت عماً في أخواني إلا ذكرت فراذهن من خيمه إلى حبه)
 وكانت مع هذه الشواغل الكبرى والحوادث العظمى تنوب
 عن أخيها الحسين في وفادة وفوده وهم الكثرة المائتة من الناس
 منهم من له عادة سنوية وعطية تقوم بمرونة الحول ، ومنهم
 الذي تجذبه إليه مكارمه وجبل أحديثه جذب الحدة
 بالغناطيس ، ولكنهم إذ يلحفون بالسؤال عنه ، ويعبدون
 في أكرهها عهداً أخيراً الكريم وعصره الذي مر عليها كالحلم اللذيذ
 كأنهم يضعون أصابعهم في جرح لا يزال وجعاً ، وينكأون
 قرحة في قلبها لم تندمل ، كما جاء في قصة الأعرابي الذي كان
 يفيد على الحسين في كل عام مرة ، على ما في بعض المراسيل

فَلَمَّا طَرَقَ الْبَابُ وَعَرَفَتْ زَيْنَبُ أَنَّهُ أَحَدُ وَفُودِ خِيَمِهَا
الْحُسَيْنِ الَّذِينَ يَفِيدُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً ، دَفَعَتْ
لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ قِلَادَةً ، وَقَالَتْ لَهُ خُذْهَا وَأَنْصِرْ
إِلَى أَهْلِكَ فَإِنَّ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ غَائِبٌ ، قَالَ أَنْتَظِرُهُ أَبَانًا
قَالَتُ مَا يَعُودُ ، قَالَ فَأَسْبُوعًا قَالَتْ مَا يَعُودُ ، وَآخَذَ
كُلَّمَا زَادَ فِي أَجَالِ الْأَنْظَارِ وَالْوَعُودِ ، أَجَابَتْهُ زَيْنَبُ ،
- بِحُرْقَةٍ وَشَجَى مُضَاعَفٍ - مَا يَعُودُ حَتَّى أَنْهَى الْأَمْرَ مِنْ
الْأَسَابِيعِ بَعْدَ الْأَيَّامِ ، إِلَى الْأَشْهُرِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَوَصَلَ إِلَى
الْعَامِ ، وَهُوَ فِي كُلِّ تِلْكَ الْمَرَاجِعَاتِ بَضْعٌ عَلَى جُرْحِ فَوَادِهَا
جُرْحًا وَبَذَرٌ عَلَيْهَا بِكَثْرَةِ الْحَاحِهِ مِلْحًا ، وَلَمْ يَكُنْ ذِكْرًا لِبَعْرِ
الْمَعْنَى الَّذِي تَرْمِي إِلَيْهِ ، بَلْ كَانَ حَرِيصًا أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى
حُضُورِ مَوْلَاهُ وَالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، لِيُسْرِخَ طَرَفَ نَظَرِهِ بِرَبِّهِ
قَمَائِهِ ، وَيَمْنَعُ بِمَنَاجِحِ حَدِيثِهِ الشَّهِيذِ اللَّذِيذِ وَيَتَزَوَّدَ مِنْ
جَبَلِ اخْلَاقِهِ وَصِفَائِهِ ، حَتَّى أَنْتَهَى بِهَا الْجَوَابُ أَنَّهُ لَا
وَلَوْ بَعْدَ عَامٍ ، أَحَسَّ قَلْبُهُ بِالْكَرْبِ وَالْبَلَا ، وَلَمْ يَكُنْ
خَبَالَهُ لِيُحَدِّثَهُ بَأَنَّ تِلْكَ الْكَفَّ الْكَرِيمَةَ بِأَكْلِهَا التُّرَابُ
وَالْبَلَا ، وَكَأَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فَاسْتَبَقَطَ ، فَسَأَلَهَا بِلَهْفَةٍ التَّلَاحُ
وَحُرْقَةِ السُّؤَالِ ، وَأَوْدَى فِي قَلْبِهَا لَا يَجِي وَجِدٌ لَمْ تَحْدُ
جَذْوَتُهُ ، وَلَا هَبَّ حُزْنٍ مَا بَرَحَتْ تَتَعَرَّوْا لَمْ تَبْرُدْ

* فِي حَاثِي شَرِّهَا الْعُظْمَى * (١٤١)

وَقَدَّتْهُ ، قَائِلًا لَهَا اِذْنِ قَوْلِي مَا تَمَوَّلَايَ الْحُسَيْنُ ،
 وَنَجَّكَ وَنَجَّكَ اِيَّهَا الْوَافِدُ ، اِنَّ الْاَمْرَ فَوْقَ مَا نَظُنُّ وَ
 الْخَطْبُ اَجَلٌ وَاَعْظَمُ مِمَّا نَتَصَوَّرُ ، فَهَلْ سَطِيعُ اَنْ تَسْمَعَ
 جَوَابَهَا لَكَ رِعَظَمَ اللهُ اَجْرَكَ بِمَوْلَاكَ الْحُسَيْنِ فَلَقَدْ
 قُتِلَ فِي كَرْبَلَا عَطْشَانًا غَرِيبًا وَقُتِلَ مَعَهُ اَهْلُ بَيْتِهِ ، وَلَمْ
 يَرْجِعْ اِلَى اَوْطَانِهِمْ اِلَّا نِسَاءُ وَهُمْ الْاَيَّامُ وَاطْفَالُهُمْ
 الْبَتَامَى (

يَا ضَيْفَ بَيْتِ الْمَجْدِ اقْفِرْ رُبْعَهُ فَاشْدُدْ رِحَالَكَ وَاحْتَفِظْ بِأَنْتَ
 لِمَنْ بَعْدَ الْحُسَيْنِ تَشْدُدُ رِحَالًا
 حَرَامٌ بَعْدَهُ شَدُّ الرِّحَالِ



(مِنْ عَدُوِّهِ ابْنِ مُرْجَانَةٍ)

فَتَحَّ ابْنُ زِيَادٍ أَبْوَابَ قَصْرِ الْأَمَاوَةِ ، وَأَذِنَ عَدُوَّهُ
لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا - لِيَرُدَّ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِرَّعْمِيهِ - وَ
لِيَهْنِئُوهُ بِظَفَرِهِ بَعْدُ رَدِّهِ الْحُسَيْنَ ، وَأَدْخَلَ عَلَيْهِ السَّبَايَا
وَالرُّؤُوسَ ، فَبَدَّخَ بَأَنفِهِ وَشَمَخَ بِعُطْفِيهِ ، وَأَخَذَ يَسْأَلُ
عَنْ أَسْمَاءِ السَّبَايَا لِيُثَمَّتَ بِهِمْ فَرْدًا فَرْدًا ، وَقَدْ أَخَذَ الْجَمْعُ
مَجَالِسَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ يَضُمُّ الطَّبَقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ
مِنْ عَلَيْهِ النَّاسِ وَأَوْسَاطِهِمْ وَأَوْشَابِهِمْ ، وَمِنْ قَوَادِ
عَسْكَرِهِ وَرُؤُسَاءِ أَسْبَاحِ الْكُوفَةِ وَقَبَائِلِهِمْ الَّتِي كَانَتْ تَزُحُّ
إِذْ ذَاكَ بِجَاهِهِمْ ، قَالَتِ الرَّوَابِيَةُ وَأَدْخَلْتُ عَلَيْهِ زَيْنَبُ
بِنْتُ عَلِيٍّ وَهِيَ مُتَنَكِّرَةٌ ، وَعَلَيْهَا أَرْدَلُ ثِيَابِهَا فَجَلَسَتْ
نَاحِيَةً ، وَقَدْ حَفَّتْ بِهَا إِمَاؤُهَا ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ مَنْ
هَذِهِ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَأَعَادَ الْقَوْلَ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً فَلَمْ يُجِبْهُ ،
وَمَنْ يَكُونُ ابْنُ زِيَادٍ حَتَّى تُجِيبَهُ زَيْنَبُ وَمَا يَكُونُ قَدْرُهُ
إِلَى جَنْبِ عَظَمَةِ قَدْرِهَا لِيُلْتَفِتَ إِلَيْهِ ، فَعَسَمَ قَالَ لَهُ بَعْضُ
الْخَدَمِ مِنْ أَمَائِهَا هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ابْنُ
زِيَادٍ ، وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتْلَكُمْ ، فَأَنْبَرَتْ
عَقِبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَاصِلِيهِ ، وَرَدَّتْ كَبِدَهُ فِي بَخْرِهِ ،

* مِنْ عِنْدِ ابْنِ مَرْجَانٍ * (١٤٣) هـ

بَلَمَّا تَهَا الْفَارِصَةَ الَّتِي تَزَلُّ عَلَيْهِ زُورُ الصَّوَاغِي الْمَحْرِقَةِ
 حَتَّى عَادَ عَبْدُهُ عَلَيْهِ يَوْمًا عَبُوسًا قَطْرِيرًا ، وَانْعَقَدَتْ
 سَحَابَةٌ مِنَ الْحُزْنِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَكَانَ يَوْمٌ نَعِيمٌ يَوْمٌ بَوَّسٌ
 عَلَيْهِ حَيْثُ اجَابَتْهُ قَائِلَةٌ (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ
 مُحَمَّدٍ ، وَطَهَّرَنَا مِنَ الرَّجْسِ تَطْهِيرًا ، اِنَّمَا يَفْتَضِحُ لِفَا
 وَبِكُذْبِ الْفَاجِرِ ، وَمَوَانَتْ يَاعِدُوا اللّٰهَ وَعَدُوْهُ)
 فَقَالَ لَهَا كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللّٰهِ بِاَخْبِكَ وَامَلِ بَيْتِهِ ، فَقَالَتْ
 مَا رَأَيْتُ الْاَجْبَلًا اُولَئِكَ قَوْمٌ كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ ،
 فَبَرَزُوا اِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَسَيَجْمَعُ اللّٰهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَ
 تَحَاجُونَ وَتَتَخَاصِمُونَ عِنْدَهُ ، وَاِنَّ لَكَ يَا ابْنَ زَبَادٍ مَوْقِفًا
 فَاسْتَعَدَّ لَهُ جَوَابًا ، وَاَتَى لَكَ بِهِ مِنْ رِوَايَةٍ اُخْرَى قَالَتْ
 لَهُ فِي اَخْرِكَا مَهَا ، فَاَنْظُرْ لِمَنِ الْفُلْجُ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ ، فغَضِبَ
 ابْنُ زَبَادٍ مِنْ ذِكْرِ اُمِّهِ فِي مَجْلِسِهِ وَرَفَعَ قَضِيْبَهُ وَهَمَّ بِضَرْبِهَا
 فَاَمْسَكَ ابْنُ حُرَيْثٍ بِهِ وَلَمْ يَدْعُ عَنْهُ هَوِيَّ بِهِ عَلَيْهَا ، قَائِلًا
 لَهَا اِنَّهَا امْرَاةٌ وَالْمَرَاةُ لَا تُؤَاخَذُ بِشَيْءٍ مِنْ خَطَايَاهَا ، وَقَدْ كَانَ
 هَذَا الْكَلَامُ مِنْ ابْنِ حُرَيْثٍ سِيَّاسَةً وَمَكْرًا وَتَوْبِيحًا عَلَى ابْنِ
 زَبَادٍ الْمَغْرُورِ بِنَفْسِهِ الْمَزْهُوِّ بِظُفْرِهِ ، وَاِنَّمَا اَمْسَكَ بِقَضِيْبِهِ
 فَلَمْ يَدْعُ عَنْهُ بِضَرْبِ زَيْنَبَ ، لِأَنَّهُ رَأَى رُفْسَاءً قَبَائِلَ الْكُوفَةِ
 قَدْ عَادَ اِلَيْهِمُ الشَّمَمُ الْعَرَبِيُّ وَالزَّرْعَةُ الْقَوْمِيَّةُ الطَّافِيَةُ

فَتَكَرَّتْ وُجُوهُهُمْ ، وَفَتَتْ شُعُورُهُمْ ، وَتَقَرَّرَتْ
نَفُوسُهُمْ ، أَنَّ رَأَوُا ابْنَ زِيَادٍ يَرْفَعُ قَضْبَهُ ، وَهُمْ بَصَرٌ
عَقِيلٌ بَيْنَهُمُ الْعَرَبِيُّ الْكَرِيمُ ، وَمُخَذَّرَةٌ أَمِيرُهُمْ بِالْأَمْسِ
عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ كَانَ غَارًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّ بَرْدَ الرَّحْلِ
عَلَى الْمَرَأَةِ كَلَامُهَا فَضْلًا عَنْ ضَرْبِهَا بِسَوْطٍ ، فَإِنَّهُ يُعْتَرِبُ ذَلِكَ
عِنْدَ الرَّايِ الْعَامِ وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ ،

وَلَمَّا انْتَهَى بَابُ زِيَادٍ السُّوَالُ عَنْ ذُنُوبِ الْعَابِدِينَ ، قَالَ
لَهُ مَنْ أَنْتَ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ،
فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، قَالَ لَهُ
الْإِمَامُ قَدْ كَانَ لِي أَخٌ أَكْبَرُ مِنِّي قَتَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ
قَتَلَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَأَيْتُ اللَّهَ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) فَغَضِبَ ابْنُ زِيَادٍ ، وَقَالَ
أَلَيْكَ جُرْأَةٌ عَلَى جَوَابِي ، وَفِيكَ بَقِيَّةُ الرَّدِّ عَلَيَّ ، إِذْ مَبُوءٌ بِهِ
فَأَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ ذَنْبٌ ، وَقَالَتْ يَا ابْنَ زِيَادٍ
حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا ، وَأَعْتَقَتْهُ وَقَالَتْ وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُهُ ،
وَإِنْ قَتَلْتُمُوهُ فَأَقْتُلُونِي مَعَهُ ، فَتَطَرَّابُنُ زِيَادٍ إِلَيْهَا ، وَقَالَ
وَأَعِجْبَاهُ لِلرَّحِمِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَظُنُّهَا تَوَدُّ أَنْ أَقْتُلَهَا دُونَهُ ،
دَعُوهُ فَإِنِّي أَرَاهُ لِمَا بِهِ ، فَاظْطَرَّ إِلَى مَوْقِفِهَا الْعَظِيمِ مُجَاهِدًا هَذَا
الْعَدُوَّ الْإِلَاحِي ، وَكَيْفَ انْقَذَتْ حُجَّةَ عَصْرِهَا وَإِمَامَ زَمَانِهَا

* مِنْ عِدَّةِ ابْنِ مَرْجَانٍ * (١٤٥) *

مِنْ مَخَالِبِهِ ، وَخَلَصَتْهُ مِنْ أَنْ يَنْفُذَ بِهِ أَمْرُهُ بِالْقَتْلِ ،
لِأَنَّهُ كَمَا قَدَّمْنَا - لَمْ يَسْتَطِيعْ ضَرْبَهَا بِسَوْطٍ فَكَيْفَ يَتِمَكَّنُ مِنْ
قَتْلِهَا ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّ أَمْرَهُ بِقَتْلِ الْعَلْبَلِ لَا يَنْفُذُ إِلَّا بِقَتْلِهَا
مَعَهُ ، وَهُوَ لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ قَتْلِهَا بَلْ ضَرْبًا تَنَازُلَ عَنْ إِرَادَتِهِ مُرْعَاً
وَتَظَاهِراً بِالْعَفْوِ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِ بْنِ حِيلَةٍ وَمَكْرًا ، وَمِنْ مَهْمُنَا
تَعْلَمُ أَنَّ حَمَلَ الْحُسَيْنِ لِرُزَيْنٍ مَعَهُ كَانَ لَا بُدَّ مِنْهُ إِذْ لَوْ لَمْ تُدَافِعْ
عَنِ السَّجَادِ لَقُتِلَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، كَمَا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيفٍ
الْأَزْدِيُّ فِي غَيْبَةِ عَشِيرَتِهِ لِأَنَّ لِلْحَاكِمِ الْمُسْتَبِدِّ رَأْيَهُ قَتْلَ الرَّجُلِ
وَلَوْ كَانَ بِغَيْرِ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ ، وَلَمَّا أَرَادَ شِمْرُ
قَتْلَهُ فِي كَرْبَلَا لَمْ تَكْفِهِمْ عَنْ قَتْلِهِ إِلَّا الْبَدُّ الْغَيْبِيَّةُ وَالْقُدْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ
لِأَنَّ ابْنَ سَعْدٍ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا صَحَّتْ عَلَى قَتْلِهِ ، قَامَ عَلَيْهِمْ لِسْفٌ
فَأَفْنَاهُمْ عَنْ إِخْرَجِهِمْ بِالْقُدْرَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ ، وَلَوْ دَافَعَتْ
عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَقَدْ نُهُ بِنَفْسِهَا لَقُتِلَتْ قَبْلَهُ ، كَمَا قُتِلَ الْكَثِيرُ
مِنْ بَنِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ ، بَلَا نَكْبَرِي فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ الَّذِي
ضَيَعَ رُشْدُهُ وَهُدَاهُ فِي جَمِيعِ السَّبِيلِ دِينِيَّةً أَوْ عَرَبِيَّةً أَوْ
بَشَرِيَّةً ، وَهَكَذَا يَوْمَ أَمْرٍ زَيْدٌ أَنْ يَأْخُذَهُ الْجُلُودُ إِلَى بَعْضِ
الْبَسَاتِينِ وَيَجْفِرَ لَهُ قَبْرًا وَيَقْتُلَهُ بِالسَّيْفِ ، فَلَمَّا رَفَعَ
السَّيْفَ لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ ضَرَبَتْهُ يَدٌ فِي الْهَوَاءِ وَقَتَلَهُ اللَّهُ
بِهَا فَأَمْرٌ زَيْدٌ أَنْ يَدْفَنَ فِي حَفْرَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي عَمِيرٍ

زَيْنَبُ ، فَحَفِظَ اللَّهُ لَهَا إِمَامَهَا وَرَدَّ كِبَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي نُحُورِهِمْ ،
 وَادْخَلَ لَسْبًا يَا عَلِيُّ بْنُ زَبَادٍ يَوْمًا آخَرَ ، فَرَأَى زَيْنَبَ
 وَهِيَ تَتَحَقَّى بَيْنَ النِّسَاءِ وَتَسْتَرْوِجُهَا بِكَيْهَا لِأَنَّ قَنَا عَنْهَا
 أُخِذَ مِنْهَا - وَقَدْ عَرَفَهَا اللَّعِينُ فِي مَجْلِسِهِ الْأَوَّلِ فَلَمْ يَحْتَجْ
 لِلِسُؤَالِ عَنْهَا - بَلْ قَالَ لَهَا يَا زَيْنَبُ كَلِمَتِي بِحَقِّ جَدِّكَ
 رَسُولِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ عَرَفَ فِي مَجْلِسِهَا الْأَوَّلِ أَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا
 لِأَنَّ تَكْلِمَهُ ، فَتَذَرَّعَ لِكَلَامِهَا مَعَهُ بِهَذَا الْقِسْمِ الْعَظِيمِ ،
 فَقَالَتْ وَمَا الَّذِي تَرِيدُ ، وَقَدْ هَتَكْتَنِي بَيْنَ النَّاسِ ، قَالَ
 كَيْفَ رَأَيْتِ صُنَعَ اللَّهِ بِأَخِيكَ ، أَرَادَ يُكَابِرُ الْأَمِيرَ زَبِيدَ
 فِي مُلْكِهِ ، فَخَيَّبَ اللَّهُ أَمَلَهُ وَقَطَعَ رَجَاءَهُ ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ
 وَبَلَكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ ، كَمْ تَتَحَبَّبُ عَلَيْنَا أَثْوَابَ غِيَاكَ ،
 فَإِنَّ أَخِي إِنْ طَلَبَ الْخِلَافَةَ فَلَا عُدُوَانَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ طَلَبَ
 مِيرَاثَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ ، وَإِنَّهُ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْكَ وَمِنْ أَمْرِكَ
 لَكِنَّكَ اسْتَحَرْتَ الْجَحِيمَ لِنَفْسِكَ ، فَاسْتَعِدَّ لِلَّهِ جَوَابًا ،
 إِذَا كَانَ الْقَاضِي هُوَ اللَّهُ ، وَالْخَصْمُ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَ
 السِّجْنُ جَهَنَّمُ ، قَالَ فَعَادَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى عِمَّتِهِ - وَقَدْ
 عَلِمَ مِمَّا تَقْدَمُ أَنَّ ابْنَ زَبَادٍ لَا يَتَكَنَّ مِنْ قَتْلِهِ - فَأَنْصَرَفَ لَهَا
 قَائِلًا لِابْنِ زَبَادٍ إِلَى كَمْ قَهْتِكَ عِمَّتِي بَيْنَ مَنْ يَعْرِفُهَا وَ

مَنْ لَا يَعْرِفُهَا ، قَطَعَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرَجْلَيْكَ) قَالَ فَاسْتَشَا
ابْنَ زُبَايدٍ وَأَمْرِيضَرِبِ عُنُقِهِ ، فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ ، نَقُولُ لَمْ
يُمْنَعِ عَنْ قَتْلِهِ إِلَّا لِأَن حَاشِيَتَهُ عَلِمَتْ مَتَا قَتَدَمَ أَنَّهُ لَا
يُقْتَلُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ حَتَّى تُقْتَلَ زَيْنَبُ وَلَنْ تُقْتَلَ زَيْنَبُ
حَتَّى يُقْتَلَ رُؤْسَاءُ قَبَائِلِ الْكُوفَةِ ، وَلَنْ يُقْتَلَ رُؤْسَاءُ الْكُوفَةِ
حَتَّى تُقْتَلَ قَبَائِلُهُمْ ، وَقَتْلُ ابْنِ زُبَايدٍ وَحْدَهُ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ
كُلِّهِ ، فَكَفَتْ عَنْ قَتْلِهِ مُرَغَمًا ، وَتَنَازَلَ عَنْ إِرَادَتِهِ مَحْذُولًا
مَذْهُورًا ، وَمَا ابْنُ زُبَايدٍ فِي الْكُوفَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِأَعْظَمِ سُلْطَانًا
وَأَنْفَذَ أَمْرًا مِنْ طَائِفَتِهِ وَأَمِيرِهِ زَيْدٍ فِي عَاصِمَةِ مُلْكِهِ
الشَّامِ الْأَمَوِيَّةِ ، وَقَدْ تَفَقَّحَ لَهُ أَنَّ أَمْرَ بَقْتُلِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ
فَأَخْرَجُوهُ فَخَرَجَتْ أُمَّ كُلْثُومٍ مِنْ دَا ، وَقَالَتْ إِلَى ابْنِ يَاحْيَى ،
قَالَ عَمَتِي إِلَى السَّيْفِ ، فَصَاحَتْ وَاعْتَوَّاهُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
وَابْقِيَّةَ مَنْ لَا يَبْقَى ، يَا سُلَالَةَ بَنِي الْهَدَى ، يَا بَقِيَّةَ
بَنِي عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ
الْقَوْمِ يَا زَيْدُ رَدِّ الْغُلَامَ وَالْإِفَانِكَ مَقْتُولُ ، فَرَدُّوهُ ، فَإِذَا قَدَرُ
أَهْلُ الشَّامِ أَنْ يَقْتُلُوا زَيْدًا إِذَا صَمَّمُوا عَلَى قَتْلِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ
فَقَتْلُ ابْنِ زُبَايدٍ فِي الْكُوفَةِ أَبْسَرُ وَأَهْوَنُ ، فَقَدْ انْتَصَرَ الْأَمَا
يَعْتِيهِ فِي مَجْلِسِ ابْنِ زُبَايدٍ (بِحَدِّ لِسَانٍ مَا عَنِ السَّيْفِ بِنَقْصِ)
بَلْ هُوَ وَاللَّهِ أَقْطَعُ وَأَمْضَى مِنْ حَدِّ السَّيْفِ وَصَدْرِ السِّنَاءِ ،

مَوْقِفٌ وَزِيْرِي الْحُسَيْنِ * (١٤٨) *

وَأَنْقَذَتْهُ ذَيْنَبُ مِنَ الْقَتْلِ بِسَبَبِ مَا صَدَرَنِي الْمَجْلِسُ الْأَوَّلُ
مِنْ عَجْزِهِ عَنْ ضَرْبِهَا فَضُلًّا عَنْ قَتْلِهَا الَّذِي حَتَمْتُ أَنْ يَكُونَ
مُسَاوِقًا لِقَتْلِ خَلِيفَةِ عَصْرِهَا غَيْرَ أَنَّ اللَّعِينَ كَانَ إِذَا عَجَزَ
عَنْ مُعَارَضَةِ ذَيْنَبَ بِالسَّبَبِ ، وَنَكَلَ عَنْ مُقَاوَمَةِ كَفْلِهَا
بِالْتَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ عَمَدًا إِلَى رَأْسِ أَخِيهَا الْحُسَيْنِ ، فَشَفَى قَلْبَهُ
بِضَرْبِهِ ، وَثَأَرَ لِنَفْسِهِ بِالتَّبْئِيمِ فِي وَجْهِهِ وَالْأَسْتِهْزَاءِ بِهِ ،
وَلَكِنَّهُ يَسْتَجِيرُ بِذَلِكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ ، لِأَنَّ الرَّأْسَ
الشَّرِيفَ يَتَكَلَّمُ خَرَقًا لِلطَّبِيعَةِ وَيُبْذِرُهُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ خِلَافًا
لِمَجَارِي الْعَادَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ هَدِيدٍ وَالتَّسْدِيدِ بِهِ ،
أَخْضَرِبِينَ بَدَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ يَا حُسَيْنُ مَا أَسْرَعَ الشَّيْبُ
إِلَيْكَ يَا حُسَيْنُ لَقَدْ كُنْتُ حَسَنَ الثَّغْرِ ، وَبَدَنِي قَضِيبٌ
يَضْرِبُ ثَنَائِي - الْأَشْلَتْ بَدَنَهُ -

أَتَضْرِبُهَا شَلَتْ يَمِينُكَ إِنَّمَا وَجْهُ لَوْجَةِ اللَّهِ طَالَ سُجُودُهَا
فَانْتَصَرَ لَهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَقَالَ لَهُ ازْفَعْ قَضِيبَكَ عَنْ ثَنَائِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
فَطَالَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُقْبَلُهَا بِفِيهِ ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ بَدَنِهِ يَوْمًا
فَارْتَعَدَتْ يَدَاهُ ، فَوَضَعَ الرَّأْسَ عَلَى فَخْذِهِ ، فَقَطَرَتْ قَطْرُهُ مِنَ
الدِّمِ مِنْ تَحْرِهِ الشَّرِيفِ عَلَى ثَوْبِهِ فَخَرَّقَهُ ، حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى فَخْذِهِ
فَجَرَحَهُ ، وَصَارَ جَرْحًا مُنْكَرًا ، فَكَلَّمَا غَالَجَهُ لَمْ يَتَعَالَجْ ، حَتَّى
ازْدَادَ نَيْتًا وَعَفُونَةً ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْمِلُ مَعَهُ الْمِسْكَ لِأَخْفَاءِ تِلْكَ الْعَفُونَةِ

* مِنْ عِدْوَةِ ابْنِ مَرْجَانٍ * (١٤٩)

وَأَمْرِي أَنْ يُصْلَبَ عَلَى خَشَبَةٍ فِي الصَّبَاحِ وَهُوَ أَوَّلُ رَأْسٍ
 صُلِبَ فِي الْأَسْلَامِ عَلَى خَشَبَةٍ ، فَتَتَخَنَّى الرَّأْسُ وَقَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ
 إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (اِهْتُمْ فَشِيَّةً أَمْوَابِرِهِمْ فَرَدْنَا هُمْ هُدًى)
 فَلَمْ يَزِدْهُمْ إِلَّا ضَلَالًا ، وَتَمَادَى ابْنُ زَبَادٍ فِي بَغْيِهِ ، وَلَجَّ فِي
 عُتُوِّهِ وَتَمَرُّدِهِ ، فَصَلَبَ الرَّأْسُ خَارِجَ الْكَوْفَةِ عَلَى شَجَرَةٍ ، فَتَمِيعَ
 مِنْهُ (وَسَبَّعَلِمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنِّي مُنْقَلِبٌ بِثِقَلِيُونَ) وَاصْرَابُ ابْنِ زَبَادٍ
 فِي طُعْنَانِهِ وَاسْتِكْبَارِ اسْتِكْبَارًا فَامْرَأَتُ بَطَافِ بَرَأْسِ الْحُسَيْنِ عَلَى
 رُجْحٍ طَوِيلٍ فِي سِكَكِ الْكَوْفَةِ فَمَرَّ بِزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَهُوَ يَبْكُو (أَمْرَحَسِبْتُ
 أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) قَالَ فَقَفَّ
 شَعْرِي وَنَادَيْتُ رَأْسَكَ وَاللَّهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَمْرَكَ أَعْجَبُ
 وَأَعْجَبُ ، وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ وَكْبَةَ ، قَالَ كُنْتُ فِيمَنْ حَمَلَ رَأْسَ
 الْحُسَيْنِ ، فَتَمِيعَتْهُ بِقَرَأَةِ سُورَةِ الْكَهْفِ ، فَجَعَلْتُ أَشْكُ فِي نَفْسِي
 وَأَنَا أَسْمَعُ نَغْمَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، يَا ابْنَ وَكْبَةَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا مَعَاشِرُ
 الْأَئِمَّةِ أَحِبَّاءُ عِنْدَ رَبِّنَا نَرْزُقُ ، قَالَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَسْرِفُ
 رَأْسَهُ ، فَتَمَادَى يَا ابْنَ وَكْبَةَ لَبَسَ لَكَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ،
 سَفَكُمُ دِمَاجُ عَظَمٍ عِنْدَ اللَّهِ نَعْمًا مِنْ تَسْبِيرِهِمْ أَيَّامِي ، فَذَرَهُمْ فَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ إِذَا لَأَغْلَالٌ فِي أَحْنَائِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُجَبُونَ ،
 لَهْفِي لِرَأْسِكَ وَهُوَ يَرْفَعُ مَشْرِقًا كَالْبَدْرِ فَوْقَ الذَّابِلِ الْمَتَّادِ
 يَتْلُو الْكِتَابَ ، وَمَا سَمِعْتُ بَوَاحًا تَحِذُ الْقَنَابِدَ لَا عَنْ الْأَعْوَادِ

(أَمَامَ زَيْدٍ فِي عِيدِ طَفَرِهِ)

طَارَتْ الْأَنْبَاءُ وَنَمَتِ الْبَشَائِرُ إِلَى زَيْدِ الْجَبَّارِ الْعَنَبِ
 بِقُدُومِ رَأْسِ الْحُسَيْنِ وَرُؤُوسِ عَظِيمِ أَصْحَابِهِ ، وَمَعَهُمْ عِبَادُهُمْ
 فَأَحْدَثَ فِي شَامِهِ الْمَشُومَةِ عَيْدًا سَمَاءُهُ عَيْدُ الظُّفْرِ ،
 وَأَعَادَ تَارِيخَ سَلَفِهِ مُعَاوَنَةً ، حَيْثُ أَمْرَانُ تَزَيْنَ الثَّامُ بِقَتْلِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسَاهِمِ الْأَوَّلِ فِي رَفِيعِ قَوَاعِدِ الْأَسْلَامِ ،
 وَلَا يَدْعُ وَلَا عَجَبَ ، فَإِنَّهُ (عَبْدٌ وَسُومٌ) وَهُوَ هَوَا بْنُ هِنْدٍ
 أَكَلَهُ الْكِبُودُ ، وَدَعَى أَبِي سُفْيَانَ قَائِدَ الْجَبُوشِ لِحَرْبِ اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ فِي أَهَمِّ الْوَقَائِعِ أَحَدٍ وَبَدَأَ الْمَوْعِدَ وَالْأَخْرَابَ نَحْوَهَا
 وَأَمَرَ زَيْدًا أَنْ تَبَيَّتَ الرُّؤُوسَ وَالْأَسَادِي فِي جَبْرُونَ ،
 لِيَبْدُ خُلُوعُ الْبَلَدِ بَعْدَ تَزِينِهَا فَتَارَاجَهَا ، وَصَعِدَ عِدْوُ اللَّهِ
 عَلَى عِلِّيَّهِ قَصْرِهِ ، فَبَدَتْ لَهُ الرُّؤُوسُ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
 عَلَى رُبَى جَبْرُونَ ، وَقَدْ خَضَعَ نُورُ شَمْسِ النَّهَارِ ، لِأَنْوَارِ شَمْسِ
 آلِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، فَلَمْ يَرَعْهُ الْأَغْرَابُ الْبَيْنُ بَنَعَبَ بَيْنِهِ
 وَيُنَادِيهِ بِلِسَانِ الْحَالِ بِانْقِرَاضِ دَوْلَتِهِ وَقَرَبِ هَلَاكِهِ
 وَحَبْنِهِ ، فَتَجَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَعَتَا عُتَا كَبِيرًا ، وَلَمْ تَزِدْهُ الْمَوْعِظَةُ
 إِلَّا نَفُورًا ، فَأَجَابَ غُرَابَ الْبَيْنِ بِمَا أَمْلَأَهُ عَلَيْهِ الْكُفْرُ وَالْأَلْحَا
 وَلَمْ يُخَفِّضْ مِنْ غُلُوِّهِ أَنْ اللَّهَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ ، قَائِلًا ؟

* مَا مَرَّ بِكَ فِي حَيْدِ ظَفَرِهِ * (١٥١) هـ

لَمَّا بَدَتْ لِكَ الشَّمْسُ وَأَشْرَقَتْ تِلْكَ الرُّؤُوسُ عَلَى بُيُوتِ جَبْرُونَ
 نَعَبَ الْغُرَابُ ، فَقُلْتُ نَحْ أَوْلَاتِيْ فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ دُيُونِيْ
 وَأَمْرُ مُنَادِيهِ أَنْ يُنَادِي فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَخَارِجِهَا أَنْ
 اُخْرُجُوا فَتَفْرَجُوا عَلَى عِيَالِ الْخَارِجِيِّ وَأَسَارَاهُ ، وَانْظُرُوا
 مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَيْدٍ ، فَخَرَجَ النَّاسُ أَفْوَاجًا ،
 وَطَارُوا إِلَى بَابِ الْبَلَدِ ذَرَفَاتٍ وَمَوَاكِبَ يَقْفُو بَعْضُهَا إِنْ بَعْضٍ
 وَبِأَيْدِيهِمُ الطُّبُولُ وَالْمَزَامِيرُ ، وَالْمَعَارِيفُ وَالطَّنَابِيرُ
 يَتَقَبَّلُونَ بِهَا رَأْسَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُرِّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
 فَاتَّوَفَّ الرُّؤُوسَ وَالْأَسَادِي ثَلَاثَ سَاعَاتٍ عَلَى الْبَابِ
 لِيَسْتَوِي الْمُتَفَرِّجُونَ نِصَابَهُمُ الْكَامِلَ مِنَ الشَّمَاةِ وَالْتَفَرُّجُ
 عَلَى عِيَالِ الْخَارِجِيِّ ، ثُمَّ دَعَاهُ خُرْقُهُ وَتَرَقُّهُ وَلَوْمْ غَلَبَتْهُ أَنْ
 يُفْتَحَ أَبْوَابُ الْخَضِرَاءِ ، وَيَأْذَنَ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا لِهَيْئَتِهِ بَعْدَ
 ظَفَرِهِ بِقُدُومِ رَأْسِ الْخَارِجِيِّ - بِزَعْمِهِ - وَرُّؤُوسِ أَصْحَابِهِ
 وَأَسَارَاهُ ، حَبَّتْ أَرَاخُ اللَّهِ مِنْهُ السُّلَيْمِيَّةُ ، وَنَصَرَ عَلَيْهِمُ
 زَيْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَفْوَةَ آلِ مُحَمَّدٍ الدِّهْنُ تَجَبُّ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
 فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ كُلُّهُ مُعَاوِيَةُ فِي إِذْهَابِهِمْ
 مِنْ دُيُونِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ ، فَلَمَّا أَكْثَطَتِ السَّاحَةُ بِالْوُفُودِ وَالْهَيْئَةِ
 وَالْجُنُودِ وَالْمُتَفَرِّجِينَ أَمَرَ خَطِيبُهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمِنْبَرَ ، وَيَمْدَحَ
 مُعَاوِيَةَ وَزَيْدَ وَآلَ أَبِي سُفْيَانَ ، لِأَنَّهُمْ آلُ مُحَمَّدٍ - كَمَا يَزْعُمُونَ -

وَيُسَبِّحُ عَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، لِأَهْلِهِمْ أَغْدَاءُ مُحَمَّدٍ وَ
دِينِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ ، كَمَا حَقَّقَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةُ خَالَ الْمُؤْمِنِينَ
وَقَرَّرَهُ فِي نَفْسِهِمْ تَقَرُّرًا لَا لَيْسَ فِيهِ وَلَا اشْتِبَاهَ ، حَتَّى عَادَ
لَا يَقْبَلُ الْإِنْكَارَ وَالْتِشْكُوكَ ،

وَأَنَّ لِحَوْلَةِ الْبَاطِلِ أَنْ تَنْدَحِرَ أَمَامَ صَوْلَةِ الْحَقِّ ، وَالْحَقُّ
وَإِنْ طَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ فَهُوَ إِلَى انْتِصَارٍ ، وَالْبَاطِلُ وَإِنْ تَمَادَى
بِهِ الزَّمَنُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ أَمْرِهِ إِلَى انْدِحَارٍ (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَهَوِيَ
الْبَاطِلُ ، وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعْبُدُ) فَانْتَصَبَ

الْإِمَامُ خَلِيفَةُ الْحُسَيْنِ لِرَدِّ عَادِيَّتِهِ وَكَيْجِ جِمَاجِ عُتُوهِ وَتَكْذِيبِ
أَحْدُوثِهِ ، عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَرَى

الْأَعْوَادَ ، لِيُلْقِيَ كَلِمَاتٍ فِيهِ فَبِهِتَ رِضًا وَلِلْحَاضِرِينَ أَجْرُ
وَثَوَابٌ ، فَامْتَنَعَ بَزْدٌ - وَحَقُّ لَهُ أَنْ يَمْتَنِعَ - لِأَنَّهُ قَدَّرَ

فِي نَفْسِهِ سُوءَ مَغَبَّةِ الْأَمْرِ ، وَصَرَّحَ لِلنَّاسِ فِي عُذْرِهِ أَنَّهُ
(إِنْ صَعِدَ الْمَنْبَرُ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا بِفَضِيحَتِي وَفَضِيحَةِ آلِ أَبِي سَفْيَانَ)

مِمَّا زَادَ الرَّأْيَ الْعَامَّ حِرْصًا عَلَى يَمَاجِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي عَظَّمَهَا
بَزْدٌ وَأكْبَرَهَا وَمَنَعَ مِنَ الْقَائِلِهَا (وَأَلْمَزُ حَرِيصٌ عَلَى مَا مَنَعَ)

فَجَرَفَ رَأْيِي بَزْدًا تَبَارَا أَهْلُهُمْ ، وَخَدَعَتْهُ نَفْسُهُ ، وَكَذَّبَ
يَقِينَهُ ، فَظَنُّ كَمَا ظَنُّوا إِذْ قَالُوا لَهُ (مَا قَدَرُ مَا يُحْسِنُ هَذَا

الْغُلَامُ) وَصَعِدَ الْإِمَامُ الْمَنْبَرَ فَأَقْبَمَتْهُ الْعُبُونُ وَأُثْلِعَتْ

لَهُ الْإِعْنَاقُ وَأُرْهِفْتُ لِحَظَّتِهِ الَّتِي اعْظَمَهَا بِزَيْدٍ إِذَا هُمْ ،
 فَتَضَنُّضُ^(١) بِلِسَانٍ فَتِيْنٍ كَأَنَّهُ حُسَامٌ جَذِبَ مِنْ عِمْدِهِ ،
 فَحَدَّثَ اللَّهُ وَاشْتَى عَلَيْهِ أَحْسَنَ الشَّاءِ ، وَوَعَظَ فَبَلَغَ بَوْعَظِهِ
 إِلَى قَرَارِثِ النَّفُوسِ وَتَجَاوَزَ شِغَافَ الْآفُئْدَةِ ، وَأَمْخَدَنِي
 بَيَانِ حَسْبِهِ وَنَسْبِهِ كَالسَّبِيلِ الْمُنْخَدِرِ مِنْ قُنَّةِ الْجَبَلِ الْكَائِنِ^{مِنْ}
 وَكَأَنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَنَافَسُ عَلَى بَيَانِهِ ، وَالْجَمْلُ الْبَلِيغَةُ يَأْخُذُ
 بَعْضُهَا بِأَعْنَاقِ بَعْضٍ إِلَى حُلُومَنْطِقِهِ وَعُذُوبَةِ لِسَانِهِ ،
 حَيْثُ قَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي
 أَنْبَأْتُهُ بِحَسْبِي وَنَسْبِي ، أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنِّي ،
 أَنَا ابْنُ زَمْرَمَ وَالصَّفَا ، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرَافِ
 الرِّدَا ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ انْتَرَزَ وَارْتَدَى ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ
 انْتَعَلَ وَاحْتَفَى ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ طَافَ وَسَعَى ، أَنَا ابْنُ
 خَيْرٍ مَنْ حَجَّ وَلَبَّى ، أَنَا ابْنُ مَنْ جُمِلَ عَلَى الْبِرِّ فِي الْهَوَى ،
 أَنَا ابْنُ مَنْ أُتِرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، أَنَا
 ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ جَبْرُئِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ
 دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، أَنَا ابْنُ
 مَنْ صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ مَشْنِي مَشْنَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ
 الْجَبَلُ مَا أَوْحَى ، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى ، أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ^{بِغَيْرِ}
 أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خِرَاطِمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،

أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ بِسُفْهَانٍ ، وَطَعَنَ
 بِرُمَحَانٍ ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَانَيْنِ ، وَبَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ ، وَقَاتَلَ
 بَبْدِرَ وَأُحْدِ وَحَنَانٍ ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طُرْفَةَ عَيْنٍ ، وَهَكَذَا
 تَسَلَّلَ فِي أَوْصَالِ أَبِيهِ الْوَصِيِّ ، عَلَى شَاكِلَةِ نُعُوبِ
 جَدِّ النَّبِيِّ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَصْرَحَ لِلْمَلَأِ الْأَسْلَامِي بِمَا صَنَعَ بِزَيْدٍ
 بِأَبِيهِ الْحُسَيْنِ الَّذِي هُوَ مَجْمُوعُ هَذَيْنِ الْبَحْرَيْنِ وَمُلْتَقَى ذَيْنِكَ
 النُّورَيْنِ فَقَالَ (أَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ، أَنَا ابْنُ سَيِّدَةِ
 النِّسَاءِ ، أَنَا ابْنُ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى ، أَنَا ابْنُ الْمُقْتُولِ ظُلْمًا
 أَنَا ابْنُ مُحْرُوزِ الرَّاسِ مِنَ الْقَفَا ، أَنَا ابْنُ الْعَطْشَانِ حَتَّى قَضَى
 أَنَا ابْنُ طَرِيحِ كَرَبَلَا ، أَنَا ابْنُ مَسْلُوبِ الْعِمَامَةِ وَالرِّدَاءِ ،
 أَنَا ابْنُ مَنْ بَكَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ ، أَنَا ابْنُ مَنْ نَاحَتْ
 عَلَيْهِ الْجِنُّ وَالطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ ، أَنَا ابْنُ مَنْ رَأَسَهُ عَلَى لِسَانِ
 يَهُدَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ حَرَّمَهُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى لَثَامِ تُسُبِّي)
 يَا جَلِيلُ اللَّهِ ، يَا عَظَمَةَ اللَّهِ ، يَا لَلْعَجَبِ الْعَجَابِ ، مَاذَا
 سَمِعَ الْحَاضِرُونَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ بِحُسْبَائِهِمْ مِنْ هَذَا الْعَلِيلِ النَّخِيفِ
 اسِيرِ الْخَارِجَةِ - كَمَا يَزْعُمُ زَيْدٌ - أَحَقًّا هُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى
 الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ مَقَامِهِ بِالْبَيْتِ الْمَدِينِيِّ وَالشَّيْءِ ، أَحَقًّا هُوَ
 سَلِيلُ عَلِيِّ الرِّضَى ، الَّذِي ضَرَبَ خِرَاطِمَ الْخَلْقِ - أَحْيَى
 أَنَا هُمْ - بِسُفِهِ حَتَّى قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَحَقًّا كَانَ

❖ أَمَّا زَيْدٌ فِي عَيْدِ طَفَرِهِ ❖ (١٥٥) .

جزاء النبي من يزيد قتل قرياءه الذين لم يرد على رسالته
أجرًا إلا مودتهم ، أصبح أن هؤلاء أسارى الحسين بن
فاطمة بضعة الرسول ، فكيف يكونون خوارج وهم من
الاسلام في صميمه ومن الدين في صرحه ، لاجرم أن
هذه إلى الكثير من أمثالها تتلفت الأذهان وتستد
الذموع ، وتستفز الشعور ، وتحفز العزائم على البطش
بزيد ، فضلاً عن لعنه والبراءة منه ومن أفعاله التي تبرا
منها الجاهلية قبل الاسلام ، وأخذ يتنازع قلوبهم و
مشاعرهم تصديق الأمام في خطبه والعروج إلى أوج
نسبه وحسبه ، من ذلك الحضيض الذي وضعهم فيه
زيد ، من كوفهم خوارج مجهولين ، والبكاء عليهم ،
فأبى فؤاد يفقه ذلك الرثاء الحار من فم ذن العابدات
- وللبس الثكلى كالمساجرة - ثم لا يحترق ، وأبى
عين تنظر إليه بوبن آباء - وهو على تلك الحالة من الحزن
والكآبة - ثم لا شبل دموعها وتدفق ، أما يزيد فقد
ارتبك في حراجه الموقف ، وقد سمع لعنه وشتمه و
مسبة آل أبي سفيان ملاً أذنيه ، وراى تنكراً لراي العالم
له وترى دجوههم عليه ملاء بصره ، وطقن أن الأذان

المحبوب سيجذب قلوبهم إليه ويميل بها عن كل شيء دونه
إذ ليس فيها مكان لحب غيره ، وما علم عدو الله أنهم
ينتقلون من آل محمد ، ومن الشنا على محمد وآل محمد ،
ومن مظلوميه محمد وآل محمد - وقد فاجأت أسماعهم و
ذهلت بها عقولهم - إلى الثوبه بإسم محمد والشهادة له
بالرسالة ، ففتح للأعتراض عليه طريقا واضحا ونهجا لاجبا ،
فكان كالباحث عن حفيه بظليفه ، وكان الإمام
إذ يوجه عليه الاعتراض الأبي كان لسان حال ذلك
المجتمع ، وكأنه يأخذ كلامه ليزيد من قلوبهم ، و
ينزع خطابه له من مجموعة نفوسهم ، فانتقض على يزيد
فتله وأجهز عليه عمله ، حيث آبان له الإمام محمد
هذا الذي ينويه مؤذنتك على منارة جامعك برسالة
جدي أم جدك ، فإن قلت إنه جدك كما أظهرت
أول الأمر تبعا لعاوذه أبيك فقد كذبت ، ولا يفلح
الكاذبون ، لأن مجلسك لا يختص بأهل الشام الذين
اشترى معاوذه دينهم وضماؤهم ، واستغل سدا
عقولهم ، بل يشهد معظم ما يحويه مجلسك من جميع
النواحي بكذبك ، وإن قلت إنه جدي - ويلزمك أن
تقول بذلك مرعما - فلم قتلت أبي الحسين ، وهو

* أَمَّا زَيْدٌ فِي حَيْدِ ظَفِرِهِ * (١٥٢) .

فَرُخُ فَاطِمَةَ بَضْعَهُ مُحَمَّدٌ هَذَا الَّذِي تُنَوِّهُ بِرِسَالَتِهِ ،
 أَن كَانَ هَذَا جَزَاءَ مُحَمَّدٍ مِنْكَ ، يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ مُحَمَّدٍ وَ
 عَدُوَّ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَيَزِيدُ لَمْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَمْنَعَهُ عَنِ الْقَاءِ ه
 خُطْبَتِهِ - وَقَدْ كَانَ مَجْهُولًا عِنْدَ الرَّأْيِ الْعَامِّ - فَكَيْفَ
 يَضْرِبُهُ أَوْ يَقْتُلُهُ وَقَدْ ظَهَرَتِ الْحَقِيقَةُ مَلْمُوسَةً بِالْبِدِ
 بَارِزَةً لِلْعِبَانِ ، وَهُوَ بِرَأْسِهِمْ يَسُبُّونَهُ أَقْدَعَ السَّبِّ ،
 وَبِلُغُونِهِ جَهْرًا بِصَرَاحَةِ الْقَوْلِ وَحَرَارَةِ اللَّهْجَةِ وَالْخِطَابِ
 وَيَتَبَرَّئُونَ مِنْهُ تَالِهِينَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَزْعَانِهِ وَأَفْعَالِهِ (رَبَاوَةٌ
 مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ) .

أَتَرَى زَيْدًا بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ أَقْلَعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَتَرَعَ عَنْ
 طُغْيَانِهِ ، وَخَفَضَ مِنْ غُلُوِّهِ ، كَلَّا بَلْ زَادَهُ ذَلِكَ طُغْيَانًا
 وَكُفْرًا ، وَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ ، كَأَنَّهُ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا ،
 وَأَمَعَنَ بِالنِّكَابَةِ وَالتَّمَثُّبِ بِالرَّسُولِ اللَّهِ ، وَتَكَرَّرَ
 ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَرُدُّ كِبَادَهُ
 فِي تَخَرُّهِ فَيَنْصُرُ وَلِيَّهُ وَيَجْذُلُ عَدُوَّهُ (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ ه
 لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) وَكَانَتْ مُعَاوَدُهُ هَذَا
 الشَّرِّ سَلَوَاهُ وَعَادَتُهُ ، بَلْ عِيدُهُ وَمَسْرَتُهُ ، وَلَعَلَّهُ لَا
 يَبْقَى شَكٌّ يُخَامِرُ ذِهْنَكَ فِيمَا قُلْنَا ، عِنْدَ مَا تَتَعَرَّضُ
 أَخْبَارَ وَقَايعِ مَجْلِسِ زَيْدٍ وَتَعَدُّ دَالَوَانِ مَا جَرَّ بِأَقْصَا ،

وَحَذِ الْمَثَلُ مِنْ أَمْرِ اللَّعِينِ بِقَتْلِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ
 ابْتِغَاءً لِطُغْيَاءِ نُورِ اللَّهِ (وَيَا نَبِيَّ اللَّهِ الْآنَ يُتِمُّ نُورُهُ ، وَلَوْ
 كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) فَطَوْرًا تَتَعَلَّقُ بِهِ أُمُّ كَلثُومَ ، فَيَتَظَاهَرُ
 بِالْعَفْوِ عَنْهُ رِقَّةً لَهَا ، وَطَوْرًا يَهَيِّبُ بِهِ لِسَانَ حَالِ
 مُجْتَمَعِهِ (يَا يَزِيدُ رُدِّ الْغُلَامَ ، وَالْآنَ فَانْتَكَ مَقْتُولٌ) وَ
 يَوْمًا يُخَاطِبُهُ الْإِمَامُ وَبِيَدِهِ سُبْحَةُ صَغِيرَةٍ يُدِيرُهَا بِيَدِهِ
 فَيَتَرَبَّدُ لِذَلِكَ وَجْهُ يَزِيدَ ، لِأَنَّ تَسْبِيحَ اللَّهِ وَتَتَرُّبُّهُ
 يَفْقَأُ فِي عَيْنِهِ الْحِضْرَ ، وَيَوْمًا يَقُولُ لَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ
 - يَا أَبِي وَأُمِّي - (إِذَا عَزَمْتَ عَلَى قَتْلِي ، فَأَبْعَثْ مَعِ
 هَذِهِ النِّسْوَةَ مَنْ يَرُدُّهَا إِلَى الْمَدِينَةِ)

وَتَرَى يَزِيدَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ يَأْذَنُ لِلنَّاسِ إِذْنًا غَامًّا
 لِيَلْقَاهُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ بِمَلَأْهُمْ حَجْرًا مُخْطَبَتِهِ الَّتِي سَكَبَهَا
 فِي أَذَانِهِمْ ، فَوَعَتْهَا قُلُوبُهُمْ قَبْلَ اسْمَاعِهِمْ ، فَلَمْ يَنْزِلْ إِلَّا
 بِفَضِيحَتِهِ وَفَضِيحَةِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَادَتْ تَقْضِي عَلَى
 يَزِيدَ لَوْلَمْ يَسْتَجِرْ ، مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ
 اللَّهِ ، فَتَرَاهُ كَلِمًا أَرَادَ أَنْ يَشَأَ وَلِنَفْسِهِ وَنَبْصِيرُهَا مِنْ مَصِيبَةٍ
 أَصَابَتْهُ وَقَعَ فِي أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْهَا وَأُخْرَى فَهُوَ كَالضَّالِّ
 الْخَبْرَانِ كَلِمًا مَضَى لَوَجْهِهِ أَرَادَ عَنْ مَقْصَدِهِ يُعَدُّ ، وَ
 تَحَيَّرَ وَلَمْ يَهْتَدِ رُشْدًا ، وَدَعَا أَشْرَافَ النَّاسِ خَاصَّةً

* أَمَّا هَذَا زَيْدٌ عِيْدُ ظَفَرِهِ * (١٥٩) .

فِي بَعْضِ مَجَالِيهِ الَّتِي أَخَذَ يُكَرِّرُهَا فَأَجْلَسَهُمْ حَوْلَهُ ، ثُمَّ
 دَعَا بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَصِيبِيَانِ الْحُسَيْنِ وَنِسَائِهِ ،
 فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ
 ابْنِ الْحُسَيْنِ يَا ابْنَ الْحُسَيْنِ أَبُوكَ قَطَعَ رَحْمِي ، وَجَهْلَ حَقِّي
 وَنَارَ عَنِّي سُلْطَانِي ، فَصَنَعَ اللَّهُ بِهِ مَا قَدَرَأَيْتَ فَأَقْتَبَسَ لَهُ
 الْأَمَامُ جَوَابَهُ الْخَاضِرَ الشَّدِيدَ ، مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمَجِيدِ
 وَأَنَّ أَبَاهُ الْحُسَيْنَ سَارَعَ إِلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ،
 وَأَرْتَضَاهُ مِنْهُ وَحَقَّمَهُ عَلَيْهِ ، فَأَبْنُ هُوَ مِنْ بَاءٍ بِسَخَطٍ
 مِنَ اللَّهِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ غَضَبٌ مِنْهُ - وَاعُودُ بِاللَّهِ مِنْ
 غَضَبِ الْحَكِيمِ - فَتَلَا عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى (مَا أَصَابَ مِنْ
 مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
 وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) فَقَالَ
 زَيْدٌ لِابْنِهِ خَالِدٍ أَرَدْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَدْخُلْ خَالِدٌ مَا رَدَّ عَلَيْهِ ،
 وَكَانَ ضَلَالُ زَيْدٍ عَظَمَ مِنْ ضَلَالَةِ ابْنِهِ خَالِدٍ ، حَيْثُ
 أَجَابَ الْإِمَامَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا
 كَسَبْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) فَأَنْظَرُ إِلَى حَرَارَةِ جَوَابِهِ لِيُزِيدَ
 وَكَيْفَ قَلَعَ بِنَاءَهُ مِنْ أَسَاسِيهِ وَدَوَّخَهُ غُرُورِهِ وَخُبْلَانِهِ
 مِنْ جُدُورِهَا ، إِذْ قَالَ لَهُ يَا ابْنَ مُعَاوِيَةَ وَهِنْدٍ وَصَخْرِ

لَمْ تَزَلِ النُّبُوَّةُ وَالْأَمْرَةُ لِأَبَائِي وَاجْدَادِي مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ ،
وَلَقَدْ كَانَ جَدِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِيطَالِبٍ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ وَأَحَدِ الْأَحْزَاءِ
فِي بَدْرِ رَابِعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَبُوكَ وَجَدَكَ بَيْنَهُمَا رَابِعًا
الْكُفَّارِ ، ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ؑ وَهَلْكَ يَا زَيْدُ ، إِنَّكَ
لَوْ تَدْرِي مَاذَا صَنَعْتَ ، وَمَا الَّذِي ارْتَكَبْتَ مِنْ أَبِي وَهْلِ
بَنِي عُمَوِيٍّ ، إِذَا هَرَبْتَ فِي الْجِبَالِ ، وَافْتَرَشْتَ الرَّمَادَ
وَدَعَوْتَ بِالْوَيْلِ وَالْبُورِ ، أَنْ يَكُونَ رَأْسُ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ طَلْحَةَ
وَعَلِيٍّ مَنصُوبًا عَلَى بَابِ مَدِينَتِكُمْ ، وَهُوَ دَبْعَةُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيكُمْ فَأَبْشِرْ بِالْخَزْيِ وَالنَّدَامَةِ ،
إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

رَأْسُ ابْنِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِهِ لِلنَّاسِ طَرِيقَ عَلَى قِتْلَةٍ يُرْفَعُ
وَرَأْسُ حُسَيْنٍ فِي الرِّجَالِ خَصْمُهُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْخِلَافَةِ عَاقِدُ
يَنْوُؤُ بِهِ الْخَطَاؤُ حُزْنًا وَغَيْظَةً
أَبْلَغُ حَقِيقًا مِنْ هُوَ مَا تُدْ



*(في عاصمته الامويين)

أَنْظُرْ إِلَى ظَفَرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
بُقُرَيْشٍ بَعْدَ الطَّرْدِ وَالتَّكْذِيبِ
تَرَدَّدُ بَقِيَّتَنَا أَنَّ خَيْرَ الْخَلْقِ إِنْ
يُظْفَرُ تَنَا هِيَ الْفَوْزُ لِلْمَغْلُوبِ
نَعَمْ لَقَدْ ظَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ خَلْقٍ اللَّهُ بِقُرَيْشٍ ، بَعْدَ أَنْ كَذَّبُوهُ
وَعَذَّبُوهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ ، وَلَا ذَنْبَ لَهُ إِلَّا
أَنْ دَعَاهُمْ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلِيُنْقِذَهُمْ مِنْ هُوَةِ
الضَّلَالَةِ وَحِمَاةِ الرَّدْبِلَةِ ، وَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنْ طَرَدُوهُ عَنْ
مَسْقِطِ رَأْسِهِ وَمَنْزِلِ الْوَحْيِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، حَتَّى غَزَوْهُ
فِي عُقْرِ دَارِهِ وَقَتَلُوا الْكَثِيرَ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَطَابِبِ أُرُومِهِ
كَعَمَةِ الْحَمْرَةِ ، ثُمَّ أَنْظَفَرَهُ اللَّهُ بِهِمْ ، فَدَخَلَ مَكَّةَ
فِي عَشْرَةِ آلَافٍ فَارِسٍ مُدَجَّجِينَ بِالْحَدِيدِ ، بِقُدُمِهِمْ
سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ الْخَزْرَجِيُّ ، وَبِيَدِهِ الرَّايَةُ الْعُظْمَى هَاتِفًا
بِمَا تَوْحَى إِلَيْهِ طَبِيعَةُ الْحَالِ وَتَمَلَّى عَلَيْهِ مُنَاسِبَاتُ
الظُّرُوفِ ،

الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسَبَّى الْحُرْمَةُ أَذَلَّ اللَّهُ قُرَيْشًا
فَانْخَلَعَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفًا وَهَلَعًا وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ رُعْبًا
وَفَرَقًا ، فَزَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ، فَأَمَرَ بِدَفْعِ الرَّايَةِ
إِلَى شَرِيكِهِ فِي وِثْرِهِ وَمُشَاطِرِهِ فِي أَمْرِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ،

فَعَرَفَ مَغْرِي مَا أَرَادَ الرَّسُولُ ، وَنَادَى بِعَكْسِ ذَلِكَ الْبَدَأِ
 الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَرْجَمِ الْيَوْمَ تَصَانُ الْحُرْمَةِ اعْتَزَّ اللَّهُ قُرَيْشًا
 ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَالْأَحْدَاثُ وَالْخُطُوبُ فَمَا بَيْنَهُمْ وَ
 بَيْنَهُ كُلُّهَا قَهْدٌ دُهُمٌ بِخَطَرِ الثَّارِ ، وَتُنْذِرُهُمْ لِقَتْلٍ
 فَتَقَطَّعَتْ أَمَامَهُمْ خُيُوطُ الرَّجَاءِ ، وَضَاقَتْ لَدَيْهِمْ رَفْعَةُ
 الْأَمَلِ ، فَنَادَا عَمَهُمُ الْإِلَهِ وَهَوَّيْبُ لَهُمْ حَيَاةٌ جَدِيدَةٌ
 وَتَعْفُو عَنْهُمْ عَفْوًا عَامًّا ، بِكَلِمَةٍ الَّتِي ضَرَبَ بِهَا الْمَثَلُ
 الْأَعْلَى لِلصَّغِيحِ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ (إِذْ هَبُوا ، فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ)
 وَإِنْ تَجَبَّ فَعَجَبٌ فِعْلُهُ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَائِدِ جَيْشِ أُحُدٍ
 وَالْأَحْزَابِ وَكُلِّ زَحْفٍ كَانَ حَاضِرًا فِيهِ ، حَيْثُ قَدْ
 جَعَلَ ذَاوَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي
 الْأَمَنِ ، إِذْ جَعَلَهُ يُنَادِي بِمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَلَأُ فِيهِ ،
 رَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ مِنْ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ
 أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ مِنْ) وَدَارَ أَبِي سُفْيَانَ قَعْدَتُهَا
 هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ الَّتِي شَقَّتْ بَطْنَ الْحِمْرَةِ وَأَخْرَجَتْ
 كِبِدَهُ مِنْ جَوْفِهِ ، فَلَا كَهْنًا وَلَمْ تَسْغُهَا ، وَفَعَلَتْ غَيْرَ
 ذَلِكَ مَا فَعَلَتْ مِثْلَ بِنْدَى مِنْهُ جَبِينُ الْأَنْثَانِيَةِ ،
 فَقَدْ حَازَ أَبُو سُفْيَانَ فِي هَذَا الْأَمَانِ اعْظَمَ فَوْزٍ وَ
 أَجَلٌ مَكْرُمَةٌ لَمْ يَحْظَ بِمِثْلِهَا طِبْلُهُ عُمُرُهُ ، كَمَا مَرَى الرَّبَابُ

* فِي عَاصِمَةِ الْمُؤْمِنِينَ * (١٦٣)

الْآيَةُ (رَتْنَا هِيَ الْفَوْزُ لِلْمَغْلُوبِ) وَلَكِنْ هَلَمْ مَعِيَ فَأَعْجَبُ ، وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ عَجَبًا ، حَبْتُ طَافِرَ زَيْدٍ حَفِيدُ أَبِي سُفْيَانَ لَمْ يَعَائِلْهُ الْخُسَيْنُ حَفِيدُ مُحَمَّدٍ هَذَا رَهْلٌ تَدْرُونَ مَا كَانَ الْجَزَاءُ) وَهَلْ عَلِمْتَ بِمَا ذَاكَ فَاهُ عَنْ حُسْنِ صَنِيعِهِ ، أَمْ هَلْ تَرَاهُ يُشِيرُ إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُنَوَّارِ عَنْهُ (إِنَّ شَرَّ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ) فَقَدْ أَحْدَثَ فِي عَاصِمَةِ الشَّامِ عَيْدًا سَمَّاهُ عَيْدَ الظَّفِيرِ ، وَأَمْرَانِ يُخْرِجُ النَّاسَ أَفْوَاجًا وَيَبْدِيهِمُ الطُّبُولَ وَالْمُزَامِيرَ ، يَتَلَقَّوْنَ بِهَا السَّادِرَ الْخَارِجِيَّ الْجَهْلُولَ ، وَهَكَذَا فَعَلُوا ، إِذَا النَّاسُ عَلَى بَنِ مُلُوكِهِمْ ، وَآذِنَ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي عَقَدَهُ لِلتَّفَرُّجِ عَلَيْهِمُ وَالتَّمَاتَةِ بِهِمْ ، وَأَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَفَنَّنُ بِالتَّكْيِيلِ بِهِمْ وَافْتِشَاءِ الشَّمَائِلِ فِيهِمْ ، وَإِصْلَاحِ الْأَذَى إِلَيْهِمْ ، كَمَا بُوِجِيَ إِلَيْهِ كُفْرُهُ وَالْحَادِثُ ، وَبُمُلَى عَلَيْهِ بَغْضُهُ لِدِينِ الْأَسْلَامِ وَنَبِيِّ الْأَسْلَامِ ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يُرِيدُ قَتْلَهُمْ وَأَنْ لَا يَبْقَى لِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ لِأَنَّهُمْ الشُّجَا الْمُعْتَرِضُونَ فِي خَلْقِهِ وَالْقَذَى الَّذِي يَجُولُ فِي عَيْنِهِ ، حَتَّى آتَى لِرُزْنِ بَنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُعِيدَ دَوَائِمُهَا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ

(١٦٤) *مَوْقِفٌ عَقِيلٌ لَهَا شَمَائِلٌ*

سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَتَصُبُّ عَلَيْهِ سَيَّاطُ زَوَاجِرِهَا
وَتَصُكُّهُ بِقَوَارِعِ تَأْنِيْبِهَا وَقَوَارِصِ تَوْبِيْجِهَا ، فَتَزَلَّتْ
عَلَيْهِ خُطْبَتُهَا نُزُولَ الصَّاعِقَةِ الْمُحْرِقَةِ ، حَيْثُ ابْتَدَأَتْ
بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى جَدِّهَا رَسُولِ اللَّهِ ،
بِهَذِهِ الْأَبَةِ الَّتِي اقْتَبَسَتْهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (رُتِمَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاءُوا السُّوْءُ أَنْ كَذَبُوا بَابَاتِ اللَّهِ ، وَ
كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ) ثُمَّ قَالَتْ أَظَنَنْتُ بِإِزْدَادِ حَيْثُ
أَخَذْتُ عَلَيْكَ اقْطَارَ الْأَرْضِ وَأَفَاقَ السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا
نُسَاقُ كَمَا تُسَاقُ الْأُمَمُ أَنْ يَبْنَا عَلَى اللَّهِ هَوَانًا ، وَ
بِكَ عَلَيْهِ كِرَامَةٌ ، وَأَنْ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطْرِكَ عِنْدَهُ ،
فَتَمَحَّخْتُ بِأَنْفِكَ ، وَتَنَظَّرْتُ فِي عِظْفِكَ ، جَذَلَانِ
مَسْرُورًا ، حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً ، وَ
الْأُمُورَ مُتَتِّقَةً ، وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا وَسُلْطَانُنَا ،
فَهَلَا مَهْلًا ، لَا تَنْطِشُ جَهْلًا ، أَنْسَبْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى
رَوَايَحُ الْيَحْسَبِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ نَأْمُرْهُمْ خَيْرًا لَّأَنْفُسِهِمْ
إِنَّمَا نَأْمُرُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)
أَمِنْ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَفَاءِ تَحْدِثُكَ خَرَاتُكَ وَإِمَاءُكَ
وَسُوقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا ، قَدْ مَنَّكَ سُرُورُنَّ
وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ ، تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ

* فِي عَاصِمَةِ الْأَمْوِيْنَ * (١٦٥) .

وَيَتَشَرُّهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاهِلِ وَالْمَنَاقِلِ ، وَتَبْصُغُ وَجُوهَهُنَّ
 الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَالِدَدِي وَالشَّرِيفُ ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ
 رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ وَلَا مِنْ حُمَاهُنَّ حَمِيٌّ ، وَكَيْفَ يَرْجَى مُرَاقِبَةُ
 ابْنٍ مِنْ لَفْظِ فَوْهُ أَكْبَادًا لِأَزْكَبَاءَ ، وَنَبَتَ لِحْمُهُ بِدِمَائِهِ
 الشَّهْدَاءِ ، وَكَيْفَ يُسْتَبْطَأُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ لَبَّتٍ مَنْ نَظَرَ
 إِلَيْنَا بِالشَّنْفِ وَالشَّتَانِ وَالْإِحْنِ وَالْأَضْغَانِ ، ثُمَّ تَقُولُ
 غَيْرُ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ ،

لَا هَلُوكُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
 مُنْجِبًا عَلَى ثَنَائِي يَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
 تَنَكُّهُمَا بِمَحْضَرِكَ ، وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذَلِكَ وَقَدْ نَكَاتَ
 الْقُرْحَاهُ ، وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةُ يَارَاقَتِكَ دِمَاءَ ذَوِيهِ
 مُحَمَّدٍ ، وَتُجْوِمُ الْأَرْضَ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَ
 تَهْتِفُ بِأَشْيَاخِكَ ، وَتَعْمَتُ أَنَّكَ تُنَادِيهِمْ ، فَلَرْدُ
 وَشَبْكَا مَوْرِدِهِمْ ، وَلَتَوَدَّ أَنَّكَ شِلْتِ وَبَكَيْتِ ، وَلَمْ
 تَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ ، وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ - إِلَى أَنْ قَالَتْ -
 وَلَنْ جَرَّتْ عَلَى الدَّوَاهِي مُخَاطِبَتُكَ ، فَإِنِّي لَأَسْتَصِغِرُ
 قَدْرَكَ ، وَأَسْتَغْظِمُ تَقَرُّبَكَ ، وَأَسْتَكْبِرُ تَوْبِيخَكَ ،
 لَكِنَّ الْعُيُونَ عَبْرِي وَالصُّدُورُ حَرِي الْحِي

إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْحَارَّةَ إِلَى الْكَثِيرِ مِنْ أَضْعَافِهَا

وَأَمْثَالُهَا أَوْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا لَوْ صَبَّتْ عَلَى سُوقِهِ مِنْ
النَّاسِ مَغْلُوبٍ لَذَابَ وَأَنْمَاتُ فُودُهُ كَمَا يَنْمَاتُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ
فَضْلًا عَنْ مَلِكٍ ظَافِرٍ يَعْقِدُ لِظْفَرِهِ مَحْفَلًا بِرُخْرِ بِمَخْتَلِفِ لَطَبَاتِ
لَبِيتَمَ سُرُورِهِ وَإِنْسِهِ ، وَبُزْهَى أَمَامَهُمْ كَمَا بُزْهَى لَطَاوُوسُ
بِالْوَانِ رِيثِهِ ، وَبِخْتَالِ بَيْنَهُمْ كَمَا يَخْتَالُ الْغُرَابُ ،
لَكِنْ بَزْبَدَ غَلِظُ جِلْدَةِ الْوَجْهِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْرَزِ مَصَادِقِ
الْحَدِيثِ (شَرُّ النَّاسِ الْبَذِيُّ الْوَقَاحُ ، الَّذِي لَا يَبَالِي
بِمَا قَالَ وَمَا قِيلَ لَهُ)

وَعَلَى كُلِّ فَاِنَا نَسْتَنْبِطُ مِنْ حَوَادِثِ مَجَالِسِ بَزْبَدِ مُورَاكْثَرَةٍ
(الْأَوَّلُ) أَنَّ زَيْنَبَ وَابْنَ أَخِيهَا قَدْ كَرَّرَا تَوْجِيحَ بَزْبَدِ ، اخْتِصَافُ
مَا نُقِلَ إِلَيْنَا ، وَاجْتِلَافُ نَسِجِ خُطْبَتَيْهِمَا هَذَا الْاِخْتِلَافُ الْعَظِيمُ
يُفْصِحُ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّ لَهُمَا مَعَهُ خُطْبًا مُتَعَدِّدَةً ،
(الثَّانِي) لَمْ يَخْتَصَّ زَيْنُ الْعَابِدِينَ وَعَمَّتْهُ بَتَوْجِيحَ بَزْبَدِ
وَتَقَرُّعِهِ ، فَإِنَّ صَغِيرًا هَلِ الْبَيْتِ جَمْرَةٌ لَا تُدَاسُ ، وَ
كَبِيرُهُمْ بَعِيرُهُ لَا يُقَاسُ ، وَقَدْ فَتَحَ لَهُمُ الْبَابَ عَلَى مَصِيرِهِ
كَبِيرَاهُمْ زَيْنَبُ وَابْنُ أَخِيهَا السَّجَّادُ ،

(الْثَالِثُ) لَقَدْ رَجَعَ بَزْبَدُ لظَافِرِ الْعَزِيزِ مَغْلُوبًا ذَلِيلًا
أَمَامَ أَسَاذَاهُ الَّذِينَ أَرَادَ الْفَخْرَ وَالْإِسْطَالَةَ عَلَيْهِمْ ، فَمَا
حَدَّثَنَا التَّارِيخُ بِأَسْرِ غَادَ مَغْلُوبًا لِأَسِيرِهِ ذَلِيلًا بَيْنَ يَدَيْهِ

كما وَقَعَ لِزَيْدٍ وَأُسَاذَاهُ ، وَأَبْنِ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ بَنُو امَّةٍ
 مَغْلُوبِينَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ أَغْزَمْتُهُمْ غَالِبِينَ يَوْمَ الطَّفِّ (وَاللَّهُ
 الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فَقَدْ نَادَى أَبُو سُفْيَانَ يَوْمَ
 فَتْحِ مَكَّةَ فِي شُعَابِهَا وَأَحْيَاهَا - كَأَمْرِ الرَّسُولِ - (مَنْ دَخَلَ
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ)
 وَعَادَ زَيْدٌ بَعْدَ الطَّفِّ وَبَعْدَ ذَلِكَ التَّانِبِ الَّذِي لَا فَاةَ
 بَمَلَأُ مِنَ النَّاسِ يَدْخُلُ دَارَهُ وَيَخْلُو بِنَفْسِهِ وَيَنْدُبُ خَطَاهُ
 التَّعْيَسَ وَيَلْطِمُ عَلَى رَأْسِهِ قَائِلًا (مَا لِي وَمَا لِلْحَسَنِ بْنِ
 عَلِيٍّ بَنِ ابْنِ طَالِبٍ)

(الرَّابِعُ) أَخَذَ زَيْدٌ - كَأَسْمَاءِ أَبِيهِ - زَيْدٌ عَلَى التَّوْبِخِ
 عُتْوًا وَاسْتِكْبَارًا ، وَعَلَى كَثْرَةِ الْعِبَرِ ضَلَالًا عَنِ الرَّشْدِ وَمَادِيًا
 فِي الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ إِرَادَةً الْأَنْتِصَارِ لِنَفْسِهِ ، وَالتَّأَرُّفَ لَهَا
 وَتَدَارُكَ مَا وَقَعَ فِي الْمَجْلِسِ السَّابِقِ فِي مُحْفَلِهِ اللَّاحِقِ ، غَيْرَ
 أَنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ، فَمَا اسْتَرَعَ أَنْ تَعُودَ جَوْلُهُ بِأُطْلُ
 مَغْلُوبَةٍ أَمَامَ صَوْلَةِ الْحَقِّ ، مَهْزُومَةٍ لِقُوَّةِ سِلَاحِهِ أَقْبَحَ
 هَزِيمَةٍ ، مُنْدَحِرَةٍ لَشِدَّةِ بَأْسِهِ أَعْظَمَ اُنْدِحَارٍ ،
 - نَعَمْ وَجَلَّالَ اللَّهُ -

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَكَثْرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُ
 (الخَامِسُ) اسْتَشَارَ زَيْدٌ أَهْلَ الشَّامِ فِي أُسَاذَاهُ بَعْدَ

عُرِفُوا لَدَيْهِمْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ قَدِ اشْتَرَبَ مُعَاوَنَةُ فِي قُلُوبِهِمْ
بَغْضَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَبَنِيهِ ، بِمَا رَوَى لَهُمْ سَمُرَةُ بْنُ
جُنْدَبٍ وَأَخْرَاجُهُ ، وَبِمَا قَرَّرَ مُعَاوَنَةُ فِي أَذْهَانِهِمْ أَنَّهُ قَتَلَ
عُثْمَانَ ، وَعَلَى أَثَرِ هَذَا التَّقْرِيرِ وَقَعَتْ مَلْحَمَةُ صِفِّينَ ،
فَقُتِلَ فِيهَا الْكَثْرَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ رِجَالِ أَهْلِهِمْ ، فَكَانَ طَبِيعِيًّا
أَنْ يَقُولُوا لَهُ (لَا تَتَّخِذْ مِنْ كَلْبٍ سُوءَ جُرْأٍ) لِقَوْلِ لَهُ الْبَاقِرُ
عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ إِذَا ذَاكَ (جُلَسَاءُ أَخِيكَ فِرْعَوْنَ خَيْرٌ مِنْ
جُلَسَائِكَ ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ رِشْدَةٍ ، وَجُلَسَاؤُكَ لَيْسُوا
بِأَبْنَاءِ رِشْدَةٍ) فَوَقَعَتْ مَشُورَةُ أَهْلِ الشَّامِ مَوْقِعَ الْقَبُولِ
مِنْ قَلْبِ يَزِيدَ ، وَصَادَفَتْ هَوَى فِي نَفْسِهِ ، وَتَلَقَّاهَا
مَرْنًا حَالَهَا كَمَا يَتَلَقَّى الْفُؤَادُ الْحَرُّ وَدَارُ الْمَاءِ النَّقِيعِ ، وَإِنْ
كَانُوا لَمْ يَأْتُوهُ بِرَأْيٍ مُبْنًى ، بَلْ لَا بُدَّ لِحُلِيِّ السُّلْطَانِ أَنْ
يَتَكَلَّمَ بِهَوَى السُّلْطَانِ ، فَإِنَّ يَزِيدَ - كَمَا اسْتَنْبَطْنَا مِنْ
مَجْمُوعِ سِيرَتِهِ ، وَصَرَّحْنَا بِهِ كَثِيرًا - كَانَ إِبَادَةَ أَهْلِ
هَذَا الْبَيْتِ عَنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ هَدَفَهُ الْوَحِيدُ ضَالَّةً
الْمَشْهُودَةَ وَغَرَضَهُ الَّذِي لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ ، لِأَنَّهُ
بِالْقَضَاءِ عَلَى ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ يَقْضَى عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ ، وَفِي
خُطْبَةٍ زَيْنَبُ الْأَيْفَةِ الذِّكْرُ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى مَا قُلْنَا
وَبُرْهَانٌ سَاطِعٌ ، إِذْ تَقُولُ لَهُ (فَكَيْدُ كَيْدِكَ ، وَاسْعَ

* فِي عَاصِمِ الْأَمْوَالِ * (١٦٩)

سَعَيْكَ وَنَاصِبُ جَهْدِكَ ، فَوَاللَّهِ لَا تَحُودُ ذِكْرُنَا ، وَلَا
 تُمِيتُ وَحِينَنَا ، وَلَا تَذُرُكَ أَمَدَنَا ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَصَدَقَتِ ابْنَةُ رَسُولِهِ ، يُرِيدُ ابْنُ مُعَاوِيَةَ يُزِيدُ ،
 - بِسَعْيِهِ وَجَهْدِهِ - أَنْ يَمْحُودَ ذِكْرُ مُحَمَّدٍ ، وَتُمِيتَ وَحْيَ
 مُحَمَّدٍ وَدِينَ مُحَمَّدٍ ، بِإِبَادَتِهِ لِدِينِهِ مُحَمَّدٍ (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
 يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) فَيَجْعَلَ اللَّهُ
 ذَنْبَ مَنْ أَبْرَزَ الْأَسْبَابَ الظَّاهِرَةَ لِحِفْظِ دِينِهِ وَخُلُودِهِ
 فِي الْوُجُودِ بِحِفْظِ سَدَنَاتِهِ (مَصَادِيرُ وَحْيِ اللَّهِ ، خَزَائِنُ
 عِلْمِهِ) حَيْثُ اسْتَدَلَّ بِهَا ذَلِكَ شَقِيقُ عَظِيمَتِهَا أَخُوهَا
 الْحُسَيْنُ ، وَزَوَّدَهَا بِوَصِيَّتِهِ لَهَا بِالْثَبَاتِ ، وَدُعَا
 لَهَا أَنْ تَرْبِطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهَا بِالصَّبْرِ ، وَوَفَّرَ لَهَا مَعْدَنَ
 الْكَفَاحِ بَلْ جَهَّزَهَا بِأَسْلِحَةِ الطَّفْرِ بِالْعَدُوِّ وَالْإِنْتِصَارِ عَلَيْهِ
 حَيْثُ عَرَفَ بِهَا ذِينَ الْعَابِدِينَ أَنَّهَا ابْنَةُ عَلِيِّ سَيِّدِ الْبُلَغَاءِ
 وَسُلْبِهَا فَاطِمَةُ الَّتِي احْتَكَرَتْ بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ فِي خُطْبَتِهَا
 الْعِصْمَاءِ ، وَقَدْ وَرِثَتْ مِنْ هَذَيْنِ الْأَبَوَيْنِ قُوَّةَ الْعَارِضَةِ
 وَالْبَيَانِ ، وَفَصَاحَةَ الْمُنْطِقِ وَمِضَاءَ اللِّسَانِ ،
 كَشَقِيقِهَا الْحُسَيْنِ خَطِيبِ الطَّفِّ الَّذِي شَهِدَ لَهُ عَدُوُّهُ
 ابْنُ سَعْدٍ بَعْدَ مَا تَدَقَّنَ بَيَانُهُ خُطْبًا مُنْجِيَةً رَتَدَتْ عَنْ
 الْمَاءِ فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ (وَبَلَّكُمْ

كَلِمُهُ فَإِنَّهُ ابْنُ أَبِيهِ ، وَاللَّهُ لَوَ وَقَفَ فِيكُمْ هَكَذَا يَوْمًا
جَدِيدًا لَمَّا انْقَطَعَ وَلَمَّا حَصَرَ ، وَبَعْدُ فَإِذَا عَجَزَتْ قُوَّتُهَا
الْبَشَرِيَّةُ فَقَدْ ادَّخَرَهَا الْحُسَيْنُ مَا يَكْفِيهَا لِمُتَّهَاتِهَا مِنْ
الْقُوَّةِ الْإِلَهِيَّةِ ، مِنْ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، فَمَنْ دَعَتْ
اللَّهُ عَلَى مَنْ تَحَرَّشَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ، أَوْ لِأَحَدٍ عِبَادِهِ ،
فَحَقَّقَ اللَّهُ لَهَا أَمَلَهَا ، وَاسْتَجَابَ دُعَاءَهَا ، وَإِذَا تَدَلَّى
الْعَذَابُ عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، بِدُعَاءِ فَاطِمَةَ أُمِّهِ فَاطِمَةَ ،
قِنَا بَا لَكَ بِدُعَاءِ زَيْنَبَ بِنْتِ فَاطِمَةَ الَّتِي تَدَلَّى الْعَذَابُ
وَتَقَاعَتِ الْجِبْطَانُ أَنَّ هَمَّتْ بَرَفِيعَ قِنَاعِهَا وَانْشَدَتْ
بِلِسَانِ حَالِهَا ،

خَلَوُ ابْنِ عَمِّي أَوْ لَا كَيْفُ بِاللُّغَا رَأْسِي وَأَشْكُو لِلَّهِ شُجُونِي
فِيمَنْ دَعَتْ عَلَيْهِ زَيْنَبُ فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ ، اللَّحْنِي ، الَّذِي
طَلَبَ مِنْ يَزِيدَ سُكْبَةً يَتِيمَةَ الْحُسَيْنِ عَ ، لِتَكُونَ خَادِمَةً
لَهُ ، وَكَانَ عَارِفًا بِهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَحْدِ مَهَا تَنْكِهًا بِأَهْلِ
الْبَيْتِ وَامْتِهَانًا لَهُمْ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ غَرَسَ مُعَاوَنَةُ
فِي قُلُوبِهِمْ بُغْضَ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ ، فَأَخَذَ اللَّهُ أَخَذَ عَزِيمَتِهِ
اسْتِجَابَةً لِدُعَاءِ زَيْنَبَ وَأَهْلِكَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ ،
وَجَاءَ الشَّامِيُّ الْآخَرُ الْمُسْكِينُ الْمَحْدُوعُ بِأَكَاذِيبِ يَزِيدَ وَزَخَاوِ
فَطَلَبَ مِنْ يَزِيدَ يَتِيمَةَ الْحُسَيْنِ فَاطِمَةَ الصَّغِيرَى وَقَالَ لَهُ

يَا امِيرُهَا لِي فِي هَذِهِ الْجَارِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْغَنِيمَةِ لَكُنْ
خَادِمَةً لِي فِي مَنْزِلِي فَلَا ذَاتَ الْيَتِيمَةِ بَعِيْهَا زَيْنَبُ
الْكَمَفِ الَّذِي اَمَرَهُمُ الْحَسَنِ اَنْ يَعْصِمُوْا بِهِ كَلِمَاتِكَ
بِهِمْ اِحْدَى الْمِلَإَاتِ ، فَائِلَةٌ (عَمَّتْهُ اُوَيْمْتُ عَلَى صِغَرِ
سِنِّي وَاسْتَحْدَمْتُ) تُرِيدُ مَا تَكْفِيْنِي مُصِيبَةً وَاحِدَةً هِيَ
مُصِيبَةُ الْيَتِيْمِ وَكَفَى بِهَا ذَلَّةً وَسُوءَ حَالٍ ، حَتَّى تُقَرْنَ
اِلَيْهَا مُصِيبَةُ انْفِصَالِي عَنْكُمْ اِنْفِصَالُ الْغُصْنِ مِنْ دَوْنِهِ
ثُمَّ اسْتَحْدَمْتُ مُهَانَةً فِي بَيْوتِ الشَّامِيَتَيْنِ ، فَهَذَا
رُوعَهَا عَمَّتْهَا زَيْنَبُ ، وَبَشَّرَهَا اَنَّهُ مَا جَعَلَ لِلَّهِ ذَلِكَ
لَهُ وَلَا لِامِيرِهِ الْاَعْظَمِ مِنْهُ ، فَانْتَفَخَتْ اَوْدَاجُ بَزْدَلَعِ
غَيْظًا وَغَضَبًا ، لِاَنَّهُ اتَّخَذَهُمْ مَغْنَمًا هَبَّ مِنْهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْسِمُهُ حَيْثُ ارَادَ ، وَقَدْ رَأَى زَيْنَبُ تَلْحِدِي فِي سُلْطَانِهِ
وَتَغَضُّ فِي مَجْلِسِهِ مِنْ قَدَرِهِ ، فَقَالَ ذَلِكَ لِي وَلَوْ شِئْتُ
لَفَعَلْتُ ، قَالَتْ لَهُ (اِلَّا اَنْ تَخْرُجَ مِنْ دِينِنَا وَتَدِينَ بغيرِ
مِلَّتِنَا) فَاحْتَدَمْتُ وَقَدْ غَضِبِهِ وَشَلَحَ بِالسَّبِّ وَالشِّمِّ ،
وَهُمَا سِلَاحُ الْبَذِيءِ الْمَخْذُولِ فَائِلًا لَهَا (اِبَاهِي تَتَّسِلَانِ
بِهَذَا الْخَطَابِ اِنَّمَا خَرَجَ مِنَ الدِّينِ اَبُوكَ وَآخُوكَ) قَطَعَ اللَّهُ
لِسَانَهُ اَيُّظُنُّ زَيْنَبُ مِنْ اَهْلِ الشَّامِ ، تَوْمُنُ بِكُلِّ مَا تَمَعُ
مِنْ بَزْدَاوَسْمَرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ، كَلَّا فَقَدْ رَدَّتْ كَبْدَهُ فِي بَحْرِ

بِلِسَانٍ أَمْضَى مِنْ شَفَرَةِ السَّهْبِ الصَّقِيلِ ، وَابْلَغَ اثْرًا
 مِنْ وَخْرِ السِّنَانِ الرُّدْهِيِّ رِبْدَيْنِ جَدِي وَأَبِي وَآخِي
 اِشْتَدَيْتَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا ، فَنَاءَتْ بِكَلِمَةٍ إِنْ وَهِيَ لَشَكِّ
 إِبْدَانًا بَأَنَّ إِظْهَارَهُ لِلْإِسْلَامِ هُوَ مَثَارُ الشَّاكِّ ، وَفَعْلُهُ وَ
 قَوْلُهُ هَذَا يُصْرِحُ عَنْ حَقِيقَةِ أَمْرِهِ وَصَرِيحِ كُفْرِهِ ، وَمَا
 لَيْتَ الْمُسْكِنِ الْمَخْدُوعِ الَّذِي طَلَبَ مِنْ بَرِيدٍ أَنْ تَكُونَ
 الطِّفْلَةَ خَادِمَةً لَهُ فِي مَنْزِلِهِ أَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَتَبَرَّأَ مِنْ
 بَرِيدٍ وَاعْتَنَهُ ، فَقَتَلَهُ بَرِيدٌ ، وَظَنَّ أَنَّ فِي قَتْلِهِ ثَارًا مِنْ
 زَيْنَبَ وَاهْلِ الْبَيْتِ ، وَكَمْ قَتَلَ هُوَ وَجُنُودُهُ مِنَ الْأَحْبَارِ وَ
 الرُّهْبَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَبَصِّرِينَ أَمْثَالَ هَذَا ، يَسْتَرُّ
 لِلْحَقِيقَةِ وَكَيْفَانًا لَا فَعَالِهِمِ الشَّيْبَعَةُ (وَلَيْسَ لِمَا قَدْ أَظْهَرَ
 اللَّهُ كَايْنُ)

يُحَاوِلُ أَنْ يُخَفِّيَ عَلَى النَّاسِ أَمْرَهُ ضَلَالًا ، وَمَنْ ذَابَتْ أَلْسُنُهُ لِيَدِ
 ضَاقَ بَرِيدٌ ذَرْعًا بِأَسَاوَاهُ ، وَبَطَلَتْ فِي قَتْلِهِمُ أَوِ التَّكْبِيلِ بِهِمْ
 حِيلُهُ ، وَخَافَ بِهِ - دُونَهُمْ - مَكْرَهُ - (وَلَا يَجِبُ الْمَكْرُ
 السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ خَوَارِجَ مُجْهُولِينَ ، فَصَادُ
 أَنْبَاءُ شَانَا مِنَ الثَّمَنِ فِي خُطْبَةِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، وَحَاوَلَ
 أَنْ يُؤَكِّدَ فِي الْأَذْهَانِ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ الَّذِينَ
 أَوْجَبَ سَبَهُمُ وَالْبِرَاءَةُ مِنْهُمْ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا حَقَّقَ ذَلِكَ

عِنْدَهُمْ مُعَاوِيَةُ لَعَنَ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَصَرَخَ الْمُخَضُّ عَنْ
زَبَدِهِ ، وَكَشَفَتِ الرَّغْوَةُ عَنِ الصَّرِيحِ ، وَإِذَا هُمُ الشُّعَارُ
لِلْأَسْلَامِ دُونَ الدِّثَارِ ، وَإِذَا هُمُ أَرْكَانُ وَدَعَائِمُهُ الَّتِي
فَامَ عَلَيْهِمْ بِنَاؤُهُ بَعْدَ جَدِّهِمُ الْمُخُنَّارِ ، وَكَانَ طَبِيعَتَانِ
يُعَوِّدُ ذَلِكَ الْبُغْضُ فِي نَفْسِهِمْ حُبًّا ، وَيَنْقَلِبُ سَبُّهُمْ شَتْمَهُمْ
ذِكْرًا حَسَنًا وَثَنَاءً جَمِيلًا ، وَتَجَبَّرَ ابْنُ مَيْسُونٍ وَأَرَادَ أَنْ
يَرَى مَبْلَغَ قُوَّتِهِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ ذَيْنِ الْعَابِدِينَ جَهْرًا ، فَنَادَاهُ
لِسَانُ خَالٍ مُجْتَمِعِهِ (يَا زَيْدُ رُدِّ الْغُلَامَ وَإِلَّا فَإِنَّكَ مُقْتُولٌ)
وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ سِرًّا فَضَرَبَتْ جِلْوَاؤُهُ الْبَدَّ لَغَيْبَتِهِ مِنَ الْهَوَاءِ ،
وَأَوْتَعَهُ اللَّهُ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي حَفَرَهَا لَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَهُمْ
مَغْنَمًا يَقِيمُهُمْ عَلَى هَيْلِ الشَّامِ ، فَوَجَدَهُمْ مَغْرَمًا ، وَ
رَأَى السَّلَامَةَ مِنْهُمْ غَنِيمَةً ، كَمَا تَوَعَّدْنَاهُ زَيْبُ ، أَمَّا
فَصَاحَتُهُ وَفَصَاحَةُ خُطْبَائِهِ فَقَدْ عَادَتْ أَوَّلَ جُوشِهِ
الْمَهْزُومَةِ أَمَامَ فَصَاحَةِ عِدْلِ الْقُرْآنِ وَوَرَثَةِ مُحَمَّدٍ الَّذِي
أَوَّلَى جَوَامِعَ الْكَلَمِ وَفَصَلَ الْخُطَابِ ،

وَأَنْجَحَ لَهُ تَفَكُّرُهُ الطَّوِيلُ ، وَكُفْرُهُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَخُرُوجُهُ
عَنِ الْأُنْسَانِيَّةِ ، وَعَدَمُ مَبَالَاةٍ بِمَا يَقُولُ وَمَا يُقَالُ فِيهِ ،
أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الْحَبْرَةِ ، وَيَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ لِضَبِّ
الْحَرْجِ ، بَأَنْ يُحِيطَ أَسَارَاهُ بِهَالَةٍ مِنَ الْخَاطِرِ وَدَائِرَةٍ مِنَ الْخَوَافِ

وَيَجْعَلُهُمْ فِي مَجْمَعِ السُّبُولِ مِنَ التَّهْدِيدِ وَالتَّوَعُّدِ ، لَعَلَّهُ
يَنْجَحُ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا إِنْ أَخْفَقَ مِنْ مَجْمُوعِهَا ، فَوَضَعَهُمْ فِي
دَارِ خَرِبَةٍ ، لَا تَكُنُّهُمْ عَنْ حَرٍّ وَلَا بَرٍّ ، حَتَّى تَقْشَرَتْ مِنْ شِدَّةِ
الْحَرِّ فِيهَا وَلَهَبِ الشَّمْسِ وَجُوهَ الْفَاطِمِيَّاتِ ، وَكَانَتْ مُتَدَا
الْجُدْرَانِ ، فَهُمْ يُرَاقِبُونَهَا وَيَتَرَصَّدُونَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ
خَوْفَ أَنْ تَنْقُطَ عَلَيْهِمْ جُدْرُهَا فَتَقْتُلَهُمْ جَمِيعًا بِاسْرِعٍ مِنْ
رَدِّ الْبَصَرِ ، وَكُلَّ فِيهِمْ مَنْ يَهْزَأُ مِنْ خَوْفِهِمْ أَنْ تَنْقُطَ لِحْدُ
عَلَيْهِمْ ، وَيَزِيدُ غَدًا يُخْرِجُهُمْ وَيَأْمُرُ بِقَتْلِهِمْ عَلَى بَكْرَةِ آبِهِمْ ،
وَالْوُقُوعُ فِي الْخَطَرِ أَهْوَنُ مِنَ الْخَوْفِ مِنْهُ وَالْحَذَرُ ، وَآخَذَ
حُثَالَةَ النَّاسِ وَالسُّفَهَاءَ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ يَتَفَرَّجُونَ
عَلَيْهِمْ فِي الْخَرِبَةِ وَيُثْمَتُونَ بِهِمْ ، وَالْهَمَاءُ أَكْثَرُ الْمَصَابِي
وَعَنْهَا خَارِصٌ بِرَأْيُوبَ وَلَا نَ أَمَامَهَا عُوْدُهُ الصَّلِيبُ
نَعَمْ ؟

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَهَوْنٌ غَيْرُ شِمَائِلٍ إِلَّا عُدَاءُ
وَبَيْنَا هُوَ يَسْتَشِفُّ بَرْقَ الْأَمَلِ وَيَتَنَسَّمُ رِيحَ التَّجَاحِ ، إِذْ
سَمِعَ الصَّبْحَةَ تَتَصَلُّ مِنْ الْخَرِبَةِ بِدَارِهِ ، وَتَتَنَارَبُ دَوَاهَا
الْأَجْوَاءُ ، وَمَا أَلَذَّتْكَ الْبَشَارَةُ لَدَيْهِ ، وَمَا أَحْسَنَ وَقْعُهَا
فِي نَفْسِهِ ، عِنْدَ مَا عَرَفَتْ سَبَبَ هَذِهِ الصَّبْحَةِ أَنَّ طِفْلَةً
لِلْحُسَيْنِ رَأَتْ أَبَاهَا فِي الطَّيْفِ ، فَأَنْتَبَهَتْ وَهِيَ تُلْجُ عَلَى عَمَّتِهَا

* فِي غَاظِ صَدْرِ الْأَمَوِيِّينَ * (١٢٥)

وَلَا تَقْبَلُ عُذْرًا وَلَا قُدْرًا - كَمَا كَانَتْ سَابِقًا - بِوَعْدُ دُونَ
رُؤْيَاهُ بِشَخْصِهِ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ ، فَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالْفَوْزِ بِرَغْبَتِهِ
وَالنَّجَاحِ بِامْتِنَانِهِ ، وَقَالَ الْآنَ وَقَعُوا فِي شَرِّ الْمَوْتِ وَتَوَعَّلُوا
فِي جِبَالِهِ الرَّدَى ، الْآنَ آزَتْ لِعَاوِيَةَ الْبُشْرَى وَهُوَ فِي
عَسَاكِرِ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَمِعَ بِمِثْلِ حَادِثَةِ الْمُتَنَبِّي
مَعَ جَدَّتَيْهِ إِذْ غَابَ عَنْهُمَا مَدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ رَجَعَ وَكَلَبَ لَهَا مِنْ
بَغْدَادَ - وَهِيَ فِي الْكُوفَةِ - يُبَشِّرُهَا بِرُجُوعِهِ ، فَمَاتَتْ بِمَجْرَدِ
رُؤْيَاهُ كِتَابَهُ ، حَيْثُ اضْطَرَّعَ فِي فَلِهَا الشَّوْقُ لِلرُّؤْيَاهُ ، وَ
الْحُزْنُ لَطُولِ غَيْبَتِهِ ، وَالْفَرَحُ بِوُصُولِ نَبَأِ عَوْدِهِ ، فَمَا بَكَتْ
هُؤُلَاءِ الْأَسْرَى الَّذِينَ أَكَلُوا الشَّوْقَ لِلْحُسَيْنِ فَلَوْهُمْ ، وَذَهَبَ
الْحُزْنُ عَلَى مُصَابِيهِ بِنَفْسِهِمْ ، وَطَالَ فِرَاقُهُمْ لَهُ وَغَيْبَتُهُ
عَنْهُمْ ، وَإِذَا هُمْ بِرَأْسِهِ الْمَقْطُوعِ يَقَعُ فِي مُنْوَطِهِمْ ،
فَهَلْ هُنَاكَ سِلَاحٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا السِّلَاحِ لِقَتْلِهِمْ ، وَ
هَلْ مِنْ مَظْنَةٍ لِسَلَامَتِهِمْ أَوْ مَطْمَئِنٍّ لِبَقَائِهِمْ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ
رُؤْيَاهُمْ لَهُ بِتِلْكَ الْحَالَةِ وَوُقُوعِهِ بِهِمْ أَبَدِيهِمْ ، وَمَا
عَلِمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ مُنْذَرٌ قَدْ عَلَبَهُمْ هَذِهِ الْفَوَادِحُ
خَلَعَ عَلَيْهِمْ سَرَابِيلَ مِنَ الصَّبْرِ تَقِيهِمْ بِأَسَهِ ، وَتَقْلُ
حُدُودَ حَيْلِهِ وَمَكْرِهِ بَلْ تَرُدُّ كَيْدَهُ فِي مَخْرِهِ ، لِأَنَّهُ لَا
يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ، وَهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي شَوْهِهِمْ لِلْحُسَيْنِ

وَعَمِيْقُ حُزْنِهِمْ عَلَيْهِ كَاسْنَانِ الْمَشْطِ ، وَلَكِنْ لَذْوَجَةُ
الْعَظْمَةِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ أَصْلَبَ عَوْدًا ، وَأَثْبَتَ جَذْوًا
لِمُقَاوَمَةِ الرِّيحِ الْعَوَاصِفِ ، وَالرَّوَائِعِ الْخَضِرَةِ الضَّعْفِ
جَلْدًا وَارِقًا جُلُودًا ، وَأَوْهَى قُوًى وَأَوْهَنَ كِبُودًا ، فَمَا
إِنْ رَأَتْ الْيَتِيمَةَ رَأْسَ أَبِيهَا الْقَطِيعِ - وَقَدْ كَانَتْ فَارِقَهُ
الْآنَ فِي مَنْظَرِهِ الْمُبْهَجِ وَمَنْطِيقِهِ الْحُلُولِ الْفَصِيحِ - حَتَّى
انْمَحَتْ عَلَيْهِ حَاضِنَةٌ لَهُ بَكَلْنَا بِدَهْنِهَا ، تَضَعُ عَلَيْهِ
الْقَبْلَ الْحَارَّةَ ، وَتَشْبِعُ نَهْمَهُ وَجَدِهَا مِنْ لَثْمَةِ الْمَتَابِعِ
شَاكِبَةً لَهُ مَا لَا قَتَّ وَلَا فِئَ أَمَلُ بَيْتِهَا مِنْ قَائِلِهِ اللَّيْئَالِ
نَادِبَةً لَهُ أَشْجَى نُدْبَةً ، وَاثِيَةً لَهُ أَحْرَارِثَاءَ ، وَهِيَ
تَقَالِجُ كَلِمَاتِهَا الَّتِي تَخْرُجُ مَعَهَا شَطَابًا فَوَادِهَا بِقَوْلِهَا
(أَبَتَاهُ يَا أَبَتَاهُ) سَاعِدَانِ اللَّهُ قُلُوبَ أَهْلِ الْبَيْتِ ء
عَلَى رُؤْيَا هَذَا الْمَنْظَرِ الشَّجِيِّ ، وَبِاللَّهِ صَبْرُهُمْ لِمَمَاعِ
هَذَا الرِّثَاءِ الَّذِي لَوْ عَاوَاهُ الصَّخْرُ الْأَصَمُّ لَذَابَ ، وَلَوْ صَبَتْ
عَلَى الْبَحَارِ لَسَجَرَتْ نَهْرَانًا ، وَأَخَذَتْ صَوْهَا بِذُؤَبِ
قَلْبٍ قَلِيلًا ، وَنَهْرَاتُ رِثَائِهَا وَشِكَايَاتُهَا تَتَضَالُّ
رُؤْبًا وَرُؤْبًا ، حَتَّى عَادَتْ أَنْفَاسًا مُنْصَاعِدَةً
وَزَفْرَاتٍ مُتَرَدِّدَةً ، ثُمَّ أَصْمَتَتْ فَعَادَتْ ، وَهِيَ
صَوْتُ خَافِتٍ وَطَرَفٍ بَاهِتٍ ، يَا لَيْتَ شِعْرَ أَهْلِ الْبَيْتِ

مَا هَذَا السَّكُوتُ الَّذِي فَاجَاها (لِبَنِيهِمْ يَعْلَمُونَ)
 مَا زَادَهَاها ، يَا اللَّهُ لِلْعَجَبِ مَا هَذَا الضَّمْتُ وَالسَّكُوتُ
 الَّذِي اعْتَرَاهَا ، فحَرَّكُوهَا وَهُمْ يَظُنُّونَ أَهْـنُمْ
 يُبَيِّنُوهَا مِنْ نَوْمِهَا ، وَيُوقِظُوهَا مِنْ غَفْوِهَا ، وَ
 إِذَا بِهَا مَبَيَّنَةٌ قَدْ فَارَقَتْ رُوحَهَا الدُّنْيَا وَرَأْسُهَا
 عَلَى رَأْسِ ابْنِهَا الْمَقْطُوعِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ،
 وَطِفْلَةٌ قَدْ بَرَّأَهَا فَقَدْ أَلَدَهَا بَرِّي الْقِدَاحِ فَلَمْ تَهْدَأْ وَلَمْ تَنِمِ
 وَجْهًا لَوَجْهِ أَرْوَاهَا الرَّأْسُ نَعِيفًا وَقَبْلَئِهِ عَلَى وَجْدٍ مَنَّا لِيغِمِ

فَشَقَّ مِنْهَا فَوَادًا سَفَّ رُؤْيَاهُ *
 فَلَمْ تَعِشْ وَهُوَ صَدْعٌ غَيْرُ مَلْنٍ *



﴿لما فوا تقيم عن الحسين﴾ *

إِذَا جَرَّدَ الْمُعْتَرِضُ لِسَانَهُ عَلَى مَفْخَرَةِ الشَّيْعَةِ ، وَ
إِمَامِهِمُ الْحُسَيْنِ ، فَمَاذَا يَمْنَعُهُ وَيَكْفُ لِسَانَهُ عَنِ
الْأَعْتَرَاضِ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ، فِي إِقَامَةِ عِرَاءِ إِمَامِهِمْ
جَبَلًا بَعْدَ جَبَلٍ ، حَتَّى مَضَتْ عَلَى ذَلِكَ قُرُونٌ كَثِيرَةٌ
وَأَجْبَالٌ مُتَتَابِعَةٌ ، وَمُصِيبَةٌ عِنْدَهُمْ لَا تَزَالُ
حَبَّةً ، بَلْ هِيَ مَعَ الْأَجْيَالِ غَضَّةٌ طَرِبَتْ ، نَعَمْ
وَرَبِّكَ ،

بَنَفْسِي مَنْ لَا زَالَ غَضَّامُصًّا ، كَمَا لَمْ يَزَلْ غَضَّامًا مَكِّي الدَّهْرِ مَصْحُفُ
وَنَجَائِعِ الْأَيَّامِ تَبْقَى مُدَّةً * وَتَزُولُ وَهِيَ إِلَى الْفِيَا مَتَبَا
يَقُولُ الْمُعْتَرِضُ إِنِّهَا بَدْعَةٌ ، فنَقُولُ لَهُ مَا أَبْدَعَ هَذِهِ
الْبَدْعَةَ وَمَا أَرَوَعَهَا ، وَنَقُولُ إِنِّهَا تَوْجِبُ أَضْرَارًا
بِالْمَالِ وَبِالْجَسَدِ ، فنَقُولُ لَهُ نَحْنُ نَعُدُّ هَذِهِ الْأَضْرَارَ
مَنَافِعَ ، فَمَاذَا بَضْرُكَ أَنْتَ ،

وَالْقَوْلُ لِفَصْلِ فِي الْجَوَابِ أَنَّ هَذَا مَوْضُوعٌ آخَرُ
سَأَقْنَاهُ الْإِسْطِرَادُ ، وَقَدْ فَرَدَ لِأَجْلِهِ نَأْلِفُ لَكُنْ
وَلَكُنَّا نَتَبَرَّعُ لَكَ فِي الْجَوَابِ بِمَا يَحْتَمِلُهُ مَوْضُوعُ كِتَابِنَا
فِي وَجْهِ ؟

(الاول) اذنا زوى الشي الكثر عن حامل
رسالة السماء الخالدة جده رسول الله انه كانت
يحث على ذبائره والبكاء عليه جيلا بعد جيل ،
بعد ان يخبر بقتله قبل وقوعه ، وبشتمه ويقتله
في مواضع يهايم القوم وسبواهم ، وهو احد دلائل
النبوّة ، وتترك في ذلك كتب الفريقين ، وسباني
ذكر بعضها في اخر البحث

(الثاني) قوله تعالى ما جعل عليكم في الدين
من حرج ومحوه ، وقول النبي ص (لا ضرر ولا ضرار
في الاسلام) انما ترفع به الاحكام الاولى التي لم
تبين اول الامر على الضرر والخرج ، اما التي امر بها الشارع
مبنية اول الامر على العسر والخرج وانفاق المال ،
كالجهاد والصوم والحج ومحوها فلا يرفعها العسر والخرج
والضرر ، وذلك واضح لمن تأمل في احكام الشريعة ،
(الثالث) اننا زوى الكثر عن امتنا قبل عبث

ثاني عشرهم اتهم كانوا يحشون شيعتهم على ذلك ،
وكانوا في طليعة المطيعين اعمالهم على اقوالهم ، و
افعالهم على اواميرهم ، لان الاقوال بغير الافعال
تعد جزافا ، فابنه عضا ضه على الشيعة في امثال

أَوَامِرًا مِنْهُمْ ، وَآيُ اعْتِرَاضٍ عَلَيْهِمْ فِي اقْتِدَائِهِمْ
بِأَفْعَالٍ هُذَاهُمْ وَقَادَهُمْ ، وَلَا أَرَى الْمُعْزِضَ
يَمُجِّدُ فَرْقًا بَيْنَ الْقُرْنَيْنِ وَمَا زَادَ عَلَيْهِمَا ، فَإِنَّ الْحُكْمَ
بَيْنَ هَذَيْنِ الْخَطَايَا وَاحِدٌ ، لَعَدِمَ مَا يَدُلُّ عَلَى
مُتَحَدِّدِهِ فِي اقْتِصَرِّهِمَا أَمَدًا ، أَمَا إِذَا دَعَمَ الْمُعْزِضُ
أَنَّ الْخُلَفَاءَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ مُبْدِعُونَ ، وَالْأُمَّةُ الَّذِينَ
جَعَلَهُمُ اللَّهُ يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ ، قَبْلَ شَبَعَتِهِمْ ضَالُونَ
فَمَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْبِدْعَةَ ، وَمَا أَرَشَدَ هَذَا الضَّلَاةَ
إِنَّا وَاللَّهِ نَحْبَاوَنُوتُ عَلَى طَرَفَيْهِمْ ، وَنُخْشِرُ وَنُنْشِرُ
عَلَى هُذَاهُمْ ، لَا نَبْغِي عَنْهُمْ بَدَلًا ، وَلَا نَزِيدُ إِلَى
غَيْرِهِمْ حَوْلًا ،

أَبَا حَسَنِ إِنْ كَانَ جُحُوكَ مُدْخِلِي جَمْعًا فَإِنَّ الْقَوْرَةَ عِنْدِي جَمْعًا
الرَّابِعُ لَقَدْ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ الْكَثِيرَةُ الْمُنَوَّارَةُ فِي
الْحَثِّ عَلَى زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ ، وَقَدْ رَوَى بَعْضُ ذَلِكَ الْجُمْهُورُ
عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي بَيْتِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ
إِذَا خَبَرَهَا بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ إِذَا
ذَاكَ طِفْلًا رَضِيعًا ، وَذَكَرَهَا أَنَّ مَنْ زَارَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ
فَلَهُ حِجَّةٌ مِنْ حَجَّيْهِ صَرَّ ، فَجِئْتُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَتْهُ
حِجَّةٌ مِنْ حَجَّيْكَ ، قَالَ نَعَمْ بَلْ حِجَّتَانِ فَأَعَادَتْ

❦ لَمَّا فِي نُقَيْدِ عَزَاءِ الْحُسَيْنِ ❦ (١٨١) .

اِسْتَفْهَامَهَا النُّعْجِي ، وَزَادَ الرَّسُولُ فِي النِّصَابِ
حِجَّةً أُخْرَى مِنْ حِجَّتِهِ ، فَكَلَّمَا آعَادَتْ اِسْتَفْهَامَهَا
مُتَعَجِّبَةً زَادَهَا الرَّسُولُ حِجَّةً ، حَتَّى بَلَغَتْ السَّبْعِينَ
فَانْقَطَعَتْ عَنْ اَلْاِسْتَفْهَامِ ، لِأَنَّ السَّبْعِينَ مِنْ
غَايَاتِ الْكَثْرَةِ فِي عُرْفِ الْعَرَبِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي
غَيْرِ هَذَا الْخَبَرِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ عَقْلُ الْمُعْتَرِضِ ، فَلَنُعْرِضَ
عَنْ ذِكْرِهِ لِنُقْبِلَهُ وَنُرِيحَ فِكْرَهُ مِنْهُ ، وَالْآنَ مَاذَا
يَرُومُ الْمُعْتَرِضُ اَيَقْتَرِحُ عَلَيْنَا اَنْ نَزُورَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ
بَغَيْرِ بُكَاءٍ مِثْلًا عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ جَاءَ بُكَاءُ فِي كَثِيرٍ
مِنْ اَخْبَارِ زِيَارَتِهِ مَقْرُونًا بِهَا ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُنَادِي
رَأَيْتُهَا الْبَاكِ لَوْ عَلِمْتَ مَا لَكَ مِنَ الْاَجْرِ لَكَانَ فَرْحُكَ
اَعْظَمَ مِنْ حُزْنِكَ) وَاِذَا كَانَ الْبُكَاءُ عَلَى الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، جَائِزًا عِنْدَ زِيَارَتِهِ فِي حَضْرَتِهِ ،
فَإِنَّ الْمُعْتَرِضَ يَقُولُ بَعْدَ الْفَصْلِ بَيْنَ هَذَا الْبُكَاءِ
وَاُخْرَاهُ فِي آيِ زَمَانٍ مِنَ الْاَزْمِنَةِ وَفِي آيِ مَكَانٍ مِنْ
بِقَاعِ الْاَرْضِ .

نَقُولُ وَبِهَذَا الْخَبَرِ وَغَيْرِهِ وَبِهَذِهِ الْاَدْلَةُ وَامْثَالُهَا
نُزِدُ كُلَّ مُتَحَفِّزٍ لِلْاَعْرَاضِ عَلَيْنَا بِزِيَارَةِ الْحُسَيْنِ ،
حَيْثُ يَدَّعِي بِدَعْوَتِهَا ، اَوْ مَا شَا كُلُّ هَذِهِ الدَّعْوَى

الزائفة من أدلة هي أوهن من يَبْبُ العنكبوت ،
 (الخامس) ، لا زالت الأسمُ الحجةُ تقدس عظامها
 من علماء وشعراء ، وتحتفل لهم الأحنفالان
 الميوتبة والأليفته ، كاحيفال لعرب احيفا لا
 ألفيا لأبي العلاء المعري ، وأبران الميثا عير
 الفردوسي ، وغيرهما تهن الأمتين مما بطول
 بتعدادها الأملاء ، فما ذا يكون إذا فذست
 الأمة الإسلامية ، بطل فضنها حفيدتها
 الحسين (عليه السلام) ، ولعل المعترض يزعم أن
 لست أفعال هذه الأسم أدلة شرعية ، ،
 لتخرجها من البدعية ، قلنا نعم ، ولكن إن
 أقام المعترض دليلا على التحريم فإن ما ذكرناه
 من الأدلة ترجح جانب دليل الحلية ، بل المشروعية
 على دليله دليل التحريم كما يزعم ، وإن عجز
 عن إقامة دليل التحريم ، فيبقى دليل أصالة
 الحلية بلا معارض ، ونكون تابعين لسيرة لعقلا
 والإمام التراقي في الحجة ، إذا ضعفت أدلتنا عن
 جبهته المشروعية ، ولن نشعفت أبدا (ولا بأنوك
 بمثل الإسنالك بالحق وأحسن تشييرا)

﴿لَمَّا ذِي تُقِيمُ عِزَّ الْحُسَيْنِ﴾ (١٨٣)

(السَّادِسُ ، يَقُولُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) (أَنَا قَتِلْتُ الْعَبْرَةَ)
 وَقَدْ فِيمُنَا أَهْلُ الْعَبْرَةِ بِكِبَرِ الْعَيْنِ دُونَ فَتْحِهَا ، لِأَنَّ مَعْمُورًا
 مَذْكُورٌ فِي الْفَقْرَةِ الثَّانِيَةِ ، فَكَوْنُ تَاكِيدًا لِمَا فِي الْفَقْرَةِ الْأُولَى
 وَالتَّاسِيَةِ خَيْرٌ مِنَ التَّائِيدِ ،
 نَقُولُ فَإِذَا كَانَ الْحُسَيْنُ قَتِلَ لِأَجْلِ الْعَبْرَةِ ، وَإِنْ
 تَأْخُذَ أُمَّةٌ جَدِّهِ مِنْ فَضِيلَتِهِ دُرُوسًا نَافِعَةً تَصْبِحُهَا
 إِلَى الْيَوْمِ الْآخِرِ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَكَيْفَ
 تَسْتَطِيعُ الْأُمَّةُ مِنْ كِبَرِ الْعَبْرَةِ مِنْ فَضِيلَتِهِ ، مَا لَمْ تُكْرَرْ
 عَلَى ذَاكِرِهَا ، وَبُجْدٍ دُمَا لَيْثًا يُخْلِقُهَا مَرُّ الْعُصُورِ وَتَعَابُ
 الْمَلَكُوتِ ، فَإِنَّ الْإِذْنَ فِي الشَّيْءِ إِذْنٌ فِي كَوَازِمِهِ ، بَلِ
 الْأَمْرُ بِالْوَاجِبِ أَمْرٌ بِمُقَدِّمَتِهِ شَرْعًا وَعُرْفًا وَعَادَةً وَ
 عَقْلًا ، وَلَعَلَّ الْمُعْتَزِّضَ يَقُولُ آيَةُ عِبْرَةٍ فِي فَضِيلَةِ الْحُسَيْنِ
 وَلَكِنَّا نَقُولُ لَهُ أَمَا مَرَّ عَلَيْكَ الْكَثِيرُ مِنْهَا فِي تَضَاعُفِ
 الْكِتَابِ مِنْ رَدِّ الْحُسَيْنِ عَادِيَّةً بَنَى أُمَّةً عَنْ دِينِ الْأَسْلَافِ
 وَالتَّوَامِلِ الْعَرَبِيِّ ، وَمِنْ عَدَمِ إِعْطَائِهِ مِنْ نَفْسِهِ
 الدُّنْيَةَ ، وَاسْتِحْدَاثِهِ لِلضَّمِيمِ قُدُورَ ذَلِكَ أَرْكَابُ
 الْمَنِيَّةِ ، وَمِنْ تَعَالِيهِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأُمَّةِ الْإِيتَارُوا
 عَلَى كَيْفَةِ ظُلْمٍ وَلَا سَعْبَ مَظْلُومٍ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى الْخَوَاشِ
 وَعَدَمِ اكْتِرَافِهِ بِالتَّوَاذِلِ ، فَقُلْ حُدُودَهَا بِدِرْعِ صَبْرٍ

التابعه (وكل ما مضى بدرج الصبر مفلول) (وليس في الأعادة إفادة) ، وما سبتجد بتكرار ذكرى فضته من أسرارها أكثر ، وما خفي علينا أشد وأعظم ، وكل من سار على الدرب وصل والله هدي من يشاء إلى سواء السبيل ،

(التابع) يقول الحسين عليه السلام ، في هذا الحديث (ما ذكرت عند مؤمن ولا مؤمنة إلا بكيا لمصابي) فقد جعل رواحنا فداء البكاء عليه عند ذكر مصابه علامة للإيمان في هذه الفقرة الثانية ، فأشبه الحديث الوارد عن جد في أبيه (يا علي حبك إيمان وبغضك كفر) أجل فإن المؤمنين برث الحزن على الحسين من قبل الأبوين الأب العنصري وهو آدم ، فقد تلقى كلمات من ربه وهي أسماء الخمسة الأشباح محمد وعلي وفاطمة والحسين والحسين ، وذلك بعد معصيه وهبوطه إلى الأرض ، وقد كان رأها مكتوبة على سائر العرش ، منذ أن كان في الجنة ، فكان إذا ذكر الأربعة تسلى بهم وأنشراح صدره ، وإذا ذكر الخصال ما جت بلا بل حزينه وسالت الدموع على خديبه ،

لَمَّا زَا تَقِيَمُ عَمْرًا الْحُسَيْنِ * (١٨٥) *

إِلَى جَبْرِئِيلَ ذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ هَذَا الْحُزَنِ
وَهَذَا الْبُكَاءِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ هَذَا الْخَامِسَ يُقْتَلُ فِي
تَفْصِيلِ طَوِيلٍ ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَدَمَ أَنْ يُحَوِّلَ أَنْوَارَهُمْ
مِنْ صُلْبِهِ إِلَى أَصَابِعِ كَفَيْهِ ، لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْ
رَأْسِهِ ، وَيُشَاهِدَ هَاطِلَةَ حَيَاتِهِ ، فَبَاشَّ بِهَا
وَبَيَّنْهَجَ وَتَنَبَّطَ نَفْسُهُ ، فَصَارَ نَوْرُ الْحُسَيْنِ فِي
إِبْهَامِ كَفَيْهِ ، فَكَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى أَصَابِعِهِ الْأَرْبَعِ فَرِحَ
وَأَنْشَرَخَ صَدْرُهُ ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى إِبْهَامِهِ حَزَنَ وَتَجَدَّدَتْ
لَوْعَتُهُ ، وَمِنْ هُنَا يُؤَمَّرُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الضِّحَاكُ
بِالنَّظَرِ إِلَى إِبْهَامِ كَفِّ يَدِهِ الْيُمْنَى (الثَّانِي) الْأَبْوَانِ
الرُّوحِيَّانِ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ ، كَمَا يَقُولُ مَرَّةً فِي الْحَدِيثِ
الْمُتَوَاتِرِ عَنْهُ (يَا عَلِيُّ أَنَا وَأَنْتَ أَبَوَاهُ هَذِهِ الْأُمَّةِ) وَ
الْمُؤْمِنُ يُنْتَسَبُ لِأَدَمَ حَقًّا فَبِرْثُهُ لِأَنَّهُ لَبَسَ فِي سِلْسِلَةِ
نَسَبِهِ إِلَيْهِ زَنَا ، لِأَنَّ الزَّانِيَ يُفْسِدُ لِنَسْلِ وَهُلَكَهُ
إِلَى يَوْمِ الْفِيْءَامَةِ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي سِلْسِلَةِ نَسَبِهِ
فَسَادَ وَرِثَ الْإِيمَانِ مِنْ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ أَبِي هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَوَرِثَ مَعَهُ عَنْهُمَا الْحُزْنَ عَلَى فَلَذَ كَبِدُهُمَا الْحُسَيْنِ ،
فَاسْتَحْيَ أَنْ يُخَاطَبَ مِنْ قِبَلِ الصَّادِقِ ؑ أَنْتُمْ الطَّبِيبُونَ
وَنِسَاؤُكُمْ الطَّبِيبَاتُ يُشِيرُ إِلَى آيَةِ (وَالطَّبِيبُونَ لِلطَّبِيبَاتِ)

وَالطَّبَّاءُ لِلطَّبِّينَ) وَاسْتَحَقَّ أَنْ يَجْلَعَ عَلَيْهِ الحُسَيْنُ
هَذِهِ الْجِلْعَةُ السَّيِّئَةُ (مَا ذَكَرْتُ عِنْدَ مُؤْمِنٍ لَأُمْنِيَّةٍ
إِلَّا بِكَ الصَّابِي)

(الثَّامِنُ) رَأَى لَصَادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- وَهُوَ رُئِيسُ مَذْهَبِ الشَّيْعَةِ - أَنَّ التَّشْيِعَ إِنَّمَا
قَامَتْ دَعَائِمُهُ وَثَبَّتْ أَرْكَانُهُ وَانْتَشَرَ طَائِرُ صَبْنِهِ
فِي جَمِيعِ أَمْثَاءِ الْمَعْمُورَةِ بِقَتْلِ جَدِّ الحُسَيْنِ ، وَمِنْ هُنَا
قِيلَ لِلْأُسْلَامِ عَلَوِيٌّ ، وَلِلتَّشْيِعِ حُسَيْنِيٌّ ، وَلِلْمَذْهَبِ
جَعْفَرِيٌّ ، فَكَانَ لِرَأْيِ عَلَيْهِ أَنْ يُحْيَى فِي جَمِيعِ أَجْيَالٍ
ثَابِتٍ ذِكْرُ جَدِّ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنْ
يَجْعَلَهَا دَائِمًا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَمِلَّةً أَذَانِهِمْ ، وَهَجِيرًا
الَّذِينَ عَلَيْهِ يَجْهَوْنَ وَعَلَيْهِ يَهْوُونَ ، كُلُّ ذَلِكَ قَبْلًا مِنْ بَعْضِ
الْوَاجِبِ ، وَعَرَفْنَا بِاللَّجْبِلِ ، وَجَزَاءً لِلْأَحْسَانِ بِالْأَسَاءِ
وَتَحْقِيقًا لِكُونِ عَلَيْهِ الْحُدُوثِ هِيَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ ، فَإِنَّ
عَرَضَ مَظْلُومِيَّةِ الحُسَيْنِ لَوْلَمْ تَحْيَ مَعَ الْأَجْبَالِ ، وَ
ذَهَبَتْ مَعَ أَمْسِ الدَّابِرِ لَذَهَبَتْ بِمَفْعُولِهَا ، وَأَنْطَسَتْ
بِأَثَارِهَا ، وَقَدْ ذَكَرْنَا كَثِيرًا أَنَّ الْأَثَارَ تَتَّبِعُ
الْأَشْيَاءَ بِوُجُودِهَا الْخَادِجِي دُونَ الذَّهْنِي ،

لَمَّا ذَا تُقِيمُ عَزَا الْحُسَيْنِ ﴿١٨٧﴾

(الثَّاسِعُ) دَعِ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي
نَبِيِّهِمْ ، حَيْثُ جَعَلُوهُ رَبَّهُمْ أَوْ جُزْءَ لِرَبِّهِمْ ،
وَدَعِ احْتِفَالَهُمْ الْعَظِيمَ لِعَبْدِ مِيلَادِهِ وَغَيْرِهِ
وَدَعِ الْيَهُودَ وَأَعْبَادَهُمَا الْمُتَعَدِّدَةَ ، وَدَعِ غَيْرَهُمَا
مِنَ الْمِلَلِ ، وَصَوِّبِ النَّظَرَ وَصَعِدْ فِي الْمُسْلِمِينَ
تَجْدُهُمْ يُقَدِّسُونَ يَوْمَ مِيلَادِ نَبِيِّهِمْ الْأَعْظَمِ ،
وَيَحْنَفُونَ بِهِ احْتِفَالًا مُنْقَطِعَ النَّظَرِ ، فِي كُلِّ سَنَةٍ
وَفِي كُلِّ صِقْعٍ مِنَ الْأَصْقَاعِ عَلَى اخْتِلَافٍ مَخْلَعِهِمْ وَتَوَعُّلِهِمْ
وَالسِّيَرَةِ وَلَهْجَاتِهِمْ ،

ثُمَّ نَقُولُ فَمَا هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْفَرَجِ وَالْحُزْنِ ، وَ
قَدْ جَاءَ عَنْ أُمَّتِنَا رَشِيحَتُنَا خَلِفُوا مِنَّا فَاضِلِ طِينَتِنَا
بِفَرَحُونَ لِفَرَحِنَا ، وَبِحُزْنُونَ لِحُزْنِنَا ، وَهَذَا مَخْنُ لَا
يَخْتَصُّ الْحُسَيْنَ بِهَذَا الْأَمْرِ بَلْ نَفْرَحُ بِعَبْدِ مِيلَادِ الرَّسُولِ
وَنَحْزَنُ أَعْمَقَ الْحُزْنِ فِي يَوْمِ وَفَاتِهِ ، أَمَا ذُنَادُهُ حُزْنِنَا
عَلَى الْحُسَيْنِ طَوْلَ السَّنَةِ دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ وَإِلَهُمَا ،
فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِعَظَمِ مُصِيبَتِهِ عَلَى جَمِيعِ الْمَصَائِبِ بِأَعْيُنِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَلِذَا لَا تَعْدُرُونَنَا وَأَنْتُمْ تَرَوْنَنَا نَتْرَكَ
مَصَائِبِنَا الْخَاصَّةِ بِنَا ، وَنَدُسُّ بِهَا فِي أَوَّلِ صَدْمَتِهَا
مُصِيبَةُ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ تَنْكُصُ تِلْكَ الْمَصَائِبُ عَلَى

عَقِبَهَا ، وَتَجَرَّى مُصِيبَةُ الْحُسَيْنِ إِلَى أَمَدٍ لَا يَعْلَمُ
مَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، الْبَسَ فِي ذَلِكَ بُرْهَانًا
وَاضِحٌ وَسُلْطَانٌ مُبِينٌ أَنَّ اللَّهَ حَافِظُ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ
فِي كُلِّ جَبَلٍ ، وَفِي كُلِّ صِقْعٍ لِأَمْرِ هَوِيلًا غَلِيظًا كَمَا حَفِظَ دِينَهُ
الْأَسْلَامَ وَكِتَابَهُ الْقُرْآنَ

بِنَفْسِي مَنْ لَا زَالَ غَضًا مُصَانًا كَمَا لَمْ يَزَلْ غَضًا مَدَى لَذْهَرٍ مُصَحَّفٍ
أَنْتَ رَزَيْتَكُمْ رِزَابَانَا إِلَهِي سَلَفَتْ وَهَوْنَتِ الرِّزَابَا إِلَّا أَنْتَ

(الْعَاشِرُ) ، أَنَّ الشَّيْعَةَ تَرْجُو وَتَتَوَخَّى مِنْ إِفَامَةِ
عَزَائِ الْحُسَيْنِ فَوَائِدَ كُلِّهَا مَعْفُوْلَةٌ ، وَكَثْرَتُهَا مُجَرَّبَةٌ ،

وَالرَّجْدَانُ فَضْلًا عَنْ الْبُرْهَانِ قَاسِمٌ عَلَيْهَا ، وَالْبَيْتُ
بَعْضُهَا لِأَنَّ مَوْضُوعَ الْبَحْثِ لَا يَحْتَمِلُهَا كُلُّهَا ، وَمَا لَا يَدْرُكُ
كُلَّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ ، (الْأَوَّلَى) ، أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ خُدَّامِ الْمَانِيَةِ

الْعَزَائِبَةِ - وَمِنْهُمْ الذَّاكِرُونَ - يَعِيشُونَ بِفَضْلِ
الْحُسَيْنِ عَيْشَةً رَاضِيَةً هَنِيئَةً (وَاحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ
أَنْفَعُهُمْ لِعِبَادِ اللَّهِ) (الثَّانِيَةُ) ، أَنَّ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ

يَنْتَفِعُونَ فِي تَجَالِسِ الْعَزَاءِ كَثِيرًا ، وَرُبَّمَا أَعْدَى بَعْضُ
الْحَاضِرِينَ كَرَمُ الْحُسَيْنِ ، فَيَجَادُ عَلَى بَعْضِ الْفُقَرَاءِ ،

حَتَّى جَعَلَهُ فِي مَصَاقِفِ الْأَغْنِيَاءِ (وَحَيْرُ الصَّدَقَةِ فِي
مَا اكْتَسَبَتْ غِنًى) (الثَّالِثَةُ) ، يَنْتَفِعُ الْأَدَبَاءُ مِنْ شُعْرَاءِ

وَمُؤَلِّفِينَ وَوُعَاظٍ وَمُخَوِّهٍ ، فَإِنَّ تَعَزُّبَهُ الْحُسَيْنِ لَوْ لَمْ
تَكُنْ سُوْقًا رَاجِحَةً لَمْ تُتَّفَقْ بِهَا بِضَاعُهُمْ ، وَإِذَا لَمْ يَشْتَرِهَا
مِنْهُمْ أَحَدٌ وَكَسَدَتْ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَلَمَّا ذَا بَصَعُوهَا
وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَبِيعُوهَا (الرَّابِعُ) مِنَ الْمُحَقِّقِ
أَنَّ تَعَزُّبَهُ الْحُسَيْنِ مَدْرَسَةٌ سَبَّارَةٌ ، حَيْثُ تُنْشَرُ
فِيهَا الْأَدَابُ وَتُلْقَى بِهَا الْخُطَبُ الْعَصْمَاءُ ، وَالْأَشْعَارُ
الرَّائِفَةُ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ ، فَهِيَ مَهْدُ الْحِضَارَةِ وَ
مَعْهَدُ الْأَدَابِ ، وَمِنْبَرُ الْوَعْظِ وَالْإِرشَادِ ، وَمَجْمَعُ
النِّصَاحِ ، وَمُلْتَقَى الْعُلُومِ الْحَاضِرَةِ وَالْحَدِيثِ وَالْقَدِيمَةِ
الْكَرِيمَةِ ، وَمَا لَا يَحْصِي مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ (الْخَامِسُ)
إِقَامَةُ عِزِّ الْحُسَيْنِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْإِجْتِمَاعِ ، وَهَلْ
تَدْرِي مَا هِيَ فَوَائِدُ الْإِجْتِمَاعِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَدْفِيٌّ
بِالطَّبْعِ ، وَالْبَدُّ الْوَاحِدُ لَا يُصَفِّقُ ، وَعِيشَةُ الْوَاحِدِ
وَالْإِنْفِرَادِ عِيشَةُ الْوُحُوشِ ، إِلَّا لِمَنْ يُرِيدُ هَذَا
نَفْسِهِ وَتَصَفِّفُهَا مِنَ الرِّذَائِلِ وَتَكْبِلُهَا بِالْتَّفَكُّرِ ،
وَهُمُ الْوَاحِدِيُّ النَّادِرُ مِنَ النَّاسِ أَمَّا النَّوْعُ
الْإِنْسَانِيُّ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنْهُ فَإِنَّ الْإِجْتِمَاعَ هُوَ
دَوَائِهِمُ النَّاجِعُ ، وَسِلَاحُهُمُ الَّذِي يُكَافِحُونَ بِهِ
أَدْوَاءَ مُجْتَمَعِهِمْ ، وَمِنْ شَمِّ قَيْلٍ (الْجَالِسُ كَالْمَدَارِسِ)

رَبْلُهَا هِيَ لَا فِي كَانِ تَشْبِيهِ ، اَتَحْسَبُنِي مُبَا لَغَائِي
فَوَائِدِ الْإِجْتِمَاعِ ، فَهَلْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ أَهْطَامِ الشَّرْعِ
وَالْعُقُلَاءِ فِيهِ ، فَأَنْظُرُ إِلَيْهِ كَيْفَ شَرَعَ مَجْمَعًا يَتَكَرَّرُ
يَوْمِيًّا صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ ، وَلَمْ يَكْفِهِ ذَلِكَ حَتَّى تَوْسَعَ
فِيهِ ، فَجَعَلَهُ أُسْبُوعًا لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، لِيَتَفَاوَضَ
فِيهِ النَّاسُ عَمَّا جَرَى فِي أُسْبُوعِهِمْ ، وَلِيَذَرُوسُوا
حَوَادِثَهُمْ فِيهِ دَرَسًا كَامِلًا ، يَنْفَعُهُمْ فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ
وَأُرْتَقَى بِهِ الْأَمْرُ ، فَعَقَدَ لَهُمْ نَادِيًا سَنَوِيًّا فِي صَلَاةِ
الْعِيدِ ، وَحَتَمَ عَلَيْهِمْ حُضُورَ هَذَيْنِ الْجُمُعَتَيْنِ مِنْ بَعْدِ
فَرَسَخَيْنِ ، وَلَمْ يُرَخِّصْ عَنْ عَدَمِ حُضُورِهَا إِلَّا لِمَنْ لَبَسَ
لَهُ قَابِلَتَهُ لِإِسْتِعْدَادِهِ ، لِيَتَلَفَّى الدَّرُوسَ النَّافِعَةَ
وَيَتَلَقَّيْنَهَا الْغَائِبِينَ عَنْ مَجْلِسِ الْخِطَابِ ، كَأَهْلِ الْغَايَةِ
مِنَ الْأَعْمَى وَالْمَرِيضِ وَالْأَعْرَجِ وَالْهَيْمِ وَالْأَنْثَى ، وَقَدْ جَاءَ
أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا عَقْلَ لَهَا ، وَاسْتَعْنِطَ الْأَسْلَامُ ، وَ
تَرَامَتْ أَطْرَافُهُ ، وَكَادَتْ تَبْلُغُ مُنْهَى الْخُفِّ وَالْخَافِرِ ،
فَاحْتَاجُوا إِلَى مَجْمَعٍ عَظِيمٍ ، كَأَعْظَمِ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْعَقْلُ
وَيَجْرِي بِهِ الْعَادَةُ ، فَشَرَعَ لَهُمُ الْحَجَّ (وَأَذِنَ بِالْحَجِّ بِأَنْوَاعِهِ
رَجَالًا ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ بِأَنْوَاعِهِ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيْقٍ ،
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَا أَكْثَرَ

لَمَّا ذَا تُقِيمُ عِزَّاءَ الْحُسَيْنِ (١٩١)

هَذِهِ الْمَنَافِعُ الَّتِي يَشْهَدُ وَهَآ ، وَرَجِعُونَ بِهَا إِلَى
بُلْدَانِهِمُ الشَّاسِعَةِ ، وَأَقْطَارِهِمُ النَّاسِيَةِ ،
وَفَجَاجِهِمُ الْعَبِيفَةِ ، وَقَدْ نَدَبَ الشَّارِعُ أَتْبَاعَهُ
لِاسْتِقْبَالِ الْحَاجِّ وَمُصَافَحَتِهِمْ ، كُلُّ ذَلِكَ تَنْشِيطًا
لَهُمْ ، وَتَثْقِيفًا لِعِزَّتِهِمْ ، وَاسِيلًا مَّا رَأَى الْحَاجُّ
فِي هَذِهِ الْمَجَامِعِ الْعَظِيمَةِ وَالْإِجْتِمَاعِ الضَّخْمِ الْمُبْتَدِئِ ،
فَالِى الْوُثَامِ وَالْأَخَاءِ وَالْمُصَافِحَةِ وَالْمُعَانِفَةِ ، وَمُبَادَلَةِ الْوَدِّ
وَالْعَوَاطِفِ ، أَهْلًا الْمُسْلِمُونَ ، وَإِلَى مَا نَدَبْتُكُمْ الشَّرِيعَةُ ، هَآ
الشَّيْعَةُ ، وَإِلَى مَا دَعَّيْتُكُمْ إِلَيْهِ أَيْمُنُكُمْ ، وَحَضَّتْكُمْ عَلَيْهِ
هُدَايُكُمْ ، أَيُّهَا الْأَخْوَانُ ، وَإِذَا أَرَدْتُمْ تَحْقِيقَ هَذَا وَاضْعَافِ
هَذَا ، فَأَلْجِئْنَا الْأَجْتِمَاعَ الْأَجْتِمَاعَ لِإِقَامَةِ عِزِّ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ
(السَّادِسَةِ) بِرَى الشَّيْعَةِ أَنَّ فِي إِقَامَةِ عِزِّ الْحُسَيْنِ نَمَاءً
أَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَخِصْبُ السَّعَةِ الْأَرْزَاقِ ، وَهَنَاءُ حَيَاتِهِمْ بِوَفْرِ
مُعْدَاتِهَا ، وَبَرُونَ بِقَطْعِهَا اضْطِدَادَهَا ، وَلَيْسَ هَذَا اعْتِقَادًا فَارِعًا
مِنَ الْحَقِيقَةِ لِنَقُولَ (كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) فَهَؤُلَاءِ عِبَادُ الْبَقْرِ
فِي الْهِنْدِ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ، وَيُقَدِّسُونَ الْبَقَرَ يُقِيمُونَ
عِزَّاءَ الْحُسَيْنِ ، وَهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِمَجْدِ الْحُسَيْنِ ، وَلَا بِرَبِّ الْحُسَيْنِ
أَفَرَأَاهُمْ يَرْجُونَ ثَوَابًا أُخْرَوِيًّا ، كَلَامُكُمْ كَلَامًا ، وَلَكِنَّهُمْ جَرَّبُوا فِي إِقَامَةِ
عِزِّهِ خِصْبَ سَعَةِ أَرْزَاقِهِمْ وَبَرَكَهَ مُعْدَاتِ مَعَايِشِهِمْ ، وَجَرَّبُوا

❦ شِيعَةُ عَلِيِّ وَالْحُسَيْنِ ❦ (١٩٢) هـ

بقطعها البلاء المنصب عليهم بما لم يألوه ، فقدسوا الحسين بإقامته
 عزائه ، وإن لم يدبوا بدنه ولم يعرفوه (التابعه) يرى لشيعته لا
 خصوصاً الحسين فضائل كثيرة ومعجزات عظيمة وفيرة ، تزداد كلما
 أكثرها التذود فتوى ، وتشاءد أكثرها في المجالس العزائية كشفاً
 المرضي ، ومعا فاه أرباب العاهات والمؤفين ، وأعظمها ما ينقل
 لنا متواتراً أن أولئك الكفرة يمشون جائبين ذاهبين في العزاء
 على النيران الموقدة من أخشاب أشجار الهند لصلبه ، فلا يحرم
 ولا يؤثر عليهم شيئاً ، حتى تنطفئ تحت أرجلهم ، وهم يندبون الحسين
 ندبة أخرجوا من تلك النيران الملهبة ، أم ترى أن حر
 نيران الخشب تنذك بلواعج آحزان القلب ، إذن فلا بهر ولا
 عجب (الثامن) أن الشيعة بأفامه عزاء الحسين يحققون
 ما ذكره نبههم الأعظم فقد وعد بهم عن ظهر الغيب فهم سيقومون
 عزاءه جلاً بعد جبل ، وهذا بذلك روع بضعت الزهراء
 حتى طمان بالها وسكن خاطرها ، وتسلت عن ذبح ولدها
 بعض الشلبه ، كما أن الشيعة إذ تحقق لنبيه وبضعته من
 رجون ما وعدوها من شفاعتهما الكبرى ، ويبلغون أعناءهم
 لتلقى عارفهم واستقبالهم يوم الفرع الأكبر (يوم يفر المرء
 من أبيه وأمه وأخيه ، ونصبائه التي توو به) ويسرني كثيراً
 - بل يحزنني عظيماً - أن آتياً من بخيم الكتاب بالرواية التي

* مَا فِي تَقْدِيرِ عَزَاءِ الْحُسَيْنِ * (١٩٣) هـ

نَشْتَمِلُ عَلَى هَذِهِ الْوُعُودِ الْكَرِيمَةِ وَالْبَشَارَاتِ الْعَظِيمَةِ ، فِي
 تِلْكَ الْمَرَاجِعَةِ الَّتِي جَرَتْ فِي عَهْدِ طُفُولَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ النَّبِيِّ
 بِضَعْنِهِ ، وَالْحَوَادِثِ الَّتِي أَرْحَلَ مُصِيبُهُ وَأَقَامَ عَزَائِهِ ، بَيْنَ
 الْمُصْطَفَى وَثَمَرَةِ قَلْبِهِ وَفِرَّةِ عَيْنِهِ الْحَوَارِءِ الزَّهْرَاءِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَذَلِكَ
 حِينَ دَخَلَ الْحَسَنُ وَأَخُوهُ الْحُسَيْنُ يَوْمًا عَلَى النَّبِيِّ ، فَشَمَّ الْحَسَنُ فِي
 فِيهِ وَشَمَّ الْحُسَيْنُ فِي نَحْرِهِ ، فَقَامَ الْحُسَيْنُ وَقَبَلَ إِلَى امِّهِ ، فَقَالَ لَهَا
 أُمَّاؤُ شَمِّتِي فَنِي ، هَلْ تَجِدِينَ فِيهِ رَاحَةً بِكَرْمِهَا جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ
 فَشَمَّتُهُ فِي فَنِي ، فَذَا هُوَ أَطْبَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهِ إِلَى
 أَبِيهَا ، فَقَالَتْ لَهُ أَبَةُ لَمْ كَسَرْتُ قَلْبَ وَلَدِي الْحُسَيْنِ فَقَالَ مِمَّ قَالَتْ
 ثُمَّ أَخَاهُ فِي فِيهِ ، وَشَمَّتُهُ فِي نَحْرِهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ بَكْيَ قَالَ بُنْتِ
 أُمَّا وَلَدِي الْحَسَنُ ، فَإِنِّي شَمَمْتُهُ فِي فِيهِ لِأَنَّهُ بَقِيَ السَّمُّ فَمَيُّتٌ
 مَمُومًا ، وَأُمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنِّي شَمَمْتُهُ فِي نَحْرِهِ ، لِأَنَّهُ بُذِجَ مِنْ
 الرُّبْدِ إِلَى الرُّبْدِ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ فَاطِمَةُ بَكَتُ بَكَاءً شَدِيدًا وَلَمَّا
 أَبَتْ مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا بُنْتِ فِي زَمَانٍ خَالٍ مِنِّي فَمِنْكَ
 وَمِنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، فَاشْتَدَّ بَكَاءُهَا ، ثُمَّ قَالَتْ أَبَةُ إِذْنُ مَنْ
 يَنْكِي عَلَيْهِ ، وَمَنْ يَلْتَزِمُ بِأَقَامَةِ الْعَزَاءِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا ،
 بُنْتِ فَاطِمَةُ إِنَّ نِسَاءَ أُمِّتِي يَكُونْنَ عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ بَيْتِي
 وَرَجَالُهُمْ يَكُونُونَ عَلَى وَلَدِي الْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَتُجَدِّدُونَ
 عَلَيْهِ الْعَزَاءَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ ، فَذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ

أَنْتِ تَشْفَعِينَ لِلنِّسَاءِ وَأَنَا أَشْفَعُ لِلرِّجَالِ ، وَكُلُّ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ
وَلَدَيْكَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وَأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ)
عَلَى آتِنَا يَا مَوْلَايَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، يَا سَيِّدِي يَا ابْنَ
رَسُولِ اللَّهِ إِنَّمَا نُبْكِيكَ لِعَظِيمِ مُصِيبَتِكَ وَنَتُوحَاكَ لِحُرْقَةِ رِزْقِكَ
- إِي وَ اللَّهِ -

تَبْكِيكَ عَنِّي لَا لِأَجْلِ مَثْوِيَّةٍ لَكِنَّمَا عَنِّي لِأَجْلِكَ يَا كِبَاهِ
تَبْتَلُ مِنْكُمْ كَرِيلاً بَدَمٍ وَلَا تَبْتَلُ مِنِّي بِالذُّمُوعِ الْجَارِيَةِ

وَقَدْ اسْتَرَاخَ الْقَلَمُ مِنَ الْجَرْحِ فِي مِصْمَا السِّبَا ، عَلَى الطَّرُوسِ الْأَوْدَانِ ،
وَنَهَى ثَائِفُ الْبُكَاءِ - وَبِحَامِلٍ حَدَّ لَا وَلَدٍ لَهَا بِذَلِكَ الْخُرْ ، وَلَدَ الْحَمْدِ الْمَجْدُ -
وَنَ لَكَ مِنْهُ شَهْرُ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهْرُ مِصْمَا الْمَبَاكِ ٣٧٢ هـ فَسَأَلَ
أَبِي بَعْدَ بَكَدُ ، بَعْدَ أَنْ تَمَلَّكَ كَذَمُ الْفِئَالِ جَلْدُ ، وَهَدَى إِلَى عَيْنِي
الْعَالِمُ الْمَقْدُ الْحُسَيْنِ رَجَاءُ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ ، وَغَامُ عَدْلِ الْمُرْسَلِينَ
صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الظَّاهِرِينَ الْمَطْلُومِينَ ، عَلَى بَدَلِ فَلَ الْعَبَا
عَمَلًا وَكَثْرَةً حُرْمًا وَزَلَالًا ، الْمُعْبَرِ بِخَطَا ، وَالرَّاجِي دَحْرَ رَبِّهِ وَعَظْفِ نَبِيِّهِ
وَشَفَاعَةِ الْحُسَيْنِ سَيِّدِ مَوْلَاهُ عِبْدِ الْعَظِيمِ الرَّسُولِ

كَتَبَهُ فَلَ الْحَاجُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
أَبِي الْفَضْلِ النَّصِيرُ الْبَابِي
الزَّيْنَبِي

☆ فهرس الجُرْأَلِ الْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِ سِيَاسَةِ الْحُسَيْنِ ☆ (١٩٥)

صُورَةُ الْأَعْتِرَاضِ غَالِبًا	المَوْضُوعُ	صَحِيفَةُ
وَالسَّبَبُ الَّذِي عَاهُ لِنَا لِفِ الْكُتُبِ	المؤلفُ الرَّبِيعِي	٢
كَيْفِيَّةُ الْأَعْتِرَاضِ بِيَوْمَيْنِ مِمَّا شَاءَ الْمُعْتَرِضِينَ	مَجْلِسُ سِيَاسَةِ الْحُسَيْنِ	٤
لِإِذَا أُمْتُعَ عَنْ بَيْعَةٍ بِزَيْدٍ لَعَنَ	الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ	٥
لِإِذَا يَتَعَرَّضُ لِقَافِلَةٍ بِحَيْرِ بْنِ يَسَافٍ	الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ	٩
لِإِذَا لَمْ يَأْخُذِ الْحِذْرَ مِنَ الْعَدُوِّ	مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ	١٢
لِإِذَا صَفَحَ عَنْ ابْنِ زِيَادٍ	مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ	١٦
كَيْفَ رَكَنَ إِلَى الْكُوفَةِ	الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ	٣١
وَمَا شَاءَتْهُ لَا هَلْ الْكُوفَةُ	الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ	٤٠
لِإِذَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَى حُكْمِ زَيْدٍ لَعَنَ	الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ	٤٥
وَالْتَعْلِيْقُ عَلَى اقْتِرَاحِهِ	زَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ	٥٤
لِإِذَا أَذِنَ لَانْصَارِهِ بِالْأَنْصَارِ عِنْدَهُ	الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ	٦١
كَيْفَ بَرَزُوا لِلْجَيْشِ آخِذًا	أَنْصَارُ الْحُسَيْنِ	٧٠
لِإِذَا بَشَّرُوهُ أَبَاهُ بِالرَّوَاءِ	عَلِيُّ الْأَكْبَرِ	٧٦
كَيْفَ رَمَى الْغُرْفَةَ مِنْ يَدِهِ	أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ	٩٢
مَا وَجَّهَ تَرْوِيجَهُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ	الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ	١١٥
لِإِذَا يَحْمِلُهُ أَبُوهُ إِلَى الْمَعْرَكَةِ	عَبْدُ اللَّهِ الرَّضِيعُ	١٢٧
وَالْعَجْزُ عَنْ وَصْفِ شَجَاعَتِهِ	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ	١٣٩
لِإِذَا يَطْلُبُ الْمُبَادَرَةَ	الحُسَيْنُ فِي قُوَّةِ بَاسِهِ	١٦١
لِإِذَا يَأْمُرُ السُّيُوفَ أَنْ تَأْخُذَهُ	الحُسَيْنُ الْغَالِبُ الْمَنْصُورُ	١٧٥

(١٩٦) * فهرس الجزء الثاني من كتاب سيد الحسين *

صُورَةُ الْأَعْتِرَاضِ غَالِبًا	الموضوع	صفحة
اثناء فضته الكريمة	صدور المعجزات للحسين	٣
والثناء به عن قبل الحق	نزول الصحيفه على الحسين	١٣
ومخوها في قتل الحسين	خوف الشمس والفر	٢٤
وفائلوه ولوم مختارهم	الحسين ونبل عاطفته	٣٥
مقتد ومقتدى به	الحسين في نهضته	٤٦
حب قدرتنا البشرية	ماهية النهضة الحسينية	٥٦
وبعض الفوائد التي توخاها	تضحية الحسين بنفسه	٦٧
والتشيع حسبي	الاسلام علوي	٨٠
في تضحية الحسين بنفسه	الاذان مضامينه العنا	١٠٠
كيف بعرض عائلكه للاسر	الحسين المفكر السياسي	١١٧
في حادثة اخيهما العظمي	موقف زينب الكبرى	١٢٩
من عدوه ابن مرجانة	موقف وزيري الحسين	١٤٢
امام يزيد في عبد ظفيره	موقف زين العابدين	١٥٠
في غاصمه الامويين	موقف عقيلة الهاشميين	١٦١
لما ذا تقم عزاء الحسين	شيعه علي والحسين	١٧٨

لَقَدْ أَجْهَدْتُ نَفْسِي كَثِيرًا فِي إِخْرَاجِهِ نِقَبًا مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالْإِطْلَاقِ
وَعَرَبَلْتُهُ فِي النَّصْحِجِ الْبَرِّ تِلْكَ الْأُخْرَى ، وَلَا أَظُنُّنِي إِدْرَكَتُ
الْقَصْدَ ، فَاسْتَمِيعُوا الْعُذْرَةَ مِنَ الْقُرَاءِ الْكَرَامِ - لِلْوَلِيِّ الرَّبْعِيِّ -

